ضمير الغائب

مستقصى في القرآن الكريم

الدكتور/ علي محمود النابي

و

يعمل في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

جامعة الأزهر

و

يعمل في كلية إعداد المعلمات

بالمدينة المنورة

Bibliotheca Alexandrina
02202679

ضمير الغائب مستقصى في القرآن الكريم

للدكتور / علي محمود النابي

ضمير الغائب

مستقصى في القرآن الكريم

الدكتور / علي محمود النابي
و
يعمل في كلية البنات الإسلامية بأسيوط
جامعة الأزهر
و
يعمل في كلية إعداد المعلمات
بالمدينة المنورة

توزيع

دار الكتاب الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾

صدق الله العظيم

طبعة ١٩٩٩م

دار الكتاب الحديث

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

هاتف: ٢٧٥٢٩٩٠ - ٢٧٥٢٩٩٣ - ٢٧٥٢٩٩٣ فاكس: ٢٧٥٢٩٩٢

الكويت: برج الصديق شارع المثنى هاتف: ٢٤٦٠٦٣٧ - ٢٤٦٠٦٣٤ - ٢٤٦٠٦٣٥ - ٢٤٦٠

فاكس: ٢٤٦٠٦٢٨ ص.ب: ٢٢٧٥٤ - الصفاة - الرمز البريدي ١٣٠٨٨ الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين

وبعد .....

فلقد شاءت إرادة الله تعالى أن أكتب في:

[ضمير الغائب مستقصى في القرآن الكريم]

بعد أن كتب الباحثون في الرابط، كما كتبوا عن العائد في النحو العربي، وعن الضمائر الواقعة في القرآن الكريم كابن الأنباري (١).

ولما كانت دراسة النحو من خلال الآيات القرآنية هي الأساس الأول لفهم لغة العرب، اقتطفت من جناه ما شاء الله تبارك وتعالى أن يكون.

فعشت مع ذلك البحث ما يقرب من ثلاث سنوات في دراسة مستأنية مع كتب التفسير المتخصصة، وكتب النحو، وما تلا ذلك من بحوث عن العلماء المتأخرين، وجميعهم تركوا لنا تراثًا هائلاً، وصرحًا شامخًا يعتز به كل ناطق بلغة الضاد.

وقد قسمت هذا البحث إلى فصلين مسبوقين بمقدمة تلتهما خاتمة.

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن الضمير بوجه عام في إيجاز وأما الفصل الأول فقد كان عن ضمير الغائب، وبيان المراد منه، والفرق بينه وبين الضمائر الأخري وتقسيمها.

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤: ٢٤.

أما الفصل الثاني وهو الأساس في هذا البحث فقد اشتمل على الآيات القرآنية التي وجد فيها ضمير الغائب كدراسة تطبيقية نخرج من خلالها إلى عظمة القرآن الكريم وإعجازه وأسراره، وما يترتب على ذلك من معرفة الجمال في لغة العرب التي ستظل تواكب كتاب الله عز وجل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما ذكرت في ذلك الفصل وجوه المعاني التي تترتب على عود الضمير في الآيات القرآنية، وما تبع ذلك من توجيه للقراءات في الآية إن وجدت، والإعراب لما دعت الحاجة إليه، والبلاغة، ليكون ذلك معوانًا على فهم كتاب الله عز وجل.

ولن أتحدث عنه فهو أولى بالحديث عن نفسه وإني لأرجو من المولى القدير أن أكون بهذا العمل قد وفقت، وأسهمت بجهد متواضع في خدمة كتاب الله عز وجل، وخدمة اللغة، كما أسأله سبحانه وتعالى عموم النفع، وشمول الفائدة، وأن يجعله في ميزان الحسنات فهو حسبنا ونعم الوكيل.

على محمود النابي
كلية البنات الإسلامية بأسيوط
جامعة الأزهر
ويعمل فى كلية إعداد المعلمات
بالمدينة المنورة

مقدمة

الضمير فعيل بمعنى فاعل فضمير بمعنى ضامر من الضمور؛ لأن معظم الضمائر تتكون من حرف واحد كتاء الفاعل، وواو الجماعة، وتقول أضمرت الشيء أي غيبته، قال أبو عبيد: المال الضِّمار هو الغائب الذي لا يرجى فالمادة تدور حول الهزال والضعف والتستر والإخفاء[1] وهو في الاصطلاح:

اسم جامد يدل على متكلم كأنا، أو مخاطب كأنت، أو غائب كهو وهو مبني، ولذلك لا يثنى، ولا يجمع، وإنما يدل بذاته، وتكوين صيغته على المفرد المذكر، أو المؤنث، أو على المثنى والجمع بنوعيهما، ولذلك قال ابن مالك:

فما لذي غيبة أو حضور　　　كأنت وهو سم بالضمير

فهو عند البصريين يسمى الضمير والمضمر، وعند الكوفيين يسمى الكناية والمكني[2].

فالضمائر كلها مبنية بناء لازمًا باتفاق النحويين جميعًا، ولها محل من الإعراب يختلف باختلاف صيغتها.

أما الغرض من استعمال الضمير فهو ما يلي:

١ـ الإيجاز والاختصار، فإننا نستغني بالحرف الواحد عن الاسم كقول رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين هم بقتل ابن صياد؛ لأنه ظنه الدجال: «إن يكنه فلن تسلط عليه، وإلا يكنه فلا خير لك في قتله»، وقول أبي الأسود لأحد غلمانه:

(١) لسان العرب مادة (ضمر)، وكذلك الحروف الموضوعة مهموسة وهي التاء والكاف والهاء.

(٢) توضيح المقاصد والمسالك ١ : ١٢.

دع الخمر يشربها الغواة فإنني رأيت أخاها مغنيًا بمكانها

فإلا يكنها أو تكنه فإنه أخوها غذته أمها بلبانها

وكما في قوله تعالى: ﴿أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾ بعد قوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات ....﴾[١].

حيث قام الضمير في ﴿لهم﴾ مقام خمسة وعشرين لو أتى بها مظهرة، كما لا يوجد في كتاب الله تعالى آية اشتملت على ضمائر أكثر من قوله تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾[٢]. ففيها خمسة وعشرون ضميرًا.

٢ـ ويؤتى به للفخامة بشأن صاحبه لفرط شهرته، كأنه يدل على نفسه، ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته كقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾[٣] يعني القرآن.

٣ـ التحقير نحو قوله تعالى: ﴿إنه لكم عدو مبين﴾[٤] يعني الشيطان، وقوله تعالى:﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾[٥] ، وقوله تعالى: ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾[٦].

٤ـ وقد يكون الغرض منها أمن اللبس غالبًا؛ لاستغنائها عن الصفات

---

(١) الأحزاب ٣٥.

(٢) النور ٣١.

(٣) القدر ١ .

(٤) البقرة ١٦٨ .

(٥) الأعراف ٢٧ .

(٦) الانشقاق ١٤ .

كالحضور والمشاهدة، بالنسبة للمتكلم والمخاطب، وتقدم ذكر الغائب الذي يجعله بمنزلة الحاضر، والمشاهدة في الحكم[1]، والأصل أن يقدم ما يدل عليه الضمير نحو قوله تعالى: ﴿إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾[2]، وقدم المفعول الثاني، وأخر المفعول الأول ليعود الضمير الأول عليه لقربه نحو قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض﴾[3].

وبعد أن عرفنا بناء كل الضمائر لكن اختلف في سبب البناء فقيل بنيت لشبهها بالحرف في المعنى؛ لأن كل ضمير متضمن معنى التكلم، أو الخطاب، أو الغيبة، وهي من معاني الحروف وقد ذكر ابن مالك أربعة أسباب للبناء وهي:

١ـ شبه الحرف وضعًا؛ لأن أكثره على حرف أو حرفين، وحمل الباقي على الأكثر.

٢ـ شبه الحرف افتقاراً؛ لأن المضمر لا تتم دلالته على مسماه إلا بضميمة من مشاهدة، أو غيرها.

٣ـ شبه الحرف جموداً، والمراد بالجمود عدم التصرف في لفظه بوجه من الوجوه حتى في التصغير، وبأن يوصف، أو يوصف به كما فعل بالمبهمات.

٤ـ الاستغناء باختلاف صيغه لاختلاف المعاني[4].

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٢: ٨٤.

(٢) البقرة ٢٨٢.

(٣) الأنعام ١١٢.

(٤) التوضيح ١: ١٢٥.

والضمير أعرف المعارف، وله ثلاث درجات في التعريف، فأعرفه ضمير المتكلم، ثم المخاطب، ثم الغائب، ونظراً لتلك الميزة فإن المضاف، وهو من أنواع المعارف كالذي أضيف إليه في الرتبة إلا المضاف إلى الضمير فإنه في رتبة العلم؛ لأنه قد يوصف به نحو: مررت بزيد صديقك، والصفة لا تكون أقل من الموصوف بل تطابقه في النعت الحقيقي في أربعة من عشرة:

ـ واحد من علامات الإعراب، وواحد من الإفراد والتثنية والجمع.

ـ وواحد من التعريف والتنكير وواحد من التذكير والتأنيث.

ـ فالمضاف إلى الضمير هنا بمنزلة الموصوف، والموصوف هنا علم وهنا يرد سؤال. لم كانت المضمرات متصلة ومنفصلة؟، وهلا كانت كلها متصلة أو منفصلة.

والجواب على ذلك أن القياس فيها أن تكون كلها متصلة؛ لأنها أوجز لفظًا، وأبلغ في التعريف، وإنما أتى بالمنفصل؛ لاختلاف مواقع الأسماء التي تضمر فبعضها يكون مبتدأ نحو: زيد قائم فإذا كنيت عنه قلت: هو قائم أو أنت قائم، إن كان مخاطبًا؛ لأن الابتداء ليس له لفظ يتصل به الضمير، فلذلك وجب أن يكون ضميره منفصلاً، وبعضها يتقدم على عامله نحو: زيداً ضربت فإذا كنيت عنه مع تقديمه لم يكن إلا منفصلاً لتعذر الإتيان به متصلاً مع تقديمه فلذلك نقول: إياه ضربت أو إياك.

قال تعالى:﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾[1] أتى بالضمير المنفصل لما كان المفعول مقدمًا، وقد يفصل بين المعمول وعامله فإذا كني عنه لا يكون ضميره

---

(١) سورة الفاتحة (٥) .

إلا مفصولاً نحو: ما ضرب زيداً إلا أنت، أو ما ضربت إلا إياك، وعلمت زيداً إياه، فلذلك كانت متصلة ومنفصلة، والذي يؤيد ذلك أن الاسم المجرور لما كان عامله لفظيًا، ولا يجوز تقديمه عليه، ولا فصله عنه لم يكن له ضمير إلا متصل، والمتصل أوغل في شبه الحرف، لعدم استبداده بنفسه، وأعرف من المنفصل، والمنفصل جار مجرى الأسماء الظاهرة في استبداده بنفسه، وعدم افتقاره إلى ما يتصل به.

ويرد سؤال آخر:

كيف اختلفت صيغ المضمرات، والأسماء لا تختلف صيغها؟

والجواب: لما كانت الأسماء المضمرة واقعة موقع الأسماء الظاهرة المعربة، وليس فيها إعراب يدل على المعاني المختلفة جعلوا تغير صيغها عوضًا عن الإعراب إذ كانت مبنية[1].

والضمير يطلق كذلك عند البصريين على المضمر، ويرد على ذلك الكاف من ذلك، فإنها دالة على المخاطب وليست ضميراً باتفاق البصريين، وإنما هي حرف لا محل له من الإعراب.

قال ابن هشام: لا نسلم أنها دالة على المخاطب، وإنما هي دالة على الخطاب؛ فهي حرف دال على معنى، ولا دلالة له على الذات البتة، وكذلك أيضًا الياء في (إياي)، والكاف في (إياك) والهاء في (إياه) ليست مضمرات، وإنما هي - على الصحيح - حروف دالة على مجرد التكلم والخطاب والغيبة، والدال على المتكلم والمخاطب والغائب إنما هو (إيا)، ولكنه لما وضع مشتركًا

(١) المفصل لابن يعيش ٣: ٨٥، ٨٦.

بينها، وأرادوا بيان من عنوا به احتاج إلى قرينة به تُبَيِّنُ المراد منه[1].

فالمختار أن الضمير نفس (إيا)، وأن اللواحق لها حروف تكلم، وخطاب، وغيبة[2].

وخلاصة ما يقال: هل الضمير هو اللفظ بجملته إياي للمتكلم، وإيانا للمعظم نفسه، أو المشارك أو إيا هو الضمير وما يلحق به حروف تعين المراد من التكلم أو الخطاب أو الغيبة، والضمير مبني على السكون في محل نصب، أو (إيا) ضمير وما يلحق به ضمائر مضافة إليه بدليل ظهورها في قول العرب.

(إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب)[3].

أو أن لفظ (إيا) حرف عماد جئ به لتعتمد عليه الضمائر للتمييز بين المتصل والمنفصل، أو (إيا) هي اسم ظاهر أضيف إليها الضمير بكل قيل، ولعل أيسر الأقوال هو الأول يليه القول الثاني.

(١) شرح شذور الذهب ١٣٠.

(٢) أوضح المسالك ١: ٦٤.

(٣) الكتاب ١: ١٤١، التصريح على التوضيح ٢: ١٩٤ معاني القرآن للزجاج ١: ٤٨ تحقيق د/ شلبي وهو مثل ينسب لعمر بن الخطاب، ويذكر في كتب النحو مثالاً للتحذير الشاذ إياه وإيا الشواب منصوبان على التحذير شذوذاً وليس أي منهما مضافاً والمثل يعني ابتعاده عن النساء جميعاً.

الفصل الأول

لما كان الحديث يتناول ضمير الغائب مستقصى في القرآن الكريم كان لزامًا علينا أن نتوقف ولو بصورة موجزة أمام الضمير لتكمل الفائدة، مركزين على ضمير الغائب ما دعا المقام إلى ذلك سبيلا.

فالضمير ينقسم بحسب مدلوله إلى ما يدل على التكلم، أو الخطاب، أو الغيبة، كما ينقسم بحسب ظهوره في الكلام وعدم ظهوره إلى بارز، ومستتر، والبارز له أقسام، والمستتر له أنواع.

فالبارز هو: ما كان له صورة في اللفظ مثل أنا، وتاء قمت والكاف في أكرمك.

والضمير المستتر هو: ما ليس له صورة في اللفظ كفاعل الفعل استقم، وأقوم أي استقم أنت، وأقوم أنا، وقد يكون جائز الاستتار نحو: الزجاج كسر أي هو فيكون مستترًا وجوبًا إذا كان تقديره للمتكلم، أو المخاطب وجوازًا إذا كان تقديره للغائب أو الغائبة.

فالمستتر وجوبًا هو:

ما لا يحل محله الاسم الظاهر، ولا الضمير المنفصل، ويكون فيما يأتي:

١ـ فعل الأمر للواحد المخاطب نحو: افعل أي افعل أنت، وهذا الضمير لا يجوز إبرازه، ولا يحل محله اسم ظاهر، فإذا قلنا افعل أنت، فأنت تأكيد للضمير المستتر.

فإن كان فعل الأمر لغير الواحد المخاطب برز الضمير نحو: اضربي للواحدة، واضربا للاثنين، والاثنتين، واضربوا لجماعة الذكور، واضربن للإناث.

٢ـ الفعل المضارع الذي أوله همـزة نحو: أوافق أي أنا فإن قلت أوافق أنا كان الضمير المنفصل تأكيداً للضمير المستتر وجوبًا.

٣ـ الفعل المضارع الذي أوله نون نحو: نجاهد ونضحي أي نحن.

٤ـ الفعل المضارع المبدوء بالتاء، بشرط أن تكون التاء لخطاب الواحد المذكر نحو: ألا تحب أن تتـقن عملك فـالفاعل لكل من الفعلـين تحب وتتقن ضمـير مستتر وجوبًا تقديره أنت، فإذا كانت التـاء لخطاب غير الواحد برز الضمير نحو قولك: أتفـعلين هذا؟، وهل تفعلان؟ أو تـفعلون أو تفعلن؟ وإذا كـانت التاء علامة على تأنيث الـفعل المضارع كان استـتار الضمير جائـزاً نحو: هند تقيم، والقافلة تسير، لأنه يصح أن تقول: سـتقيم هند عندمـا تسير القـافلة قال ابن مالك مشيراً إلى ما تقدم.

ومن ضمير الرفع ما يستتر   كافعل أوافق نغتبط إذ تشكر

٥ـ اسم الفعل المضارع نحو: أوه بمعنى أتوجع أي أنا و(أف) بمعنى أتضجر أي أنا، فالفاعل مستتر وجوبًا.

٦ـ اسم فعل الأمر نحـو صه بمعنى اسكت، ودراك بمعنى أدرك، ومكانك بمعنى اثبت.

٧ـ فاعل فعل التعجب في صيغة ما أفعله نحو قوله:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا   وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

٨ـ فاعل أفعل التفضيل نحو قوله تعالى: ﴿**هم أحسن أثاثًا**﴾.[1]

(١) سورة مريم (٧٤).

٩ـ أفعال الاستثناء خلا، عدا، ليس، لا يكون نحو: القوم قاموا ما خلا زيداً، وليس زيداً، ولا يكون زيداً.

١٠ـ المصدر النائب عن فعل الأمر نحو إكراماً الضيف ونحو قوله تعالى: ﴿فضرب الرقاب﴾[1] والتقدير: فاضربوا الرقاب.

والمستتر جوازاً ما يمكن قيام الظاهر مقامه، أو الضمير المنفصل نحو: محمد حضر فيصح محمد حضر أخوه، محمد ما حضر إلا هو.

والاستتار جوازاً يكون فيما يأتي:

١ـ في الفعل المسند إلى ضمير الغائب أو الغائبة نحو محمد نجح وهند تفهم.

٢ـ في كل ما يعمل عمل الفعل كاسم الفاعل، وصيغ المبالغة واسم المفعول، والصفة المشبهة نحو محمد فاهم، ونحو زيد قتال الأعداد، ونحو: النحو مفهوم، ونحو هذا العمل جميل، فإذا سمي بتلك الصفات لم يكن فيها ضمير نحو منصور، حسن، عباس.

٣ـ اسم الفعل الماضي نحو هيهات في قوله:

فهيهات هيهات العقيق ومن به   وهيهات خل بالعقيق نواصله

ففاعل هيهات الثانية ضمير مستتر جوازاً.

٤ـ نعم وبئس إذا كان فاعل كل منهما ضميراً مستتراً مفسراً بتمييز نحو: نعم خلقاً الأمانة، وبئس صفة الخيانة.

---

(١) سورة محمد (٤).

وهناك فرق بين الاستتار والحذف:

١ـ المستتر لا يكون إلا في محل الرفع، أما المحذوف فيكون في موضع النصب أو الجر.

٢ـ المستتر لا يجوز ذكره بخلاف المحذوف، فإنه يجوز ذكره نحو: حضر الذي أكرمت، أو أكرمته، أو الذي مررت أو مررت به.

٣ـ المستتر يدل عليه اللفظ بدون قرينة؛ لأنه كالموجود، أما المحذوف فلا بد له من قرينة تدل عليه.

٤ـ يستعار الضمير المنفصل للضمير المستتر عند التقدير فيقولون فاعل (قم) ضمير مستتر وجوبًا تقديره أنت، أما المحذوف فيذكر بلفظه عند رده، أو عند تقديره.

والبارز ينقسم إلى قسمين:

متصل ومنفصل

فالمتصل هو الذي لا يستقل بنفسه كتاء قمت، ولا يبتدأ به، ولا يقع بعد إلا في الاختيار، فلا يجوز ما أكرمت إلاك، ونحو: مالي صديق إلاه، وقد ورد ذلك شاذًا في الشعر نحو قوله:

أعوذ بربِ العرش من فئة بغت عليّ فما لي عوض إلاه ناصر[1]

وقوله:

وما نبالي إذا ما كنت جارتنا ألا يجاورنا إلاك ديَّار

فالكاف بعد (إلا) في محل نصب على الاستثناء، لتقدمها على المستثنى منه، وألا: أن المصدرية، أدغمت في (لا) النافية، ويجاور: مضارع منصوب، وأن والفعل في تأويل مصدر منصوب على نزع الخافض، والقياس إلا إياك.

والضمير المتصل ينقسم بحسب موقعه الإعرابي إلى ثلاثة أقسام ما يختص بمحل الرفع:

تاء الفاعل، نون النسوة، ياء المخاطبة، ألف الاثنين، واو الجماعة.

- أما تاء الفاعل:

فتكون مضمومة للمتكلم، ومفتوحة لخطاب الواحد المذكر، ومكسورة لخطاب الواحدة نحو: أقدمتُ، أقدمتَ، أقدمتِ.

وإذا خاطبنا المثنى مذكرًا، أو مؤنثًا أتينا بها مضمومة، وبعدها ميم لتعتمد

(1) عوض: ظرف يستغرق المستقبل مثل أبدا، وهو مختص بالنفي، ويستعمل مضافاً، فيعرب كقولهم: لا أفعل هذا عوض العائضين، ويقطع عن الإضافة فيبنى على الضم مثل قبلُ، أو على الكسر مثل أمسِ، أو على الفتح مثل أين، ومن ذلك قول الأعشى:

رضيعي لبان ثدي أمٍّ تحالفا بأسحم داج عوضُ لا نتفرق

فعوض: ظرف مبني في محل نصب، وهو مقدم على الفعل.

عليها الألف الدالة على التثنية نحو: هل فهمتما؟[1] ولخطاب جمع المذكر نأتي بها مضمومة بعدها ميم ساكنة[2] علامة لجماعة الذكور نحو: ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾[2]، ولخطاب جماعة الإناث نأتي بها مضمومة بعدها نون مشددة علامة لجماعة الإناث نحو: هل أحسنتُنَّ؟.

- ياء المخاطبة نحو قوله تعالى: ﴿فكلي واشربي وقري عينًا فإما ترين من البشر أحدًا فقولي إني نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا﴾[3]، فياء المخاطبة في الفعل كلي واشربي وقري فاعل مبني في محل رفع، والفعل مبني على حذف النون، أما الفعل ترين فهو فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأن (إما) مكونة من (إن وما) فإن شرطية، وما: صلة وياء المخاطبة: فاعل.

ونحو قوله:

هل تعلمين وراء الحب منزلة   تدني إليك فإن الحب أقصاني.

فالفعل تعلمين مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي الأمثال، والكسرة دليل على ياء المخاطبة.

---

(١) لأنه لو تركت على حركتها قبل التثنية لتوهم أن ما بعدها منفصل منها فبنيت التاء على الضم ليعلم بتغييرها عما كانت عليه أنها جعلت مع ما بعدها كشيء واحد، وتقول في جمع المذكر أنتمو ذهبتمو كما زدت في التثنية ميما وألفا هذا هو الأصل وإن شئت حذفت الواو تخفيفًا لأنه ليس في حذفها لبس فتقول أنتم ذهبتم التبصرة والتذكرة للصيمري ١: ٤٩٥ تحقيق أحمد مصطفى مركز البحث العلمي جامعة أم القرى.

(٢) يوسف ٨٩.

(٣) مريم ٢٦.

وألف الاثنين نحو قوله تعالى: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾[1]، ونحو قوله تعالى: ﴿قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾[2]، ونحو قوله تعالى: ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾[3]. فالفعل في الآية الأولى (اذهبا) مبني على حذف النون والألف فاعل، وفي الثانية (لا تخافا) مجزوم وعلامة جزمه حذف النون، و(يخصفان) مرفوع بثبوت النون وفي كلٌ ألف الاثنين في محل رفع فاعل، ونون النسوة.

- ونون النسوة: نحو قوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن﴾[4] فالفعل يرضعن مبني على السكون، ونون النسوة فاعل.

- وواو الجماعة نحو قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا﴾[5]. فالواو في محل رفع فاعل.

ويلاحظ أن تاء الفاعل تختص بالفعل الماضي، وياء المخاطبة تختص بالأمر والمضارع، وألف الاثنين، وواو الجماعة ونون النسوة تختص بالأفعال الثلاثة.

٢ـ ما يشترك في محل النصب والجر وهي ثلاثة:

ياء المتكلم، وكاف الخطاب، وهاء الغائب نحو قوله ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي».

وكاف المخاطب نحو: لا ينفعك إلا عملك، ونحو: هل سركما نجاحكما؟

(١) طه ٤٣.

(٢) طه ٤٦.

(٣) الأعراف ٢٢.

(٤) البقرة ٢٣٣.

(٥) آل عمران ١٠٣.

وهل سركم لمجاحكم، ونحو: هل سركن لمجاحكن؟

وهاء الغائب نحو: محمد قابلته[1]، وسلمت عليه، وفاطمة قابلتها وسلمت عليها، والولدان أو البنتان قابلتهما وسلمت عليهما، والمخلصون قابلتهم، وسلمت عليهم، والمهذبات قابلتهن وسلمت عليهن.

٣ـ ما يشترك في محل الرفع والنصب والجر

وهو ثلاثة أنواع:

- نوع يكون بصورة واحدة، وبمعنى واحد في الأحوال الثلاثة.
- ونوع يكون بصورة واحدة ومعنى مختلف.
- ونوع تختلف صورته، ويتحد معناه.

فالنوع الأول ضمير واحد هو (نا) فإنه يكون للرفع والنصب والجر فهو

---

(١) وعند وصل الكلام فالمختار هاء الغائب بعدها واو نحو ضربهو وأكرمهو إلا أن يكون ما قبل الهاء ساكنًا نحو لم يضربه، ولم يكرمه فتحذف الواو واختير إثبات الواو إذا تحرك ما قبل الهاء، لأن الهاء خفيفة، والواو يخرجها من الخفاء إلى الإظهار، لكن عند سكون ما قبل الهاء فهو من قبيل التقاء الساكنين على اعتبار أن الهاء حاجز غير حصين، وعند الوقف تحذف الواو نحو ضربته وأكرمته، فإن كان الساكن الذي قبل الهاء تمكن حركته، فإن من العرب من ينقل حركة الهاء في الوقف إلى الحرف الذي قبلها ويقف على الهاء فرارًا من التقاء الساكنين فيقول: لم أضربُه، ولم أكرمه وهو كثير في الشعر قال الراجز:

عجبت والدهر كثير عجبه　　من عنزى سبني لم أضربُه

أراد لم أضربْهُ فنقل ضمة الهاء إلى الباء، وحذف الواو، وإن كان ما قبل الهاء متحركًا وهو جائز في الشعر وكقول الأعشى:

فماله من مَجْدٍ تليد وماله　　من الريح حظ لا الجنوب ولا الصَّبَا

ضمير للمتكلمين نحو قوله تعالى:

﴿ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار﴾ (1) (سمعنا وآمنا) في محل رفع (إننا وتوفنا) في محل نصب، والباقي في محل جر.

والنوع الثاني ضمير واحد هو الياء، وصورتها واحدة، وتختلف في المعنى بحسب الاستعمال، وهي ضمير متصل. فتكون للمخاطبة إذا كان محلها الرفع نحو: أسلمي وجهك لله تعالى وستسلمين وتجدين متكأ.

وتكون للمتكلم إذا كان محلها النصب، أو الجر مثل سيهديني ربي.

النوع الثالث ثلاثة ضمائر هي:

هما، هم، هن على رأي من يقول هي بجملتها ضمائر رفعًا ونصبًا وجرًا لا على أن الهاء وحدها هي الضمير في حالتي النصب والجر، وهذه الضمائر الثلاثة تختلف صورتها من حيث الاتصال والانفصال بحسب استعمالها، فإذا كانت ضمير رفع كانت منفصلة نحو: هما ناجحان، أو ناجحتان، وهم ناجحون، وهن ناجحات.

وإذا كانت ضمير نصب أو جر كانت متصلة نحو: ضربهما، لهما، ضربهن لهن، أما معنى كل منهما فلم يتغير باستعماله في محل الرفع، أو النصب أو الجر.

---

(1) آل عمران (193).

والضمير لابد له من مفسر يبينه، فإن كان لمتكلم أو مخاطب فمفسره حضور من هوله، وإن كان لغائب فمفسره لفظ وغيره، فغير اللفظ نحو قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه﴾[1] أي القرآن، وفي ذلك شهادة له بالنباهة، وأنه غني عن التفسير.

أما التفسير اللفظي فالغالب أن يكون متقدمًا وهو على ثلاثة أنواع:

تقدم في اللفظ والتقدير نحو قوله تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل﴾[2]، والمعنى قدرنا له منازل، فحذف حرف الجر، أو التقدير: ذا منازل فحذف المضاف، وانتصاب (ذا) إما على الحال، أو على أنه مفعول ثان لتضمين (قدرناه) معنى صيرناه، وتقدُّم في اللفظ دون التقدير نحو: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه﴾[3]، وتقدُّم في التقدير دون اللفظ نحو: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾[4]، لأن إبراهيم مفعول فهو في نية التأخير، وموسى فاعل فهو في نية التقديم، وقيل إن فاعل أوجس ضمير مستتر، وإن موسى بدل منه، فلا دليل في الآية.

النوع الثاني:

أن يكون مؤخرًا في اللفظ والرتبة وهو محصور في سبعة أبواب:

---

(١) القدر ١.

(٢) يس ٣٠.

(٣) البقرة ١٢٤.

(٤) طه ٦٧.

أحدها: باب ضمير الشأن نحو هو، أو هي زيد قائم أي الشأن والحديث أو القصة، فإنه مفسَّر بالجملة بعده، فإنها نفس الحديث والقصة، ومنه: ﴿قل هو الله أحد﴾[1] ﴿فإنها لا تعمى الأبصار﴾[2].

الثاني: أن يكون مخبراً عنه بمفسره نحو: ﴿ما هي إلا حياتنا الدنيا﴾[3] أي ما الحياة إلا حياتنا الدنيا.

الثالث: الضمير في باب نعم نحو: نعم رجلاً زيد، ونحو ﴿بئس للظالمين بدلا﴾[4] فإنه مفسر بالتمييز.

الرابع: مجرور (رب) نحو ربه رجلاً فإنه مفسر بالتمييز قطعًا.

الخامس: الضمير في باب التنازع إذا علمت الثاني، واحتاج الأول إلى مرفوع نحو: قاما وقعد أخواك، فإن الألف راجعة إلى الأخوين.

السادس: الضمير المبدل منه ما بعده كقولك ضربته زيداً وقول بعضهم: اللهم صل عليه الرؤوف الرحيم.

السابع: الضمير المتصل بالفاعل المقدم العائد على المفعول المؤخر وهو ضرورة على الأصح كقوله:

---

(١) الإخلاص ١.

(٢) الحج ٤٦.

(٣) الجاثية ٦.

(٤) الكهف ٥٠.

جزى ربه عني عدي بن حاتم　　جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فأعيد الضمير من (ربه) إلى عدي وهو متأخر لفظًا ورتبة[1].

الضمير المنفصل

وهو ما يصح الابتداء به، ويقع بعد (إلا) نحو: أنا مسافر، وما سافر إلا أنا. وينقسم بحسب موقعه الإعرابي إلى قسمين:

١ـ ما يختص بمحل الرفع

أنا، نحن، أنت وهو وما تفرع عنهم.

وبنيت (نحن) على الضم؛ لأنها كناية عن الجمع، والواو تختص بالجمع كقولك: فعلوا وخرجوا، فجعل حركة (نحن) التي يكنى بها عن الجمع ضمة لتفرعها عن الواو[2].

٢ـ ما يختص بمحل النصب

إياي، إيانا، إياك إياكِ، إياكما، إياكم، إياكن، إياه، إياها، إياهما، إياهم، إياهن.

فقولك: إياي أكرم المدرس، إياك أعني، إياه أكرمت في محل نصب مفعول به مقدم.

---

(١) شذور الذهب ١: ١٣٣.

(٢) شرح مُلحة الإعراب للحريري تحقيق احمد محمد قاسم ٣٦٢.

هل يعطف الاسم الظاهر على المرفوع المتصل؟

لا يحسن أن يعطف الاسم الظاهر على المرفوع المتصل حتى يؤكد نحو قوله تعالى: (اذهب أنت وأخوك)[1].

أما الضمير المنصوب فيجوز أن يعطف عليه الظاهر تقول:

ضربتك وزيداً، وضربت زيداً وإياك، فيجوز تقديمه وتأخيره، وأما المخفوض فلا يجوز أن يعطف عليه الظاهر، ولا يجوز أن تقول: مررت بك وزيد؛ لأن المجرور ليس له اسم منفصل يتقدم ويتأخر كما للمنصوب، وكل اسم معطوف عليه، فيجوز أن يؤخر ويقدم الآخر عليه، فلما خالف المجرور سائر الأسماء لم يجز أن يعطف عليه[2]، وقد حكي أنه جاء في الشعر نحو:

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب

فعطفت الأيام على المضمر المجرور.

انفصال الضمير

قد ينفصل الضمير مع إمكان اتصاله لضرورة الشعر كقوله:

وما أصاحب من قوم فأذكرهم إلا يزيدهم حباً إلى هُمُ

وكان عليه أن يقول: إلا يزيدونهم حبًا إليَّ.

(١) طه ٤٢.

(٢) الأصول في النحو لابن الراج ٢: ١١٩ تحقيق عبد الحسين الفتلي.

وقوله:

بالباعث الوارث الأموات قد ضمنت إياهم الأرض في دهر الدهارير

ويجب انفصال الضمير فيما يأتي.

١ـ أن يكون عامل الضمير متأخراً، وتقدم الضمير لغرض بلاغي نحو ﴿إياك نعبد﴾[١].

٢ـ أن يكون العامل في الضمير حرف نفي نحو قوله تعالى: ﴿ما هن أمهاتهم﴾[٢].

٣ـ أن يكون العامل في الضمير معنويًا كالابتداء نحو أنا محمد.

٤ـ أن يكون العامل محذوفًا نحو قوله في التحذير:

فإياك إياك المراد فإنه إلى الشر دعّاء وللشر جالب

٥ـ أن يفصل بينه، وبين عامله بمتبوع نحو قوله تعالى: ﴿ويخرجون الرسول وإياكم﴾[٣].

٦ـ أن يقع بعد واو المصاحبة نحو قوله:

فآليت لا أنفك أحذو قصيدة تكون وإياها بها مثلاً بعدي

٧ـ أن يقع الضمير بعد إما المكسورة نحو: إما أنا وإما أنت.

(١) الفاتحة ٤.

(٢) المجادلة ٣.

(٣) الممتحنة ١.

٨ـ أن يكون الضمير مرفوعًا بمصدر مضاف إلى منصوبه نحو: بنصركم نحن كنتم ظافرين.

٩ـ أن يكون الضمير مرفوعًا بصفة جارية على غير من هي له نحو: زيد عمرو ضاربه هو.

١٠ـ أن يكون الضمير محصورًا بإلا، أو إنما نحو قوله تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾[١] ومنه قوله:

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما   يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

لأن المعنى ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا.

١١ـ أن يجتمع ضميران من ضمائر النصب متحدان في الرتبة كأن يكونا لمتكلم، أو مخاطب، أو غائب نحو: ملكتني إياي، وملكتك إياك، وأعطيته إياه.

١٢ـ إذا اجتمع ضميرا النصب، وقدم غير الأخص منهما، وجب انفصال الأخص نحو: هل الكتاب الذي أعطيته إياك مفيد، وهل المال الذي ملكته إياي نافع، ولا يجوز أعطيتهوك ولا ملكتهوني وأجاز قوم أن تقول: أعطيتهوني وملكتهوك.

(١) الإسراء ٢٣.

وقالوا من هذا ما رواه ابن الأثير في غريب الحديث من قول عثمان ﷺ: أراهمني الباطل شيطانًا.

الفعل (أرى) ينصب ثلاثة مفعولات، الأول هم، الثاني ياء المتكلم الثالث شيطانًا والفاعل هو الباطل.

قال ابن الأثير وفيه شذوذان الوصل، وترك الواو لأن حقه أراهموني كرأيتموها.

وأجاز مثل هذا المبرد، وكثير من القدماء ولكن الفصل أرجح[1].

جواز اتصال الضمير وانفصاله

١ـ إذا كان الضمير منصوبًا بكان أو إحدى أخواتها نحو كنته أو كنت إياه.

ومن شواهد الاتصال قول الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب حين هم بقتل ابن صياد؛ لأنه ظنه الدجال: «إن يكنه فلن تسلط عليه وإلا يكنه فلا خير لك في قتله».

ومنه قول أبي الأسود لأحد غلمانه:

دع الخمر يشربها الغواة فإنني — رأيت أخاها مغنيًا[2] بمكانها
فإلا يكنها أو تكنه فإنه — أخوها غذته أمه بلبانها

ومن شواهد الانفصال قول الآخر:

---

(١) في علم النحو ١: ١١٢.

(٢) ويروى مجزئًا وكان لأبي الأسود غلام يحمل تجارته وكان يشرب الخمر فاضطرب أمر التجارة ويريد أن يقول: إن لم يكن النبيذ الخمر أو تكن الخمر النبيذ فإنه أخوها من شجرة واحدة.

لئن كان إياه لقد حال بعدنا عن العهد والإنسان قد يتغير

٢ـ كل فعل تعدى إلى مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر وهما ضميران أولهما أخص يجوز في المفعول الثاني أن يكون ضميراً متصلاً، أو ضميراً منفصلاً نحو:

الصديق ظننتكه، والمخلص خلتنيه، ويجوز الصديق ظننتك إياه، والمخلص خلتني إياه.

ومن شواهد الاتصال قوله:

بلّغت صنع امرئ برا إخالكه إذ لم تزل لاكتساب الحمد مبتدرا

يقول: بلغني صنيع رجل صادق أظنك إياه، لأنك تسارع لاكتساب المحامد، وجملة (إخالكه) في محل جر صفة ثانية لامرئ.

ومن شواهد الانفصال قوله:

أخي حسبتك إياه وقد ملئت أرجاء صدرك بالأضغان والإحن[١]

٣ـ كل فعل يتعدى إلى مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر إذا كانا ضميرين أولهما أخص جاز في المفعول الثاني منهما أن يكون ضميراً متصلاً، أو منفصلاً نحو: أهذا هو السؤال الذي سألتنيه؟ وهل هذا هو الثوب الذي كسوتكه؟

ويجوز في سألتنيه وكسوتكه أن ينفصل الضمير الثاني نحو: سألتني إياه،

---

(١) أخي: مبتدأ، وجملة حسبتك خبر ويجوز أن يكون أخي مفعولاً به لفعل محذوف يفسره المذكور، وجملة حسب مفسرة لا محل لها من الإعراب، وجملة قد ملئت حال.

كسوتك إياه.

ومن الاتصال قوله تعالى:

﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾(١).

المفعول الثاني اليهود، وقد كفى الله نبيه شرهم.

وقوله: ﴿إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا﴾(٢) وضمير الغائب للأموال ويحفكم أي يبالغ في طلبها.

ضمير الفصل

جميع ما يستعمل في الضمير المنفصل المرفوع يستعمل فصلاً بشرط ألا يخل سقوطه بالكلام، ولا يدخل إلا بين كلامين أحدهما لا يستغنى عن الآخر كالمبتدأ والخبر، وباب (إن) وأخواتها، وكان وأخواتها، ولا يكون ما قبله إلا معرفة، ولا ما بعده إلا معرفة أو ما ضارع المعرفة.

ودخل ضمير الفصل في هذه الأشياء للإيذان بأن الاسم قد تم، وأن ما بعده هو الخبر، وليس صفة نحو قولك: زيد هو القائم، وإن زيداً هو الراكب، وكنت أنا الضارب، وحسبتك أنت الضارب، وكنا نحن الذاهبين فهذا كله معرفة.

والمضارع للمعرفة نحو قولك: كنت أنت خيراً منه، وحسبت أخاك هو أفضل من عمرو.

---

(١) البقرة ١٣٧.

(٢) محمد ٣٧.

وتدخل اللام على الضمير نحو قوله تعالى: ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾[1] ونحو قوله: ﴿إن هذا لهو القصص الحق﴾[2] ونحو إن هندًا لهي المهذبة، فلو لم يكن ضمير الفصل لقيل: إن هندًا المهذبة، ولظن السامع أن المهذبة صفة لهند، وانتظر الخبر بعدها، فإذا قلنا إن هندًا هي المهذبة تعين عند السامع أن المهذبة خبر وليس صفة، ويظهر واضحًا ضمير الفصل في (كان) و(حسب)؛ لأن الخبر منصوب نحو قوله تعالى: ﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾[3]، ونحو: ﴿وكنا نحن الوارثين﴾[4]، ونحو: ﴿إن ترن أنا أقل منك مالاً﴾[5]، ونحو: ﴿تجدوه عند الله هو خيرًا﴾[6]، ونحو: ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق﴾[7]، ونحو: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾[8].

فلو أسقطت الفصل في هذه الأشياء لم يخلّ سقوطه بالكلام.

قال جرير:

وكائن بالأباطح من صديق   يراني لو أصبت هو المصابا

---

(١) الصافات ١٠٦.

(٢) آل عمران ٦٢.

(٣) الزخرف ٧٦.

(٤) القصص ٥٨.

(٥) الكهف ٣٩.

(٦) المزمل ٢٠.

(٧) سبأ ٦.

(٨) الأنفال ٣٢.

كأنه قال: تراه المصاب لو أصبت فدخول (هو) وخروجها سواء وهنا وقع ضمير الفصل بلفظ الغيبة بعد حاضر لقيامه مقام مضاف غائب، أي يرى مصابي هو المصاب، وكان حقه أن يقول: يراني أنا المصاب، ويجوز جعل الضمير مبتدأ ولا يكون فصلاً، وما بعده خبر، والجملة خبر الأول كقولك: كان زيد هو القائم، وحسبته هو خير منك.

وحكي عن عيسى بن عمر[1] أن ناسًا من العرب يقرؤون: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون﴾ بالرفع على الابتداء والخبر قال عيسى بن ذريح:

أتبكي على لبني وأنت تركتها   وكنت عليها بالملا أنت أقدر

أنت: مبتدأ، وأقدر: خبره، والجملة خبر كنت.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه»[2].

ويجوز أن يكون (هما) فصلاً، وفي يكون ضمير يعود على المولود اسمها وأبواه: مبتدأ، اللذان يهودانه خبر المبتدأ، وهما فصل، والتقدير حتى يكون المولود أبواه اللذان يهودانه ثم فصل بينهما كما قال رجل من عبس:

إذا ما المرء كان أبوه عبس   فحسبك ما تريد إلى الكلام

أضمر في كان (اسمها) وجملة أبوه عبس جملة في موضع الخبر كأنه قال: إذا ما المرء كان هو أبوه عبس، فهو ضمير المرء.

(١) سيبويه ١: ١٩٥.

(٢) في البخاري ٢: ٩٥ ط بولاق، ومسلم المطبعة الأزهرية ١٦: ٢٠٧، ٢١٠.

ويجـوز أن تجعل (هـمـا) غيـر فصل، ويكون مـبتـدأ، وما بعـده الخبـر، والجملة خـبر يكون، واسمهـا أبواه، ويجوز النصب في (اللذين)[1] على أن تجعلهما خبر يكون، وأبواه اسمها، وعلى هذا الوجه لا يكون هما إلا فصلا.

ولو قلت: كـان زيد أنت خـيـر منـه، لم يجـز أن تجـعل (أنت) في هذا فصلاً؛ لأن إسقاطه يبطل المعنى.

وليس للفـصل موضع من الإعراب؛ لا رفع ولا نصـب ولا جر وهو في الأسماء بمنزلة الكاف في ذلك، ورويدك زيداً[2].

(١) انظر مغني اللبيب صـ ٤٩٨.

(٢) التبصرة والتذكرة للصيمري تحقيق د/ فتحي أحمد مصطفى.

الفصل الثاني

[١٧] ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾.

اللغة والمعنى:

تصور الآية الكريمة حال المنافقين في نفاقهم وإظهارهم خلاف ما يسترونه من كفر كحال الذي استوقد ناراً ليستضيء بها ثم انطفأت، فلم يعد يبصر شيئًا متحيراً خائفًا فكذلك هؤلاء استضاءوا قليلاً بالانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم حيث أمنوا على أنفسهم وما يتبعها ثم وراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله، وظلمة العقاب السرمد ومحصوله أنهم انتفعوا بهذه الكلمة مدة حياتهم القليلة ثم قطعه الله تعالى بالموت[١].

ـ مرجع الضمير

إذا تدبرنا الآية الكريمة وجدنا أن الضمير قد عاد إلى (الذي) مجموعًا في قوله تعالى: ﴿بنورهم وتركهم﴾ بعد أن قال: ﴿استوقد﴾ و﴿ما حوله﴾ بالإفراد.

والسبب في ذلك إما:

ـ أن يكون لتنزيل الذي منزلة (من) و(من) يرد الضمير إليها تارة بالإفراد، وتارة بالجمع، ولعل ذلك هو الصواب، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿والذي جاء

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٢: ٥٤، الفتوحات ١: ٢٢.

بالصدق وصدق به﴾ بالإفراد ثم قال: ﴿أولئك هم المتقون﴾ بالجمع[1].

ـ أو كان المقصود هو التشبيه بمن استوقد ناراً أي شبهت قصة جماعة بقصة شخص واحد نحو قوله تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾[2] أو قصد جنس المستوقدين، أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا[3] أو هو جمع لكن حذفت النون للاستطالة نحو قوله تعالى: ﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾[4].

البلاغة:

التشبيه التمثيلي في قوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل ....﴾ وحقيقته أن يكون وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد فقد شبه المنافق بالمستوقد للنار، وإظهاره للإيمان بالإضاءة، وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فهم في حال نفاقهم، وإظهارهم خلاف ما يسترونه من كفر كحال الذي استوقد ناراً ليستضيء بها ثم انطفأت وهذا جانب من جوانب الإعجاز القرآني في تقريب الصور المعنوية وجعلها في صورة حسية فالتمثيلي يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين، ويريك الحياة في الجماد، ويجعل الشيء قريبًا بعيداً ومن أمثلته في الشعر قول بشار[5]:

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٥٩.

(٢) الجمعة ٥.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ١ : ١٨١، البيضاوي ١٤.

(٤) التوبة ٦٩.

(٥) إعراب القرآن الكريم وبيانه محيي الدين الدرويش.

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فقد شبه ثوران النقع المنعقد فوق الرؤوس والسيوف المتلاحمة فيه أثناء الحرب بالليل البهيم تتهاوى فيه الكواكب.

وقول أبي تمام يصف الربيع:

يا صاحبي تقصيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهاراً مشمساً قد شابه زهـــر الربا فكأنما هو مقمر

حيث شبه النهار المشمس في الروض البهي المكلل بالأزاهير بالليل المقمر الساجي.

كذلك المخالفة بين الضميرين فقد وجد الضمير في استوقد وحوله نظراً إلى جانب اللفظ؛ لأن المنافقين كلهم على قول واحد وفعل واحد، وأما رعاية جانب المعنى في ﴿بنورهم وتركهم﴾ فلكون المقام تقبيح أحوالهم وبيان ذاتهم وضلالهم فإثبات الحكم لكل فرد منهم واقع.

كما يوجد في الآية الكريمة مراعاة النظير وحده أن يجمع المتكلم بين أمر، وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة وهي هنا في ذكر الضوء والنور.

والسر في ذكر النور مع أن السياق يقتضي أن يقول: بضوئهم مقابل أضاءت هو أن الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قال بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نور، والغرض هو إزالة النور عنهم رأساً يؤكد هذا المعنى أنه قال ذهب الله بنورهم، ولم يقل أذهب نورهم؛ لأن معنى أذهبه أزاله، وجعله ذاهباً بخلاف ذهب به أي استصحبه، ومضى به معه، والغرض

إفادة أنه لم يبق مطمع في عودة ذلك النور إليهم بالكلية إذ لو قيل: أذهب الله نورهم ربما كان يتوهم أنه إنما أذهب عنهم النور، وبقي هو معهم فربما عوضهم بدل ما فاتهم فلما قال: ذهب الله بنورهم كان ذلك حسمًا وانقطاعًا لمادة الإطماع من حصولهم على أي خير لهم أو منهم وهذا من أسمى ما يصل إليه البيان.

وقال: ذهب الله بنورهم، ولم يقل بنارهم، لأن السياق يقتضي ذلك فالنار فيها إشراق وإحراق فذهب بالإشراق، وأبقى ما فيها من الإحراق.

الإعراب:

﴿مثلهم﴾: مبتدأ، ﴿كمثل﴾: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر أو الكاف اسم بمعنى مثل هي الخبر، ومثل مضاف إليه على رأي أبي البقاء وابن عطية وهو مذهب الأخفش، وأما سيبويه فلا يجيز ذلك إلا في الشعر.

﴿الذي﴾: اسم موصول في محل جر بالإضافة.

﴿استوقد﴾: فعل ماضي مبني على الفتح بمعنى أوقد، وهي استفعل بمعنى أفعل ومثله أجاب واستجاب، وأخلف واستخلف، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازًا تقديره هو، وجملة استوقد لا محل لها من الإعراب صلة الموصول، ﴿نارًا﴾: مفعول به، وجملة مثلهم: مستأنفة مسوقة لضرب المثل استحضارًا للصورة، وتوضيحًا للحقائق، ﴿فلما﴾: الفاء حرف عطف، و﴿لما﴾: ظرف بمعنى حين متضمن معنى الشرط، وقيل: هي حرف وجوب لوجوب وسماها ابن هشام رابطة.

﴿أضاءت﴾: فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة، والفاعل ضمير فيه

جوازًا تقديره هي، ﴿ما﴾: اسم موصول بمعنى المكان مفعول به.

﴿حوله﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة ما، ويرى بعض اللغويين أن أضاء فعل لازم[1] فيتعين أن تكون ما زائدة أي أضاءت حوله.

﴿ذهب الله﴾: فعل وفاعل والجملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ﴿ بنورهم﴾: جار ومجرور.

﴿وتركهم﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر فيه جوازًا، ومفعول به أول.

﴿في ظلمات﴾: الجار والمجرور في موضع المفعول الثاني لتركهم.

﴿لا﴾: نافية، ﴿يبصرون﴾: فعل مضارع مرفوع والواو فاعل، والجملة في موضع نصب على الحال المؤكدة؛ لأن من كان في الظلمة لا يبصر.

[١٩] ﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين﴾.

اللغة والمعنى:

صيب: أصله صيوب اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء وهو المطر الذي يصوب أي ينزل مأخوذ من الصوب وهو النزول بشدة، ولذلك نكر لما كان المقام مقام تفصيل.

مرجع الضمير:

المتبادر من ظاهر النظم أن الضمير راجع للصيب، وقد أعاده عليه غير الجلال من المفسرين، وأما هو فقد أعاده على السحاب الذي هو مدلول

(١) والأفعال التي تكون لازمة ومتعدية تزيد على ثمانين فعلاً ـ البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٦٠.

السماء، وهو خلاف ظاهر نظم الآية[1].

الإعراب:

﴿كصيب﴾: جار ومجرور معطوفان على مثل ولابد من تقدير مضاف أي كأصحاب صيب بدليل يجعلون أصابعهم في آذانهم.

﴿من السماء﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لصيب.

﴿فيه﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ﴿ظلمات﴾: مبتدأ مؤخر، ﴿ورعد وبرق﴾: معطوفان على ظلمات.

﴿يجعلون﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو: فاعل والجملة مستأنفة مسوقة للإجابة عن سؤال مقدر كأنه قيل: فكيف حالهم مع ذلك الرعد؟ فقيل يجعلون، ﴿أصابعهم﴾: مفعول به.

﴿في آذانهم﴾: جار ومجرور في موضع المفعول الثاني ليجعلون.

﴿من الصواعق﴾: الجار والمجرور متعلقان بيجعلون.

﴿حذر الموت﴾: مفعول لأجله.

﴿والله﴾: الواو اعتراضية، الله: مبتدأ، محيط: خبر.

﴿بالكافرين﴾: جار ومجرور متعلقان بمحيط والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها معترضة بين جملتين من قصة واحدة وهما: يجعلون أصابعهم - ويكاد البرق.

(١) الفتوحات الإلهية ١: ٢٣.

البلاغة:

- أفرد الرعد والبرق مع أن سياق الكلام يقتضي الجمع كجمع ظلمات، ولأن الجمع أبلغ من الإفراد على حد قول البحتري:

يا عارضًا متلفعًا ببروده يختال بين بروده ورعوده

والسبب في الإفراد للرعد والبرق أنهما لما كانا في الأصل مصدرين، والمصادر لا تجمع روعي حكم الأصل بأن ترك الجمع، وإن أريد معناه.

- المجاز المرسل في قوله: ﴿**يجعلون أصابعهم في آذانهم**﴾ لأن الإصبع ليست هي التي تجعل في الأذن فذكر الأصابع وأراد الأنامل وعلاقته الكلية، وجمع الأصابع؛ لأنه لم يرد أصبعًا معينة؛ لأن الحالة حالة دهش وحيرة.

[٢٠] ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير﴾.

اللغة والإعراب:

كاد فيها لغتان فَعِل وفعُل بكسر العين وضمها ولذلك يقال كِدت بكسر الكاف وضمها، ويكاد: مضارع كاد وهو من أفعال المقاربة، ينفي في الإيجاب، ويوجب في النفي فإذا قلنا: كاد يفعل كذا أي إذا قارب الفعل ولم يفعل وما كاد يفعل كذا أي فعله بعد إبطاء.

قال تعالى: ﴿**فذبحوها وما كادوا يفعلون**﴾[1]: أي فعلوا الذبح بعد إبطاء

(١) البقرة ٧١.

﴿كلما﴾: كلمة مركبة من كل وما، وتفيد التكرار، وتقتضي الجواب وهي منصوبة؛ لأنها ظرف زمان والعامل فيها جوابها وهو ﴿مشوا﴾.

﴿البرق﴾: اسم يكاد، ﴿يخطف﴾: فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر فيه جوازًا تقديره هو يعود على البرق، وجملة يخطف خبر يكاد، وجملة يكاد مستأنفة كأنها جواب قائل يقول: فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد، ﴿أبصارهم﴾: مفعول به ومضاف إليه.

﴿أضاء﴾: في تأويل مصدر في محل جر بالإضافة، وقيل: (ما) نكرة موصوفة ومعناها الوقت والعائد محذوف تقديره كل وقت أضاء لهم فيه فجملة ﴿أضاء﴾: في الأول لا محل لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول الحرفي، وفي الثاني محلها الجر على الصفة.

﴿مشوا﴾: فعل ماض مبني على الضم المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو: فاعل، وجملة مشوا فيه لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب شرط غير جازم.

﴿فيه﴾: جار ومجرور متعلق بمشوا.

﴿وإذا﴾: الواو عاطفة، و(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه، ﴿أظلم عليهم﴾: جملة فعلية في محل جر بإضافة إذا إليها.

﴿قاموا﴾: فعل وفاعل، والجملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب شرط غير جازم.

﴿ولو شاء الله لذهب﴾: الواو: استئنافية، (لو) شرطية، شاء: فعل الشرط، ﴿لذهب﴾: اللام واقعة في جواب الشرط وذهب: فعل ماض مبني

على الفتح والفاعل مستتر جوازاً تقديره هو.

﴿قدير﴾: خبر إن، وجملة إن الله تعليلية لا محل لها من الإعراب.

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿مشوا فيه﴾: يترتب عوده على توضيح الفعل ﴿أضاء﴾: فإن كان متعديًا فالمفعول محذوف تقديره:

كل وقت أضاء لهم البرق طريقًا مشوا فيه فالضمير عائد على الطريق ويحتمل أن يكون لازمًا، والضمير عائد على الضوء[1].

والضمير في (لهم) إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه إذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الإيمان ثبتوا على كفرهم وقيل المعنى كلما صلحت أحوالهم في الدنيا قالوا هذا دين مبارك فهذا مثل الضوء، وإذا أصابتهم شدة أو مصيبة عابوا الدين وسخطوا فهذا مثل الظلمة.

﴿بسمعهم وأبصارهم﴾: قيل إن الضمير راجع للمنافقين بدليل أن أبصارهم وقلوبهم قد عميت بالكفر؛ لأن ظلمات الليل والرعد والبرق لا تقتضي عمى قلوبهم، فرجوعه إليهم يقتضي تشبيهًا بمن أصابه البرق على وجهين:

أحدهما: تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يضيء البرق وهذا مناسب لتمثيل البراهين بالبرق.

---

(١) تفسير البيضاوي ١٣.

والآخر: يكاد زجر القرآن، ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبه بهم.

- ويرى البيضاوي وأبو حيان أن الضمير راجع لأصحاب الصيب ودليله أن ذكر (لو) يقتضي أن هناك مانعًا لذهاب سمعهم وأبصارهم مع قيام ما يقتضيه، والتنبيه على أن تأثير الأسباب في مسبباتها مشروط بالمشيئة ويقول أبو حيان إن هذا مبالغة في تحير هؤلاء المسافرين وشدة ما أصابهم من الصيب الذي اشتمل على ظلمات ورعد وبرق حيث تكاد الصواعق تصمهم، والبرق يعميهم.

فإن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد، وأبصارهم بالبرق، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى لو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة[1].

البلاغة:

زيادة على ما مر في ثنايا مرجع الضمير:

حذف مفعول شاء وهو كثير حتى لا يكاد ينطق به إلا في الشعر كقوله:

فلو شئت أن أبكي دمًا لبكيته   عليه و لكن ساحة الصبر أوسع

كذلك في قوله: ﴿مشوا فيه﴾ أوثر المشي على السعي والعدو للإشعار بعدم استطاعتهم[2].

وهنا يرد سؤال فيقال: لم أتى قبل أضاء بكلما، وقبل أظلم بإذا وما وجه

(١) التسهيل ١: ٣٩، ٤٠.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١: ٥٥.

المناسبة في ذلك؟

وفيه وجوه:

الأول: أن تكرار الإضاءة يستلزم تكرار الإظلام فكان تنويع الكلام أعذب.

الثاني: أن مراتب الإضاءة مختلفة متنوعة فذكر (كلما) تنبيهًا على ظهور التعدد، وقوته لوجوده بالصورة والنوعية والإظلام نوع واحد، فلم يؤت بصيغة التكرار لضعف التعدد فيه، بعد ظهوره بالنوعية، وإن حصل بالصورة.

الثالث: إضاءة البرق منسوبة إليه، وإظلامه ليس منسوبًا لأن إضاءته هي لمعانه، والظلام أمر يحدث عن اختفائه فأتى بأداة التكرار عند الفعل المتكرر من البرق، وبالأداة التي لا تقتضي التكرار عند الفعل الذي ليس متكررًا منه ولا صادرًا منه.

الرابع: المراد بالإضاءة البرق والحياة وبالظلام الموت، فالمنافق تمر حاله في حياته بصورة الإيمان؛ لأنها دار مبنية على الظاهر فإذا صار إلى الموت رفعت له أعماله وتحقق مقامه فتستقيم (كلما) في الحياة، و(إذا) في الممات، وهكذا كقول النبي ﷺ: «اللهم أحيني ما دامت الحياة خيرًا لي، وأمتني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»، فاستعمل مع الحياة لفظ التكرار والدوام، ومع لفظ الوفاة لفظ الاختصار والتقييد.

[٢٣] ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾.

اللغة والإعراب:

الريب: الشك وقلق النفس واضطرابها، وفي الحديث: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» هذا وللريب في اللغة ثلاثة معان:

أحدها: الشك وهو المراد في الآية الكريمة، وثانيها: التهمة، قال جميل:

بثينة قالت: يا جميل أربتني   فقلت: كلانا يا بثين مريب

وثالثها الحاجة قال:

قضينا من تهامة كل ريب   وخيبر ثم أجمعنا السيوفا

السورة: الطائفة من القرآن التي أقلها ثلاث آيات وأصل ائتوا: ائتيوا مثل اضربوا، فالهمزة الأولى همزة وصل أتي بها للابتداء بالساكن، والثانية فاء الكلمة اجتمع همزتان قلبت ثانيتهما ياء على حد إيمان، واستثقلت الضمة على الياء التي هي لام الكلمة فحذفت فسكنت الياء وبعدها واو الضمير ساكنة فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وضمت التاء قبلها للتجانس فوزن ائتوا ـ افعوا، ﴿وشهداءكم﴾: جمع شهيد للمبالغة كعليم وعلماء، وإما جمع شاهد كشاعر وشعراء.

﴿وإن كنتم﴾: الواو استئنافية، والكلام مستأنف مسوق للرد على من ارتابوا في القرآن تعنتًا، و﴿إن﴾: شرطية تجزم فعلين.

﴿كنتم﴾: كان فعل ماض ناقص والتاء اسمها، والفعل الناقص في محل جزم فعل الشرط، ﴿في ريب﴾: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كنتم ﴿مما﴾: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لريب، وما: موصولة، وجملة

نزلنا: صلة الموصول، وقال نزلنا ولم يقل أنزلنا لأن القرآن نزل منجماً على سبيل التدريج.

﴿فأتوا﴾: الفاء واقعة في جواب الشرط، وأتوا: فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن المضارع من الأفعال الخمسة، والواو: فاعل، والجملة في محل جزم جواب الشرط.

﴿وادعوا﴾: عطف على قوله: فأتوا، ﴿شهداءكم﴾: مفعول به، والضمير مضاف إليه.

﴿من دون الله﴾: متعلق بمحذوف حال من قوله: شهداءكم، والتقدير منفردين عن الله تعالى، أو مغايرين لله.

﴿إن﴾: أداة شرط، والفعل بعدها في محل جزم فعل الشرط، والتاء: اسمها.

﴿صادقين﴾: خبرها، وجواب الشرط محذوف تقديره أي فافعلوا.

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿مثله﴾: هناك آراء في مرجعه، الأول وهو أرجحها:

أن يعود على ﴿ما نزلنا﴾ وهو القرآن الكريم، وعلى ذلك يكون الجار والمجرور متعلقاً بمحذوف صفة لسورة.

ومعنى ﴿من مثله﴾ على ذلك أي في فصاحته وبلاغته وحسن نظمه وروعة أسلوبه وإيجازه، وفيما تضمنه من العلوم والحكم، والأمر والنهي والوعد والوعيد والبشارة والإنذار والحكم والأمثال وحديثه عن الأمم السابقة،

وصيانته من التحريف وأحكامه المواكبة للتقدم العلمي الذي أخبر عنها: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾، وحديثه عن الأمم السابقة وإعجازه المتنوع وتكون (من) هنا لبيان الجنس، أو التبعيض، أو زائدة (صلة) وهو قول الأخفش، وتقديره: فأتوا بسورة مثله كما جاء في قوله تعالى: ﴿فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿بعشر سور مثله﴾.

وهذا أول ما يرجح ذلك الرأي؛ لأن المماثلة فيها صفة للمأتي به هذه واحدة.

ثانيًا: أن الكلام في المنزل لا في المنزل عليه، والمعنى: وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فأتوا بشيء يماثله.

ثالثًا: لأن أمرهم بالإتيان من مثل ما أتى به واحد من جنسهم أبلغ من أمرهم بأن يجدوا واحدًا يأتي بمثل ما أتى به رجل آخر.

رابعًا: أن الضمير لو رجع للعبد لأوهم أن إعجازه في كونه أميًا لا أنه في نفسه معجز، مع أن هذا هو الواقع، والإعجاز بالنسبة إليه لقوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾[2].

كما أن رده إلى رسول الله ﷺ يوهم إمكان صدوره ممن لم يكن على صفته، ولا يلائمه قوله تعالى: ﴿وادعوا شهداءكم من دون الله﴾ فإنه أمر بأن

---

(١) يونس ٣٨.

(٢) الإسراء ٨٨.

يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم[1].

الرأي الثاني:

﴿من مثله﴾: يعود الضمير على عبدنا فيتعلق الجار والمجرور بـ﴿ائتوا﴾ وتكون (من) لابتداء الغاية، والمعنى على ذلك ابتدئوا في الإتيان بالسورة من مثل محمد، أي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشراً أميًا لم يقرأ، ولم يكتب، ولم يدارس العلماء، ولم يجالس الحكماء، ولم يتعاط أخبار الأولين، أو تحسبونه في زعمكم شاعرا أو مجنونا ، ورجح بعضهم ذلك، كما قيل في الآلوسي لاشتماله على معنى مستبدع، فالتوحيد والتصديق بالنبوة توأمان، فالمقصود إثبات النبوة، والتحدي على ذلك أبلغ؛ لأن المعنى اجتمعوا كلكم، وانظروا هل يتيسر لكم الإتيان بسورة ممن لم يمارس الكتب، ولم يدارس العلوم.

البلاغة:

﴿في ريب﴾: مجاز من حيث إنه جعل الريب ظرفًا محيطًا بهم بمنزلة المكان لكثرة وقوعه منهم، ﴿نزلنا﴾: التفات من الغيبة إلى التكلم فلو جاء على ظاهره لقيل مما نزل على عبده، وكما قلت:

قال نزلنا ولم يقل أنزلنا؛ لأن القرآن الكريم نزل منجمًا على سبيل التدريج.

---

(١) تفسير الطبري ١: ١٢٨، ١٢٩، البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٦٤، محاسن التأويل ٢: ٧٢، إرشاد العقل السليم ٢: ٧٢ بتصرف.

{٢٥} ﴿كلما رزقـوا منها من ثمرة رزقًا قـالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهًا، ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾.

اللغة والإعراب:

﴿مطهرة﴾: من الحيض، وسائر الأقذار التي تخـتص بالنساء، ويحتمل أن يكون المراد طهارة الطيب، وطيب الأخلاق[١].

﴿كلما﴾: ظرف زمـان متـضمن مـعنى الشرط، ومـا: مصـدرية أو نكرة مقصودة وقد تقدم الحديث عنها في ﴿كلما أضاء لهم﴾.

﴿رزقوا﴾: فعل ماضـي مبني للمجهـول، والواو ضمير متـصل في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية لا محل لها، أو في محل جر على الصفة أي كلِّ وقت رزقوا فيه.

﴿منها﴾: الجار والمجرور متعلقان برزقوا ﴿من ثمرة﴾: جار ومجرور بدل اشتمال من قوله: ﴿منها﴾، ﴿رزقًا﴾: مفعول به ثان لـرزقوا، والمفعول الأول هو نائب الفاعل الذي هو الواو.

﴿قالوا﴾: فعل وفاعل، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم.

﴿هذا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في مـحل رفع مبتدأ، ﴿الذي﴾: اسم موصـول مبني على السكون في مـحل رفع خبر، والجـملة الاسمـية في محل نصب مقول القول.

﴿رزقنا﴾: فعل ماض مبنـي للمجهول، ونا: ضمير مـتصل في محل رفع

(١) التسهيل ١: ٤٢.

نائب فاعل، وجملة رزقنا لا محل لها من الإعراب صلة الموصول، والعائد محذوف أي رزقناه.

﴿من قبل﴾: من: حرف جر، قبل: مجرور مبني على الضم لانقطاعه عن الإضافة لفظًا لا معنى في محل جر وعلة بنائه الافتقار، والجار والمجرور متعلقان برزقنا، أو بمحذوف حال.

﴿وأتوا﴾: الواو استئنافية، والفعل ماض مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، ﴿به﴾: الجار والمجرور متعلقان بأتوا، والجملة مستأنفة مسوقة للإخبار عن هذا الذي رزقوه.

﴿متشابهًا﴾: حال أي مشبهًا للثمر الذي كانوا يألفونه في الدنيا؛ لأن الإتيان بالمألوف آنس، وقيل يشبه بعضه بعضًا في اللون، وإن تباين في الطعم.

والمعنى الأول أرجح بدليل قوله تعالى: ﴿هذا الذي رزقنا من قبل﴾، ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾.

الواو: حرف عطف، لهم: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، فيها: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال.

أزواج: مبتدأ مؤخر، والزوج ما يكون معه آخر فيقال زوج للمرأة والرجل، وأما الزوجة بالتاء فقليل.

وقال الفراء: إنها لغة، ﴿مطهرة﴾: نعت لأزواج ومنعوته جمع تكسير.

﴿وهم فيها خالدون﴾: الواو: حرف عطف وهم: مبتدأ

فيها: جار ومجرور متعلق بخالدون، خالدون: خبر للمبتدأ.

مرجع الضمير:

﴿منها﴾: الضمير للجنان، والإشارة إلى المرزوق في الجنة لتشابه ثمارها مع اختلافها في الطعم.

﴿وأتوا به﴾: إما أن يعود الضمير إلى المرزوق في الدنيا والآخرة أي أوتوا بمرزوق الدارين متشابهًا بعضه بالبعض ويسمى هذا الطريق بالكناية الإيمائية، ولو رجع إلى الملفوظ لقيل بهما، أو يعود إلى المرزوق في الجنة أتوا بالمرزوق في الجنة متشابه الأفراد.

ولعل ذلك ما رجحه بعض العلماء؛ لأن مرزوقهم في الآخرة هو المحدث عنه كما أنه هو المشبه بالذي رزقوه من قبل، وأن هذه الجملة جاءت للحديث عن الجنة وأحوالها.

البلاغة:

في قوله: هذا الذي رزقنا من قبل تشبيه بليغ لحذف أداة التشبيه، وتساوي طرفي التشبيه في المرتبة.

[٢٦] ﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين﴾.

اللغة والإعراب:

﴿فأما﴾: الفاء استئنافية، وأما: حرف شرط وتفصيل.

﴿الذين﴾: اسم موصول مبتدأ وهو فاصل بين أما وفاء الجزاء كما يفصل الخبر نحو: أما في الدار فعلي، وجملة الشرط كقوله تعالى: ﴿فأما إن كان من المقربين فروح وريحان﴾، والاسم المعمول لمحذوف كقوله تعالى: ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ والمفعول به نحو قوله تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ والظرف نحو أما اليوم فحاسب نفسك.

﴿آمنوا﴾: صلة الموصول ﴿فيعلمون﴾: الفاء واقعة في جواب أما ويعلمون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة خبر للذين.

﴿أنه الحق﴾: أن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي يعلمون، ﴿من ربهم﴾: حال.

﴿ماذا﴾: اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لأراد أو ﴿ما﴾: اسم استفهام، وذا: اسم موصول في محل رفع خبر (ما) والجملة في محل نصب مقول القول، وعلى الوجه الأول تعرب جملة أراد مقولاً للقول.

﴿مثلاً﴾: تمييز مؤكد أو حال من اسم الإشارة أي ممثلاً به أو من الفاعل أي ممثلاً.

﴿يضل به ويهدي به﴾: الباء للسببية والجملتان لا محل لهما من الإعراب؛ لأنهما كالبيان للجملتين المصدرتين بأما؛ لأنهما من كلام الله تعالى وقيل في محل نصب؛ لأنهما صفتان لمثلا أي مثلاً يفترق الناس به إلى ضالين ومهتدين وهما على هذا من كلام الكفار.

وأجاز أبو البقاء أن يكون حالاً من اسم الله أي مضلاً به كثيرًا وهاديًا به.

﴿الفاسقين﴾: مفعول ليضل وهو استثناء مفرغ، ويجوز عند الفراء أن يكون منصوبًا على الاستثناء، والمستثنى منه محذوف تقديره، وما يضل به أحدًا إلا الفاسقين.

مرجع الضمير:

﴿به﴾: الضمير يعود على المثل أي بالمثل أو يضر به الذي يضربه لأهل الضلال من أهل النفاق والكفر[1]، ويحتمل أن يعود الضمير على القرآن أي وما يضل بهذا القرآن إلا الخارجين عن طاعة الله[2].

البلاغة:

الطباق بين يضل ويهدي.

{٢٧} ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾.

اللغة والإعراب:

﴿ينقضون﴾: النقض: الفسخ وفك الترتيب ضد الإبرام وبالكسر المنقوض.

﴿الذين﴾: اسم موصول في محل جر؛ لأنه صفة للفاسقين.

﴿ينقضون﴾: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة لا محل لها من الإعراب.

---

(١) تفسير الطبري ١: ١٤٢.

(٢) صفوة التفاسير ١: ٣١.

﴿ما أمر الله به﴾: (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به، والجملة: صلة الموصول.

﴿أن يوصل﴾: أن: حرف مصدري ونصب، ويوصل: مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر بدل من الضمير في (به) والمعنى ويقطعون ما أمر الله بوصله، ورجحه العلامة الجمل وقال هو أحسن لفظًا ومعنى فكونه أحسن لفظًا لقربه، ومعنى؛ لأن قطع ما أمر الله بوصله أبلغ من قطع ما أمر الله به نفسه.

أو في موضع نصب على البدل من (ما)، أو مفعولاً لأجله والتقدير: كراهية أن يوصل أو لئلا يوصل.

﴿أولئك﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ.

﴿هم﴾: ضمير فصل أو عماد لا محل له من الإعراب.

﴿الخاسرون﴾: خبر أولئك، ويجوز إعراب هم: مبتدأ والخاسرون خبره، والجملة الإسمية في محل رفع خبر أولئك.

مرجع الضمير:

﴿من بعد ميثاقه﴾: الميثاق إما اسم لما يقع به الوثاقة والإحكام وإما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد.

فعلى الأول:

إن رجع الضمير إلى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من القبول والالتزام، وإن رجع إلى لفظ الجلالة يراد به آياته وكتبه وإنذار رسله عليهم

السلام، والمضاف محذوف على الوجهين أي من بعد تحقق ميثاقه.

وعلى الثاني:

إن رجع الضمير إلى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد أن وثقوه بالقبول والالتزام، أو من بعد أن وثقه الله عز وجل بإنزال الكتب، وإنذار الرسل، وإن كان مصدراً من المبني للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقًا إما بتوثيقهم إياه بالقبول، وإما بتوثيقه تعالى إياه بإنزال الكتب، وإنذار الرسل(1).

فالمعنى باختصار: أي ينقضون عهد الله من بعد تحقق ما وثقوه به من القبول والالتزام، أو من بعد أن وثقه الله تعالى بإنزال الآيات والكتب وإنذار الرسل، أو من بعد كونه موثقًا بقبولهم، أو موثقًا بتوثيق الله تعالى إياه.

البلاغة:

﴿ينقضون عهد الله﴾: استعارة مكنية شبه العهد بالحبل المبرم ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النقض؛ لأنه إحدى حالتي الحبل وهما النقض والإبرام وكذلك الطباق بين يقطعون، ويوصل.

[٣١] ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾.

اللغة والإعراب:

﴿آدم﴾: علم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وليس مشتقًا

(١) إرشاد العقل السليم ١: ٧٦.

من الأدمة أي السمرة أو من أديم الأرض أو وجهها؛ لأن الاشتقاق من خصائص العربية، قال الصاوي[1]: ليس منصرفًا ولا مشتقًا على التحقيق، وهو أي آدم: مفعول به أول، ﴿الأسماء﴾: مفعول به ثان، ﴿كلها﴾: تأكيد للأسماء وجواب الشرط لقوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾، محذوف تقديره: فأنبئوني دل عليه ما قبله أي أنبئوني السابق خلافًا لابن عطية الذي يجعل جواب الشرط أنبئوني السابق وهو بهذا يجوز تقديم الجواب على الشرط على مذهب سيبويه.

مرجع الضمير:

﴿ثم عرضهم﴾: قال عرضهم، ولم يقل عرضها؛ لأنه أراد مسميات الأسماء، ومنهم من يعقل، ومنهم من لا يعقل فغلب جانب من يعقل على جانب ما لا يعقل فجمعهم بضمير من يعقل؛ لأنه لما كان في جملتها الملائكة والإنس والجن وهم العقلاء فغلب الأكمل؛ لأن عادة العرب بتغليب الكامل على الناقص كلما غلبوا[2]، أو للتعظيم بتنزيلها منزلتهم[3]، وقرأ أبي (ثم عرضها)، وقرأ عبدالله: (ثم عرضهن)[4].

. البلاغة:

أنبئوني: أمر للتعجيز والتبكيت أي استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء

(١) ١: ٢٠.

(٢) التفسير الكبير ٢: ١٧٦، ١٧٧، البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٧٢.

(٣) روح المعاني ١: ٢٣٥.

(٤) البحر المحيط ١: ١٤٦، روح المعاني ١: ٢٣٥.

تبكيتًا لهم، وإظهارًا لعجزهم عن إقامة ما علقوا به رجاءهم من أمر الخلافة.

{٣٦} ﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾.

اللغة والقراءة والإعراب:

زل عن مكانه زلاً من باب ضرب: تنحى عنه، وزل زللاً من باب تعب لغة، وزل في منطقه أو فعله يزل من باب ضرب زلة أخطأ.

﴿**الشيطان**﴾: مأخوذ من شاط بمعنى احترق؛ لأنه محروق بالنار، أو من شطن بمعنى بعد؛ لأنه بعيد عن رحمة الله.

﴿**فأزلهما**﴾: يقرأ بإثبات الألف والتخفيف وهي قراءة حمزة[1]، وبطرحها والتشديد، فالحجة لمن أثبت الألف أن يجعله من الزوال والانتقال عن الجنة، والحجة لمن طرحها أن يجعله من الزلل، وأصله فأزْلَلْهما فنقلت فتحة اللام إلى الزاي فسكنت اللام فأدغمت للمماثلة. فيحتمل معنيين الأول: أبعدهما، والثاني: أظهر زلتهما.

﴿**عنها**﴾: جار ومجرور متعلقان بأزلهما، أو بمحذوف حال.

﴿**فيه**﴾: جار ومجرور خبر كان، وجملة (كان) لا محل لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول.

﴿**اهبطوا**﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل.

﴿**بعضكم لبعض عدو**﴾: ﴿**بعضكم**﴾: مبتدأ ومضاف إليه، ﴿**عدو**﴾:

(١) التيسير ٧٣، الإتحاف ١٣٤.

خبر، ﴿لبعض﴾: متعلق بـ ﴿عدو﴾ أو متعلق بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لعدو وتقدمت عليه وجملة. بعضكم لبعض عدو: إسمية في محل نصب حال أي متعادين.

﴿ولكم في الأرض مستقر﴾: الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر، ﴿مستقر﴾: مبتدأ مؤخر، والجار والمجرور ﴿في الأرض﴾: متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر، أو حال.

﴿إلى حين﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمتاع أي ممتد إلى يوم القيامة.

مرجع الضمير:

﴿فأزلهما الشيطان عنها﴾: الضمير عائد على الجنة، أو على الشجرة فتكون (عن) سببية على هذا الوجه، أو للحالة التي كانوا عليها، اي فأصدر الشيطان زلتهما عنها أي حملهما على الزلة بسببها.

أما على قراءة حمزة (فأزالهما) هو من الزوال عن المكارم مما كانا فيه أي من النعيم والكرامة، أو من المكان الذي هو الجنة إن كان الضمير في عنها للشجرة.

البلاغة:

﴿فأزلهما﴾: الزلل: الزلق، وهو العثرة في الطين مثلاً، فأطلق وأريد لازمه وهو الإذهاب.

﴿مما كانا فيه﴾: أبلغ في الدلالة على فخامة الخيرات مما لو قيل: من النعيم

أو الجنة؛ لأن من أساليب البلاغة في الدلالة على عظم الشيء أن يعبر عنه بلفظ مبهم، لتذهب النفس فيه كل مذهب.

[٣٩] ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

الإعراب:

﴿والذين﴾: الواو: حرف عطف، **﴿الذين﴾**: مبتدأ، **﴿كفروا﴾**: صلة الموصول، **﴿أولئك﴾**: اسم إشارة مبتدأ ثان.

﴿أصحاب النار﴾: خبر أولئك، والجملة: خبر المبتدأ الأول.

﴿النار﴾: مضاف إليه، ومقتضى العطف أن يقول ومن لم يتبع هداي وعدل عن ذلك ليسجل عليهم الكفر.

﴿هم فيها خالدون﴾: هم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ.

﴿خالدون﴾: خبر، والجملة يجوز أن تكون خبر ثان لأولئك ويجوز أن تكون في محل نصب على الحال، كما يجوز أن تكون مفسرة لا محل لها من الإعراب لقوله: **﴿أولئك أصحاب النار﴾** لبيان أن صحبتهم للنار ليست لمجرد الاقتران بل للخلود والديمومة.

مرجع الضمير:

﴿هم فيها خالدون﴾: جملة في موضع نصب على الحال من أصحاب، أو النار؛ لعود الضمير إليهما كما تقول: زيد مالك الدار وهو جالس فيها فقولك: هو جالس فيها ـ يجوز أن يكون حالاً من المضمر في مالك، ومن الدار؛ لأن

في الجملة ضـميران يعودان عليـهما، ولو قلت: زيد مـالك الدار وهو جالس لكانت الجـملة حالاً من المضمـر في (مالك) دون الدار، لأنه ليس فـي الجملة ضمـير يعـود إليها وذهب قـوم إلى أنه لا يجوز أن يكون حـالاً من النار؛ لأن الحال لا تقع حالاً من المضاف إليه؛ وأجـازه بعضهم؛ لأن لام الملك مقدرة مع المضاف إليه فمعنى الملك هو العامل في الحال، أو معنى المصاحبة[1].

والحال في المشهور تجيء من المضاف إليه بأحد شروط ثلاثة:

الأول: أن يكون المضاف جزءًا من المضاف إليه نحو قوله تعالى: **﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانًا﴾**[2].

الثاني: أن يكون المضاف مثل جزء المضاف إليه في صحة حذفه والاستغناء عنه بالمضاف إليه نحـو قوله تعالى: **﴿أن اتبع ملة إبراهيم حنيـفًا﴾**[3]، أو يكون المضاف عاملاً في الحال نحو قوله تعالى: **﴿إليه مرجعكم جميعًا﴾**[4].

[٤١] ﴿وآمنوا بما أنزلـت مـصـدقًا لما مـعكم ولا تكـونوا أول كـافـر به ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلاً وإياي فاتقون﴾.

اللغة والإعراب:

أول: وزنه أفـعل فاؤه وعـينه واو، ولـم تنطق العـرب منه بفـعل، وذهب الكوفيون إلى أنه أفعل من (وأل) أي نجا، وأصله أؤل فخـففت الهمزة الثانية،

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٧٧.

(٢) الحجر ٤٧.

(٣) النحل ١٢٣.

(٤) يونس ٤.

وأبدل منها واو، وأدغمت الأولى فيها كما قالوا: في مقروءة مقروة، وفي مخبوءة، مخبوة، ولو كان مخففًا على القياس لكان الوجه أن يقال: (أوَل) بإلقاء حركة الهمزة على الواو، كما قالوا في تخفيف صوأة: صوة، ولا يجب قلب الواو؛ لأن الحركة عارضة فلا يعتد بها.

﴿مصدقًا﴾: حال من الهاء المحذوفة من ﴿أنزلت﴾ وتقديره أنزلته؛ لأن (ما) بمعنى الذي فلابد من الهاء لتكون عائدة إلى الذي إلا أنها حذفت تخفيفًا كما حذفت في قوله تعالى: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾ أي بعثه الله[1].

﴿لما﴾: جار ومجرور متعلقان بمصدقًا ﴿معكم﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محل له من الإعراب؛ لأنه صلة الموصول.

﴿تكونوا﴾: مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف النون، والواو: اسمها ﴿أول﴾: خبر تكونوا ﴿كافر﴾: مضاف إليه ﴿به﴾: جار ومجرور متعلقان بكافر.

ومقتضى القياس أن يقول: أول كافرين به؛ ليطابق الواو في قوله تكونوا، ولكنه عدل عن ذلك، إما على حذف موصوف والتقدير: أول فريق كافر به، وإما على أن النكرة المضاف إليها اسم التفضيل يجب إفرادها نحو أنت أفضل رجل، وأنتم أفضل رجل.

مرجع الضمير:

﴿به﴾: الضمير للقرآن الكريم، وهذا نهي عن المسابقة إلى الكفر به، أو

(١) التسهيل ١: ٤٦، البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٧٨.

يعود على قوله: ﴿لما معكم﴾ أو لمحمد عليه الصلاة والسلام، أو للنعمة بمعنى الإحسان.

والراجح: الأول لقربه، ولكونه منطوقًا به(1).

البلاغة:

الاستعارة التبعية في قوله تعالى: ﴿**ولا تشتروا بآياتي**﴾، والباء هنا داخلة على المتروك؛ لأنه في جانب الشراء أما في جانب البيع فهي تدخل على المأخوذ نحو قوله تعالى: ﴿**وشروه بثمن بخس دراهم معدودة**﴾.

وتوضيح الاستعارة: شبه إختيار الثمن القليل على الآيات بالاشتراء بجامع ترك مرغوب عنه، وأخذ مرغوب فيه في كل منهما، ثم استعير الاشتراء للاختيار، واشتق من الاشتراء لا تشتروا بمعنى لا تختاروا على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، وكذلك الاختصاص في قوله: ﴿**وإياي فاتقون**﴾.

[٤٥] ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾.

اللغة والإعراب:

الخشوع: الخضوع، والخشعة بالضم: القطعة من الأرض الغليظة ﴿**لكبيرة**﴾: معنى كبرها: ثقلها، وصعوبتها على من يفعلها على حد قوله تعالى: ﴿**كبر على المشركين ما تدعوهم إليه**﴾(2).

ومن مجاز هذه المادة أرض خاشعة أي متطامنة، وخشعت الجبال، وخشعت دونه الأبصار.

---

(1) البحر المحيط ١: ١٨٧، الكشاف ١: ٢٧٦.

(2) الشورى ١٣.

والصبر على ثلاثة أقسام صبر على الشدة والمصيبة، وصبر على الطاعة وهو أشد من الأول وأجره أكثر منه، وصبر عن المعصية، وهو أشد من الأول والثاني وأجره أكثر منهما ﴿وإنها لكبيرة﴾: الجملة حالية، أو اعتراضية في آخر الكلام على رأي من يجوزه.

﴿إلا على الخاشعين﴾: استثناء مفرغ وشرطه أن يسبق بنفي فيؤول الكلام هنا بالنفي أي أنها لا تخف ولا تسهل إلا على الخاشعين.

مرجع الضمير:

١- ﴿وإنها﴾: الضمير في إنها يعود على الصلاة؛ لأن الضمير لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل، وتخصيصها برد الضمير إليها لعظم شأنها، واشتمالها على ضروب من الصبر وقال: (إنها) ولم يقل (وإنهما) وإن تقدم ذكر الصبر والصلاة؛ لأن العرب ربما تذكر اسمين، وتكنى عن أحدهما بدليل قوله تعالى: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها﴾[1] ولم يقل إليهما وقوله تعالى: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثمًا ثم يرم به بريئًا﴾[3].

٢- وقيل يعود الضمير على الاستعانة بالصبر والصلاة على حد قوله تعالى: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[4].

(١) الجمعة ١١.

(٢) القصص ٧٣.

(٣) النساء ١١٢.

(٤) المائدة ٨.

ورجح بعضهم ذلك؛ لأن الاستعانة كبيرة، وهي أخص من فعل الصلاة؛ فيستعان بالصلاة على قضاء الحوائج، أو على سائر الطاعات لاستجرارها ذلك.

٣ـ وقيل يعود إلى المذكورات المأمور بها، والمنهي عنها ومشقتها عليهم ظاهرة، وهو أقرب مما قاله الأخفش من رجوعه إلى إجابة الرسول ﷺ، والأبعد عوده إلى الكعبة المفهومة من ذكر الصلاة[1].

[٤٦] ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون﴾.

اللغة والإعراب:

الظن: هنا بمعنى اليقين لا الشك، وهو من الأضداد قال أبو عبيدة: العرب تقول لليقين ظن، وللشك ظن وقد كثر استعمال الظن بمعنى اليقين، ومنه:

﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾[2] ﴿فظنوا أنهم مواقعوها﴾[3].

﴿الذين﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة للخاشعين.

﴿يظنون﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو: فاعل، والجملة لا محل لها من الإعراب صلة الموصول.

﴿أنهم﴾: أن واسمها، **﴿ملاقو﴾** خبرها، **﴿ربهم﴾**: مضاف إليه وإن وما في حيزها سدت مسدّ مفعولي يظنون **﴿وإنهم﴾**: على أنهم **﴿إليه﴾**: جار ومجرور متعلقان براجعون و**﴿راجعون﴾**: خبر إنهم.

(١) البحر المحيط ١: ١٨٥، تفسير الطبري ١: ٢٠٦، روح المعاني ١: ٢٤٩.

(٢) الحاقة ٢٠.

(٣) الكهف ٥٣.

مرجع الضمير:

﴿إليه﴾: الضمير في ﴿إليه﴾ يعود على اللقاء الذي يتضمنه ﴿ملاقو ربهم﴾، وقيل يعود على الموت، وقيل العود إلى حكمه[1].

[٤٨] ﴿واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا، ولا يقبل منها شفاعة، ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾.

القراءة واللغة والإعراب:

﴿ولا يقبل منها شفاعة﴾: تقرأ بالياء والتاء، فالحجة لمن قرأ بالتاء أنه دل بها على تأنيث الشفاعة، ولمن قرأ بالياء ثلاث حجج: أولاهن: أنه لما فصل بين الفعل والاسم بفاصل جعله عوضًا من تأنيث الفعل، والثانية أن تأنيث الشفاعة لا حقيقة له، ولا معنى تحته فتأنيثه وتذكيره سيان، والثالثة قول ابن مسعود: إذا اختلفتم في التاء والياء فاجعلوه بالياء[2].

﴿واتقوا يومًا﴾: الواو: حرف عطف، اتقوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل ﴿يومًا﴾: مفعول به على حذف مضاف أي عذاب يوم، أو هول يوم؛ لأنه لو جعلنا يومًا ظرفًا لترتب على ذلك تكليفهم يوم القيامة، وليس المعنى كذلك وإنما المعنى واتقوا عذاب يوم فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه كقوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾[3] أي عذاب يوم الآزفة أي القيامة.

(١) إملاء ما من به الرحمن ١: ١٩، البحر ١: ١٨٧، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١: ٣٠٢.

(٢) الحجة لابن خالويه ٧٦.

(٣) غافر ١٨.

﴿لا تجزي﴾: وما بعده من الجمل المنفية صفات ليوم، وفي كل جملة ضمير مقدر يعود على يوم، ولولا ذلك الضمير لم يجز أن يكون صفة والتقدير: لا تجزي فيه، ولا تقبل شفاعة فيه، ولا يؤخذ منها عدل فيه، ولا هم ينصرون فيه، فلابد أن يعود من الصفة إلى الموصوف ذكر، وقيل التقدير: لا تجزيه نفس بجعل الظرف مفعولاً على السعة ثم تحذف الهاء من الصفة وهو أولى من حذف ﴿فيه﴾، وشيئًا: منصوب من وجهين؛ أحدهما: أن يكون مفعول ﴿تجزي﴾. الثاني: أن يكون منصوبًا على المصدر؛ لأنه في موضع ﴿جزاء﴾ كقوله تعالى: ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئًا﴾[1] أي إشراكًا.

مرجع الضمير:

الضميران في قوله تعالى: ﴿لا يقبل منها﴾ ﴿ولا يؤخذ منها﴾ يعودان على النفس الثانية العاصية، ومعنى لا تقبل منها شفاعة أنها إن جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ورجع الضمير إليها؛ لأنها أقرب مذكور، ولأجل أن تكون الضمائر الثلاثة على نسق واحد؛ لأن قوله: ﴿ولا هم ينصرون﴾ يعود كذلك إلى ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد، أو الأناس، ويرى هذا الرأي أبو حيان وصاحب الفتوحات والعلامة أبو السعود والنيسابوري وهذا هو الراجح، ويجوز أن يرجع إلى ﴿نفس﴾ الأولى على معنى: أنها لو شفعت لم تقبل شفاعتها[2] كما لا تجزي عنها شيئًا، ولو أعطت عدلاً منها لم يؤخذ منها.

---

(١) النور ٥٥

(٢) الكشاف ١: ٢٧٩.

البلاغة:

﴿**واتقوا يومًا**﴾: التنكير: للتهويل أي يومًا شديد الهول، وكذلك تنكير النفس يفيد العموم، وشيئًا: إشارة إلى القلة والضآلة، وجاءت الجملة المعطوفة الأخيرة وهي ﴿**ولا هم ينصرون**﴾: اسمية مع أن الجمل التي قبلها فعلية: للمبالغة، والدلالة على الثبات والديمومة أي أنهم غير منصورين دائمًا، ولا عبرة بما يصادفونه من نجاح مؤقت.

{٥١} ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾.

اللغة والإعراب:

﴿**واعدنا**﴾: هو بمعنى وعدنا؛ لأن الأصل في ﴿**فاعلنا**﴾ أن تكون من اثنين، ولا يحسن هنا؛ لأن الله تعالى وعد موسى، ولم يكن من موسى وعد لله تعالى فهو من باب عافاه الله وقاتله الله، وقيل: لما كان الوعد من الله تعالى، والوفاء من موسى قال واعدنا.

﴿**موسى**﴾: علم أعجمي، وهو في أصله مركب من (مو) وهو معنى ماء بالعبرية، والشجر يقال له (شا) فعربته العرب فأصله موشى بالشين المعجمة فقالوا: موسى بخلاف موسى الحلق فهي من ماس يميس إذا تبختر في مشيته، وقلبت الواو ياء فالموسى تتحرك عند الحلق، أو مشتقة من أوسيت رأسه إذا حلقته وهي تذكر وتؤنث، وتجمع على مواسي وموسيات وموس: مفعول أول لواعدنا، وألفه تنقلب ياء في التثنية نحو: موسيان.

و﴿**أربعين**﴾: مفعول ثان لواعدنا، وتقديره تمام أربعين ليلة فحذف المضاف

وأقيم المضاف إليه مقامه، ولا يجوز أن يكون منصوبًا على الظرف؛ لأنه يصير المعنى واعدناه في أربعين ليلة، وليس المعنى على ذلك، وإنما المعنى أن الوعد كان بتمام أربعين ليلة، وهو منصوب وعلامة نصبه الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم.

﴿ليلة﴾: تمييز، ﴿العجل﴾: مفعول أول لـ﴿اتخذ﴾، والمفعول الثاني محذوف تقديره (إلهًا) مفهوم من السياق.

﴿من بعده﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال.

﴿وأنتم ظالمون﴾: جملة حالية في محل نصب.

مرجع الضمير:

﴿من بعده﴾: الضمير راجع إلى موسى، أي بعد ما رأيتم منه من التوحيد والتنزيه، وفي الكلام حذف يدل عليه.

﴿واعدنا﴾: أي من بعد مواعدته، وقيل المحذوف الذهاب المدلول عليه بالمواعدة؛ لأنها تقتضيه، وقيل من بعد غيبته في الطور[(١)].

البلاغة:

ذكر الظرف ﴿من بعده﴾ للإيذان بمزيد شناعة فعلهم وظلمهم وكفرهم.

[٥٤] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم﴾.

---

(١) التسهيل ١: ١٠١، روح المعاني ١: ٢٥٨.

اللغة والإعراب:

القوم: إسم جمع؛ لأنه دال على أكثر من اثنين وليس له واحد من لفظه، ومفـرده رجل أو امرؤ، وقياسـه ألا يجمع وشذ جـمعه قالوا: أقـوام، وجمع جمعه قالوا أقاويم قيل يختص بالرجال قال تعالى: ﴿**لا يسخر قوم من قوم ولا نساء من نساء**﴾ وقال زهير:

وما أدري وسوف إخال أدري … أقوم آل حصن أم نساء؟

أما قوله تعالى: ﴿**إنا أرسلنا نوحًا إلى قـومه**﴾، فاندراج النساء عـلى سبيل التغليب، ولا يـجوز أن يطلق على النساء وحـدهن، واشتـقاقه من قـام بالأمر يقوم به قال تعالى: ﴿**الرجال قوامون على النساء**﴾.

﴿**بارئكم**﴾: البارئ: الخالق أي أخرج الخلق من العدم إلى الوجود.

﴿**يا قوم**﴾: يا: حرف نداء، وقوم: منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة.

﴿**إنكم**﴾: إن واسمها، ﴿**ظلمتم**﴾ الجملة الفعلية خبر إن.

﴿**أنفسكم**﴾: مفعول به ﴿**باتخاذكم**﴾: الجار والمجرور متـعلقان بظلمتم، والباء للسببيـة أي بسبب اتخاذكم، ﴿**العجل**﴾: مفعول به للمصدر ﴿**فتوبوا**﴾: الفاء تعليلية؛ لأن الظلم سبب التوبة ﴿**ذلكم خير**﴾ مبتدأ، وخير: اسم تفضيل على غير قياس إذ القياس أخير ومثله شر والقياس: أشر ﴿**عند**﴾: ظرف متعلق بمحذوف حال.

﴿**إنه هو التواب الرحيم**﴾: إن واسمها، ﴿**هو**﴾: ضمير فصل أو عماد لا محل له من الإعراب ﴿**التواب**﴾: خبر إن الأول، ﴿**الرحيم**﴾: خبر إن الثاني،

أو ﴿هو﴾: مبتدأ، ﴿التواب﴾: خبر، والجملة الإسمية خبر إن.

مرجع الضمير:

﴿إنه هو التواب الرحيم﴾: الضمير المنصوب إن كان ضمير الشأن فالضمير المرفوع مبتدأ وهو الأنسب لدلالته على كمال الاعتناء بمضمون الجملة، وإن كان راجعًا إلى الباري سبحانه فالضمير المرفوع إما فصل أو مبتدأ[1].

البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾: مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون أي أسلموها للقتل تطهيرًا لها أي لينفذ هذا الحكم الصادر، وقيل المراد بقتل الأنفس تذليلها، وكبح جماحها ومنه قول حسان بن ثابت في وصف الخمر:

إن التي ناولتني فرددتها ... قُتِلَتْ قُتِلْتَ، فهاتها لم تقتل

أراد مزجها بالماء لتذهب سورتها.

في قوله تعالى: ﴿فتاب عليكم﴾ التفات من التكلم الذي يتطلبه سياق الكلام فمقتضى المقام أن يقول: فوفقتكم فتبت عليكم.

[٦٠] ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم ......﴾.

الإعراب:

﴿فانفجرت﴾: الفاء الفصيحة وسميت بذلك؛ لأنها أفصحت عن مقدر وعطفت عليه الفعل ﴿انفجرت﴾، والتقدير: فضرب فانفجرت؛ لأن الانفجار

(١) روح المعاني ١: ٢٦١.

إنما يحصل عن الضرب لا عن الأمر بإيجاده، وقد يحذف المعطوف عليه، ويكتفى بالمعطوف للدلالة عليه قال تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾[1] أي فأفطر فعدة من أيام أخر، وقال تعالى: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾[2] أي فأكل فلا إثم عليه، وسميت فصيحة من باب المجاز العقلي أي أن المحذوف قد يكون جملة هي السبب المذكور.

﴿اثنتا﴾: فاعل انفجرت، وعلامة رفعه الألف؛ لأنه ملحق بالمثنى، و﴿عشرة﴾: مبني على الفتح دائمًا في محل جر مضاف إليه.

﴿عينًا﴾: تمييز، ﴿علم﴾: فعل ماض مبني على الفتح ﴿كل﴾: فاعل، ﴿مشربهم﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة لا محل لها؛ لأنها مستأنفة.

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿منه﴾ عائد على الحجر أي فانفجرت من الحجر، أو إلى الضرب أي فانفجرت من الضرب بكل قيل.

[٦٢] ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

القراءة واللغة والإعراب:

﴿والصابئين﴾: يقرأ وما شكله بالهمز وتركه، فالحجة لمن همز أنه مأخوذ

(١) البقرة ١٨٤.

(٢) البقرة ١٧٣.

من صبأ فلان إذا خرج من دين إلى دين، والحجة لمن لم يهمز أن يكون أراد الهمز فلين وترك، أو يكون أخذه من صبا يصبو إذا مال، وبه سمي الصبي صبيًا؛ لأن قلبه يميل إلى كل لعب لفراغه، فإن قيل فلم أجمع على همزة الصابئين، وترك الهمز في النبيين؟ فقل: لأن من ترك الهمز في النبيين بَقّي خلفًا وهو الياء، ومن ترك الهمز في الصابئين لم يبق خلفًا؛ لأنه كتب في المصحف بغير واو ولا ياء[1].

﴿هادوا﴾: تهودوا يقال: هاد يهود وتهوَّد ويتهوّد إذا دخل في اليهودية وهو هائد، والجمع هود.

﴿النصارى﴾: جمع نصران ونصراني، يقال: رجل نصران ونصراني وامرأة نصرانة ونصرانية، والياء في نصراني للمبالغة سموا بذلك؛ لأنهم نصروا السيد المسيح أو لأنهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران، أو ناصرة فسموا باسمها قال سيبويه: لا يستعمل في الكلام إلا مع ياء النسب.

﴿الصابئين﴾[2] جمع صابئ من صبأ فلان إذا خرج من الدين والصابئة قوم كانوا يعبدون النجوم، ومنهم أبو إسحاق الصابئ الكاتب الشاعر المشهور.

﴿من آمن بالله﴾: ﴿من﴾: في موضعها وجهان: الرفع والنصب؛ فالرفع على أن (من) شرطية في موضع رفع لأنه مبتدأ، و﴿فلهم﴾: جواب الشرط أي الفاء واقعة في جواب الشرط.

---

(١) الحجة ٨١.

(٢) قدم النصارى على الصابئين؛ لأنهم أهل كتاب، وعكس الترتيب في الحج؛ لأن الصابئين مقدمون على النصارى بالزمان، وراعى في المائدة المعنيين نقدمهم في اللفظ، وأخرهم في التقدير؛ لأن تقديره: والصابئون كذلك.

﴿لهم﴾: جار ومجرور خبر مقدم، ﴿أجرهم﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة خبر (إن) والنصب على أن تكون (من) بدلاً من الذين، فيبطل معنى الشرط؛ لأن الشرط لا يعمل فيما قبله؛ لأن له صدر الكلام كالاستفهام وتكون الفاء في ﴿فلهم﴾ داخلة لجواب الإبهام. كقولك: إن الذي يأتيني فله درهم وإنما دخلت الفاء في خبر (الذي) إذا دخلت عليه (إن) لأنها لم تغير معنى الابتداء، وأفادت التأكيد، وتأكيد الشيء لا يغير معناه فصار بمنزلة الذي يأتيني فله درهم بخلاف ليت ولعل فإنه لا يجوز دخول الفاء معهما ألا ترى أنك لو قلت: ليت الذي يأتيني فله درهم، أو لعل الذي يأتيني فله درهم لم يجز؛ لأن ليت ولعل يغيران معنى الابتداء فلم يجز معهما دخول الفاء[1].

مرجع الضمير:

﴿من﴾: إن كانت موصولة إحتيج إلى عائد تقديره ﴿منهم﴾ وإن كانت شرطية لم يحتج إلى تقدير فالعموم يغني عنه كأنه قيل: هؤلاء وغيرهم إذا آمنوا ﴿فلهم﴾ إلخ.

وجوز بعضهم أن تكون (من) بدلاً من إسم (إن) وخبرها ﴿فلهم أجرهم﴾ واختار أبو حيان أنها بدل من المعاطيف التي بعد اسم (إن) فيصح إذ ذاك المعنى، كأنه قيل: ﴿إن الذين آمنوا﴾: من غير الأصناف الثلاثة ﴿فلهم﴾ إلخ.

وكيف قيل: فلهم أجرهم مع أن (من) لفظ واحد، والفعل موحد.

والجواب على ذلك إن كان الذي يليه من الفعل موحداً، فإن له معنى الواحد والاثنين، والجمع والتذكير والتأنيث فهو في كل هذه الأحوال على

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٨٨.

صورة واحدة، فالعرب توحد معه الفعل نظرًا للفظ، وتجمعه نظرًا للمعنى، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون، ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون**﴾(1).

فجمع نظرًا للمعنى، ووحد معه الفعل؛ لأنه في لفظ الواحد، ويدل على ذلك قول الفرزدق:

تعال فإن عاهدتني لا تخونني — نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

[٦٦] ﴿فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين﴾.

اللغة والإعراب:

﴿**نكالاً**﴾: نكل بفتح الكاف وكسرها عنه كضرب ونصر وعلم، نكولاً: نكص وجبن، ونكل به تنكيلاً صنع به صنيعًا يحذر غيره أو نكله: نحاه عما قبله. والنكل: بكسر النون المشددة: القيد الشديد والجمع أنكال وعلى أية حال فالنكال في الآية معناه: المنع، وسمي العقاب نكالاً؛ لأنه يمنع به غير المعاقب أن يفعل فعله، ويمنع المعاقب أن يعود إلى فعله الأول، والتنكيل: إصابة الغير بالنكال ليرتدع غيره.

﴿**نكالاً**﴾: مفعول ثان (لما) اللام: حرف جر، وما: إسم موصول في محل جر باللام، والجار والمجرور صفة لنكالاً.

﴿**بين يديها**﴾: الظرف متعلق بمحذوف لا محل له؛ لأنه صلة الموصول ﴿**وما**﴾: عطف على ما ﴿**خلفها**﴾: ظرف متعلق بمحذوف صلة ما الثانية،

(1) يونس ٤٢، ٤٣.

﴿وموعظة﴾: عطف على نكالاً. ﴿للمتقين﴾: الجار والمجرور صفة لموعظة.

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿جعلناها﴾: يعود إما على:

١ـ المسخة والمعنى على ذلك فقلنا لهم كونوا قـردة خاسئين، فصاروا قردة ممسوخين، فجعلـناها أي فجعلنا عقوبتنا ومسـخنا إياهم نكالاً لما بين يديها، وما خلفها، وموعظة للمتقين.

٢ـ أو يعود على الحيتان، ولم يجر لها ذكـر، ولكن السياق يدل عليها قال تعالى: ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾.

٣ـ أو يعود على القردة أو الأمة، والمعنى: فجعلناها أي الأمة التي اعتدت في السبت نكالا.

٤ـ أو يعـود على المصـدر المفـهـوم من ﴿كونوا﴾ أي فجعلنا كـينونتهم، وصيرورتهم قردة خاسئين نكالا[1].

البلاغة:

﴿لما بين يديها وما خلفها﴾: كناية عمن أتى قبلها، أو أتى بعدها من الأمم والخلائق، أو عبرة لمن تقدم ومن تأخر.

[٧٢، ٧٣] ﴿وإذ قتلتم نفسًا فادارأتم فيها والله مـخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾.

(١) البحر ١: ٢٤٦، الكشاف ١: ٢٨٦، تفسير الطبري ١: ٢٦٥.

اللغة والإعراب:

﴿**فادارأتم فيها**﴾: أصله تدارأتم من الدرء وهو الدفع، فأبدل من التاء دالاً، وأدغمت الدال المبدلة من التاء في الدال الأصلية، وأسكنت الدال الأولى المبدلة فاجتلبت همزة الوصل لئلا يبتدأ بالساكن فصار (ادارأتم).

ومعناه: تدافعتم؛ لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أي يدفعه ويزحمه، والمعنى: اتهم بعضكم بعضا لطمس معالم الجريمة، ودرء الشبهة عنه.

﴿**إذ**﴾: ظرف للماضي عامله اذكروا.

﴿**قتلتم**﴾: الجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿**نفسًا**﴾: مفعول به ﴿**والله مخرج**﴾: اعتراض أي بين العاطف والمعطوف عليه وهما فادارأتم، فقلنا اضربوه.

﴿**كذلك**﴾: الكاف الأولى في كذلك كاف تشبيه في موضع نصب؛ لأنها صفة مصدر محذوف تقديره: يحيي الله الموتى إحياء مثل ذلك ﴿**ما كنتم**﴾: ما: موصولة أي الذي كنتم تكتمونه من أمر القتيل.

﴿**ويريكم**﴾: الرؤية بصرية، فالهمزة للتعدية أكسبت الفعل مفعولاً ثانيًا وهو آياته، والمعنى: يجعلكم مبصرين آياته.

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿**فيها**﴾ عائد على النفس، أي فادارأتم في النفس وهو ظاهر، وقيل على القتلة المفهومة من قتلتم أي يعود على المصدر المفهوم من القتل، وقيل يعود على التهمة وهو ما يدل عليه معنى الكلام.

﴿اضربوه﴾ فالضمير (الهـاء) إما أن يرجع إلى النفس بناء على تذكيرها إذ فيهـا التأنيث وهو الأشهـر، والتذكير وهو على تأويل الشـخص، أو الإنسان. ويحتمل أن يعود الضمير إلى القتيل بدلالة قتلتم، أو ﴿ما كنتم تكتمون﴾.

ويحتـمل أن يكون الكلام على حذف مـضاف أي ذا نفس، وبعـد الحذف أقيم المضاف إليه مقامه.

[٧٥] ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كـان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾.

اللغة والمعنى والإعراب:

﴿الطمع﴾: تعلق النفس بإدراك أمـر تعلقًا قـويًا فـهو أشـد من الرجـاء، فريق: اسم جمع كالرهط والقوم.

﴿أن يؤمنوا لكم﴾: في موضع نصب؛ لأن التقـدير فيه في أن يؤمنوا لكم فلما حذف حرف الجر، اتصل الفـعل به فنصبه، وذهب الكوفيون والخليل من البـصريين إلى أنهـا في موضع خـفض بتقـدير حرف الخـفض ﴿منـهم﴾: فيه وجهان:

أحدهما: أنه في مـوضع رفع؛ لأنه وصف لفريق، و﴿يسمعون﴾: جملة فعلية في موضع نصب خبر كان.

والثـانـي: أن تكون ﴿منـهم﴾: في مـوضـع نصب؛ لأنه خـبـر كـان و﴿يسمعون﴾: وصف لفريق.

﴿وهم يعلمون﴾: مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال من المضمر في

﴿يحرفون﴾: والمعنى يحرفون التوراة فيجعلون الحلال فيها حرامًا والحرام فيها حلالاً، والحق فيها باطلاً والباطل فيها حقًا.

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿عقلوه﴾ يترتب على التوجيه في (ما). إن كانت مصدرية فالضمير في ﴿عقلوه﴾ عائد على كلام الله أي من بعد عقلهم إياه، أو تعقلهم إياه وهو الأصح[1].

وإن كانت موصولة فالضمير عائد عليها وهو بعيد أي يحرفون الكلام من بعد المعنى الذي فهموه وعرفوه.

البلاغة:

﴿وهم يعلمون﴾: جملة مفيدة لكمال قبح صنيعهم فتحريفهم للتوراة كان عن قصد وتصميم لا عن جهل أو نسيان، ومن يرتكب المعصية عن علم يستحق الذم والتوبيخ أكثر ممن يرتكبها وهو جاهل.

[٨٥] ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم ......﴾.

اللغة والقراءة والإعراب:

﴿تظاهرون﴾: تتعاونون وحذفت إحدى التاءين، وأصل المظاهرة: المعاونة، مشتقة من الظهر؛ لأن بعضهم يقوي بعضًا فيكون له كالظهر. ويقرأ

(١) روح المعاني ١: ٢٩٨، الفتوحات ١: ٦٧، الطبري ١: ٢٩٠، ٢٩١.

(تظاهرون) بالتشديد والتخفيف، فالحجة لمن شدد أنه أراد تتظاهرون بتاءين، فأسكن الثانية، وأدغمها في الظاء فشددها لذلك، والحجة لمن خفف أنه أراد أيضًا تتظاهرون فأسقط إحدى التاءين تخفيفًا، وكراهية للإدغام وثقله فإن قيل: فأي التاءين الساقط؟ فقل قال سيبويه: الساقط الأول، وقال هشام الثاني، وقال الفراء: إحداهما بغير تعيينها ولكل حجة ودليل[1].

﴿ثم أنتم هؤلاء﴾: ثم: حرف عطف، ﴿أنتم﴾: مبتدأ، ﴿هؤلاء﴾: إسم إشارة في محل نصب منادى محذوف منه حرف النداء، ﴿تقتلون﴾: فعل مضارع، والواو: فاعل، وجملة ﴿تقتلون﴾: خبر أنتم، ﴿أنفسكم﴾: مفعول به، وقيل: إسم الإشارة هو الخبر، وجملة تقتلون حال، وقد قالت العرب: ها أنت ذا قائمًا، وإنما أخبر عن الضمير باسم الإشارة في اللفظ، وكأنه قال: أنت الحاضر.

﴿فريقًا﴾: مفعول به، ﴿منكم﴾: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفريقًا، ﴿من ديارهم﴾: متعلقان بتخرجون، ﴿تظاهرون﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو: فاعل، والجملة في محل نصب حال من الواو أي متعاونين، ﴿عليهم﴾: جار ومجرور متعلقان بتظاهرون.

﴿وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم ....﴾[2].

---

(١) الحجة لابن خالوية ٨٤.

(٢) كان قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه، فإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب فقالت: كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون: أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم فذمهم الله تعالى على المناقضة إذ أتوا ببعض الواجب وتركوا البعض، كذلك صدقوا بنبوة موسى مع التكذيب بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

الواو: استئنافية، وإن: شرطية، ﴿يأتوكم﴾: فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون، والواو: فـاعل، والكاف: مفعول به، ﴿أسارى﴾: حال، ﴿تفادوهم﴾: جواب الشـرط مجزوم، ومـعنى تفادوهم: تنقـذوهم من الأسر بالمال. ﴿وهو﴾: الواو: حالية وهو مبتدأ وهو المسمى بضمير الشأن.

﴿محـرم﴾: خبـر مقـدم، ﴿عليـكم﴾: جار ومـجرور مـتعلقـان بمحرم. ﴿إخراجهم﴾: مبـتدأ مؤخـر، والجملة الإسمـية في محل رفع خـبر لضمـير الشأن، ويجوز أن يعـرب قوله محرم خبر هو، وإخراجـهم نائب فاعل لمحرم؛ لأنه إسم مفعول.

﴿وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم﴾.

الضمير في ﴿منكم﴾ إما للمخاطبين، والمضاف محذوف أي من أنفسكم، وإما للمقتولين، والخطاب باعتبار أنهم جعلوا أنفس المخاطبين، وإلا فلا يتحقق التكافؤ بين المقـتولين والمخرجين في ذلك العنوان الذي يدور عليه فلـك المبالغة في تأكيد الميثاق حسبما نص عليه.

﴿من ديارهم﴾: الضمير للفريق، وإيثار الغـيبة مع جوار الخطاب للاحتراز عن توهم كون المراد إخراجـهم من ديار المخاطبين من حيث هي. ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين[1].

البلاغة:

﴿تقتلون أنفسكم﴾: عبر عن قتل الغير بقتل النفس؛ لأن من أراق دم غيره

---

(١) إرشاد العقل السليم ١: ١٢٤، ١٢٥.

فكأنما أراق دم نفسه، فهو من باب المجاز لأدنى ملابسة.

[٩١] ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقًا لما معهم﴾.

اللغة والإعراب:

﴿وراء﴾: من الظروف المتوسطة التصرف وهو ظرف مكان والمشهور أنه بمعنى خلف، وقد يكون بمعنى أمام فهو من الأضداد، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾** فمعنى وراءهم هنا أمامهم والله أعلم.

﴿قالوا﴾: الجملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ﴿نؤمن﴾: الجملة في محل نصب مقول القول، ﴿وراءه﴾: ظرف متعلق بمحذوف لا محل له؛ لأنه صلة الموصول، ﴿وهو الحق﴾: الواو حالية وهو مبتدأ، والحق خبره، وجملة المبتدأ والخبر في محل نصب على الحال، ﴿مصدقًا﴾: حال مؤكدة؛ لأن تصديق القرآن لازم لا ينتقل، والعامل فيها معنى الجملة، وهذه الحال لولا أنها مؤكدة لما جاز أن يعمل فيها معنى الجملة، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال: هو زيد قائمًا؛ لأن زيدًا قد يفارق القيام، والحق لا يجوز أن يفارق التصديق لكتب الله عز وجل، ولو فارق التصديق لها لخرجت عن أن تكون حقا.

مرجع الضمير:

﴿وراءه﴾: الهاء تعود على (ما) في قوله: **﴿نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون**

بما وراءه وهو الحق مصدقًا لما معهم﴾، أي قالوا ذلك، والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الإنجيل والقرآن أو القرآن فقط، وقال تعالى: ﴿مصدقًا لما معهم﴾؛ لأن كتب الله يصدق بعضها بعضا.

{٩٢} ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾.

الإعراب:

﴿ولقد﴾: الواو: إستئنافية، واللام جواب قسم محذوف، وقد: حرف تحقيق، ﴿جاءكم موسى﴾: فعل ومفعول به وفاعل والكلام مستأنف مسوق للاعتراض عليهم بقتل الأنبياء مع ادعائهم بأنهم يؤمنون بالتوراة، والتوراة لا تسوغ ذلك بحال.

﴿بالبينات﴾: جار ومجرور في محل نصب حال من موسى على أن الباء للملابسة أو المصاحبة أي جاءكم ذا بينات، وحجج، أو معه البينات، ﴿من بعده﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال.

﴿وأنتم ظالمون﴾: الواو: حالية، وأنتم: مبتدأ، وظالمون: خبره والجملة نصب على الحال أي اتخذتم العجل حال كونكم ظالمين أي كافرين بعبادته.

مرجع الضمير:

١ـ ﴿من بعده﴾: أي من بعد ما ذهب موسى عنكم إلى الطور لمناجاة الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿واتخذ موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار﴾ فتكون التوراة حينئذ من جملة البينات، أو من بعد مجئ موسى عليه السلام بها أي بالتوراة.

٢ـ أو يرجع الضمير إلى البينات بحذف المضاف أي بعد تدبر الآيات لتظهر ذلك فيكون التأويل ثم اتخذتم العجل بعد مجئ البينات.

٣ـ أو يعود إلى العجل أي بعد وجوده أي عبدتم الحادث الذي حدث بحضركم ليكون فيه التوبيخ العظيم.

البلاغة:

الخبر في قوله: ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ يراد به التبكيت والتوبيخ على عدم اتباع الرسول، وقوله: ﴿ثم﴾ للتراخي في الرتبة، والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا وذلك أعظم ذنبًا، وأكثر شناعة لحالهم.

[٩٦] ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما تعملون﴾.

اللغة والإعراب:

﴿زحزح﴾: يستعمل متعديًا ولازمًا، وتكرار الحروف بمثابة تكرار العمل.

﴿ولتجدنهم﴾: الواو عاطفة، واللام جواب لقسم محذوف، وتجدنهم فعل مضارع مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره أنت والهاء: مفعوله الأول ﴿أحرص الناس﴾: مفعوله الثاني، ﴿على حياة﴾: متعلق بأحرص.

﴿ومن الذين أشركوا﴾: الواو: عاطفة، والعطف هنا محمول على المعنى، والتقدير: أحرص من الذين أشركوا ولكنه حذف، ﴿أحرص﴾: للتخصيص بعد التعميم.

﴿يود أحدهم﴾: فعل مضارع وفاعل والجملة حالية أو استئنافية لا محل لها، ﴿لو يعمر﴾: لو: مصدرية غير عامله أي يود التعمير وهي خاصة بفعل الودادة، وهي والفعل بعدها في تأويل مصدر مفعول يود أي يود التعمير، ويعمر: فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر فيه جوازاً تقديره هو، ﴿ألف سنة﴾: ظرف زمان متعلق بيعمر، ﴿وما هو بمزحزحه﴾: الواو حالية، وما: نافية حجازية، و﴿هو﴾: اسمها، ﴿بمزحزحه﴾: الباء: حرف جر زائد، ومزحزحه: مجرور لفظًا منصوب محلاً على أنه خبر (ما)، ﴿أن يعمر﴾: أن وما في حيزها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لمزحزحه؛ لأنه إسم فاعل، ﴿والله بصير بما يعملون﴾: الواو استئنافية، ويجوز في (ما) أن تكون موصولة أو مصدرية.

مرجع الضمير:

﴿ولتجدنهم﴾: الضمير عائد على اليهود الذين أخبر عنهم بأنهم لا يتمنون الموت، وقيل على جميعهم، وقيل على علماء بني إسرائيل.

﴿وما هو بمزحزحه﴾: في عوده أقوال:

- أنه عائد على أحد[1]، و(ما) تميمية وهو: مبتدأ، خبره بمزحزحه على زيادة الباء في الخبر، وأن يعمر: فاعل بمزحزحه أو حجازية، وخبرها بمزحزحه على زيادة الباء.

- أنه ضمير الأمر والشأن، وإليه نحا الفارس في الحلبيات موافقة للكوفيين فإنهم يجيزون تفسير ضمير الشأن بمفرد إذا انتظم من ذلك إسناد معنوي،

(١) قال بذلك الجلال الفتوحات ١: ٨١.

وعلى هذا فهو: مبتدأ خبره بمزحزحه على زيادة الباء في الخبر و﴿أن يعمر﴾: فاعل الخبر.

والبصريون يأبون تفسيره بالمفرد بل لابد من جملة مصرح بجزأيها سالمة من حرف جر.

ـ أن يكون (هو) عائد على التعمير، وأن يعمر بدل من (هو) وبمزحزحه خبر (ما)، ولعل القول الأول هو الأوجه كما رآه ابن قتيبة، ويقول الطبري بعد قوله عماداً أن (هو) كناية عن ذكر العمر كأنه قال يود أحدهم لو يعمر ألف سنة، وما ذلك العمر بمزحزحه من العذاب، وجعل أن يعمر مترجمًا عن (هو) يريد ما هو بمزحزحه التعمير، ورجح الطبري كونه عماداً، والأوجه الأول لمناسبته.

البلاغة:

التنكير في قوله: ﴿على حياة﴾ للتنبيه على أن المراد بها حياة مخصوصة، وهي الحياة المتطاولة التي يعمر فيها الشخص آلاف السنين.

[٩٧] ﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقًا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾.

الإعراب وسبب النزول:

من: شرطية في موضع رفع؛ لأنه مبتدأ، وكان واسمها وخبرها جملة هي خبر المبتدأ، ﴿عدواً﴾: الخبر، وجواب (من) الشرطية قوله: ﴿فإنه﴾، وجبريل فيه لغتان ولا ينصرف للعجمة والتعريف، ﴿مصدقًا﴾: منصوب على الحال من الهاء في ﴿نزله﴾.

وكـذلك هدى وبشرى حـال أيضًا من الهـاء في ﴿نزله﴾، والتقدير: نزله مصدقًا هاديًا مبشرًا.

وسبب نزول الآية عندمـا سأل اليهـود الرسول عليه الصـلاة والسلام عن أربع مسائل منهـا قالوا: فأخبرنا عن الروح قـال: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أنه جبريل، وهو الذي يأتيني؟ قالوا: نعم، ولكنه لنا عدو وهو ملك، إنما يأتي بالشـدة وسـفك الدماء، فلـولا ذلك اتبعناك، فـأنزل الله فيهم: ﴿**قل من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على قلبك**﴾ إلى قوله: ﴿**كأنهم لا يعلمون**﴾.

مرجع الضمير:

﴿**فإنه**﴾، ﴿**نزله**﴾: الأول لله تعالى، والثـاني لجبـريل، والمعنى: فإن الله نزل جبريل عليه السلام بالقرآن على قلبك.

٢ـ أو تعود الهـاء في الأولى على جبريل، وفي الثانيـة على القرآن، وإن لم يجر له ذكر لـدلالة الحال عليه؛ لأنه كالمعلوم كـقوله تعالى: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾[١] أي القرآن، وقـوله: ﴿**كل من عليـها فـان**﴾[٢] أي الأرض، وقوله: ﴿**حتى توارت بالحجاب**﴾[٣] وأراد الشمـس، وقوله: ﴿**مـا ترك على ظهرها من دابة**﴾[٤] أي الأرض، وهذا قول ابن عبـاس، وأكثر أهل العلم أي إن كانت عداوتهم؛ لأن جبريل ينزل القرآن فإنما ينزله بإذن الله.

(١) القدر. ١ .

(٢) الرحمن ٢٦ .

(٣) ص ٣٢.

(٤) فاطر ٤٥

{١٠٢} ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾.

اللغة والإعراب:

﴿تتلوا﴾: بمعنى تلت مضارع بمعنى الماضي، ﴿هاروت وماروت﴾: علمان أعجميان بدليل منع الصرف، ولو كان من الهرت والمرت أي بالكسر كما زعم بعضهم لانصرفا، ﴿خلاق﴾: نصيب.

﴿بابل﴾: مدينة قديمة كانت تقع على الفرات شرقي بغداد، ﴿ما تتلوا﴾: ما: اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به، وتتلو: صلة الموصول.

﴿يعلمون الناس السحر﴾: الجملة في محل نصب على الحال من الضمير في كفروا أي كفروا معلمين الناس السحر، وقيل هو بدل من كفروا؛ لأن تعليم السحر كفر في المعنى، ﴿وما أنزل﴾: (ما) اسم موصول معطوف على ﴿ما تتلوا﴾ فهو في موضع نصب، والمعنى: اتبعوا ما تتلو الشياطين، واتبعوا ما أنزل على الملكين، وقيل: ﴿ما أنزل﴾: ما: نافية أي لم ينزل على الملكين.

قال ابن الأنباري: وهذا الوجه ضعيف جداً؛ لأنه خلاف الظاهر والمعنى، فكان غيره أولى.

﴿فيتعلمون﴾: فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن يكون معطوفًا على يعلمان.

والثاني: أن يكون معطوفًا على فعل مقدر، وتقديره: يأتون فيتعلمون.

والثالث: أن يكون معطوفًا على ﴿يعلمون الناس﴾ أي يعلمونهم فيتعلمون ولم يجزه الزجاج، ولا يجوز أن يكون جوابًا لقوله: ﴿فلا تكفر﴾؛ لأنه كان ينبغي أن يكون منصوبًا.

الرابع: أن يكون مستأنفًا وهو أوجه الأوجه.

﴿ما يفرقون﴾: ما: اسم موصول مفعول به، ﴿يفرقون﴾ الجملة صلة (ما)، ﴿وما هم بضارين به﴾: الواو: حالية، وما: حجازية، هم: اسمها، ﴿بضارين﴾: الباء: حرف جر صلة (زائد)، وضارين: مجرور لفظًا منصوب محلاً. ﴿من أحد﴾: من: حرف جر صلة (زائد)، أحد: مجرور لفظًا منصوب محلاً، لأنه مفعول ضارين، (إلا) أداة حصر.

﴿بإذن الله﴾: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر الفاعل لضارين، أو من المفعول به الذي هو أحد.

﴿ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق﴾: الواو: للاستئناف، اللام: جواب قسم محذوف، قد: حرف تحقيق، ﴿علموا﴾: فعل وفاعل، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، ﴿لمن﴾: اللام لام الابتداء، وتفيد التأكيد، ومن: اسم موصول مبتدأ، وجملة اشتراه لا محل لها، ما: نافية أو حجازية، ﴿له﴾: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، أو خبر (ما)، ﴿في الآخرة﴾: الجار والمجرور في محل نصب حال، ﴿من﴾: حرف جر زائد، ﴿خلاق﴾: اسم مجرور بمن لفظًا مبتدأ مؤخر، أو اسم (ما)، والجملة

في محل رفع خبر (من)، والجملة كلها سدت مسد مفعولي علموا المعلقة عن العمل باللام؛ لأن لام الابتداء تقطع ما بعدها عما قبلها كحروف الاستفهام والشرط، ويجوز أن تكون (من) شرطية، واشتراه فعل الشرط، موضعه الجزم بها، وجواب الشرط قوله تعالى: ﴿**ما له في الآخرة**﴾، واللام في لمن اشتراه على هذا الوجه هي اللام التي تدخل على إن الشرطية كقوله تعالى: ﴿**لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار**﴾[1].

مرجع الضمير:

في الآية الكريمة مجموعة من مرجع الضمير وهي:

﴿**واتبعوا**﴾: يرجع الضمير إلى فريق من الذين أوتوا الكتاب، وإذا كان من عطف القصة على القصة فالضمير للذين تقدموا من اليهود، أو الذين كانوا في زمن سليمان عليه السلام.

﴿**وما يعلمان من أحد**﴾: في الضمير ثلاثة أقوال: أظهرها عوده على الملكين سواء قرئ بكسر اللام أو فتحها. الثاني: أنه يعود على السحر، وعلى المنزل على الملكين. الثالث: أنه يعود على الفتنة وعلى الكفر المفهوم من قوله: ﴿**فلا تكفر**﴾ وهو قول أبي مسلم[2].

﴿**فيتعلمون منهما**﴾: الضمير في يتعلمون عائد على أحد، وجمع حملاً

(١) الحشر ١٢.

(٢) الفتوحات ١: ٨٨، ٨٩.

على المعنى نحو قوله تعالى: ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾[1]. والفاء: للعطف على الجملة المنفية، فإنها في قوة المثبتة كأنه قيل يعلمانهم بعد قولهما إنما نحن إلخ.

﴿وما هم بضارين به﴾: الضمير فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه عائد على السحرة العائد عليهم ضمير فيتعلمون. الثاني: أنه يعود على اليهود العائد عليهم ضمير ﴿واتبعوا﴾. الثالث: يعود على الشياطين، والضمير في (به) يعود على (ما) في قوله: ﴿ما يفرقون به﴾ أي بما تعلموه واستعملوه من السحر[2].

﴿ولقد علموا﴾: في عود الضمير خمسة أقوال:

الأول: أنه ضمير اليهود الذين في عهد النبي ﷺ. الثاني: أنه ضمير اليهود الذين في عهد سليمان عليه السلام. الثالث: أنه ضمير جميع اليهود. الرابع: أنه ضمير الشياطين. الخامس: أنه ضمير الملكين عند من يرى أن الاثنين جمع[3].

البلاغة:

في هذه الآية الكريمة جمال وإبداع رفيع يدل على عظمة القرآن الكريم وإعجازه، فتنزيل العالم منزلة الجاهل فن من فنون البلاغة؛ لأن صدر الآية الكريمة يدل على ثبوت العلم حيث إنه لا نفع لهم في اشتراء كتب السحر

---

(١) الحاقة ٤٧.

(٢) روح المعاني ١: ٣٤٤.

(٣) الفتوحات ١: ٨٩.

والشعـوذة واختيـارها على كتب الله عز وجل، وآخـر الآية الكريمة ينفي عنهم العلم؛ لأن (لو) حـرف امتناع الجـواب لامتناع الشـرط في قوله تعـالى: ﴿لو كانوا يعلمون﴾.

[١١٣] ﴿وقالت اليهود ليست النصـارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهـود على شيء وهم يتلون الكتـاب كذلك قال الـذين لا يعلمون مثـل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾.

الإعراب:

﴿**وقالت اليهود**﴾: الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حالة من حالات الجهالة المتأصلة في نفوسهم.

روي أن وفد نجـران لما قدموا على رسـول الله ﷺ أتاهم أحبار اليـهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم وضلل كل فريق صاحبه.

﴿**ليس**﴾: على وزن فـعِل بكسـر العين وهو بـناء نادر في الثـلاثي اليـائي العين، ﴿**النصارى**﴾: اسمها، ﴿**على شيء**﴾: خبرها، والجملـة مقول القول، ﴿**وهم يتلون**﴾: الواو للحال والجملة في محل نصب على الحال.

﴿**كذلك**﴾: الجار والمجرور فـي محل نصب نعت لمفعول مطلق مـحذوف أي قالوا قولاً مثل ذلك، ويجوز إعراب الجار والمجرور حال.

﴿**مثل**﴾: صفة لمصدر محذوف أي مثل قول اليهود والنصارى.

﴿**فـالله يحكم**﴾: الفاء: استئنافية، و﴿**الله**﴾: مبتدأ، والجـملة خبر، ﴿**يوم القيامة**﴾: الظرف متعلق بمحذوف حال.

مرجع الضمير:

﴿بينهم﴾: يرجع الضمير إلى الفريقين اليهود والنصارى وقيل يعود إلى المبطل والمحق وذلك شامل للفرق المذكورة[١].

البلاغة:

﴿قال الذين لا يعلمون﴾: خصهم بالذكر دون غيرهم أي الذين لا يعلمون؛ لأن المراد توبيخهما حيث نظما أنفسهما ـ مع علمهما ـ في سلك من لا يعلم شيئًا أصلاً، وفي هذا ما لا يخفى من التوبيخ العظيم.

[١١٧] ﴿بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾.

اللغة والقراءة والإعراب:

﴿قضى﴾: أصل القضاء إتمام الشيء قولاً كقوله تعالى: ﴿وقضى ربك....﴾، أو فعلاً كقوله تعالى: ﴿فقضاهن سبع سموات﴾، وأطلق على تعلق الإرادة الإلهية بوجود الشيء من حيث إنه يوجبه فإنما يقول له كن فيكون أي أحدث فيحدث[٢].

﴿فيكون﴾: قرئ (فيكون) بالرفع والنصب، فمن قرأ بالرفع جعله عطفًا على قوله تعالى: ﴿يقول﴾، وقيل تقديره: فهو يكون، ومن قرأ بالنصب اعتبر لفظ الأمر، وجواب الأمر بالفاء منصوب، والنصب ضعيف؛ لأن ﴿كن﴾ ليس

(١) الفتوحات ١: ٩٦.

(٢) البيضاوي ٢٥.

بأمر في الحقيقة؛ لأنه لا يخلو إما أن يكون أمرًا لموجود، أو معدوم، فإن كان موجودًا، فالموجود لا يؤمر بكن وإن كان معدومًا فالمعدوم لا يخاطب، فثبت أنه ليس بأمر على الحقيقة، وإنما معنى كن فيكون أي يكوّنه فيكون فإنه لا فرق بين أن يقول: إذا قضى أمرًا فإنما يكوّنه فيكون، وبين أن يقول له كن فيكون فلهذا كانت هذه القراءة ضعيفة(١).

﴿بديع السموات﴾: بديع: خبر لمبتدأ محذوف وهو من باب إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، والأصل بديع سمواته.

﴿قضى أمرًا﴾: الجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها. ﴿كن﴾: فعل أمر من (كان) التامة بمعنى حدث. ﴿فيكون﴾: الفاء: استئنافية، ويكون: فعل مضارع تام مرفوع أي فهو يحدث، وجملة كن مقول القول.

عود الضمير:

﴿يقول له كن فيكون﴾: ضمير الغائب هنا يعود على غير مشاهد محسوس والأصل خلافه أي أن ضمير له عائد على الأمر وهو إذ ذاك غير موجود؛ لأنه لما كان سابقًا في علم الله كونه كان بمنزلة المشاهد الموجود(٢).

[١٢١] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون﴾.

الإعراب:

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ١: ١٢٠.

(٢) معترك الأقران ٣: ٥٧٥.

﴿الذين﴾: اسم موصول في موضع رفع بالابتداء، و﴿آتيناهم﴾: صلته، و﴿أولئك يؤمنون به﴾: خبره، و﴿يتلونه﴾: جملة فعلية في موضع نصب على الحال من المضمر المنصوب في ﴿آتيناهم﴾، ولا يجوز أن يكون ﴿يتلونه﴾: الخبر؛ لأنه يوجب أن يكون كل من أوتي الكتاب يتلوه حق تلاوته، وليس الأمر كذلك إلا أن يكون الذين أوتوا الكتاب الأنبياء عليهم السلام، وحق تلاوته منصوب على المصدر[1].

﴿ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون﴾: الواو: عاطفة، ومن: اسم شرط جازم مبتدأ، ﴿يكفر﴾: فعل الشرط، ﴿به﴾: جار ومجرور متعلقان بيكفر، ﴿فأولئك﴾: الفاء رابطة، واسم الإشارة مبتدأ ﴿هم﴾: مبتدأ ثان، ﴿الخاسرون﴾: خبر هم، والجملة الإسمية خبر أولئك، ويحتمل أن يكون (هم) ضمير فصل، أو عماد لا محل له.

مرجع الضمير:

﴿به﴾: الضمير يعود على ما يعود عليه، ﴿يتلونه﴾: وهو الكتاب، وقيل يعود على النبي ﷺ، وإن لم يتقدم له ذكر لكن دلت قوة الكلام عليه، وليس كذلك، بل تقدم ذكره في قوله: ﴿إنا أرسلناك بالحق﴾ لكن صار ذلك التفاتًا، وقيل يعود على الله تعالى، ويكون التفاتًا أيضًا، وقيل على الهدى[2].

[١٢٤] ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾.

---

(١) البيان ١: ١٢٢.

(٢) البحر ١: ٣٧٠.

اللغة والإعراب:

﴿إبراهيم﴾: معناه في السريانية أب رحيم. ﴿وإذ﴾: الواو: استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة للتأسي بما جرى للماضين مما يدل إلى التوحيد، ويزع عن الشرك وإذ: ظرف لما مضى من الزمان في محل نصب بفعل محذوف تقديره: اذكر.

﴿إبراهيم﴾: مفعول به مقدم واجب التقديم عند جمهور النحاة؛ لأنه متى اتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول، وجب تقديم المفعول لئلا يعود الضمير على متأخر لفظًا ورتبة (ربه) فاعل مؤخر عن المفعول، وجملة ابتلى في محل جر بإضافة الظرف إليها.

﴿قال﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، والجملة مفسرة لا محل لها، ﴿إني جاعلك﴾: إن واسمها، وخبرها، والكاف مفعول به أول، ﴿إماما﴾: مفعول به ثان، ﴿للناس﴾: جار ومجرور متعلقان بجاعلك، أو بمحذوف في محل نصب حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لإمامًا.

﴿ومن ذريتي﴾: عطف على الكاف أي وجاعل بعض ذريتي، ﴿عهدي﴾: فاعل مرفوع بضمة مقدرة، الظالمين: مفعول به.

مرجع الضمير:

﴿فأتمهن﴾: الفاعل في ﴿فأتمهن﴾ يعود على إبراهيم، أو يعود على الله تعالى وهو الظاهر؛ لأن المسند إليه الفعل قبله فالمناسب التطابق في الضمير، ويرى الألوسي أن الضمير المرفوع المستكن يحتمل أن يعود لإبراهيم، وأن يعود لربه على كل من قراءتي الرفع والنصب فهناك أربعة احتمالات:

الأول: عـوده على إبراهيم منصـوبًا، ومعنى أتمهن حـينئـذ أتى بهن على الوجه الأتم، وأداهن كما يليق.

الثاني: عـوده على ﴿ربه﴾ مرفـوعًا، والمعنى حينئذ يسـر له العمل بهن، وقواه على إتمامهن، أو أتم له أجـورهن، أو أدامهن سنة فيه، وفي عـقبه إلى يوم الدين.

الثالث: عـوده على إبراهيم مرفـوعًا، والمعنى عليه أتم إبراهيم الـكلمات المدعو بها بأن راعى شروط الإجابة فيها، ولم يأت بعدها بما يضيعها.

الرابع: عـوده إلى ربه منصوبًا، والمعنى عليـه فأعطى سـبحـانه (إبراهيم) جميع ما دعاه.

وأظهر الاحتمالات الأول والرابع إذ التمدح غير ظاهر في الثاني مع ما فيه من حذف المضـاف على أحد محـتملاته، والاسـتعمـال المألوف غير مـتبع في الثالث؛ لأن الفعل الواقع في مقابلة الاختبار، يجب أن يكون فعل المختبر اسم مفعول[1].

البلاغة:

في الآية الكريمة: إيجاز وإعجاز، وجـمال في السبك وحلاوة في اللفظ؛ نلمح ذلك في قـوله تعالى: ﴿إني جاعلك للناس إمـاما﴾ فهو وعد باستخلافه على الناس، والطلب في قـوله: ﴿ومن ذريتي﴾ والوعيد في قوله: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ فالظالمون من ذريتك لا يـنالهم استخـلافي، يضاف إلى ذلك روعة المحـاورة، والمراجعة في القول، وحـسن الأسلوب وهذا طريق من طرق

(١) روح المعاني ١: ٣٧٥.

الإعجاز القرآني الذي تحدى العرب فلم يجرؤ أحدهم على قبول التحدي بل اعترفوا صاغرين ببلاغته وإعجازه.

[١٢٩] ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

اللغة والإعراب:

(زكا): زكاه الله تعالى وأزكاه، والرجل صلح وتنعم فهو زكي من أزكياء، والزكاة: صفوة الشيء، وما أخرجته من مالك لتطهره به، والزكا: مقصوراً: الشفع من العدد، **﴿ويزكيهم﴾**: أي يطهرهم ويصفي نفوسهم من الآثام.

﴿يتلو عليهم﴾: في محل نصب صفة ثانية لرسولاً، أو هو في محل نصب على الحال من رسولاً؛ لأنه لما وصف تخصص.

﴿الكتاب﴾: مفعولاً به ثانيًا، والضمير: مفعول أول.

مرجع الضمير:

﴿وابعث فيهم﴾: أي في الأمة المسلمة، وقيل في الذرية بمعنى الأمة، إذ لو عاد على لفظها لقال فيها.

وقيل يعود على أهل بيت إبراهيم وهم ذريته وعبر عنهم المفسرون أولاً بالذرية، وثانيًا بأهل البيت والمراد منهما واحد، وهم ذرية إبراهيم وإسماعيل معًا ولم يأت من ذريتهما معًا نبي إلا محمد ﷺ، وأما جملة الأنبياء بعد إبراهيم فمن ذريته هو وإسحاق.

[١٣٢] ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

الصرف والإعراب:

﴿تموتن﴾: أصله تموتونَنَّ توالت ثلاث نونات؛ النون الأولى علامة الرفع والثانية والثالثة نون التوكيد الثقيلة، فاجتمعت ثلاثة أمثال فحذفت نون الرفع للجزم فنون التوكيد الثقيلة جئ بها للتوكيد فلا تحذف، فالتقى ساكنان الواو والنون الأولى المدغمة فحذفت الواو لالتقاء الساكنين وبقيت الضمة تدل عليها، وإذا لم يسبق بناصب أو جازم يكون مرفوعًا بالنون المحذوفة لتوالي الأمثال نحو قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ في أموالكم وأنفسكم﴾.

﴿إبراهيم بنيه﴾: إبراهيم: فاعل مرفوع، بنيه: مفعول به منصوب بالياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم.

﴿يا بني﴾: منادى مضاف على إضمار القول أي قائلين فالجملة حالية، ﴿فلا تموتن﴾: الفاء للفصيحة، ولا: ناهية، وتموتن: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والنون المشددة للتوكيد، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل والأصل تموتونَنَّ، ﴿وأنتم مسلمون﴾: الواو حالية، أنتم: ضمير منفصل مبتدأ، مسلمون: خبر، والجملة في محل نصب حال.

مرجع الضمير:

﴿بها﴾: الضمير في بها إما أن يعود إلى الملة في قوله تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ فالملة مصرح بها، وعود الضمير إلى المصرح به أولى من عوده إلى المدلول والمفهوم هذه واحدة، والثانية: أن الملة أجمع من تلك الكلمة، ومعلوم أنه ما وصى ولده إلا بما يجمع فيهم الفلاح والفوز بالآخرة

والشهادة وحدها لا تقتضي ذلك[1].

وهذا الوجه أولى لما تقدم، وقيل الضمير عائد إلى قوله: ﴿أسلمت لرب العالمين﴾ على تأويل الكلمة بالجملة.

وخلاصة القول أن الضمير إما أن يعود للملة أو على تأويل الكلمة بالجملة.

البلاغة:

﴿فلا تموتن﴾: فالموت ليس بمنهي عنه، ولا مأمور به؛ لأنه من الأمور التي لا تدخل في الإرادة الإنسانية، ولكن النهي لإظهار أن الموت على خلاف الإسلام موت لا خير فيه، وكذلك الأمر بالموت يعني أن يموت الميتة التي تورثه الخلود أي خلود الذكر في الدنيا والجنة في الآخرة نحو قوله:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم   بين طعن القنا وخفق البنود

{١٣٦} ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم﴾.

اللغة والإعراب:

﴿الأسباط﴾: أولاد يعقوب قيل المراد لصلبه، وحينئذ فتسميتهم أسباطًا بالنظر لكونهم أولاد أولاد إسحاق وإبراهيم، وقيل المراد أولاد أولاده، وتسميتهم أولادًا ظاهرة.

(١) التفسير الكبير ٤: ٧٢.

والأسباط في بني إسرائيل كـالقبائل في العرب من بني إسماعـيل فأسباط بني إسرائيل هم قبائلهم.

وهذا كله بالنظر إلى أصل اللـغة في إطلاق السـبط على ولد الولد مطلقًا وإلا فالعرف الطارئ خصص السبط بولد البنت، والحفيد بولد الإبن.

﴿قولوا﴾: فعل أمـر مبني على حـذف النون؛ لأن مضـارعه من الأفـعال الخمسة والواو فاعل، وجملة ﴿آمنا﴾: في محل نصب مقول القول.

﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾: الجملة الفعلية حالية، و﴿منهم﴾ صفة لأحد.

مرجع الضمير:

﴿من ربهم﴾: (من) لابتداء الغاية وتتـعلق بأوتي الثانية إن أعدنا الضـمير على النبيين فـقط دون موسى وعيسى، أو بأوتي الأولى وتكون الثـانية تكرارًا لسقوطها في آل عمران إن أعدنا الضمير على موسى وعيسى والنبيين.

البلاغة:

﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾: وقوع النكرة بعد النفي يفيد العموم حيث ينزل المفرد منها بمنزلة الجمع في تناوله الآحاد، ولذلك صح دخول (بين) عليه وهي لا تكون إلا بين شيئين.

[١٣٩] ﴿قل أتحاجـوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعـمالنا ولكم أعـمالكم ونحن له مخلصون﴾.

الإعراب:

﴿أتحاجوننا﴾: الهمزة للإنكار كـما قال أبو البقاء، والجـمل الثلاث أحوال

من الواو في أتحاجوننا وهي: ﴿وهو ربنا وربكم﴾ ﴿ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ ﴿ونحن له مخلصون﴾.

مرجع الضمير:

الضمير في قل يحتمل أن يكون للنبي ﷺ، أو لكل من يصلح للخطاب، والضمير المرفوع في أتحاجوننا لليهود والنصارى، أو لمشركي العرب[1].

[١٤٣] ﴿وكذلك جعلناكم أمة... وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾.

الإعراب:

إن: مخففة من الثقيلة، واللام في ﴿لكبيرة﴾: اللام للتأكيد وهي التي تأتي بعد إن المخففة من الثقيلة ليفرق بينها وبين إن التي بمعنى (ما) في نحو قوله تعالى: ﴿إن هم إلا كالأنعام﴾[2].

وذهب الكوفيون إلى أن (إن) بمعنى (ما) واللام بمعنى إلا كقوله تعالى: ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾[3]، أي ما الكافرون إلا في غرور، وكبيرة خبر كان.

مرجع الضمير:

(١) الفتوحات ١: ١١٢.

(٢) الفرقان ٤٤.

(٣) الملك ٢٠.

﴿وإن كانت لكبيرة﴾: الضمير في اسم كان فيه وجوه:

الأول: أن يراد به التولية، أي وإن كانت التولية. من بيت المقدس إلى الكعبة لكبيرة فالتأنيث للتولية؛ لأنه قال: **﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾** ثم قال: عطفًا على هذا: **﴿وإن كانت لكبيرة﴾**: أي وإن كانت التولية، والآيات تدل على ذلك ولعله أقرب الوجوه؛ لأن الامتحان والابتلاء حصل بسبب تحويل القبلة.

الثاني: أو يراد به القبلة؛ لأنه لابد من مذكور سابق وما ذاك إلا القبلة في قوله: **﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾**.

الثالث: أو يراد به الفعلة، أو التحويلة، أو الرِّدة أو الصيرورة فيحتمل أن يكون المعنى، وإن كانت هذه الفعلة نظير قوله: «فبها ونعمت» من حديث: «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل» أي فبالرخصة أخذ، ونعمت الرخصة الوضوء، واعتبار التأنيث للدلالة على أن الرد والتحويل بوقوعه مرة واحدة، واختصاصه بالنبي ﷺ كانت ثقيلة عليهم حيث لم يعهدوه سابقًا.

الرابع: أن يراد بها الصلاة أي وإن كانت الصلاة لكبيرة إلا على الذين هدى الله، أي هداهم الله، فحذف ضمير المفعول العائد من الصلة إلى الموصول كقوله تعالى: **﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾** أي بعثه الله، وإنما حذف ضمير المفعول العائد إلى الاسم الموصول تخفيفًا؛ لأن الاسم الموصول وصلته المركبة من الفعل والفاعل بمنزلة كلمة واحدة، فلما طال الكلام حسن الحذف؛ لأن طول الكلام يناسب الحذف، وكان حذف العائد أولى من

الموصول والصلة والفعل والفاعل؛ لأن هذه الأشياء كلها لازمة في الجملة، والعائد ضمير المفعول، والمفعول فضلة في الجملة.

[١٤٤] ﴿..... فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾.

اللغة والإعراب:

للشطر في كلام العرب وجهان: فأحدهما النصف، ومن ذلك قولهم: شاطرتك مالي، والوجه الآخر: القصد، يقال: خذ شطر زيد أي قصده وهو المراد هنا، ومنه قولهم: حلبت الدهر أشطره أي مر بي خيره وشره، ومنه قولهم: الشاطر وهو من أعيا أهله خبثًا.

﴿شطره﴾: ظرف مكان متعلق بولوا، وجملة فولوا وجوهكم في محل جزم جواب الشرط، **﴿وإن الذين﴾**: الواو: استئنافية، وإن واسمها.

﴿أوتوا الكتاب﴾: الجملة لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول، والكتاب مفعول ثان لأوتوا، والأول هو النائب للفاعل وهو الواو.

﴿ليعلمون﴾: اللام هي المزحلقة، وجملة يعلمون خبر إن. **﴿أنه الحق﴾**: يحتمل أن تكون أن واسمها وخبرها سادة مسد المفعولين ليعلمون عند الجمهور، ومسد أحدهما عند الأخفش، والثاني محذوف على أنه يتعدى لاثنين وأن تكون سادة مسد مفعول واحد على أنها بمعنى العرفان.

مرجع الضمير:

- الضمير في **﴿أنه﴾** يعود على التحويل إلى الكعبة أي التوجه إلى المسجد

الحرام فالتكليف خاص بالقبلة، وأنهم يعلمون أنه الحق وهذا الاحتمال أقرب ورجحه الفخر الرازي[1].

ـ أو يعود على محمد ﷺ، وهنا يوجد التفات من خطابه بقوله: ﴿فلنولينك﴾ إلى الغيبة في ﴿أنه﴾، والمراد أن القوم يعلمون أن الرسول ﷺ مع شرعه ونبوته حق، فيشتمل ذلك على أمر القبلة وغيرها، فكانوا يعلمون أن الكعبة هي البيت العتيق الذي جعله الله تعالى قبلة لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وأنهم كانوا يعلمون بنبوة محمد ﷺ لما ظهر عليه من المعجزات ومتى علموا بنبوته فقد علموا لا محالة أن كل ما أتى به فهو حق.

البلاغة:

في الآية التفات على الرأي الذي يقول إن الضمير يعود إلى النبي ﷺ من خطابه بقوله: ﴿فلنولينك﴾ إلى الغيبة.

[١٤٦] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾.

الإعراب:

﴿الذين﴾: اسم موصول مبتدأ ﴿الكتاب﴾: مفعول به ثان لآتيناهم، والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب صلة الموصول، ﴿يعرفونه﴾: فعل مضارع وفاعله ومفعوله، وجملة يعرفونه خبر الذين.

﴿كما﴾: الكاف في محل نصب إما على كونها نعتًا لمصدر محذوف أي

(١) التفسير الكبير ٤: ١٢٣.

معرفة كائنة مثل معرفتهم أبناءهم، أو في موضع نصب على الحال من ضمير ذلك المصدر المعرفة المحذوف، والتقدير: يعرفونه المعرفة مماثلة لعرفانهم أبناءهم وهذا مذهب سيبويه. (ما) مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر أي كمعرفتهم أبناءهم، والمشبه أقوى من المشبه به[1].

﴿يعرفون﴾: الجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول الحرفي وهو (ما) المصدرية، ﴿أبناءهم﴾: مفعول به.

﴿وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾: الواو: حالية، وإن واسمها، والجملة في محل نصب حال ويجوز أن تكون الجملة استئنافية، وجعل الواو: استئنافية فتكون الجملة مستأنفة لتقرير حالتهم.

﴿منهم﴾: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفريقًا. ﴿ليكتمون﴾: اللام هي المزحلقة، ويكتمون: فعل وفاعل، ﴿الحق﴾: مفعول به والجملة في محل رفع خبر إن، ﴿وهم﴾: الواو: حالية، هم: مبتدأ، ﴿يعلمون﴾: الجملة الفعلية خبرهم، والجملة بعد الواو في محل نصب حال.

مرجع الضمير:

١ـ ﴿يعرفونه﴾: الضمير يعود إلى رسول الله ﷺ أي معرفة جلية، وجاز الإضمار وإن لم يجر له ذكر؛ لأن الكلام يدل عليه، ولا يلتبس على السامع، بالإضافة إلى ما فيه من التفخيم، والالتفات إلى الغيبة للإيذان بأن معرفتهم له عليه السلام لا من حيث ذاته، أو نسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطوراً في الكتاب، منعوتًا فيه بالنعوت التي من جملتها أنه عليه الصلاة

(١) حاشية الصاوي ١: ٦٧.

والسلام يصلي إلى القبلتين كأنه قيل: الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه، وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم، وقيل هو إضمار قبل الذكر للإشعار بفخامة شأنه عليه الصلاة والسلام أنه علم معلوم بغير إعلام بأوصافه الشريفة المكنونة في كتابهم.

٢ـ وقيل يعود الضمير إلى أمر القبلة أي أن علماء أهل الكتاب يعرفون أمر القبلة التي نقلت إليها كما يعرفون أبناءهم وهو قول ابن عباس وقتادة والربيع وابن زيد.

٣ـ وقيل يعود إلى العلم، أو سببه الذي هو الوحي أو القرآن الكريم ورجح الفخر الرازي[١] عوده إلى النبوة لما يلي:

أولها: أن الضمير إنما يرجع إلى مذكور سابق، وأقرب المذكورات العلم في قوله: ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾، والمراد من ذلك النبوة، فكأنه تعالى قال: إنهم يعرفون ذلك العلم كما يعرفون أبناءهم، وأما أمر القبلة فما تقدم ذكره البتة.

وثانيها: أن الله تعالى، ما أخبر في القرآن أن أمر تحويل القبلة مذكور في التوراة والإنجيل، وأخبر فيه أن نبوة محمد ﷺ مذكورة في التوراة والإنجيل، فكان صرف هذه المعرفة إلى أمر النبوة أولى.

وثالثها: أن المعجزات لا تدل أول دلالتها إلا على صدق محمد عليه الصلاة والسلام، فأما أمر القبلة فثابت، لأنه أحد ما جاء به محمد ﷺ،

(١) التفسير الكبير ١. ١٣٠.

فكان صرف هذه المعرفة إلى أمر النبوة أولى[1].

البلاغة:

في الآية الكريمة جمال بلاغي يوحي بمدى عظمة القرآن الكريم وبلاغته:

﴿كما يعرفون أبناءهم﴾: تشبيه مرسل مفصل فمرسل لذكر الأداة، ومفصل لذكر الوجه أي يعرفون محمداً معرفة واضحة كمعرفة أبنائهم الذين من أصلابهم.

والالتفات إلى الغيبة للإيذان بأن معرفتهم له عليه الصلاة والسلام، لا من حيث ذاته بل من حيث كونه مسطوراً عندهم في الكتاب، ولا يشتبه عليهم كما لا يشتبه عليهم أبناؤهم، وتخصيصهم بالذكر دون البنات لكونهم أعرف عندهم منهن بسبب كونهم أحب إليهم.

[١٤٨] ﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعًا إن الله على كل شيء قدير﴾.

اللغة والإعراب:

﴿وجهة﴾: الوجهة جاءت على خلاف القياس؛ لأن القياس أن يقال (جهة) كما يقال في وعد: عدة، وفي وصل: صلة، بحذف الواو إلا أنهم استعملوها استعمال الأسماء على خلاف القياس، ويجوز أن تكون الوجهة اسمًا للمتوجه إليه فلا يكون شاذًا على خلاف القياس.

---

(١) روي عن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبدالله بن سلام عن رسول الله ﷺ فقال: أنا أعلم به مني بابني قال: ولم؟ قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي، وأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه.

والمعنى: ولكل أهل دين من الأديان المختلفة قبلة وجهة، وكل يفرح بما هو عليه ولا يفارقه، فلا سبيل إلى إجتماعكم على قبلة واحدة، فلهم أعمالهم، ولكم أعمالكم، فاستبقوا أنتم الخيرات الدنيوية وهي الشرف والفخر بقبلة إبراهيم، والأخروية وهي الثواب الجزيل المعد للمطيعين[1]، ﴿وجهة﴾: مبتدأ مؤخر، ﴿ولكل﴾: خبره.

﴿هو موليها﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في موضع رفع صفة لوجهة ﴿فاستبقوا﴾: الفاء هي الفصيحة أي إذا أردتم معرفة الأصوب فاستبقوا، واستبقوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، ﴿الخيرات﴾: منصوب بنزع الخافض؛ لأن استبق لازم أي إلى الخيرات، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط مقدر. ﴿أينما﴾: اسم شرط جازم منصوب على الظرفية المكانية، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم لتكونوا.

﴿يأت﴾: جواب الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة. ﴿جميعًا﴾: حال، ﴿قدير﴾: خبر إن، والجملة تعليلية لا محل لها من الإعراب.

مرجع الضمير:

يعود في ﴿هو موليها﴾ أي يعود إلى كل، والتقدير:

لكل إنسان وجهة موليها وجهه، أي لكل منكم وجهة أي جهة من القبلة هو موليها أي هو مستقبلها، ومتوجه إليها لصلاته التي هو متقرب بها إلى ربه.

ـ وقيل يعود الضمير (هو) إلى الله تعالى أي الله موليها إياهم، والمفعول الثاني محذوف على كلا الوجهين وفي عوده على الله تعالى وجهان:

---

(١) غرائب القرآن ٢: ٢٥.

الأول: أن الله تعالى عرفنا أن كل واحدة من هاتين القبلتين هما بيت المقدس والكعبة جهة يوليها الله تعالى عباده إذا شاء يفعله على حسب ما يعلمه صلاحًا، فالجهتان من الله تعالى، وهو الذي ولى وجوه عباده إليهما فاستبقوا الخيرات بالانقياد لأمر الله في الحالتين، فإن انقيادكم خيرات لكم، ولا تلتفتوا إلى مطاعن هؤلاء الذين يقولون: ﴿ما ولاهم عن قبلتهم﴾ فإن الله يجمعكم وهؤلاء السفهاء جميعًا في عرصة القيامة فيفصل بينكم.

الثاني: أن تفسير ﴿ولكل وجهة﴾ بجهات الكعبة ونواحيها كان المعنى ولكل قوم منكم معاشر المسلمين وجهة أي ناحية من الكعبة، ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ بالتوجه إليها من جميع النواحي فإنها وإن اختلفت بعد أن تؤدي إلى الكعبة فهي كجهة واحدة، ولا يخفى على الله نياتهم فهو يحشرهم جميعًا، ويثيبهم على أعمالهم.

[١٤٩] ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك﴾.

الإعراب:

﴿ومن حيث﴾: الواو: استئنافية، والجار والمجرور متعلقان بولِّ محذوف دل عليه المذكور أي ولّ وجهك من حيث خرجت ولا يجوز أن يعمل، ﴿فول﴾: فيه؛ لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها، ﴿شطر﴾: ظرف مكان متعلق بِولِّ، والمسجد: مضاف إليه، والحرام: صفة، وليست (حيث) شرطية لعدم اقترانها (بما).

﴿وإنه للحق من ربك﴾: الواو: عاطفة أو حالية، وإن واسمها،

﴿للحق﴾: هي المزحلقة، والحق: خبر إن، ﴿من ربك﴾: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال.

مرجع الضمير:

﴿وإنه﴾: أي الاستقبال أو الصرف أو التولية، والتذكير باعتبار أنها أمر من الأمور، أو لتذكير الخبر، أو لعدم الاعتداد بتأنيث المصدر، أو بذي التاء الذي لا معنى للمجرد عنه سواء كان مصدرًا أو غيره.

[١٦١، ١٦٢] ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها﴾.

القراءة والإعراب:

﴿وهم كفار﴾: الواو: للحال، هم: مبتدأ، كفار: خبر، والجملة حالية، ﴿أولئك﴾: مبتدأ، ﴿لعنة الله﴾: في رفعه وجهان.

أحدهما: أن يكون مرفوعًا بالظرف على كلا المذهبين.

الثاني: أن يكون ﴿لعنة الله﴾ مبتدأ ثان، وعليهم: خبره مقدم عليه، والمبتدأ الثاني وخبره في موضع رفع؛ لأنه خبر للمبتدأ الأول، والمبتدأ الأول وخبره خبر إن.

وقرئ: ﴿لعنة الله والملائكة والناس أجمعون﴾ برفع الملائكة والناس بالعطف على موضع اسم الله تعالى، وهو في موضع رفع؛ لأن تقديره: أولئك يلعنهم الله كقولك: يعجبني قيام زيد وعمرو وبشر ترفع عمرًا وبشرًا بالعطف على موضع زيد، وموضعه رفع؛ لأن التقدير: يعجبني أن يقوم زيد، والحمل على الموضع في العطف والوصف كثير في كلامهم.

﴿خالدين﴾: منصوب على الحال من المضمر.

مرجع الضمير:

﴿فيها﴾: الضمير يعود على اللعنة أي خالدين في اللعنة، وهو يؤكد ما يفيده اسمية الجملة من الثبات.

ـ ويجوز رجوعه إلى النار، والإضمار قبل الذكر يدل على حضورها إلى الذهن المشعر بالاعتناء المفضي إلى التفخيم والتهويل، وقيل: إن اللعن يدل عليها إذ استقرار الطرد عن الرحمة يستلزم الخلود في النار خارجًا وذهنًا، والموت على الكفر وإن استلزم ذلك خارجًا لكنه لا يستلزمه ذهنًا فلا يدل عليه.

﴿خالدين﴾: على كلا التقديرين في المرجع حال مقارن لاستقرار اللعنة لا كما قيل إنه على الثاني حال مقدرة[(١)].

[١٦٥] ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبًا لله﴾.

﴿من﴾: لمن يعقل، وتصلح للواحد والجمع، ولقد وحد الضمير العائد عليه في ﴿يتخذ﴾: حملاً على لفظه، وجمعه في يحبونهم حملاً على معناه.

وجملة ﴿يحبونهم﴾: في هذه الآية ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون في محل رفع صفة لمن في أحد وجهيها[(٢)]، والضمير

(١) روح المعاني ٢: ٢٩.

(٢) وعلى هذا الوجه أي الرفع تكون من نكرة موصوفة كقول الشاعر:

فكفى بنا فضلاً على مَنْ غيرنا ... حب النبي محمد إيانا

المرفوع يعود عليها باعتبار المعنى، بعد اعتبار اللفظ في يتخذ.

والثاني: أن تكون في محل نصب صفة لأندادًا، والضمير المنصوب يعود عليهم، والمراد بهم الأصنام، وإنما جمعوا جمع العقلاء لمعاملتهم معاملة العقلاء، أو يكون المراد بهم من عبد من دون الله عقلاء وغيرهم ثم غلب العقلاء على غيرهم.

الثالث: أن تكون في محل نصب على الحال من الضمير في يتخذ والضمير المرفوع عائد على ما عاد عليه الضمير في يتخذ، وجمع حملاً على المعنى.

﴿كحب الله﴾: الكاف في ﴿كحب الله﴾ في موضع نصب وصف لمصدر محذوف أي حبًا مثل حبكم الله.

[١٧٠] ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون﴾.

الإعراب:

﴿وإذا قيل لهم اتبعوا﴾: الواو: استئنافية، وإذا: ظرف لما يستقبل من الزمان متعلق بقالوا. ﴿قيل﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر تقديره هو، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان رسوخهم في الغي، وإمعانهم في الضلال، ﴿لهم﴾: الجار والمجرور متعلقان بقيل. ﴿اتبعوا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والجملة الفعلية مقول القول (ما) اسم

موصول مبنـي في محل نصب مفعول به، والجملة بعـده صلة لا محل لها من الإعراب.

﴿قالوا﴾: فعل وفاعل والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم.

﴿بل﴾: حرف إضراب وعطف، وكل إضراب في القرآن الكريم يراد به الانتقال من قصة إلى قصة إلا في هذه الآية[1].

﴿نتبع﴾: فعل مضـارع وفاعله نحن، والجملة معطوفة على جـملة مقدرة أي لا نتبع ما أنزل الله بل نتبع .....

﴿ألفى﴾: بمعنى وجد، فإن كانت وجد بمعنى أصـاب نصبت مفعولاً واحداً وهو ﴿آباءنا﴾ وعليه مـتعلق بألفينا، وإن كـانت بمعنى علم نصبت مفـعولين، ﴿عليه﴾: جـار ومجـرور في موضـع نصب المفعـول الثـاني وآباءنا: المفعـول الأول[2].

﴿أولَوْ﴾: الهمزة للاستفـهام ومعناه التوبيخ، والواو: واو العطف وجواب (لو) محذوف تقـديره أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شـيئًا ولا يهتدون يتـبعونهم على ضلالتهم فحذف (يتبعونهم) للعلم به[3].

﴿كـان آباؤهم﴾: كان واسـمها (لا) نافـية، ﴿يعقلون﴾: فعل مضارع، وفاعله، والجملة خـبر كان، ﴿شيئًا﴾: مفـعول به، أو مفـعول مطلق، ﴿ولا يهتدون﴾: الجملة معطوفة على جملة لا يعقلون.

---

(١) حاشية الصاوي ١: ٧٦.

(٢) البيان ١: ١٣٦.

(٣) روح المعاني ٢: ٤٠.

مرجع الضمير:

﴿لهم﴾: أي للمتخذين من دون الله أندادًا، أو للناس وقيل الضمير لليهود، وإن لم يذكروا بناء على ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن الآية نزلت فيهم لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، أو يعود إلى المفهوم من إن الذين يكتمون، والضمير يعود إلى المفهوم كما يعود إلى المذكور.

البلاغة:

في الآية الكريمة التفات إلى الغيبة من الخطاب في الآية السابقة للنداء على ضلالتهم كأنه يقول للعقلاء: انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون؟.

[١٧٤] ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾.

الإعراب:

﴿إن الذين﴾: إن واسمها، والجملة مستأنفة مسوقة لسرد قصة رؤساء اليهود وأحبارهم الذين كانوا يصيبون الهدايا من عامتهم، وكانوا يمنون أنفسهم بأن النبي المنتظر الموصوف عندهم في التوراة منهم؛ لأن مجيئه من غيرهم سيؤدي إلى زوال رئاستهم، فعمدوا إلى كتمان أمره ﷺ.

﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾

﴿أولئك﴾: اسم إشارة مبتدأ، ﴿ما﴾: نافية، ﴿يأكلون﴾: فعل مضارع مرفوع والجملة خبر اسم الإشارة.

﴿في بطونهم﴾: جار ومجرور في موضع الحال، وتقديره: ما يأكلون إلا النار ثابتة في بطونهم كقوله تعالى في موضع آخر: ﴿إنما يأكلون في بطونهم نارًا﴾، وتقديره يأكلون نارًا كائنة في بطونهم، ففي بطونهم صفة لنار في الأصل إلا أنه لما قدم عليها انتصب على الحال؛ لأن صفة النكرة إذا تقدمت عليها انتصبت على الحال كقوله:

والصالحات عليها مغلقًا باب

أي باب مغلق فلما قدمت صفة النكرة عليها انتصبت على الحال فكذلك ها هنا، ﴿إلا النار﴾: استثناء مفرغ.

﴿ولا يكلمهم الله﴾: الواو عاطفة، والجملة معطوفة على جملة ما يأكلون، ﴿يوم القيامة﴾: الظرف متعلق بيكلمهم.

﴿ولهم عذاب أليم﴾: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عذاب﴾: مبتدأ مؤخر، أليم: صفة.

مرجع الضمير:

﴿به﴾: الضمير عائد على المصدر المفهوم من ﴿يكتمون﴾: أي الكتمان، أو يعود إلى ما أنزل الله، أو الكتاب، أو اسم الموصول (ما).

البلاغة:

﴿ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾: مجاز مرسل باعتبار ما يؤول إليه أي إنما يأكلون المال الحرام الذي يفضي بهم إلى النار، وقوله: ﴿في بطونهم﴾ زيادة تشنيع وتقبيح لحالهم، وتصويرهم بمن يتناول حجارة جهنم.

وقوله: ﴿إلا النار﴾ هذا الاستثناء المفرغ فيه من مجاز الكلام حيث جعل ما هو سبب للنار ناراً. كقولهم: أكل فلان الدم يريدون الدية التي هي سبب الدم.

{١٧٧} ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه .....﴾.

اللغة والإعراب:

المال: أصله مَوَلٌ كقولهم في تصغيره مويل، وفي تكثيره أموال وقولهم تمولت، فتحركت الواو، وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا قرئ البر بالرفع والنصب، فالرفع على أنه اسم، (ليس) (وأن تولوا) خبرها أي ليس البر توليتكم، والنصب على أن يكون البر خبر ليس (وأن تولوا) اسمها، ورجحه بعض النحويين؛ لأن (أن) المصدرية مع صلتها أعرف من البر؛ لأنها لا توصف كما لا يوصف المضمر، والمضمر أعرف المعارف، فلما أشبهت أعرف المعارف كان جعلها الاسم أولى، ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾: قرئ بكسر الباء وفتحها فمن قرأ بكسر الباء كان في تقديره وجهان:

أحدهما: أن يكون التقدير: ولكن البر من آمن بالله فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

والثاني: أن يكون التقدير: ولكن ذا البر من آمن بالله، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، ومن قرأ بفتح الباء من (البَرّ) أراد به البار كأنه قال: ولكن البار من آمن أي المؤمن، ووزن (ليس) ليس على وزن فعل بكسر العين، ولولا إلزام ياء ليس السكون حتى صارت في حكم ياء ليت لوجب في

حكم التصريف قلبها ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، فيكون اللفظ بها لاس كما نقول: هاب من الهيبة.

﴿قبل﴾: ظرف مكان متعلق بتولوا، المشرق: مضاف إليه. **﴿من آمن﴾**: من: إسم موصول خبر لكن، ولا بد من تأويل حذف المضاف، أي بر من آمن، ويمكن أن يقال: لا حذف وإنما جعل البر نفس من آمن للمبالغة وجملة آمن صلة لا محل لها، **﴿على حبه﴾**: الجار والمجرور في موضع نصب على الحال، والمصدر مضاف إلى مفعوله أي مع حبه. **﴿ذوي القربى﴾**: مفعول آتى، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع ذي بمعنى صاحب، والقربى: مضاف إليه.

مرجع الضمير:

﴿على حبه﴾: الهاء فيها أوجه:

أحدها: أنها تعود على المال، فالمصدر مضاف إلى المفعول وذلك لقول الرسول ﷺ حين سئل أي الصدقة أفضل؟ قال: «أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح....» فالصدقة حال الصحة أفضل منها عند القرب من الموت؛ لأنه يحصل ظن الحاجة إلى المال، وبذل الشيء عند الاحتياج إليه أدل على الطاعة من بذله عند الاستغناء عنه قال تعالى: **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾**، وقوله: **﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾** أي على حب الطعام، وعن أبي الدرداء أنه ﷺ قال: «مثل الذي تصدق عند الموت مثل الذي يهدي بعد ما شبع».

الثاني: أنها تعود على (من) فيكون المصدر مضافًا إلى الفاعل والمفعول محذوف وتقديره: على حبه المال.

الثالث: أنه يعود على الإيتاء وتقديره: وآتى المال على حب الإيتاء.

الرابع: أن يعود على الله تعالى أي على حب الله وابتغاء مرضاته وجاز أن يعود على هذه الأشياء لتقدم ذكرها، والوجه الأول أوجه الأوجه؛ لأن المضمر فيه أقرب إلى المضمر من سائرها.

البلاغة:

﴿**ولكن البر من آمن**﴾: فيه مبالغة حيث جعل البر نفس من آمن وكذلك الإيجاز بحذف المضاف والتقدير: ولكن ذا البر من آمن.

[١٨١] ﴿فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم﴾.

الإعراب:

﴿**فمن**﴾: الفاء: استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لذكر حكم يتعلق بالأوصياء والشهود (من) اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ﴿**بدله**﴾: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط.

﴿**بعد ما سمعه**﴾: بعد: ظرف زمان، وما: مصدرية منسبكة مع الفعل بعدها بمصدر مضاف إليه أي بعد سماعه إياه، وتحققه منه، والضمير يعود على الحكم. ﴿**فإنما**﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، وإنما كافة ومكفوفة، ﴿**إثمه**﴾: مبتدأ.

﴿**على الذين يبدلونه**﴾: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر، وجملة يبدلونه لا محل لها ؛ لأنها صلة الموصول، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر (من).

﴿إن الله سميع﴾: إن واسمها وخبرها، والجملة مستأنفة مسوقة لوعيد المبدِّل بكسر الدال.

مرجع الضمير:

﴿بدله﴾: الهاء عائد على الوصية وهي مؤنثة والضمير مذكر ويمكن الإجابة على ذلك بما يأتي:

أولاً: أن الوصية بمعنى الإيصاء، ودالة عليه كقوله تعالى: ﴿فمن جاءه موعظة﴾ أي وعظ، والتقدير: فمن بدل ما قاله الميت، أو ما أوصى به، أو سمعه عنه.

ثانيًا: الهاء راجعة إلى الحكم والفرض الذي أمر به الله وفرضه.

ثالثًا: أن الضمير عائد إلى ما أوصى به الميت فلذلك ذكره وإن كانت الوصية مؤنثة.

رابعًا: أن الضمير يعود إلى معنى الوصية وهو قول أو فعل.

خامسًا: أن تأنيث الوصية ليس بالحقيقي فيجوز أن يكنى عنها بكناية المذكر[١].

وقيل يعود الضمير على الكتْب؛ لأن كتب تدل عليه، والكتب مذكر وقيل يعود على الحق المعروف، وكذلك الهاء في ﴿سمعه﴾، ﴿يبدلونه﴾ تعود على الإيصاء، والحمل على المعنى كثير في كلامهم، أو تعود على الكتب والضمير في ﴿إثمه﴾: يعود على الإيصاء، أو على المصدر المفهوم من ﴿بدله﴾ أي التبديل.

(١) التفسير الكبير ٥: ٦٤ بتصرف.

و(ما) في قوله: ﴿بعد ما سمعه﴾: يجوز أن تكون مصدرية أي بعد سماعه وأن تكون موصولة بمعنى الذي، فالهاء في سمعه على الأول تعود على ما عاد عليه الهاء في بدله، وعلى الثاني تعود على الموصول أي بعد الذي سمعه من أوامر الله تعالى.

[١٨٤] ﴿فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرًا فهو خير له وأن تصوموا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون﴾.

اللغة والإعراب:

أيام: أصله أيوام إلا أنه لما اجتمعت الياء والواو، والساكن منهما سابق قلبت الواو ياء وشددت الياء، والطعام بمعنى الإطعام كما جاء العطاء بمعنى الإعطاء.

﴿فعدة﴾: مبتدأ، وخبره مقدر، وتقديره فعليه عدة من أيام أخر، ومن أيام في موضع رفع، لأنه صفة (عدة).

﴿فدية﴾: مبتدأ، وعلى الذين يطيقونه خبر مقدم عليه، وطعام مسكين بدل من فدية على قراءة من قرأها بالتنوين، ومن قرأها بغير تنوين أضافها إلى طعام.

مرجع الضمير:

﴿فهو﴾: يعود على المصدر المفهوم من الفعل أي التطوع نحو: **﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾**، وقيل يعود على الخير أي **﴿فهو خير له﴾**: أي الخير الذي تطوعه، وجعل بعضهم الخير الأول مصدر - خرت يا رجل وأنت خائر - أي

حسن، والخير الثاني اسم تفضيل، وإرجاع الضمير إلى (من) أي فالمتطوع خير من غيره لأجل التطوع لا يخفى بعده[1].

{١٨٩} ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها﴾.

القراءة والإعراب:

﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾: يقرأ وما شاكله من الجموع بالضم والكسر فالحجة لمن ضم، أنه أتى بالكلام على أصل ما وجب للجمع؛ لأن هذا الوزن ينقسم في الكلام إلى قسمين جمعًا كقولك: فلوس ومصدراً كقولك: قعد قعوداً، والحجة لمن كسر: أنه لما كان ثاني الكلمة ياء كرهوا الخروج من ضم إلى ياء فكسروا أول الاسم لِمجَاوَرَة الياء، ولم يجمعوا بين ضمتين إحداهما على الياء.

﴿وليس البر بأن تأتوا﴾: البر اسم ليس، بأن تأتوا: الباء حرف جر زائد (صله) في خبر ليس، وأن وما بعدها في تأويل مصدر خبر ليس وزيادة الباء عينت كونه خبراً لليس.

﴿ولكن البر﴾: الواو: عاطفة، لكن: حرف استدراك، البر: اسمها المنصوب، ولا بد من تقدير محذوف ليتسق الكلام، كأنه قيل: إن ما تفعلونه من استقصاء في السؤال ليس براً، ولكن البر (من) اسم موصول خبر لكن، وهنا مضاف محذوف والتقدير: أي بر من.

---

(١) روح المعاني ٢: ٥٩.

مرجع الضمير:

الضميـر في (أبوابها) عائد على البيـوت، وعاد كضمـير المؤنث الواحدة؛ لأن البيوت جمع كثرة، وجمع المؤنث الذي لا يعقل فُرِّق فيه بين قليله وكثيره، فالأفصح في قلـيله أن يجمع الضمير، والأفـصح في كثيره أن يفـرد، كهو في ضمير المؤنثة الواحدة، ويجوز العكس[1]، أما جـمع المؤنث الذي لا يعقل فلم تفرق العـرب بين قليله وكثيره، والأفـصح أن يجمع الضميـر، ولذلك جاء في القرآن الكريم ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ ونحوه، ويجوز أن يعود كما يعود على المؤنث الواحد وهو فصيح.

{١٩٦} ﴿... فما استيسر من الهـدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبـعة إذا رجـعتم تلك عشـرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حـاضري المسـجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب﴾.

﴿استيسر﴾: تيسر، يقال: يسر الأمر واستيسر. ما: في موضع رفع؛ لأنه مبتدأ وخبره مقدر وتقديره: فعليكم ما استيسر، **﴿من الهدي﴾**: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال أي كائنًا من الهدي.

﴿فمن لـم يجد﴾: الفاء استئنافيـة، ومن شرطية مبتدأ، **﴿فصيام﴾**: الفاء رابطة لجواب الشرط، وصيام: مبتدأ محـذوف الخبر أي فعليه فصيام، والجملة في محل جزم جواب الشرط، **﴿ثلاثة أيام﴾**: مضاف إليه، **﴿في الحج﴾**: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال.

﴿إذا رجعتم﴾: إذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجـملة رجعتم في محل

(١) البحر ٢: ٦٤، دراسات لأسلوب القرآن ١: ٦٤.

جر بالإضافة.

﴿تلك عشرة﴾: مبتدأ وخبر، ﴿كاملة﴾: صفة، ﴿ذلك﴾: مبتدأ، ﴿لمن﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر، ﴿يكن﴾: مضارع ناسخ، ﴿أهله﴾: اسمها، ﴿حاضري﴾: خبر يكن، ﴿واتقوا الله﴾: الواو: استئنافية، اتقوا: فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل، ﴿إن الله شديد العقاب﴾: إن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلموا.

مرجع الضمير:

في قوله: ﴿رجعتم﴾ شيئان:

أحدهما: التفات، والآخر الحمل على المعنى، أما الالتفات فإن قبله فمن تمتع فمن لم يجد، فجاء بضمير الغيبة عائداً على (من) فلو نسق هذا على نظم الأول لقيل إذا رجع بضمير الغيبة، وأما الحمل على المعنى فلأنه أتى بضمير الجمع إعتباراً بمعنى (من) ولو روعي اللفظ لأفرد فقيل رجع.

البلاغة:

رجعتم: التفات لأن قبله فمن تمتع فمن لم يجد فجاء بضمير الغيبة عائداً على من، فلو نسق هذا على نظم الأول لقيل إذا رجع بضمير الغيبة.

قوله: ﴿تلك عشرة كاملة﴾: بعد ثلاثة وسبعة تنوب مناب قوله ثلاثة وسبعة مرتين ثم قال كاملة وذلك توكيد ثالث، وفائدة الصفة التنبيه على أن المراد الكمال في الثواب يعني أن ثواب صيام العشرة كثواب الذبح لا ينقص عنه شيئًا، فالتكرير في الآية الكريمة فن رفيع؛ لأن الأمر إذا صدر من الآمر على المأمور بلفظ التكرير، ولم يكن مؤقتًا بوقت معين كان في ذلك الانصباع

والامتثال للأمر، ومن ثم وجب صوم الأيام السبعة عند الرجوع فوراً.

{١٩٧} ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق....﴾.

اللغة والإعراب:

﴿الفسوق﴾: يقال فسق عن أمر الله أي خرج، وفسقت الرطبة عن قشرتها، والفأرة عن جحرها، ومن غريب الفاء والسين أن اجتماعهما فاء وعينًا للكلمة يدل على استكراه فى معنى الكلمة وهذا شيء تميزت به لغة الضاد على سائر اللغات فمن ذلك فسأ الثوب أي شقه وهو مكروه وفسِئ: خرج صدره ودخل ظهره وهذا شيء مكروه، وفسخ العقد: نقضه، ونقضه شيء مكروه.

﴿معلومات﴾: صفة لأشهر، والأشهر المعلومات عند أبي حنيفة: شوال وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة، وعند الشافعي: تسع من ذي الحجة، وليلة يوم النحر، وعند مالك: ذو الحجة كله في أحد أقواله نزل بعض الشهر منزلة الشهر كله.

﴿فمن فرض﴾: الفاء للفصيحة؛ لأنها جاءت بمثابة إجابة بالتفصيل (من) اسم شرط جازم مبتدأ، (فرض) فعل الشرط.

﴿فلا رفث﴾: الفاء رابطة لجواب، ولا نافية للجنس، ورفث اسمها. **﴿في الحج﴾**: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر (من).

مرجع الضمير:

﴿فيهن﴾: الضمير عائد على **﴿أشهر﴾** ولم يقل (فيها)؛ لأن أشهر جمع

قلة وهو جار على الكثير المستعمل أيضًا، وقال قوم: هما سواء في الاستعمال(1).

البلاغة:

تخصيص الحج بالنهي عن الرفث والفسوق والجدال فيه يشعر بأن هذه الأعمال في غير الحج قبيحة ومنهي عنها لكن لا يعتبر قبحًا بالنسبة لوقوعها في الحج، فاجتنابها متحتم على كل حال ولكن اجتنابها في الحج فوق الاجتناب فهو سر بلاغي جميل يبين أن القرآن الكريم ملئ بالأسرار الجمالية والإعجاز وقد فطن بعض الشعراء إلى ذلك الجمال قال المتنبي ناهيًا صاحبيه أن يبلغا سيف الدولة مديحه فيه فيزداد اندفاعه ويرمي بنفسه في المخاطر:

فلا تبلغاه ما أقول فإنه ... شجاع متى يذكر له الطعن يشتق

فهو لم يقصد أن يكتما عن سيف الدولة ما سمعاه من صفات أعماله رفقًا به، وحذرًا أن يدفعه الشوق إلى التطويح بنفسه في المخاطر، ويشبهه قول كثير صاحب عزة:

فلا تذكراه إلى جبية إنه ... متى تذكراه إلى جبية يحزن

[198] ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾.

اللغة والإعراب:

﴿أفضتم﴾: دفعتم أنفسكم وسرتم للخروج منها، والإفاضة: الدفع بكثرة من أفضت الماء إذا صببته بكثره، ومنه طواف الإفاضة أي طواف الرجوع من منى إلى مكة.

---

(1) البحر ٢: ٨٧.

﴿عرفات﴾: علم للموقف، واستدل سيبويه على علميته بقوله: هذه عرفات مباركًا فيها، بنصب (مباركًا) على الحال، ولو كان نكرة لجرى عليه صفة، ولو دخلت عليه الألف واللام وهي لا تدخل.

﴿المشعر﴾: جبل في آخر المزدلفة يقال له قزح ويسمى مشعراً من الشعار وهو العلامة.

﴿أفضتم﴾: فعل وفاعل والجملة في محل جر بالإضافة، ﴿من عرفات﴾: جار ومجرور متعلقان بأفضتم، ﴿فاذكروا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط واذكروا فعل أمر وفاعل، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم.

﴿الحرام﴾: صفة، ﴿واذكروه﴾: الواو للعطف وكررها للتوكيد، ﴿واذكروه﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والهاء مفعول به. ﴿كما هداكم﴾: الكاف حرف جر، وما مصدرية، وهي مع مجرورها في محل نصب مفعول مطلق أو حال أي اذكروه ذكراً حسنًا، أو اذكروه مثل هدايته إياكم، وجملة هداكم لا محل لها؛ لأنها واقعة بعد موصول حرفي، ﴿وإن كنتم﴾: الواو حالية، وإن: مخففة من الثقيلة، والأكثر إهمالها. ﴿كنتم﴾: كان الناقصة واسمها. ﴿من قبله﴾: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال. ﴿لمن الضالين﴾: اللام هي الفارقة، و﴿من الضالين﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنتم، ﴿من حيث أفاض﴾: الجار والمجرور متعلقان بأفيضوا وجملة (افاض) في محل جر بالإضافة.

﴿إن الله غفور رحيم﴾: جملة إن واسمها وخبرها تعليلية لا محل لها من الإعراب.

مرجع الضمير:

الضمير في قوله: ﴿من قبله﴾ إلى ماذا يعود؟

والجواب يحتمل أن يكون راجعًا إلى (الهدى)، والتقدير: وإن كنتم من قبل أن هداكم من الضالين، وقال بعضهم: إنه راجع إلى القرآن والتقدير: واذكروه كما هداكم بكتابه الذي بين لكم معالم دينه، وإن كنتم من قبل إنزاله ذلك عليكم من الضالين.

وزاد أبو حيان على ما سبق أنه يعود على النبي ﷺ[1].

[٢١٣] ﴿..... وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه .....﴾.

الإعراب:

﴿الكتاب﴾: (ال): للجنس فيشمل الكتاب جميع الكتب المنزلة، وقصد به الرد على من قال المراد بـالكتاب خصوص التوراة، وهو مفعول به، والظرف قبله (معهم) متعلق بمحذوف حال من الكتاب أي وأنزل الكتاب مصاحبًا لهم وقت الإنزال.

﴿بين الناس﴾: ظرف ومضاف إليه، ﴿فيما﴾: الجار والمجرور متعلق بيحكم. ﴿اختلفوا﴾: فعل وفاعل والجملة لا محل لها؛ لأنها صلة (ما).

مرجع الضمير:

الضمير المستكن في ﴿ليحكم﴾ يحتمل عوده على الله تعالى، ويؤيد عوده على الله تعالى قراءة الجحدري لنحكم بنون العظمة[2].

---

(١) البحر ٢: ٩٨.

(٢) البحر ٢: ١٣٦.

وقيل يعود على الكتاب، وقيل يعود على النبيين ونسبة الحكم إلى الله حقيقة ويرد على هذا الاحتمال إفراد الضمير إذ كان ينبغي على هذا أن يجمع ليطابق النبيين، وأجيب بأنه يعود على إفراد الجمع على معنى ليحكم كل نبي بكتابه.

[٢١٦] ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾.

الإعراب:

﴿القتال﴾: نائب فاعل والجملة مستأنفة مسوقة لبيان مشروعية القتال. **﴿وهو كره لكم﴾**: الواو حالية وهو مبتدأ، **﴿كره﴾**: خبر، والجملة في محل نصب حال[1] وصفه، **﴿وعسى﴾**: الواو استئنافية، وعسى: فعل ماض جامد لإنشاء الترجي وهي هنا تامة، وذلك مطرد فيها وفي اخلولق وأوشك إذا وليتها أن، **﴿أن تكرهوا﴾**: أن وما في حيزها في تأويل مصدر فاعل عسى شيئًا: مفعول به فالفعل (عسى) يأتي ناقصًا نحو قوله تعالى: **﴿عسى الله أن يأتي بالفتح﴾** وتامًا مثل تلك الآية الكريمة، وتأتي (عسى) حرف بمعنى لعل إذا دخلت على ضمير نحو قوله[2]:

فقلت عساها نار كأس وعلها ... تشكي فآتي نحوها فأعودها

(١) صاحب الحال (شيئا) واستشكل كل من الحال والصفة، بأن الحال لا تأتي من النكرة وأن الصفة لا تقترن بالواو، وأجيب عن الأول بأن إتيان الحال من النكرة بدون مسوغ قليل، وعن الثاني بأن الصفة أجريت مجرى الحال في جواز اقترانها بالواو، حاشية الصاوي ١: ٩٨.

(٢) يرجو أن تمرض محبوبته فيكون ذلك وسيلة لزيارتها.

مرجع الضمير:

﴿وهو كره﴾: يظهر أن الضمير يعود على القتال، ويحتمل أن يعود على المصدر المفهوم من (كتب).

{٢٢٣} ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين﴾.

الإعراب:

﴿نساؤكم﴾: مبتدأ، ﴿حرث﴾: خبر، ﴿لكم﴾: جار ومجرور صفة لحرث، ﴿فأتوا﴾: الفاء استئنافية، وأتوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، ﴿حرثكم﴾: مفعول به، والجملتان الاسمية والفعلية مستأنفتان مسوقتان لبيان الحكم في هذه المسألة الاجتماعية فقد اعتزل المسلمون نساءهم عملاً بظاهر آية المحيض، فأخرجوهن من البيوت كفعل الأعاجم فنزلت.

﴿أنى شئتم﴾: مفعول فيه ظرف مكان متعلق بأتوا، وجملة شئتم في محل جر بالإضافة، ﴿أنكم ملاقوه﴾: أن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلموا.

مرجع الضمير:

﴿ملاقوه﴾: الضمير راجع إلى الله تعالى، أو راجع إلى ما قدمتم، أو إلى الجزاء المفهوم منه.

البلاغة:

التشبيه البليغ فقد شبه النساء بالحرث ومعنى ﴿حرث لكم﴾ أي مزرع لكم

ومنبت للولد، وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المرأة كالأرض والنطفة كالبذر، والولد كالزرع.

ثانيًا: الكناية، فقد كنى بإتيان الحرث في أية كيفية عن إتيان المرأة في الكيفية التي يشاؤها المرء من غير حظر ولا حرج ما دام المأتى واحدًا وهو موضع الحرث.

[٢٢٨] ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا ولهم مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾.

اللغة والإعراب:

(التربص) الانتظار والتأني، **﴿قروء﴾**: جمع قرء وهو الطهر على رأي الشافعي، أو الحيض على رأي أبي حنيفة ومن إطلاقه على الحيض قول النبي ﷺ: «دعي الصلاة أيام إقرائك».

﴿والمطلقات﴾: الواو استئنافية، والمطلقات: مبتدأ، **﴿يتربصن﴾**: مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، والنون فاعل، والجملة خبر، **﴿وبعولتهن﴾**: مبتدأ، **﴿أحق﴾**: خبر.

﴿مثل﴾: مبتدأ مؤخر، بالمعروف: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي كائنًا في الوجه الذي لا ينكر في الشرع والعادة. **﴿وللرجال﴾**: جار ومجرور: خبر مقدم، درجة: مبتدأ مؤخر.

مرجع الضمير:

﴿وبعولتهن﴾: الضمير للمطلقات طلاقًا رجعيًا فهو راجع لبعض أفراد

المطلقات، والقرينة قوله: ﴿الطلاق مرتان﴾.

﴿الطلاق مـرتان فـإمسـاك بمعـروف أو تسـريح بإحسـان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيـئًا إلا أن يخافا ألا يقـيما حدود الله فـإن خفتم ألا يقيـما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾.

الإعراب:

﴿الطلاق مـرتان﴾: مبـتدأ وخبر، والجـملة مستـأنفة لبيـان عدد الطلاق الجائز، ﴿فإمساك﴾: الفاء للفصيحة كأنه قيل: إذا علمتم كيفية التطليق فعليكم أحـد الأمرين، وإمسـاك مـبتـدأ خـبره مـحـذوف أي فـعليكم إمسـاكـهن، ﴿بمعروف﴾: جار ومجرور متعلـق بمحذوف صفة لإمساك، ﴿أن تأخذوا﴾: أن وما بعدها في تأويل مصدر فاعل يحل.

﴿إلا أن يخافا﴾: إلا أداة حصر لتقدم النفي، أو استثناء وأن والفعل بعدها في تأويل مصـدر وهذا المصدر منصوب على الحـال أي إلا خائفين، وسيـبويه يمنع في كتـابه وقوع أن والفعل حـالا، أو تعرب أن وصلتهـا في موضع نصب على الاستثناء من المفعول به وهو ﴿شيئًا﴾ كأنه قيل: ولا يحل لكم أن تأخذوا بسبب من الأسباب إلا بسبب خوف عـدم إقامة حدود الله فذلك هو الذي يبيح لكم الأخذ، و﴿ألا يقيما﴾ في موضـع نصب؛ لأن تقديره من ألا يقـيما فـلما حذف حرف الجر تعدى الفعل إليه.

﴿فـأولئك هم الظالمون﴾: الفاء رابطة لجواب الشـرط، وأولئك مبتدأ وهو مبتـدأ ثان، والظالمون خبره، والمبتدأ الثـاني وخبره خبر الأول، أو هم ضـمير

فصل لا محل لها والظالمون: خبر أولئك، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من.

مرجع الضمير:

﴿فلا جناح عليهما﴾: كيف يقال: فلا جناح عليهما، وإنما الجناح على الزوج؛ لأنه أخذ ما أعطى ففي ذلك وجهان:

- أن يراد الزوج دون المرأة، وإن كانا قد ذكرا جميعًا في سورة الرحمن: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾، وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح لا من العذب، ومنه: ﴿نسيا حوتهما﴾، وإنما الناسي صاحب موسى وحده[1]، فالضمير مثنى ويراد به الواحد.

- وعند أبي حيان[2] أن الضمير في ﴿عليهما﴾ عائد على الزوجين معًا أي لا جناح على الزوج فيما أخذه، ولا على الزوجة فيما افتدت به وقال الفراء قال الشاعر:

فإن تزجراني يا بن عفان أنزجر   وإن تدعاني أحم عرضًا ممنعا

البلاغة:

﴿إلا أن يخافا﴾: فيه التفات عن الخطاب إلى الغيبة والكلام على تقدير أمرين حرف الجر وهو في، ومضاف إلى المصدر المأخوذ من أن وصلتها، والتقدير: إلا في حال خوف عدم القيام.

---

(١) معاني القرآن للفراء ١: ١٤٧.

(٢) البحر المحيط ٢: ١٩٩.

{٢٣٠} ﴿..... فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا .....﴾.

الإعراب:

﴿فلا جناح عليهما أن يتراجعا﴾: الفاء رابطة، ولا: نافية للجنس، وجناح: اسمها المبني على الفتح، وعليهما: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها وجملة فلا جناح جواب شرط وأن وما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض أي في التراجع، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال.

مرجع الضمير:

﴿فلا جناح عليهما﴾: على المرأة المطلقة، والزوج الأول في: ﴿أن يتراجعا﴾ بنكاح جديد إلى ما كانا عليه من النكاح فهذا تراجع لغوي.

{٢٣٣} ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن﴾.

القراءة والإعراب:

قرأ الجمهور لمن أراد أن يتم الرضاعة، وقرأ مجاهد أن تتم الرضاعة بالتاء وبرفع الرضاعة، وقرأ أبو رجاء وابن أبي عبلة: الرضاعة بكسر الراء، قال الزجاج: الرضاعة بفتح الراء وكسرها والفتح أكثر.

﴿يرضعن﴾: لفظه لفظ الخبر والمراد به الأمر، ومعناه ليرضعن كقوله تعالى: والمطلقات يتربصن، ومجيء الخبر بمعنى الأمر كثير في كلامهم.

﴿لمن أراد﴾: في موضعه وجهان النصب والرفع فالنصب لأن اللام تتعلق بيرضعن، وتقديره: يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد من الآباء أن يتم

إرضاع ولده، والرفع؛ لأن اللام تتصل بمحذوف وتقديره هذا الذي ذكرناه لمن أراد أن يتم الرضاعة، فيكون في موضع رفع؛ لأنه خبر مبتدأ محذوف، ﴿وعلى المولود له رزقهن﴾: الجار والمجرور خبر رزقهن مبتدأ مؤخر.

مرجع الضمير:

﴿له﴾: أي الأب، والتعبير عنه بهذه العبارة إشارة إلى جهة وجوب المؤن عليه؛ لأن الوالدات إنما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للأب دون الأم قال بعضهم:

وإنما أمهات الناس أوعية ... مستودعات وللآباء أبناء

﴿رزقهن﴾: أي رزق المرضعات.

{٢٣٧} ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير﴾.

الإعراب:

﴿وقد فرضتم لهن فريضة﴾: الواو: حالية، وقد: حرف تحقيق، وفرضتم: فعل وفاعل، ولهن: الجار والمجرور متعلقان بفرضتم وفريضة إما مفعول به أي شيئًا مفروضًا، وإما مفعول مطلق بمعنى فرضًا، ﴿فنصف﴾: مرفوع من وجهين:

أحدهما: أن يكون مبتدأ، وخبره محذوف وتقديره: فعليكم نصف ما فرضتم، والثاني: أن يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره: فالواجب نصف ما

فرضتم، ﴿إلا أن يعفون﴾: أن: حرف نصب، يعفون: فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة ونون النسوة فاعل، والفعل في محل نصب، وإلا: أداة استثناء وأن، وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب على الاستثناء المنقطع، لأن عفوهن عن النصف وسقوطه ليس من جنس استحقاقهن، و﴿يعفون﴾: على وزن يفعلن.

مرجع الضمير:

﴿بيده﴾: لقد أفاض المفسرون والفقهاء في الحديث عن عود هذا الضمير وسنوجزه فيما يلي:

ففي الآية الكريمة قولان:

الأول: أنه الزوج[1] لكونه المالك لعقد النكاح وحله وهو التفسير المأثور عن رسول الله ﷺ كما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط، والبيهقي بسند حسن عن ابن عمر مرفوعًا وبه قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وسعيد بن المسيب، وكثير من الصحابة والتابعين وهوقول أبي حنيفة. وحجة هذا القول من وجوه:

الأول: أنه ليس للولي أن يهب مهر موليته صغيرة كانت أو كبيرة فلا يمكن حمل هذه الآية على الولي.

الثاني: أن الذي بيد الولي هو عقد النكاح، فإذا عقد حصلت العقدة، ومن المعلوم أن العقدة الحاصلة بعد العقد في يد الزوج لا في يد الولي.

الثالث: أن قوله تعالى: ﴿الذي بيده عقدة النكاح﴾ معناه الذي بيده عقدة

(١) محاسن التأويل ٣: ٢٨٠.

نكاح ثابت له لا لغيره كما أن قوله: ﴿**ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى**﴾، أي نهى النفس عن الهوى الثابت له لا لغيره، كانت الجنة ثابتة له فتكون مأواه.

الرابع: ما روي عن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها فأكمل الصداق، وقال: أنا أحق بالعفو، وهذا يدل على أن الصحابة فهموا من الآية العفو الصادر من الزوج.

وأصحاب الرأي الثاني الذي سنورده بعد ذلك أجابوا عن تلك الأدلة قائلين:

أولاً: إن الفعل قد يضاف إلى الفاعل تارة عند المباشرة، وأخرى عند السبب يقال: بنى الأمير دارًا، وضرب دينارًا، والظاهر أن النساء إنما يرجعن في مهماتهن، وفي معرفة مصالحهن إلى أقوال الأولياء، والظاهر أن كل ما يتعلق بأمر التزوج فإن المرأة لا تخوض فيه، بل تفوضه بالكلية إلى رأي الولي، وعلى هذا التقدير يكون حصول العفو باختيار الولي وبسعيه فلهذا السبب أضيف العفو إلى الأولياء.

ثانيًا: أما قولهم الذي بيد الولي عقد النكاح لا عقدة النكاح قلنا: العقدة قد يراد بها العقد قال تعالى: ﴿**ولا تعزموا عقدة النكاح**﴾، سلمنا أن العقدة هي المعقودة لكن تلك المعقودة إنما حصلت وتكونت بواسطة العقد، وكان عقد النكاح في يد الولي ابتداء، فكانت عقدة النكاح في يد الولي أيضًا بواسطة كونها من نتائج العقد ومن آثاره.

ثالثًا: أن كون المراد من الآية عقدة النكاح لنفسه فجوابه أن هذا التقييد لا

يقتضيه اللفظ؛ لأنه إذا قيل فلان في يده الأمر والنهي والرفع والخفض فلا يراد به أن الذي في يده الأمر نفسه، ونهي نفسه بل المراد أن في يده أمر غيره، ونهي غيره فكذا ها هنا[1].

القول الثاني: أنه الولي الذي لا تنكح المرأة إلا بإذنه، فإن له العفو عن المهر إذا كانت المنكوحة صغيرة في رأي البعض، ومطلقًا في رأي الآخرين وإن أبت وذهب إلى هذا القول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في إحدى الروايات عنه، وعائشة وطاووس ومجاهد وعطاء والحسن وعلقمة والزهري والشافعي ومالك. وحجة من قال بهذا الرأي ما يأتي:

أولاً: أن الصادر من الزوج هو أن يعطيها كل المهر وذلك يكون هبة، والهبة لا تسمى عفوًا. وأجاب الأولون عن هذا من وجوه:

أولها: أنه كان الغالب عندهم أن يسوق المهر إليها عند التزوج فإذا طلقها استحق أن يطالبها بنصف ما ساق إليها فإذا ترك المطالبة فقد عفا عنها.

وثانيها: سماه عفوًا على طريق المشاكلة.

وثالثها: أن العفو قد يراد به التسهيل يقال: فلان وجد المال عفوًا صفوًا وقد بينا وجه هذا القول في تفسير قوله تعالى: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾، وعلى هذا عفو الرجل أن يبعث إليها كل الصداق على وجه السهولة.

وردوا عليهم أي رد أصحاب الرأي الثاني بما يلي:

- إن صدور العفو عن الزوج على ذلك الوجه لا يحصل إلا على بعض

(1) التفسير الكبير ٦: ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤.

التقديرات، والله تعالى ندب إلى العفو مطلقًا، وحمل المطلق على المقيد خلاف الأصل وأجابوا عن السؤال الثاني أن العفو الصادر عن المرأة هو الإبراء، وهذا عفو في الحقيقة، أما الصادر عن الرجل محض الهبة فكيف يسمى عفواً؟.

وأجابوا عن الثالث بأنه لو كان العفو هو التسهيل لكان كل من سهل على إنسان شيئًا يقال: إنه عفا عنه، ومعلوم أنه ليس كذلك.

ثانيًا: أي الحجة الثانية للقائلين بأن المراد هو الولي هو أن ذكر الزوج قد تقدم في قوله تعالى: **﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾**، فلو كان المراد بقوله: **﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾** هو الزوج لقال: أو تعفو على سبيل المخاطبة فلما لم يفعل ذلك بل عبر عنه بلفظ المغايبة علمنا أن المراد منه غير الزوج وأجاب الأولون بأن سبب العدول عن الخطاب إلى الغيبة، التنبيه على المعنى الذي من أجله يرغب الزوج في العفو، والمعنى: إلا أن يعفوا أو يعفو الزوج الذي حبسها بأن ملك عقدة نكاحها عن الأزواج ثم لم يكن منها سبب في الفراق وإنما فارقها الزوج، فلا جرم كان حقيقًا بألا ينقصها من مهرها، ويكمل لها صداقها.

ثالثًا: أي الحجة الثالثة للقائلين بأنه هو الولي، هو أن الزوج ليس بيده البتة عقدة النكاح، وذلك لأن قبل النكاح كان الزوج أجنبيًا عن المرأة، ولا قدرة له على التصرف فيها بوجه من الوجوه فلا يكون له قدرة على إنكاحها البتة، وأما بعد النكاح فقد حصل النكاح، ولا قدرة على إيجاد الموجود بل لا قدرة له على إزالة النكاح، والله تعالى أثبت العفو لمن في يده، وفي قدرته عقدة النكاح، فلما ثبت أن الزوج ليس له يد، ولا قدرة على عقد النكاح ثبت

أنه ليس المراد هو الزوج، أمـا الولي فله قـدرة على إنكاحهـا، فكان المراد من الآية هو الولي لا الزوج.

ولعل الرأي الثاني هو الظاهر لما يلي:

١ـ أن الولي هو الذي بيده عـقدة النكاح ثابتة مـستقـرة بخلاف الزوج فله ذلك حالة العقد المتقدم خاصة.

٢ـ أن المراد بقوله تعالى: ﴿إلا أن يعفون﴾ الزوجات وفيهن من لا عفو له البتة كـالأمة والبكر فلولا استتمـام التقسيم بصرف الشـاني إلى الولي على ابنته البكر وأمته وإلا لزم الخروج عن ظاهر عموم الأول، وحيث حمل الكلام على الولي صار الكلام بمعنى إلا أن يعفون إن كن أهلاً للعـفو، أو يعفو لهن إن لم يكنّ أهلا.

ولهذا كان الولي هو الذي يعفو، ويعتبر عفوه عند مالك هو الأب في ابنته البكر، والسيد في أمته خاصة.

٣ـ أن الآية الكريمة مشتـملة على خطاب الزوجات ثم الأولياء ثم الأزواج بقوله: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾، فتكون الآية الكريمة على هذا الوجه مليئة بالفوائـد جامعـة للمقـاصد وتلك مـيزة من ميـزات الكتاب العـزيز في تناسب الأقسام وانتظام أطراف الكلام.

٤ـ أن المضـاف إلى صاحب عـقـدة النكاح العـفو كـمـا هو مضـاف إلى الزوجات، ولو كان المراد بصاحب العقدة الزوج لتعين حمل العفو على تكميل المهر، وإعطائه مـا لا يستحق عليه، وهـذا إنما يطابق من الأسماء التفـضل قال تعالى: ﴿ولا تنسوا الفـضل بينكم﴾؛ لأن المبذول من جهـته غير مسـتحق عليه

فهو فضل لا عفو.

٥ـ أن صدر الآية خطاب للأزواج في قوله: ﴿وإن طلقتموهن﴾ إلى قوله: ﴿فرضتم﴾ فلو جاء قوله: ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ مرادًا به الزوج لكان عدولاً والتفاتًا من الخطاب إلى الغيبة وليس هذا من مواضعه، ولأجل هذا جاء قوله: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾، على صيغة الخطاب؛ لأن المراد به الأزواج لخطابهم أولاً.

٦ـ أن قوله: ﴿إلا أن يعفون﴾، وما عطف عليه استثناء من قوله: ﴿فنصف ما فرضتم﴾، وأصل الكلام فنصف ما فرضتم واجب عليكم إلا أن يعفو عنه الزوجات فليس بواجب عليكم إذا، فإذا حمل الكلام على الولي استقام إذ هم لو كملوا المهر لهن فالنصف واجب عليهم لا يتغير، ولا يخالف الحالة المستثناة مما وقع منه الاستثناء[1]، فالمقصود الولي يعني إذا كانت صغيرة، أو غير جائزة التصرف فيترك نصيبها للزوج قال مالك في الموطأ في هذه الآية: هو الأب في ابنته البكر، والسيد في أمته، وهو مروي عن الصحابة والتابعين.

[٢٤٨] ﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم﴾.

اللغة والإعراب:

﴿التابوت﴾: من التوب وهو الرجوع والإنابة، لأنه لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه، والتاء مزيدة لغير التأنيث كملكوت وجبروت ﴿فيه سكينة﴾ مبتدأ وخبر، ﴿من ربكم﴾: صفة.

(١) الكشاف بتصرف ١: ٣٧٥، ٣٧٦.

مرجع الضمير

﴿فيه﴾: الضمير للإتيان أي في إتيانه سكينة لكم وطمأنينة، أو للتابوت أي مودع فيه ما تسكنون إليه[1].

[٢٥٥] ﴿له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾.

الإعراب:

﴿له﴾: جار ومجرور خبر مقدم، ﴿ما﴾: اسم موصول في محل رفع مبتدأ، ﴿من ذا الذي يشفع﴾: الجملة مستأنفة مسوقة للرد على المشركين الذين زعموا أن الأصنام تشفع لهم، و(من): اسم استفهام معناه النفي في محل رفع مبتدأ، وذا: إسم إشارة في محل رفع خبر من، (الذي): اسم موصول بدل أو (من ذا): كلها إسم إستفهام مبتدأ، (والذي): هو الخبر، و(ذا) الواقعة بعد (ما) الاستفهامية يجوز جعلها اسم موصول، وأما الواقعة بعد (من) فالأكثر أنها إسم إشارة، ويشفع فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو، والجملة لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول.

﴿عنده إلا بإذنه﴾: الظرف متعلق بيشفع، أو بمحذوف حال من الضمير في يشفع، وإلا أداة حصر، و(بإذنه): الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال.

مرجع الضمير:

﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾: الضمير لما في السموات والأرض؛ لأن فيهم عقلاً أو لما دل عليه، ﴿من ذا﴾: من الملائكة والأنبياء[2].

(١) البيضاوي ٥٦.

(٢) البحر ٢: ٢٧٩.

{٢٥٨} ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت﴾.

اللغة والإعراب:

﴿حاج﴾: غالب خصمه بالحجة، ومن أقوالهم: كانت بينهما محاجة وملاجة.

﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه﴾: كلام مستأنف مسوق للتعجب من قصة أحد الطواغيت، والخطاب للنبي ﷺ والمراد العموم، فالهمزة للاستفهام التعجبي، ولم: حرف جزم، وتر: مضارع مجزوم بحذف حرف العلة، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، وإبراهيم: مفعول به.

﴿أن آتاه الله الملك﴾: أن: حرف مصدري ونصب، آتاه: فعل ماض في محل نصب بأن، والهاء: مفعول به، والمصدر المنسبك من أن والفعل بعدها في محل نصب مفعول لأجله بتقدير اللام، وجر باللام لاختلاف الفاعل، وحذف اللام قياس قبل أن، وأنّ، ﴿ربي الذي﴾: مبتدأ وخبر في محل نصب مقول القول.

مرجع الضمير:

الهاء في ﴿ربه﴾ تعود على الذي، وهو نمروذ.

﴿أن آتاه الله الملك﴾: فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون عائدة على إبراهيم، أي أن آتى الله إبراهيم النبوة.

الثاني: أن تكون عائدة على الذي حاج إبراهيم وهو نمروذ الذي خاصم

إبراهيم لأن آتاه الله الملك[1].

{٢٥٩} ﴿..... قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾.

اللغة والإعراب:

﴿يتسنه﴾: فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون أصله يتسنن من قوله: ﴿من حمأ مسنون﴾، أي متغير فقلبت النون الثالثة ياء كراهية اجتماع ثلاث نونات، كما قالوا تظنيت من تظننت ثم قلبت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار (يتسنى) ثم حذفت الألف للجزم فصار يتسن، وأدخلت عليه هاء السكت لبيان حركة النون في الوقف.

والثاني: أن يكون من (تسنه وسانهت) وهو يتفعل من السنه فيكون المعنى لم يتغير بمر السنين وأصل سنة سنهة لقولهم في التصغير: سنيهة وسانهت النخلة إذا حملت سنة، ولم تحمل سنه فتكون الهاء لام الفعل وسكنت للجزم، ولا يجوز حذفها في وصل ولا وقف؛ لأنها أصلية.

﴿قال بل لبثت مائة عام﴾: جملة قال استئنافية بل حرف عطف عاطفة على جملة محذوفة لابد من تقديرها، والتقدير: ما لبثت؟ يومًا أو بعض يوم بل لبثت مائة عام، ومائة عام ظرف، والجملة مقول القول، ﴿فانظر...﴾: الفاء للفصيحة، وهي هنا جواب شرط مقدر تقديره: إذا حصل لك ارتياب وعدم

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ١: ١٧٠.

طمأنينة في أمر البعث فانظر.

﴿ولنجعلك آية للناس﴾: الضمير مفعول أول، آية: مفعول ثان، للناس: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية.

﴿كيف﴾: اسم استفهام في محل نصب حال، وصاحب الحال الضمير المنصوب في ننشزها، والجملة بدل من العظام وهي في محل جر أو نصب؛ لأن نظر البصرية تتعدى بإلى وهي معلقة عن العمل بسبب الاستفهام فتكون في محل نصب أي إلى حال العظام.

﴿نكسوها لحما﴾: الضمير: مفعول أول، ولحما: مفعول ثان.

﴿فلما تبين له﴾: الفاء عاطفة على مقدر يستوجبه السياق كأنه قال: فأنشزها الله وكساها لحما فنظر إليها فتبين له كيف يتم الإحياء والبعث، ولما: ظرفية غير جازمة متعلقة بالجواب، وتبين: فعل ماض مبني على الفتح، وفاعل تبين ضمير مستكن يعود على كيفية الإحياء أي تبين له ما استشكل عليه، أو تبين له ذلك بالمشاهدة.

مرجع الضمير:

﴿لم يتسنه﴾: الفاعل ضمير الطعام والشراب لاحتياج كل واحد منهما للآخر، فهما بمنزلة شيء واحد، فلذلك أفرد الضمير في الفعل، أو جعل بمنزلة اسم الإشارة، ويحتمل أن يكون الضمير للشراب؛ لأنه أقرب وإذا لم يتغير الشراب فإنه لا يتغير الطعام ويجوز أنه أفرد في موضع التنبيه كقوله:

فكأن في العينين حب قرنفل ... أو سنبلاً كحلت به فانهلت

ولما كانت طاعة الرسول عليه السلام هي طاعة الله ورضاؤه إرضاء الله عاد الضمير عليهما مفردًا في هذه المواضع.

[٢٦٤] ﴿يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين﴾.

اللغة والإعراب:

﴿رئاء﴾: مصدر راءى، مراءاة ورئاء، والأصل ريايا فالهمزة الأولى بدل من ياء هي عين الكلمة والثانية بدل من ياء هي لام الكلمة؛ لأنها وقعت طرفًا بعد ألف زائدة.

﴿صفوان﴾: حجر كبير أملس، أو اسم جنس، **﴿وابل﴾**: الوابل: المطر الكثير، **﴿صلدا﴾**: صلب أملس، أو أجرد نقى من التراب الذي كان عليه.

﴿كالذي﴾: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف نعت لمصدر محذوف فهو مفعول مطلق أي لا تبطلوها إبطالاً كإبطال الذي، أو حال من ضمير المصدر المقدر كما نص عليه سيبويه، أو من فاعل تبطلوا أي لا تبطلوا صدقاتكم مشبهين الذي ينفق ماله رئاء الناس. و**﴿رئاء الناس﴾**: منصوب لثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون مفعولاً له، الثاني: أن يكون حالاً، الثالث: أن يكون وصفًا لمصدر محذوف، وتقديره: إنفاقًا رئاء الناس. **﴿مثله كمثل﴾**: مبتدأ وخبر.

﴿فتركه صلدًا لا يقدرون على شيء﴾: الفاء: عاطفة، وترك: فعل ماض

ينصب مفعولين أولهما الهاء والثاني صلدًا، ﴿لا يقدرون على شيء﴾: الجملة مستأنفة مسوقة للرد على سؤال كأنه قيل فماذا كان مآلهم فقيل: لا يقدرون، لا: نافية، يقدرون: مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل.

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿عليه تراب﴾ يعود على الصفوان. ﴿فمثله﴾: يعود على المنفق رياء في إنفاقه لما يفسده. ﴿فأصابه وابل﴾: فالضمير عائد على الصفوان، ويحتمل أن يعود إلى التراب. ﴿تركه﴾: عائد على الصفوان.

﴿كالذي ينفق ماله رئاء الناس .... لا يقدرون على شيء ...﴾: جمع الضمير باعتبار معنى الذي، بعد ما روعي لفظه في المواضع الأربعة، أو هو مستعمل للجمع على رأي كما في قوله تعالى: ﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾، وقوله:

إن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

وأن المراد به الجنس، أو الجمع أو الفريق أو المراد المرائي، والمان والمؤذي لا يقدرون على تحصيل شيء من ثواب ما عملوا لبطلانه كقوله تعالى: ﴿فجعلناه هباءً منثورا﴾(١) فلا يجدون ثواب صدقاتهم كما لا يوجد على الصفا التراب بعد ما أصابه الوابل.

البلاغة:

التشبيه التمثيلي في الآية الكريمة، فقد شبه إنفاق الأموال رئاء الناس ثم إتباع ذلك بالمن والتطاول بالإحسان بالتراب الذي يوضع على الصخر الأملس

(١) سورة الفرقان ٢٣ .

يأتي عليه الوابل من المطر فيذروه ويذهب به ولا يترك لـه أثراً، كما شبه إنفاق الأموال الخـالص من الرياء في سبيل الله وابتـغاء مرضـاته بالبستـان فوق ربوة عالية يكفيها القليل من المطر لتربو وتهتز وتخصب.

{٢٧٠} ﴿وما أنفقـتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمـه وما للظالمين من أنصار﴾.

الإعراب:

﴿وما أنفـقتم من نفـقة﴾: الواو عاطفـة، ما: اسم شرط جـازم في محل نصب مفعـول به مقدم لأنفقتم، ومن نفـقة: جار ومجرور متـعلقان بمحذوف حال، أو (من) زائدة (صلة).

﴿فإن الله يعلمه﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمـها وجملة يعلمه خبرها، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط.

﴿وما للظالـمين من أنصار﴾: الواو: استئنافية، ومـا: نافية وللظالمين: جار ومجرور متـعلقان بمحذوف خبر مقدم، و(مـن) حرف جر زائد (صله) وأنصار مبتدأ مؤخر.

مرجع الضمير:

﴿يعلمه﴾: يلاحظ توحيد الضمير مع أن متعلق العلم متعدد لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمـة (أو) وهي لأحد الشيئين، ويجوز إرجاع الضـمير إلى (ما) لكن على تقدير كونها موصولة[1].

---

(١) روح المعاني ٣: ٤٣.

{٢٧١} ﴿إن تبدوا الصـدقات فنعما هي وإن تخـفوها وتؤتوها الفقـراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾.

الإعراب:

﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي﴾: كلام مستأنف مسوق لتفصيل ما أجمل في الجملة الشرطية السابقـة، ولذلك ترك العاطف، وإن: حرف شرط جازم، وتبدوا: فـعل الشرط مـجزوم وعـلامة جـزمه حذف النون، والـواو: فاعل، والصدقـات: مفعول بـه، فنعما: الفاء رابطـة، لأن الجواب فعل جامـد، قال بعضهم في اقتران جواب الشرط بالفاء:

اسمية طلبية وبجامد   وبما ولن وبقد وبالتنفيس

ونعم: فـعل ماض جـامد لإنشـاء المدح، وما: نكرة تامـة بمعنى شيء في محل نصب على التمـييز، وفاعل نعم ضمير مـستتر مفسـر (بما)، هي: ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ خبـره جملة نعما؛ لأنه المخصوص بالمدح، وجملة نعما هي جملة اسمية في محل جزم جواب الشرط.

﴿فهو خـير لكم﴾: الفاء رابطة للجـواب (هو) ضمير في محل رفع مـبتدأ و(خير): خبر، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط.

﴿ويكفر عنكم من سـيئاتكم﴾: الواو: استئنافية، (ويـكفر): فعل مضارع مرفـوع، والجمـلة خبـر لمبتـدأ محـذوف أي والله يكفر عنكم، وعنكـم: جار ومجرور متعلقان بيكفر، وقرئ بالجزم عطفًا على موضع الفاء في قوله: ﴿فهو خيـر لكم﴾؛ لأنه جواب الشـرط، و(من سيئاتكم): مـتعلقان بمحذوف صـفة لمفعول به محذوف أي شيئًا من سيئاتكم نص على ذلك سيبويه، وهو أولى من

جعلها زائدة في الكلام الموجب كما صنع أبو البقاء العكبري صاحب إملاء ما (منّ به الرحمن).

مرجع الضمير:

﴿تخفوها﴾: أي تسروها، والضمير يعود للصدقات مطلقًا أو يعود إليها لفظًا لا معنى بناء على أن المراد بالصدقات المبداه المفروضة، وبالمخفاه المتطوع بها فيكون من باب عندي درهم ونصفه أي نصف درهم آخر، ﴿هو﴾: عائد على المصدر المفهوم من الفعل (تخفوها) أي فالإخفاء خير لكم.

البلاغة:

في جمع الإبداء والإخفاء من أنواع البديع الطباق اللفظي كما أن في قوله تعالى: ﴿وتؤتوها الفقراء﴾ الطباق المعنوي؛ لأنه لا يؤتي الصدقات إلا الأغنياء.

{٢٨٢} ﴿.... ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ...﴾.

الإعراب:

كاتب: فاعل، أو نائب فاعل، والواو: حرف عطف، ولا: نافية، وشهيد: عطف على كاتب. ﴿وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم﴾: الواو: عاطفة، وإن: شرطية، وتفعلوا: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، والفاء رابطة لجواب الشرط، وإن واسمها، وفسوق: خبرها، وبكم: متعلقان بمحذوف صفة لفسوق أي لاحق، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط.

﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾: الواو: عاطفة، اتقوا: فعل أمر، والواو: فاعل، ولفظ الجلالة: منصوب على التعظيم. ﴿ويعلمكم الله﴾: الواو: استئنافية، ولا مكان لجعلها حالا؛ لأن المضارع المثبت لا تباشره واو الحال، وإن حاول بعض المفسرين تقدير المبتدأ أي وهو يعلمكم وفيه تكلف وفي جعلها عاطفة خلاف الأولى؛ لأن فيه ارتكاب عطف الخبر على الإنشاء، ﴿والله بكل شيء عليم﴾: الواو: استئنافية، الله: مبتدأ، وبكل شيء: متعلقان بعليم، وعليم: خبر.

مرجع الضمير:

مفعول (تفعلوا) محذوف راجع إلى المصدر المفهوم من قوله: ﴿ولا يضار﴾ أي وإن تفعلوا أي المضارة أو الضرار ﴿فإنه﴾ أي الضرار[1].

[٢٨٣] ﴿..... فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضًا فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم﴾.

القراءة والإعراب:

﴿فرهان مقبوضة﴾: يقرأ بضم الراء والهاء، وبكسر الراء وإثبات ألف بعد الهاء. فالحجة لمن ضم: أنه جمع (رهْنا، رهانا)، وجمع رهان رُهُنا، وليس في كلام العرب جمع لاسم على هذا الوزن غير رُهن وسُقف، والحجة لمن كسر، وأثبت الألف أنه أراد جمع (رَهْن) وقيل لأبي عمرو لم اخترت الضم؟ فقال:

---

(١) الكشاف ١: ٤٠٤، البحر ٢: ٣٥٤.

لا فرق بين الرهن في الدين وبين الرهان في سباق الخيل[1].

﴿فرهان﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، ورهان: مبتدأ وهو نكرة لأنه وصف بقوله: مقبوضة، والخبر محذوف تقديره تستوثقون بها، ولك أن تعربها خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: فالمعتمد عليه رهان.

﴿فليؤد﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، واللام: لام الأمر، ويؤد: فعل مضارع مجزوم باللام وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والجملة في محل جزم.

﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾: الواو: استئنافية، ومن: إسم شرط جازم مبتدأ، ويكتمها: فعل الشرط والهاء: مفعوله، والفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها، وآثم: خبرها، وقلبه: فاعل آثم، ويجوز أن يكون آثم: خبر مقدم، وقلبه: مبتدأ مؤخر والجملة الإسمية خبر إن، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر (من).

﴿والله بما تعملون عليم﴾: الواو: استئنافية، الله: مبتدأ، وبما: متعلقان بعليم، وجملة تعملون لا محل لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول، وعليم: خبر.

مرجع الضمير:

﴿أمانته﴾: أي دينه، والضمير لرب الدين، أو للمديون باعتبار أنه عليه.

﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾: الضمير في (إنه) راجع إلى (من) وهو

---

(١) الحجة ١٠٤، ١٠٥.

الظاهر، وقيل إنه ضـمير الشأن، والجـملة بعده مفسرة لـه،و(آثم): خبر إن، وقلبه: فاعل له لاعتماده، ولا يجئ هذا عـلى القول بأن الضمير للشأن لأنه لا يفسر إلا بالجـملة، والوصف مع مرفوعه ليس بجملـة عند البصري، والكوفي يجيز ذلك، وقيل: إنه خبر مقدم وقلبه مـبتدأ مؤخر، والجملة خبر إن، وعليه يجوز أن يكون الضمـير للشأن، وأن يكون (لمن)، وقيل (آثم) خبـر إن، وفيه ضمير عائد إلى ما عاد إليه ضمير (إنه)، وقلبه بدل من ذلك الضمير بدل بعض من كل.

البلاغة:

في قـوله: ﴿آثم قلبـه﴾ مـجـاز عـقلي، فـقد أسنـد الإثم إلى القلب، والمقـصود الإنسـان كله لا قلبـه وحده لسـر رائع وهو أن القلب بمثـابة الرأس للأعضاء، وهو المضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله، وقد برع الشعراء في هذا السر العجيب، وحسبنا أن نذكر تلفت القلب في قول الشريف الرضي:

ولقـد وقفت على ديارهم … وطلـولها بيد البلى نهب

وبكيت حتى ضج من لغب … نضوي وبح بعذلي الركب

وتلفتت عـيني فمـذ خفيت … عني الطلـول تلفت القلب

{٢٨٥} **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتـبه ورسله لا نفرق بـين أحد من رسله، وقالوا سـمعنا وأطعنا غـفرانك ربنا وإليك المصير﴾.**

الإعراب:

﴿آمن الرسول﴾: جملة مسـتأنفة مسوقة للإخـبار بأن الرسول ﷺ آمن

بكل ما فرض الله على العباد من الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والإيلاء والحيض والجهاد، وما ورد ذكره في السورة من قصص الأنبياء.

﴿بما أنزل إليه من ربه﴾: إليه: جار ومجرور متعلقان بأنزل، و(من ربه): جار ومجرور متعلقان بأنزل، ويجوز تعلقهما بمحذوف حال أي حالة كونه نازلاً من ربه؛ لأنه يضمن السعادة للمجتمع البشري.

﴿والمؤمنون﴾: يجوز أن تكون الواو عاطفة، والمؤمنون عطف على الرسول فيكون الوقف هنا، ويشهد لهذا الإعراب ما قرأه علي بن أبي طالب (وآمن المؤمنون): فأظهر الفعل، ويجوز أن تكون الواو استئنافية، والمؤمنون مبتدأ أول، ﴿كل آمن﴾: (كل): مبتدأ ثان، وجملة (آمن) خبره، والجملة الاسمية خبر المبتدأ الأول وهو المؤمنون، والرابط محذوف على الوجه الثاني، وعلى الوجه الأول تكون جملة (كل آمن) مستأنفة، وساغ الابتداء بكل وهو نكرة؛ لأنه بنية الإضافة أي كل واحد منهم، والتنوين عوض عن الكلمة المحذوفة.

﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾: هذه الجملة مقول قول محذوف، وجملة القول في محل نصب على الحال أي قائلين لا نفرق بين ظرف للمكان أو للزمان لا يضاف إلا لمتعدد، وقد أضيف في الآية إلى أحد؛ لأنه اسم لمن يصلح أن يخاطب يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع كما يستوي فيه المذكر والمؤنث فمعنى لا نفرق بين أحد من الرسل: لا نفرق بين جمع من الرسل، وقد اختلف علماء اللغة: هل تعاد بين بعد ورودها بين المتعاطفين أم لا؟ نحو جلست بين زيد وعمرو، هل يقال: جلست بين زيد وبين عمرو؟.

أجاز ذلك قوم على أن تكون بين للتأكيد ولا يعطف بعدها إلا بالواو، فلا يقال جلست بين زيد فعمرو، وقد اعترض على ذلك بقول امرئ القيس:

قفانبك من ذكري حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقيل البيت على حذف مضاف والتقدير: بين أهل الدخول فحومل. وقال المرادي: إنه على اعتبار المتعـدد حكمًا؛ لأن الدخول مكان لا يجوز أن يشتمل على أمكنة متعددة كما تقول: قعدت بين الكوفة تريد بين دورها وأماكنها.

﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾: الواو: استئنافية، وقالوا: فعل وفاعل، وجملتا سمعنا وأطعنا مـقول القول. **﴿غفرانك﴾**: منصوب على المصدر يقـال: اغفر غفرانًا فهو منصوب بفعل مقـدر، وتقديره: اغفر لنا غفرانك فحذف للعلم به، وهو كثيـر في كلامهم، ومنه قولهم: غـفرانك لا كفرانك، أي نستـغفرك ولا نكفرك. **﴿وإليك المصير﴾**: الجار والمجرور خبر مقدم، والمصير: مبتدأ مؤخر.

مرجع الضمير:

الرابط بين المبـتدأ والخـبر وهو جـملة **﴿آمن﴾** الضـميـر الذي ناب منابة التنوين، وتوحيد الضميـر في آمن مع رجوعه إلى كل المؤمنين؛ لأن المراد بيان إيمان كل فرد منهم من غـير اعتبـار الاجتماع كمـا اعتبر ذلك في قـوله تعالى: **﴿كل أتوه داخـرين﴾**، والضمـير الذي عـوض عنه التنوين راجع إلى المعطوفين مـعًا، كأنه قـيل آمن الرسول والمؤمنـون بما أنزل إليه من ربه ثم فـصل ذلك، وقيـل كل واحد من الرسـول والمؤمنين آمن بالله إلخ. خلا أنه قـدم المؤمن به على المعطوف اعتناء بشأنه، وإيذانًا بأصالته عليه السلام في الإيمان به[1].

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١: ٢٧٤، ٢٧٥، وانظر البيضاوي ٦٥.

[آل عمران]

{٧} ﴿..... فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾.

اللغة والإعراب:

﴿زيغ﴾: الزيغ الميل عن الحق والجنوح إلى الباطل، والزاي والياء إذا وقعتا فاء وعينًا للكلمة أفادتا هذا المعنى وسمي الزيت زيتًا؛ لأنه سائل يميل بسرعة، وزاغت الشمس تزيغ مالت.

وأما: حرف تفصيل وشرط، ﴿الذين﴾: مبتدأ، ﴿في قلوبهم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وزيغ: مبتدأ مؤخر والجملة صلة الموصول.

﴿فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة﴾: الفاء: رابطة لجواب أما، وجملة يتبعون خبر الذين، واستغنى عن الجواب اكتفاءً بالفاء، و(ما): إسم موصول مفعول به، وجملة تشابه صلة الموصول، ومنه: متعلقان بتشابه، وابتغاء مفعول لأجله، والفتنة مضاف إليه.

﴿وما يعلم تأويله﴾: الواو: حالية، ما: نافية، ويعلم: فعل مضارع مرفوع، وتأويله مفعول به مقدم، والجملة في محل نصب حال، و(إلا): ملغاة أداة حصر، ولفظ الجلالة فاعل.

مرجع الضمير:

﴿وما يعلم تأويله﴾: إما أن يكون الضمير عائدًا على الكتاب، أو على

المتشابه، فعوده على الكتاب؛ لأن جـميع آيات الكتاب المحكم والمتشابه منه لا يعلم حقيقتها، ومتى تقع إلا الله سبحانه وتعالى.

ويجوز أن يعـود الضمير على المتـشابه؛ لأن المخبر به من الوعـد والوعيد والإخبار عن الغـيب مقصود منه الإيمان للأمر بذلك بخـلاف الأمر والنهي فإنه متميز غير مشتبه بغيره، فإنه أمور نفعلها قد علمناها بالوقوع، وأمور نتركها لابد أن نتصورها[1].

﴿بـه﴾: الضـميـر المجرور راجـع إلى المتشـابه، وعـدم التعـرض لإيمانهم بالمحكم لظهوره، وإن رجع إلى الكتاب فله وجه أيضًا؛ لأن مآله كل من أجزاء الكتاب، أو جـزئياته وذلك لا يخلو عن الأمريـن ثم هذا القول وإن لم يخص الراسخين ـ لكن فيه تعريض بأن مقتضى الإيمان به ألا يسلك فيه طريق لا يليق من تأويله على ما مر فكأن غيرهم ليس بمؤمن[2].

[٩] ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد﴾.

الإعراب:

﴿ربنا﴾: منادى بحرف نداء محذوف تقديره يا ربنا، ﴿جامع الناس﴾: من إضافة إسم الفاعل إلى المفعول، واليوم متعلق به، ﴿ليوم﴾: اللام بمعنى (في) الظرفية، وقيل إنها بمعنى (إلى) أي جامعهم في القبور إلى يوم القيامة.

﴿لا ريب فـيـه﴾: لا: نافيـة للجنس، وريب: اسمـها، والجـار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها، وجملة لا ريب فيه في محل جر صفة ليوم.

---

(١) محاسن التأويل ٤: ١٤

(٢) روح المعاني ٣: ٨٣

﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾: الجملة تعليلية للحكم، وجملة لا يخلف الميعاد خبر إن.

مرجع الضمير:

﴿لا ريب فيه﴾: أي في وقوعه، ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء، وقيل الضمير المجرور للحكم أي لا ريب في هذا الحكم، فالجملة على الأول صفة ليوم؛ وعلى الثاني لتأكيد الحكم، والمراد عرض كمال افتقارهم إلى الرحمة والتأكيد لإظهار ما هم عليه من كمال الطمأنينة، وقوة اليقين بأحوال الآخرة لمزيد الرغبة في استنزال طائر الإجابة.

﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾: إظهار الاسم الجليل مع الالتفات للإشارة إلى تعظيم الموعود، والإجلال الناشيء من ذكر اليوم المهيب الهائل، وللإشعار بعلة الحكم، فإن الألوهية منافية للإخلاف، ويجوز أن تكون هذه الجملة من كلامه تعالى لتقرير قول الراسخين لا من كلام الراسخين، فلا التفات حينئذ على مذهب الجمهور، وأما على مذهب السكاكي ففيه التفات على كل حال؛ لأنه أتى على خلاف السياق[1].

[١٣] ﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾.

اللغة والقراءة والإعراب:

الفئة: الجماعة لا واحد لها من لفظها والجمع فئات، وقد تجمع بالواو

(١) حاشية الصاوي ١: ١٤٠.

والنون جبرًا لما نقص، وسميت الجماعة فئة؛ لأنه يفاء إليها أي يرجع في وقت الشدة.

العبرة: الاتعاظ يقال منه اعتبر وهو الاستدلال بشيء على شيء يشبهه، واشتقاقها من العبور وهو مجاوزة الشيء إلى الشيء، ومنه عَبر النهر بفتح العين وهو شطه والمعبر: السفينة، والعبارة يعبر بها إلى المخاطب بالمعاني.

آية: اسم كان، و(لكم) جار ومجرور خبر مقدم، ﴿**في فئتين**﴾: جار ومجرور صفة لآية، وجملة التقتا صفة للفئتين، والتاء للتأنيث حركت بالفتحة لمناسبة ألف الاثنين التي هي فاعل، وقد كان ذلك اللقاء يوم بدر.

﴿**فئة تقاتل في سبيل الله**﴾: فئة خبر لمبتدأ محذوف أي إحداهما فئة، ويجوز جر فئة على أنها بدل من فئتين على إحدى القراءات، وجملة تقاتل صفة لفئة.

﴿**وأخرى كافرة**﴾: عطف على فئة، وكافرة صفة فمن رفع الأول رفعه ومن جر الأول جره.

﴿**يرونهم مثليهم رأي العين**﴾: الجملة نعت للفئة التي تقاتل في سبيل الله وهم النبي ﷺ وصحابته، والرؤية بصرية، ﴿**مثليهم**﴾: حال، ورأي العين مفعول مطلق مؤكد لعامله.

﴿**إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**﴾: الجملة مستأنفة مسوقة للحث على الاعتبار، والجار والمجرور خبر مقدم، ﴿**لعبرة**﴾: اللام: للتوكيد، عبرة: اسم إن المؤخر، ﴿**لأولي**﴾: جار ومجرور صفة لعبرة، وعلامة جره الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم.

مرجع الضمير:

﴿ترونهم﴾: في ذلك قراءتان:

الأولى: لنافع ويعقوب بالخطاب، والباقون من السبعة بالغيبة، وفي قراءة نافع وجوه:

أولاً: أن الضمير المجرور في (لكم) والمرفوع في ترونهم وهو الواو للمؤمنين، والمنصوب في (ترونهم)، والمجرور في (مثليهم) للكافرين.

والمعنى: لقد كان لكم آية أيها المؤمنون آية في فئتين بأن رأيتم، الكفار مثلي أنفسهم في العدو، ومع ذلك إنتصرتم عليهم، وهذا دليل على قدرة الله تعالى: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾.

ثانيًا: أن المرفوع في ترونهم وهو الواو للمؤمنين والخطاب لهم، والمنصوب للكافرين، والمجرور في مثليهم للمؤمنين والمعنى: ترون أيها المؤمنون الكافرين مثلي عدد أنفسكم، وهذا تقليل للكافرين عند المؤمنين في رأي العين، وذلك أن الكفار كانوا ألفًا ونيفا، والمؤمنون على الثلث منهم فأراهم إياهم مثليهم يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾، بعد ما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله تعالى: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾، وعلى هذا يكون هنا التفات من الخطاب إلى الغيبة إذ كان حقه أن يقال ترونهم مثليكم، ونظيره قوله تعالى: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾.(1)

ثالثًا: أن يكون الخطاب في (لكم)، وفي (ترونهم) للكفار وهم قريش، والضمير المنصوب والمجرور للمؤمنين، أي قد كان لكم أيها المشركون آية حيث

(1) سورة يونس ٢٢ .

ترون المؤمنين مثلي أنفسهم في العدد فيكون قد كثرهم في أعين الكفار لتضعف قلوبهم فينهزموا.

ويرد على ذلك في الأنفال: ﴿ويقللكم في أعينهم﴾ [1]، مع أن القصة واحدة، فهناك تدل الآية على أن الله تعالى قلل المؤمنين في أعين الكفار، لأجل أن يطمعوا فيهم، ويقدموا عليهم، وهذه الآية تقتضي أن الله كثر المؤمنين في أعين الكفار، ويمكن أن يجاب عن ذلك باختلاف الحالين.

فتقليل المسلمين في أعين الكفار وهو ما أفادته آية الأنفال كان قبل التحام القتال، وتكثيرهم في أعينهم كما هنا كان في حال القتال لأجل أن تضعف قلوبهم فيتمكن المسلمون منهم.

رابعًا: أن الخطاب في (لكم) وفي (ترونهم) لليهود الذين حضروا وقعة بدر، والضميران المنصوب والمجرور للكفار، والمعنى ترون أيها اليهود الكفار مثلي عددهم نحو ألفين، ومع ذلك غلبهم المؤمنون مع قلتهم فيكون ذلك أبلغ في عناية الله بالمؤمنين أما قراءة الباقين ففيها وجهان:

أحدهما: أن الضمير المرفوع للمؤمنين، والمنصوب للمشركين والمجرور للمؤمنين أي يرى المؤمنون الكفار مثليهم أي مثلي المؤمنين أي ستمائة ونيف وعشرين ليطمعوا فيهم.

الثاني: أن المرفوع للكفار، والمنصوب للمؤمنين والمجرور للكافرين أي يرى الكفار المؤمنين مثليهم أي مثلي الكفار أي يرونهم نحو ألفين، وذلك في حال القتال أرى الله الكفار المؤمنين قدرهم أي الكفار مرتين لتضعف قلوبهم فيتمكن المؤمنون منهم قتلاً وأسرًا.

(١) سورة الأنفال ٤٤ .

البلاغة:

في الآية الكريمة حذف من كلامين متقابلين، وكل منهما يدل على المحذوف من الآخر وهذا يسمى (إحتباك). ففي قوله تعالى: ﴿**فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة**﴾ حذف من الكلامين، وتقديره: فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وفئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان، فحذف من الأول ما يفهم من الثاني، وحذف من الثاني ما يفهم من الأول. كذلك نجد تلك الآية الكريمة قد احتملت معنيين متغايرين وهذا التغاير يكون ضداً إذا احتملت رؤية الكثرة أن تكون للمسلمين أو للمشركين في وقت واحد، وليس هناك ما يرجح واحداً على الآخر؛ لأن كلا منهما يصح إطلاقه في الآية.

وقد ورد في الحديث من التوجيه قول النبي ﷺ: «إذا لم تستَحِ فاصنع ما شئت»، وهذا يشتمل على معنيين متضادين أحدهما: إن المراد به إذا لم تفعل فعلاً تستحي منه فاصنع ما شئت، والآخر: أن المراد به إذا لم يكن لك حياء يزعك عن فعل ما يستحيا منه فافعل ما شئت، وهذان معنيان ضدان أحدهما مدح والآخر ذم.

وقد نما هذا النحو البلاغي أبو الطيب المتنبي في مدائحه لكافور ليكون ظاهرها المديح، وباطنها الهجاء فمن ذلك قوله:

وأظلم أهل الأرض من بات حاسدا　　　لمن بات في نعمائه يتقلب

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا　　　لمن بات في نعمائه يتقلب

فهذا البيت يحتمل معنيين ضدين أحدهما: أن المنعم عليه يحسد المنعم، فيكون مدحًا، فأورده ليوهم كافوراً أنه يريد ذلك.

وثانيهما: أن المنعِم يحسد المنعم عليه ليقرر حقيقة رسخت في هذا المخلوق الذي قـذفت به المقاديـر ليكون ملكًا فهـو ينعم على الآخـرين ثم مـا يلبث أن يحسـدهم على ما نالوه من نعمـائه وهذا من أعجب ما اتفق من الشـعر، ومنه قوله في كافور في قصيدة مطلعها:

عدوك مذموم بكل لسان　　　ولو كان من أعدائك القمران

ثم قال فيه:

ولله سـر في عـلاك وإنما　　　كلام العدا ضرب من الهذيان

فمالك تعنى بالأسنة والقنا　　　وجـدك طعان بغير سـنان

أي دع أعداءك يقولون ما أرادوا، ويحسدوا في الأسباب التي جعلت منك ملكًا، فإن ذلك من أسرار الله في خلقه يرفع الوضيع، ويغني البليد، ثم يقول له مخاطبًا: إنك لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل بحظك وسعدك، وهذا مما لا فضل فيه ويستوي منه الغبي وغيره. وهذا الضرب يسمى بالكلام الموجه؛ لأن المعنى إما أن يفهم منـه شيء واحد لا يحتمل غيـره، أو يحتمل منه الشيء وغيره[1].

[١٨] ﴿شهـد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بـالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾.

اللغة والإعراب:

القسط: العدل يقال: أقسط أي عدل، وإسم الفاعل من الرباعي مقسط

(١) إعراب القرآن الكريم محى الدين الدرويش ١: ٤٦٧ بتصرف

أي عادل ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ [1]، وقسط ثلاثي أي جار، واسم الفاعل قاسط أي ظالم ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ [2]، فهو مدح في الرباعي، وذم في الثلاثي.

﴿شهد الله﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة مسوقة لتعداد أصول الدين وفضائله، ﴿أنه﴾: أن وما بعدها في موضع نصب بنزع الخافض أي بأنه والجار وما بعده متعلقان بشهد، وخبر (لا) تقديره في الوجود، والملائكة فاعل لفعل محذوف.

﴿قائمًا﴾: حال لازمة [3] من الله، أو من الضمير المنفصل الواقع بعد (إلا) ولعله أولى، وجاز مجئ الحال بعد معطوفين لأمن الالتباس، فلو لم يؤمن

(١) سورة الحجرات ٩ .

(٢) سورة الجن ١٥ .

(٣) وتقع الحال وصفًا ثابتًا في ثلاث مسائل:

١ـ أن تكون مؤكدة لمضمون جملة قبلها نحو: زيد أبوك عطوفًا فالأبوة من شأنها العطف وذلك مستفاد من مضمون الجملة، أو مؤكدة لعاملها نحو: ﴿ويوم أبعث حيًا﴾ فالبعث من لازمه الحياة فالمعنى مستفاد من دون الذكر.

٢ـ أن يدل عاملها على تجديد ذات صاحبها وحدوثه، أو تجدد صفة له، فالأول نحو قولهم: (خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها)، فيديها بدل من الزرافة بدل بعض من كل، وأطول حال ملازمة من يديها ومن رجليها متعلقان بأطول؛ لأنه اسم تفضيل، وعامل الحال خلق. والثاني نحو قوله تعالى: ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً﴾، فالكتاب قديم، والإنزال حادث، أي محدث النزول لا الوجود.

٣ـ أن يكون مرجعها إلى السماع نحو: ﴿قائمًا بالقسط﴾ على أن بعضهم أعرب ﴿قائمًا﴾ بأنه نصب على المدح كما في قول امرئ القيس:

إذا قلت: هاتي نوليني تمايلت — عليّ هضيم الكشح ريا المخلخل

فهضيم: نصب بتقدير أمدح لا حال، ولأنها صفة لازمة. وأخر الحال عن المعطوفين للدلالة على علو مرتبتهما أي الملائكة وأولو العلم حيث قرنا به تعالى من غير فاصل قال بذلك سعد الدين التفتازاني.

الالتباس لم يجـز مجئ الحال نحو: جاء علي وخـالد ضاحكًا، لعدم العلم بمن هو الضاحك، وواضح أن القيام بالقسط من خـصائص الله تعالى فيكون بمثابة التتمة لكمال الأفعال بعد كمال الذات.

مرجع الضمير:

﴿أنه﴾: الضمير راجع إليه تعالى، ويحتمل أن يكون ضمير الشأن.

البلاغة:

في الآية الكريمـة رد العـجـز على الصـــدر، فـقـد رد ﴿العـزيز﴾ لتفرده بالوحدانية التي تقـتضي العزة، ورد ﴿الحكيم﴾ إلى العدل الذي هـو القسط، فهو تعالى حكيم منزه عن الجور والإنحراف.

[٢٥] ﴿فكيف إذا جمـعناهم ليوم لا ريب فيـه ووفيت كل نفس ما كـسبت وهم لا يظلمون﴾.

الإعراب:

كيف: اسم اسـتفهام في مـحل رفع خبر مقـدم، والمبتدأ محـذوف تقديره حالهم ويجوز أن تكون (كيف) اسم استفهـام عن الحال وتفيد التهديد والوعيد وهي في موضع نصب، والعامل فـيها ما دلت عليه من مـعنى الفعل وتقديره: في أي حال يكونون إذا جمعناهم.

(وإذا): موضعهـا نصب على الظرف، والعامل فيها مـا دلت عليه (كيف) من مـعنى الفعل، والظرف يكتـفي بروائح الفـعل، وما يدل عليـه الكلام من معنى الفعل بخلاف غيره من المنصوبات.

وجملة ﴿جمعناهم﴾: في محل جر بالإضافة، والفاء الداخلة على كيف استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لإبطال ما غرهم ولتهويل ما سيحيق بهم من الأهوال، وجملة ﴿لا ريب فيه﴾ صفة ليوم، ﴿وهم لا يظلمون﴾: جملة في محل نصب حال.

مرجع الضمير:

﴿لا ريب فيه﴾: أي لا شك، وهو يوم القيامة فالضمير راجع إليه، ﴿ووفيت كل نفس ما كسبت﴾: أي جزاء ما عملت من خير أو شر. ﴿وهم لا يظلمون﴾: الضمير لكل نفس على المعنى؛ لأنه في معنى كل إنسان أي لا يظلمون بزيادة عذاب، أو بنقص ثواب[1].

{٣٠} ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾.

اللغة والإعراب:

الأمد: الغاية والمنتهى، والفرق بين الأمد والأبد أن الأول مدة من الزمن محدودة، وإن يكن الحد مجهولاً، أما الأبد فهو مدة من الزمن غير محدودة.

﴿يوم﴾: ظرف بمتعلق تقديره: (اذكر)، وجملة تجد في محل جر بالإضافة، وتجد: يجوز أن تكون بمعنى تصادف وتصيب فتتعدى لواحد، ويجوز أن تكون بمعنى تعلم فتتعدى لاثنين.

﴿ما عملت﴾: ما: اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به، وجملة عملت صلة، والعائد محذوف أي عملته، ﴿من خير﴾: متعلق بمحذوف حال،

(١) محاسن التأويل ٤: ٧٦

و﴿محضراً﴾: حال على الأول، ومفعول به ثان على الثاني، والجملة كلها مستأنفة لا محل لها.

﴿وما عملت من سوء﴾: الواو: استئنافية، وما: اسم موصول مبتدأ، وجملة عملت صلة، و﴿من سوء﴾: متعلقان بمحذوف حال، وجملة ﴿تود﴾: خبر المبتدأ، ﴿لو﴾: شرطية، وجوابها محذوف تقديره: لفرحت واطمأنت، وأن وما بعدها في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف تقديره ثابت كما ذهب إليه سيبويه، أو فاعل لفعل محذوف تقديره ثبت، وفي الكلام حذفان؛ أحدهما حذف مفعول تود، والثاني جواب (لو)، والتقدير: تود تباعد ما بينها وبين لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا لسرت بذلك أو لفرحت.

مرجع الضمير:

﴿وبينه﴾: أي بين ذلك اليوم، وقيل الضمير - لما عملت - لقربه؛ ولأن اليوم أحضر فيه الخير والشر، والمتمني بُعد الشر لا ما فيه مطلقًا فلا يحسن إرجاع الضمير (ليوم) وإلى ذلك ذهب أبو حيان في البحر المحيط، ورد بأنه أبلغ؛ لأنه يود البعد بينه وبين اليوم مع ما فيه من الخير لئلا يرى ما فيه من السوء، وذهب إلى ذلك جمهور البصريين ولعله الصحيح ومنه قولهم:

أجل المرء يستحث ولا يد ... ري إذا يبتغي حصول الأماني

أي المرأ في وقت ابتغائه حصول الأماني يستحث أجله ولا يدري، والفراء والأخفش وغيره من البصريين على عدم الجواز؛ لأن هذا المعمول فضلة فيجوز الاستغناء عنه، وعود الضمير على ما اتصل به يخرجه عن ذلك؛ لأنه يلزم ذكر المعمول ليعود الضمير الفاعل على ما اتصل به ولا يخفى وهنه.

وفي الآية وجه آخر منها أن ناصب الظرف قدير، ولا يرد عليه تقييد قدرته سبحانه بذلك اليوم؛ لأنه إذا قدر في مثله علم قدرته في غيره، أو منصوب بالمصير، أو بالذكر أو بيحذركم مقدراً فيكون مفعولاً به[1].

{٣٦} ﴿فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتًا حسنًا﴾.

الإعراب:

﴿فلما وضعتها﴾: الفاء استئنافية، لما: ظرفية حينية أو حرف للربط، وضعتها: فعل والفاعل ضمير مستتر، والهاء مفعول به.

﴿قالت﴾: الجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، و**﴿رب﴾**: منادى منصوب بفتحة مقدرة لأنه منادى منصوب، وجملة النداء مقول القول **﴿أنثى﴾**: حال.

﴿والله أعلم بما وضعت﴾: الواو: اعتراضية، والله: مبتدأ، أعلم: خبر.

﴿سميتها مريم﴾: الهاء: مفعول أول، ومريم: مفعول ثان.

﴿أعيذها وذريتها﴾: جملة أعيذها: خبر إن، والهاء: مفعول به، وذريتها: عطف على الهاء، أو مفعول معه.

مرجع الضمير:

(١) روح المعاني ٣:١٢٧

﴿فلما وضعتها﴾: الضمير يعود على ﴿ما في بطني﴾ وأنث على المعنى؛ لأن ما في بطنها كان أنثى في علم الله تعالى؛ أو على تأويل النفس أو النسمة[1]، كما أن المقام يستدعي ظهور الأنوثة، واعتباره في حيز الشرط إذ عليه يترتب جواب (لما) لا على وضع ولد (ما)، وأنثى: حال مؤكدة من الضمير، أو بدل منه.

﴿ربها﴾: قيل يعود الضمير إلى مريم، أو لامرأة عمران بدليل أنها التي خاطبت، ونادت بقولها: ﴿رب إني وضعتها أنثى﴾، والأول أولى.

[٤٤] ﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾.

الإعراب:

﴿أيهم يكفل مريم﴾: مبتدأ، وجملة يكفل: خبر، والجملة في موضع نصب بفعل دل عليه الكلام، والتقدير: ينظرون أيهم يكفل مريم ولا يعمل في لفظ (أي) لأنها استفهام، والاستفهام لا يعمل فيه ما قبله[2].

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿لديهم﴾ عائد على غير مذكور، بل ما دل عليه المعنى أي ما كنت لدى المتنازعين كقوله تعالى: ﴿فأثرن به نقعا﴾ [3] أي بالمكان [4].

(١) محاسن التأويل ٤: ٩٠

(٢) روح المعاني ٣: ١٣٥

(٣) سورة العاديات (٤).

(٤) البيان ١: ٢٠٣

[٤٥] ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهًا في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾.

اللغة والإعراب:

﴿المسيح﴾: لقب من الألقاب الشريفة التي تشعر بالرفعة، وهو بالعبرية المشيح، ومعناه: المبارك، وسمي بذلك لكثرة سياحته، وقيل لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص[١] لهما، وقيل لأنه كان إذا مسح أحدًا من ذوي العاهات برئ.

و﴿عيسى﴾: معرَّب من اليشوع، وقيل مشتق من العيس وهو بياض تعلوه حمرة، وقيل اسمه المسيح عيسى بن مريم: الاسم والكنية واللقب، ولا يتميز بغيرها.

﴿إذ﴾: ظرف زمان ماض، وهو بدل من قوله: ﴿إذ يختصمون﴾، و﴿اسمه المسيح﴾: جملة اسمية في موضع جر صفة لكلمة، وعيسى بدل من المسيح، و﴿ابن مريم﴾: في رفعه وجهان:

أحدهما: أن يكون بدلاً من (عيسى).

الثاني: أن يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره: هو ابن مريم، ولا يجوز أن يكون وصفًا لعيسى؛ لأن اسمه عيسى فقط، وليس اسمه عيسى بن مريم، وإذا كان كذلك وجب إثبات الألف في الخط من قوله: ابن مريم؛ لأن الألف من ابن إنما تسقط إذا وقعت وصفًا بين علمين، ولا يجوز أن يكون ها هنا وصفًا فوجب أن تثبت[٢].

(١) الأخمص: باطن القدم الذي يتجافى عن الأرض

(٢) البيان ١: ٢٠٣

﴿منه﴾: نعت لكلمة، أي كلمة كائنة منه أي من الله، أي مبتدأة وناشئة منه أي من غير واسطة الأسباب العادية[1].

﴿وجيهًا﴾: حال من كلمة، وإن كانت نكرة؛ لأنها موصوفة بالجار والمجرور.

مرجع الضمير:

﴿منه﴾: أي بمولود يحصل بكلمة منه بلا واسطة أب، أي يكون منه، أو بموجود منه.

﴿اسمه﴾: ذكر الضمير الراجع إلى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر أي اسمه الذي يميزه لقبًا ﴿المسيح﴾، وعلمًا ﴿عيسى﴾، فمعنى الكلمة معنى الولد، والمعنى: إن الله يبشرك بهذا الولد[2].

البلاغة:

سمى الولد كلمة؛ لأنه وجد بكلمة كن فهو من باب إطلاق السبب على المسبب.

[٤٩] ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق

(١) الفتوحات ١: ٢٧١

(٢) معاني القرآن للزجاج ١:٤١٦، ويحكى أن طبيبا حاذقا نصرانيا جاء للرشيد فناظر علي بن الحسين الواقدي ذات يوم فقال له: إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله وتلا هذه الآية (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فقرأ له الواقدي، وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه، وقال إذا يلزم أن تكون جميع تلك الأشياء جزءا منه سبحانه، فاقتنع النصراني وأسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا، وأعطى للواقدي حلة فاخرة. الفتوحات ١: ٢٧١ .

لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله﴾.

الإعراب:

﴿رسولاً﴾: منصوب بفعل مقدر، وتقديره ونجعله رسولا، وقيل هو حال على تقدير ويكلمهم رسولا.

﴿أني أخلق﴾: قرئ بكسر الهمزة من (إن) وفتحها، فمن قرأ بالكسر فعلى الابتداء، ومن فتحها ففي موضعها ثلاثة أوجه (النصب، والجر، والرفع).

فالنصب: على أن يكون بدلاً من (أن) الأولى في قوله: ﴿أني قد جئتكم بآية﴾، وهي في موضع نصب؛ لأن التقدير: جئتكم بأني قد جئتكم، فحذف حرف الجر فاتصل الفعل به، والجر: على أن يكون بدلاً من آية وهي مجرورة، والرفع: على أن يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره هي أن أخلق.

﴿كهيئة الطير﴾: الكاف في موضع نصب؛ لأنها صفة مصدر محذوف وتقديره: خلقًا مثل هيئة الطير.

مرجع الضمير:

﴿فيه﴾: الضمير يعود على الكاف؛ لأنها بمعنى مثل، وقرأ عبدالله فأنفخها، أو يعود على معنى الهيئة؛ لأنها بمعنى المهيأ، أو على الطير، أو على المفعول المحذوف أو على الهيئة المقدرة، أي أخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير فأنفخ فيها، أو على المخلرق لدلالة المصدر وهو الخلق، أي وقع المصدر موقع المفعول كقوله تعالى: ﴿هذا خلق الله﴾.

ورجح السيوطي الرأي الأول واستوضحه[1].

(١) معترك الأقران ٣: ٣٩.

{٥٩} ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾.

الإعراب:

﴿الحق من ربك﴾: يجوز أن تكون تلك الجملة مستقلة برأسها، والمعنى أن الحق الثابت الذي لا يضمحل هو من ربك، ومن جملة ما جاء من ربك قصة عيسى وأمه فهو حق ثابت، أو بكون الحق خبر لمبتدأ محذوف أي هو أي ما قصصنا عليك من خبر عيسى وأمه.

ومن ربك على هذا فيه وجهان:

أحدهما: أنه حال فيتعلق بمحذوف، والثاني: أنه خبر ثان عند من يجوز ذلك[1].

مرجع الضمير:

﴿له﴾: الضمير المجرور عائد على ما عاد عليه الضمير المنصوب أي يعود على آدم عليه السلام، أما القول بعوده على عيسى عليه السلام ليس بشيء لما فيه من التفكيك الذي لا داعي إليه، ولا قرينة تدل عليه.

{٦١} ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ....﴾.

الإعراب:

﴿فمن حاجك﴾: يجوز في (من) وجهان:

أحدهما: أن تكون شرطية وهو الظاهر أي إن حاجك أحد فقل له كيت

(١) الجمل ١: ٢٨١

وكيت، ويجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي، ودخلت الفاء في الخبر لتضمنه معنى الشرط، فيه: متعلق بحاجك أي جادلك في شأنه.

مرجع الضمير:

﴿فيه﴾: الضمير في شأن عيسى عليه السلام؛ لأنه المحدث عنه، وصاحب القصة، واستظهره العلامة الجمل، وقيل: الضمير للحق المتقدم لقربه في الآية التي قبلها ﴿الحق من ربك﴾ وعدم بعد المعنى.

{٧٥} ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ..... ذلك بأنهم قالوا﴾.

اللغة والإعراب:

الدينار: أصله دنار بنونين، فاستثقل توالي المثلين فأبدلوا أولهما حرف علة تخفيفًا لكثرة دوره في لسانهم ويدل على ذلك رده إلى النونين تكسيرًا وتصغيرًا في قولهم: دنانير، دنينير، ومثله: قيراط: أصله قراط بدليل قراريط، وقريريط.

﴿من إن تأمنه﴾: من: مبتدأ، ومن أهل الكتاب خبره قدم عليه و(من) إما موصولة، وإما نكرة، وإن تأمنه يؤده: هذه الجملة شرطية، إما صلة فلا محل لها، وإما صفة فمحلها الرفع.

﴿ذلك بأنهم﴾: مبتدأ، وخبر، وذلك إشارة إلى الاستحلال وعدم المؤاخذة في زعمهم أي ذلك الاستحلال مستحق بقولهم ليس علينا في الأميين سبيل، ﴿ليس علينا﴾: يجوز أن يكون في ليس ضمير الشأن، وهو اسمها، وحينئذ يجوز أن يكون سبيل مبتدأ، وعلينا الخبر، والجملة خبر ليس، ويجوز

أن يكون علينا هو الخبر وحده، وسبيل مرتفع به على الفاعلية، ويجوز أن يكون سبيل اسم ليس، والخبر أحد الجارين علينا أو في الأميين، ويجوز أن يتعلق في الأميين بالاستقرار الذي تعلق به علينا[1].

مرجع الضمير:

﴿بأنهم﴾: الباء للسببية أي بسبب قولهم[2]: والضمير عائد على (من) في من إن تأمنه بدينار، وجمع حملاً على المعنى.

{٧٦} ﴿بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين﴾.

الإعراب:

﴿بلى﴾: حرف جواب وتصديق، وتقع بعد الاستفهام كثيراً، وتختص بالإيجاب، ﴿من﴾: اسم شرط جازم مبتدأ، ﴿فإن الله﴾: الفاء واقعة في جواب الشرط والجملة في محل جزم، وفعل الشرط وجوابه خبر (من).

مرجع الضمير:

﴿بعهده﴾: الضمير في (بعهده) إما لإسم الله في قوله: **﴿ويقولون على الله الكذب﴾** على معنى أن كل من أوفى بعهد الله، واتقاه في ترك الخيانة والعذر فإن الله يحبه، وإما أن يعود على **﴿من أوفى﴾** على أن كل من أوفى بما عاهد عليه، واتقاه فإنه يحبه.

قال الزمخشري:

---

(١) روح المعاني ٣: ٢٠٢

(٢) الفتوحات ١: ٢٨٩

فإن قلت فهـذا عام، يخيل أنه، ولو وفى أهل الكتاب بعـهودهم، وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت: أجل؛ لأنهم إذا وفوا بالعهود، وفوا أول شيء بالعـهد الأعظم وهو مـا أخذ عليهـم في كتابهـم من الإيمان برسول مـصدق لما معهم، ولو اتقوا الله في ترك الكذب على الله، وتحريف كلمه[1].

{٧٨} ﴿وإن منهم لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله ...... ﴾.

اللغة والإعراب:

﴿يلوون﴾: أي يديرونهـا عن الصـحـيح إلى المـزيف، وجـملة (يلوون) صفة، وجمع الضـمير إعتبارًا بالمعنى؛ لأنه اسم جـمع كالرهط والقوم، **﴿من الكتاب﴾**: في موضع المفـعول الثاني، **﴿وما هو من الـكتاب﴾**: ما: حجازية، هو: اسمها، (من الكتاب): خبرها والجملة حالية.

مرجع الضمير:

الضمير في لتحسبوه يجـوز أن يعود على ما دل عليه ما تقدم من ذكر الليّ والتـحريف أي لتـحسبـوا المحرف من التـوراة، ويجوز أن يـعود على مـضاف محذوف دل عليـه المعنى، والأصل يلوون ألسنتهم بشبه الـكتاب لتحسبـوا شبه الكتاب الذي حرفوه من الكتاب، ويكون كقوله تعالى: **﴿أو كظلمات في بحر لجي﴾** [2]، ثم قال: **﴿يغشاه موج﴾**، والأصل أو كذي ظلمات، فـالضمير في يغشاه يعود على ذي المحذوفة، ومن الكتاب هو المفعول الثاني لتحسبوه، وقرئ ليحسبـوه بياء الغيبة، والمراد بهم المسلمون أيضًا كـما أريد بهم أي المخاطبين في

(١) محاسن التأويل ٤: ١٢٤، ١٢٥

(٢) سورة النور ٤٠ .

قراءة العامة. والمعنى: ليحسب المسلمون أن المحرف من التوراة.

[٨٧، ٨٨] ﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها ....﴾.

الإعراب:

﴿أولئك﴾: مبتدأ، وجزاؤهم مبتدأ ثان، وأن عليهم خبر المبتدأ الثاني، والمبتدأ الثاني، وخبره خبر المبتدأ الأول.

ويجوز أن يكون **﴿جزاؤهم﴾** بدلاً من أولئك بدل اشتمال. **﴿خالدين﴾**: منصوب على الحال من الضمير في **﴿عليهم﴾**، والعامل فيه الاستقرار ولا يخفف عنهم مثله، ويجوز أن يكون مستأنفًا منقطعًا عن الأول.

مرجع الضمير:

الضمير في **﴿فيها﴾** يعود على اللعنة، أو العقوبة، أو النار وإن لم يجر لها ذكر إكتفاء بدلالة اللعنة عليها[١]. وذكر في محاسن التأويل[٢]:

أن التخليد في اللعنة على الأول بمعنى أنهم يوم القيامة لا يزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون، ومن معهم في النار فلا يخلو شيء من أحوالهم من أن يلعنهم لاعن من هؤلاء، أو بمعنى الخلود في أثر اللعن؛ لأن اللعن يوجب العقاب. فعبر عن خلود أثر اللعن بخلود اللعن، ونظيره قوله تعالى: **﴿من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه﴾**[٣]. أفاده الرازي.

---

(١) روح المعاني ٣: ٢١٧

(٢) محاسن التأويل ٤: ١٣٧

(٣) طه ١٠٠، ١٠١

{٩٧} ﴿..... ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾.

الإعراب:

في موضع ﴿من﴾ وجهان: الجر، والرفع:

فالجر على البدل من الناس، والرفع من وجهين:

أحدهما: أن يكون في موضع رفع أي ارتفع بالمصدر ارتفاع الفاعل بفعله والمصدر مضاف إلى المفعول، وهو حج البيت، وتقديره: ولله على الناس أن يحج البيت من استطاع إليه سبيلا، والمصدر كما هو معلوم يضاف إلى المفعول أو الفاعل.

قال الأقيشر الأسدي:

أفنى تلادي وما جمعت من نشب ... فرع القواقيز أفواه الأباريق

فعلى رواية أفواه بالرفع المصدر مضاف إلى المفعول، وعلى رواية النصب المصدر مضاف إلى الفاعل.

الثاني: أن تكون (من) شرطية في موضع رفع بالابتداء و﴿استطاع﴾: في موضع جزم بمن، والجواب محذوف وتقديره: فعليه الحج[1].

فأعرب (من) فاعلاً بحج، ورد بأنه يصير المعنى: ولله على جميع الناس أن يحج البيت المستطيع، وليس كذلك (فمن) بدل من (الناس)، والتقدير:

ولله على الناس مستطيعهم حج البيت، وقيل من: مبتدأ والخبر محذوف،

---

(١) البيان ١: ٢١٤

والتقدير: من استطاع منهم فعليه ذلك[1].

مرجع الضمير:

﴿إليه﴾: الهاء في إليه فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون عائدة على الحج.

الثاني: أن تكون عائدة على البيت[2].

[١٠٣] ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾.

اللغة والإعراب:

﴿شفا﴾: الشفا: طرف الحفرة بالتذكير والتأنيث، والأصل في الشفا مذكر، وقد عاد الضمير عليه في الآية مؤنثًا؛ لأنه اكتسب التأنيث بإضافته إلى الحفرة، والقاعدة المطردة هي أن المضاف المذكر يكتسب التأنيث من المضاف إليه المؤنث والعكس بشرط صلاحية المضاف للاستغناء عنه بالمضاف إليه مع صحة المعنى، والأمثلة على ذلك قوله:

طول الليالي أسرعت في نقضي   نقضن كلي ونقضن بعضي

فأنث الفعل أسرعت مع أنه خبر عن مذكر؛ لأنه اكتسب التأنيث من الليالي ومنه:

وما حب الديار شغفن قلبي   ولكن حب من سكن الديارا

---

(١) انظر شرح ابن عقيل ٣:١٠٣

(٢) البيضاوي ٨٢

ومن الثاني قوله:

إنارة العقل مكسوف بطوع هوى وعقل عاصي الهوى يزداد تنويرا

فذكر مكسوف مع أنه خبر عن مؤنث وهو إنارة؛ لأنها اكتسبت التذكير من إضافتها إلى العقل.

وشفا أصله شفو بدليل قولهم في تثنيته: شفوان، فتحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا. ﴿من النار﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لحفرة. ﴿لكم﴾: مفعول لأجله، أو حال.

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿منها﴾ للحفرة، أو للنار، أو للشفا واكتسب التأنيث بالإضافة، والإنقاذ من الشفا أبلغ من الإنقاذ من الحفرة ومن النار، وساغ الامتنان عليهم بالإنقاذ من الحفرة، لأنهم كانوا صائرين إليها غالبًا لولا الإنقاذ الرباني، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «الراتع حول الحمى يوشك أن يواقعه»، وإلى قوله تعالى: ﴿أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم﴾[1].

وانظر كيف جعل تعالى كون البنيان على الشفا سببًا مؤديًا إلى انهياره في نار جهنم مع تأكيد ذلك بقوله: ﴿هار﴾ والله أعلم[2].

{١٢٢} ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما﴾.

الإعراب:

﴿إذ﴾: ظرف للماضي بدل من إذا الأولى أي اذكر ذلك الوقت وهو يوم

(١) التوبة ١٠٩

(٢) محاسن التأويل ٤: ١٧٥

أحد، وجملة همت في محل جر بالإضافة.

﴿منكم﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لقوله: ﴿طائفتان﴾، و﴿أن﴾: حرف مصدري ونصب، و﴿تفشلا﴾: فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون، والألف فاعل، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بهمت؛ لأنه يتعدى بالباء، والتقدير: بأن تفشلا ولك في محلها وجهان: النصب على نزع الخافض، والجر.

﴿والله وليهما﴾: الواو: للحال، فالجملة حالية، أو للاستئناف فالجملة من مبتدأ وخبر مستأنفة.

مرجع الضمير:

قرئ[1]: (والله وليهم) أعاد الضمير على المعنى، لا على لفظ التثنية كقوله: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾[2] و﴿هذان خصمان اختصموا﴾[3]

[١٢٦] ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به﴾.

الإعراب:

﴿ولتطمئن قلوبكم به﴾: هذه اللام لام كي، وينتصب الفعل بعدها بتقدير أن، وإذا أدخلت عليها حرف العطف وليس قبلها لام كانت متعلقة بمحذوف بعدها، والتقدير: ولتطمئن قلوبكم به جعله بشرى لكم.

مرجع الضمير:

(١) البحر ٣: ٤٧، الكشاف ١: ٤١١

(٢) سورة الحجرات ٩.

(٣) سورة الحج ٢٠.

الهاء في (به) فيها خمسة أوجه:

الأول: أنها تعود على الإمداد الذي دل عليه قوله: ﴿أن يمدكم﴾ أي وما جعل الله ذلك الإمداد إلا ﴿بشرى لكم﴾، أو الضمير للوعد بالإمداد.

الثاني: أن تعود على التسويم الذي دل عليه قوله مسومين.

الثالث: أن تعود على النصر المفهوم من نصركم.

الرابع: أن تعود على الإنزال الذي دل عليه منزلين.

الخامس: أن تعود على العدد الذي دل عليه خمسة آلاف وثلاثة آلاف[1].

[١٤٣] ﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾.

الإعراب:

الواو: استئنافية، واللام جواب لقسم محذوف، وقد: حرف تحقيق، وكنتم: كان الناقصة واسمها، وجملة تمنون: خبر، وأصل تمنون تتمنون، فحذفت إحدى التاءين، والمصدر المؤول من. ﴿أن تلقوه﴾: مضاف إليه.

﴿رأيتموه﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والواو لإشباع الضمة.

﴿وأنتم تنظرون﴾: الواو: حالية، والجملة في محل نصب ولابد من تقدير مضاف أي سبب الموت.

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿تلقوه، رأيتموه﴾ يعود على الموت أي الحرب؛ لأنها من

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٢٢٠

أسبابه، أو الموت علـى الشهادة، ﴿من قبل أن تـلقوه﴾: أي تشاهدوه وتعرفوا هوله، ﴿فقد رأيتموه﴾: أي ما تتـمنونه من أسبـاب الموت، أو الموت لمشاهدة أسبابه العادية، أو قتل إخوانكم بين أيديكم.

قـال ابن قتـيبـة: فقـد رأيتم أسبـابه فحـذف المضاف وأقـام المضاف إليـه مقامه[1].

[١٤٦] ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾.

اللغة والإعراب:

﴿ربيون﴾: ربانيون نسـبة إلى الرب وهي بتثليث الراء، والقيـاس: الفتح، والضم والكسر من تغييرات النسب. ﴿استكانوا﴾: ضعفوا من الاستكانة وهي الانكسار وأصله: إستكون: نقلت الفتحة إلى الكاف ثم قلبت الواو ألفا.

﴿وكأين﴾: بمعنى كم في الاستفهام والخبر، وهي مركبة من كاف التشبيه، وأي، وخلع عنها مـعنى التشـبيه، وأثبت في كـتابتهـا بعد اليـاء (نون)، لأنها غيرت عن أصلها، وأفادت بعد التركـيب: التكثير المفهوم من كم الخبرية، وهي في محل رفع مـبتدأ، و﴿من نبي﴾: تمييز كأين، والتنوين للتكثـير أي كثير من الأنبيـاء، وجملة قاتل خـبر كأين، ومـعه: ظرف مكان مـتعلق بمحذوف خـبر مقدم، وربيون مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب على الحال وهي توافق كم في خمسة، وتخالفها في خمسة:

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٢٢٣

توافقها فيما يأتي:

١ـ الإبهام.

٢ـ الافتقار إلى التمييز.

٣ـ البناء.

٤ـ لزوم التصدير.

٥ـ إفادة التكثير تارة، والاستفهام تارة أخرى كقول أبي لابن مسعود: كأين تقرأ سورة الأحزاب؟ قال: ثلاثًا وسبعين.

وتخالف في خمسة أمور:

١ـ أنها مركبة وكم بسيطة.

٢ـ أن مميزها مجرور بمن غالبًا.

٣ـ أنها لا تقع استفهامية عند الجمهور.

٤ـ أنها لا تقع مجرورة فلا تقول: بكأين تبيع هذا وأجازه البعض.

٥ـ أن خبرها لا يقع مفردًا.

﴿في سبيل الله﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال.

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿وهنوا﴾ يعود إلى الربيين بجملتهم إن كان قتل مسندًا إلى ضمير النبي، وكذا في قراءة قاتل سواء كان مسندًا إلى ضمير النبي أو إلى

الربيين، فإن كان مسندًا إلى الربيين، فالضمير يعود على بعضهم.

{١٥٠} ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين﴾.

اللغة والإعراب:

﴿الرعب﴾: بضم الراء وسكون العين وضمها وقد قرئ بهما الخوف، والأصل: الامتلاء يقال: رعبت الحوض أي ملأته، وسيل راعب أي: ملأ الوادي، ويتعدى بنفسه، وبالهمزة وهو كلام مستأنف مسوق على طريق الالتفات للتنبيه على هول ما سيلقيه تعالى في قلوبهم.

والواو في ﴿ومأواهم﴾، ﴿وبئس﴾: للاستئناف والمخصوص محذوف تقديره: النار.

مرجع الضمير في ﴿به﴾:

﴿ما لم ينزل به﴾: أي بكونه إلهًا، أو متصفًا بصفاته، أو مستحقًا للعبادة.

البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿سنلقي﴾ التفات من الغيبة إلى التكلم للاهتمام بما يلقيه تعالى في قلوبهم، كما توجد استعارة؛ لأن الإلقاء لا يكون إلا في الأجرام فاستعير هنا للرعب تنزيلاً للمعنوي في صورة المحسوس.

{١٥٣} ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غمًا بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون﴾.

اللغة والإعراب:

﴿تصعدون﴾: من أصعد أي ذهب بعيدًا في الجبل وفي الأرض يقال صعد في الجبل، وأصعد في الأرض، ﴿تلوون﴾: تصرفون وجوهكم ولا تعرجون على أحد.

﴿إذ﴾: ظرف للماضي متعلق بمحذوف تقديره: اذكر أو صرفكم أو بعفا عنكم كأنه من باب التنازع، وجملة تصعدون في محل جر بإضافة إذ إليها، ﴿ولا تلوون﴾: الواو يجوز أن تكون للعطف أو للحال وكذا الواو في الرسول واو الحال.

﴿فأثابكم﴾: فعل والضمير مفعول به، ﴿غمًا﴾: يجوز أن يكون مفعولاً ثانيًا بتضمين أثابكم معنى المجازاه والإعطاء، ويجوز أن يكون تمييزًا، و﴿بغم﴾: الجار والمجرور صفة، أي غمًا متصلاً بغم.

مرجع الضمير:

﴿فأثابكم﴾: الضمير لله، والمعنى فجازاكم الله تعالى عن فشلكم وبعصيانكم غمًا متصلاً بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين، والإرجاف بقتل الرسول ﷺ، أو فجاراكم غمًا بسبب غم أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا على نفع فائت، أو ضر لاحق.

وقيل الضمير في ﴿فأثابكم﴾ للرسول ﷺ أي فآساكم في الاغتمام

فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه[1].

البلاغة:

﴿والرسول يدعوكم﴾: تصوير جميل لموقف القائد وثباته عندما يقول: إليّ عباد الله، أنا رسول الله من يكر فله الجنة.

[١٦٠] ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

الإعراب:

﴿فلا غالب لكم﴾: الفاء واقعة في جواب الشرط، لا: نافية للجنس، غالب: اسمها مبني على الفتح، وجملة لا غالب لكم في محل جزم جواب الشرط.

﴿فمن ذا الذي ينصركم﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، من: اسم استفهام إنكاري في محل رفع مبتدأ، وذا: اسم إشارة في محل رفع خبر (من)، الذي: اسم موصول بدل من اسم الإشارة.

﴿من بعده﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال، وجملة فمن ذا الذي: في محل جزم جواب الشرط.

﴿فليتوكل﴾: الفاء لتأكيد الاستئناف، واللام لام الأمر والمضارع مجزوم بها.

مرجع الضمير:

---

(١) البيضاوي ٩٢

الهاء في ﴿من بعده﴾ عائد على الله تعالى إما على حذف مضاف أي من بعد خذلانه، أو يكون المعنى: إذا جاوزته إلى غيره وقد خذلك فمن ذا الذي تجاوزه إليه فينصرك، ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على المصدر المفهوم من قوله: ﴿وإن يخذلكم﴾ كقولهم: من كذب كان شراً له، أي كان الكذب شراً له، فالمعنى: من (بعده) أي بعد خذلانه، أو من بعد الله تعالى فعلى الأول (بعد) ظرف زمان وهو الأصل فيها، وعلى الثاني مستعار للمكان[1].

البلاغة:

في تأكيد الاستئناف بعد الإنكار والنفي حث مبالغ فيه على الاتكال بعد الأخذ بأسباب الحيطة والحذر.

{١٦٢، ١٦٣} ﴿أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير، هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون﴾.

الإعراب:

الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على محذوف والتقدير: أجعل لك ما تميز به بين الضال والمهتدي فمن اتبع رضوان الله واهتدى ليس كمن باء بسخط من الله.

هم: مبتدأ، درجات: خبر، وعند الله: ظرف متعلق بمحذوف صفة لدرجات، ﴿والله﴾: الواو: استئنافية، الله: مبتدأ، وبصير: خبر.

مرجع الضمير:

---

(١) البحر ٣: ٤٧٥، الكشاف ١:٤٣٢، روح المعاني ٤: ١٠٨ البيان ١: ٢٣٠

﴿هم﴾: يحتمل أن يعود الضمير إلى ﴿من اتبع﴾ أو إلى ﴿من باء بسخط من الله﴾ أو إليهما معًا.

أما الوجه الأول وهو: أن يكون عائدًا إلى ﴿من اتبع رضوان الله﴾، وتقديره: أفمن اتبع رضوان الله سواء، لا بل هم درجات عند الله حسب أعمالهم، ومما يرجح ذلك الوجه، ويجعله أولى الوجوه ما يأتي:

١ـ أن الغالب في العرف استعمال الدرجات في أهل الثواب، والدركات في أهل العقاب.

٢ـ أنه تعالى وصف من باء بسخط من الله وهو أن مأواهم جهنم، وبئس المصير، فوجب أن يكون قوله: ﴿هم درجات﴾ وصفًا لمن اتبع رضوان الله.

٣ـ أن عادة القرآن في الأكثر جارية بأن ما كان من الثواب والرحمة فإن الله يضيفه إلى نفسه قال تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾[1]، وقال: ﴿كتب عليكم القصاص﴾[2]، وقال: ﴿كتب عليكم الصيام﴾[3]، فلما أضاف هذه الدرجات إلى نفسه حيث قال: ﴿هم درجات عند الله﴾ علمنا أن ذلك صفة أهل الثواب.

٤ـ أنه متأكد بقوله تعالى: ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾[4].

الوجه الثاني: أن يكون قوله: ﴿هم درجات﴾ عائدًا على ﴿من باء

(١) الأنعام ٥٤.

(٢) البقرة ١٧٨.

(٣) البقرة ١٨٣.

(٤) الإسراء ٢١.

بسخط من الله﴾ والحجة:

أن الضمير عائد إلى الأقرب وهو قول الحسن، قال: والمراد أن أهل النار متفاوتون في مراتب العذاب وهو كقوله: ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾[1].

وعن رسول الله ﷺ: «إن فيها ضحضاحًا وغمرًا وأنا أرجو أن يكون أبو طالب في ضحضاحها».

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة رجل يحذى له نعلان من نار يغلي من حرهما دماغه ينادي يا رب وهل أحد يعذب عذابي».

الوجه الثالث: أن يكون قوله: ﴿هم﴾ عائد إلى الكل، وذلك لأن درجات أهل الثواب متفاوتة ودرجات أهل العقاب أيضًا متفاوتة على حسب تفاوت أعمال الخلق؛ لأنه تعالى قال: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[2]. فلما تفاوتت مراتب الخلق في أعمال المعاصي والطاعات وجب أن تتفاوت مراتبهم في درجات العقاب والثواب.

(١) الأحقاف ١٩.

(٢) الزلزلة ٧، ٨.

{١٦٥} ﴿أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾.

الإعراب:

﴿لما﴾: بمعنى حين ولما على ثلاثة أوجه:

١ـ تختص بالمضارع فتجزمه وتقلبه ماضيًا كلم، ولكن نفيها مستمر إلى الحال بعكس لم.

٢ـ أن تختص بالماضي وقد اختلف فيها علماء النحو فمنهم من قال هي ظرف بمعنى حين، ومنهم من قال هي حرف لربط جملتين لابد منها نحو: لما جاءني أكرمته.

٣ـ أن تكون حرف استثناء فتدخل على الجملة الاسمية نحو إن كل نفس لما عليها حافظ.

وقد أورد ابن هشام في المغنى هذه الآية على أن الهمزة تدخل على النفي كما تدخل على الإثبات ولعل الصواب جانبه في هذه المسألة؛ لأن لما هنا حينية لا نافية فلا يصلح هذا مثالاً لدخولها على النفي، وقد انتبه السيوطي لذلك وقال والأولى التمثيل بقول الشاعر:

فقلت ألما أصح والشيب وازع

وهذه من هنات ابن هشام، وقال الدماميني في شرحه للمغني: والأولى أن يجعل مدخولها محذوف هو المعطوف عليه أي ألم تجزعوا، أو قلتم لما أصابتكم مصيبة ٢: ١٠١ إعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش.

﴿أولما﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتفريع، والواو عاطفة على ما تقدم من قصة أحد، والمعنى لا ينبغي لكم أن تتعجبوا من فشلكم بأنكم تعلمون السبب.

﴿قد أصبتم مثليها﴾: الجملة من فعل وفاعل ومفعول به صفة لمصيبة، أنى: اسم استفهام خبر مقدم، وهذا مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، والمعنى: من أين أصابنا هذا الانهزام والقتل ونحن نقاتل في سبيل الله ومعنا رسول الله وقد وعدنا الله بالنصر عليهم.

مرجع الضمير:

﴿هو﴾: راجع إلى المصيبة على المعنى لا على اللفظ[1].

[١٦٩، ١٧٠] ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾.

الإعراب:

أحياء: خبر لمبتدأ محذوف، فرحين: منصوب على الحال من المضمر المرفوع في ﴿يرزقون﴾، وآتاهم: أصله أأتاهم فاجتمع في أوله همزتان، فاستثقلوا اجتماعهما، فأبدلوا من الهمزة الثانية ألفًا لسكونها وانفتاح ما قبلها كما قالوا: آمن وآخر، وأصلهما أأمن وأأخر، فقلبت ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها[2].

مرجع الضمير:

(١) البحر ٣: ١٠٧

(٢) البيان ١: ٢٣١

﴿ولا تحسبن﴾: الخطاب لـرسـول الله ﷺ، أو لكـل من يقف عـلى الخطاب مطلقًا، وقيل من المنافقين.

وإن كانت القراءة بيـاء الغيبة فـالإسناد إلى ضمير النبي ﷺ، أو ضـمير من يحسب علـى طرز ما ذكر في الخطاب، وقـيل إلى الذين قتلوا، والمفـعول الأول محذوف؛ لأنه في الأصل مبتـدأ جائز الحذف عند القرينة أي ولا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتًا[1].

[١٧٣] ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعـوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾.

الإعراب:

الفعل زاد مـثل نقص يأتيان لازمين ومتـعديين لمفعـول واحد، ومتـعديين لمفعـولين. ذكر ذلك أبو حـيان وأسنده إلى شـيخه جـمال الدين المغـربي وقال قولته، وتلك خاصية لم أرها لغيرهما من الأفعال.

فـيأتيـان لازمين: زاد المال ونقص، ومـثل: زادك ونقـصك فلان، ومـا ينصب مفعولين كالآية التي معنا، فالضمير: مفعول أول، وإيمانًا: مفعول ثان.

وحسب من الألـفاظ التي إذا أضيـفت إلى معـرفة لا تزيدها الإضـافة إلا تخصيصًا نظرًا لتوغلها في الإبهام.

فحـسبنا: خبر مـقدم، ولفظ الجلالة: مبـتدأ مؤخر، ومـثل حسب (أي) نحو: ﴿أيكم زادته هذه إيمانا﴾، وغير ومثل نحو: مـثلك لا يبخـل وغيرك لا يجود.

---

(١) روح المعاني ٤: ١٢٢ بتصرف، والبيضاوي ٩٥

مرجع الضمير:

الضمير المرفوع يرجع إلى القول أي زادهم القول إيمانا، أو إلى الناس أي زادهم الناس قال بذلك الزمخشري وأبو السعود والفخر الرازي في تفسيرهم.

والمعنى: أنهم لم يلتفتوا إلى ذلك بل ثبت يقينهم، وازداد اطمئنانهم، واظهروا حمية الإسلام، وأخلصوا النية عنده وهو دليل على أن الإيمان يزيد وينقص يؤيد ذلك قول ابن عمر ﷺ: قلنا يا رسول الله، الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «نعم، يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار».

[١٨٠] ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير﴾.

الإعراب:

يحسبن: قرئ بالياء والتاء، فمن قرأ بالياء فموضع ﴿الذين يبخلون﴾ رفع؛ لأنه فاعل حسب، وحذف المفعول الأول لدلالة الكلام عليه، و﴿هو﴾: فصل عند البصريين وعماد عند الكوفيين، و﴿خيراً﴾: منصوب؛ لأنه المفعول الثاني وتقديره، ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله البخل خيراً لهم، ومن قرأ بالتاء فموضع ﴿الذين يبخلون﴾ نصب؛ لأنه مفعول أول على تقدير حذف مضاف، وإقامة ﴿الذين﴾ مقامه، وتقديره، ولا تحسبن بخل الذين يبخلون ﴿هو﴾ فصل، وخيراً لهم، هو المفعول الثاني ويجوز أن يكون (هو)

كناية عن البخل[1].

مرجع الضمير:

من قرأ بالتاء قدر مضافًا ليتطابق مفعولاه أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرًا لهم، وكذا من قرأ بالياء إن جعل الفاعل ضمير الرسول ﷺ، أو من يحسب، وإن جعله الموصول كان المفعول الأول محذوفًا لدلالة يبخلون عليه أي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرًا لهم؛ بل هو أي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم[2].

{١٨٧} ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلاً فبئس ما يشترون﴾.

الإعراب:

﴿لتبيننه للناس﴾: جواب للقسم الذي ينبئ عنه أخذ الميثاق، كأنه قيل لهم بالله لتبيننه للناس.

﴿ولا تكتمونه﴾: يحتمل وجهين:

أحدهما: واو الحال، والجملة بعدها نصب على الحال أي ليبيننه غير كاتمين.

الثاني: أنها للعطف، وأن الفعل بعدها مقسم عليه أيضًا.

مرجع الضمير:

(١) البيان ١: ٢٣٣

(٢) البيضاوي ٩٨

الضمير في ﴿لتبيننه، ولا تكتمونه﴾ فيه قولان:

الأول: يعود إلى محمد عليه الصلاة والسلام، وعلى هذا التقدير يكون الضمير عائدًا إلى معلوم غير مذكور. قال بذلك سعيد بن جبير والسدي.

الثاني: يعود إلى الكتاب في قوله: ﴿أوتوا الكتاب﴾ أي أخذنا ميثاقهم بأن يبينوا للناس ما في التوراة والإنجيل من الدلالة على صدق نبوة محمد ﷺ. قال بذلك الحسن وقتادة[1].

البلاغة:

النهي عن الكتمان بعد الأمر بالبيان إما للمبالغة في إيجاب المأمور به وإما لأن المراد بالبيان المأمور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته، وبالكتمان اتقاء التأويلات الزائفة والشبه الباطلة[2].

(١) التفسير الكبير ٩: ١٣٠

(٢) حاشية الجمل ١: ٣٤٥

[سورة النساء]

{٢} ﴿ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبًا كبيرًا﴾.

المعنى والإعراب:

الخبيث: هو مال اليتيم وإن كان جيدًا فهو خبيث لكونه حرامًا، والطيب: هو مال الولي، فهو طيب لكونه حلالاً، وإن كان رديئًا فالباء داخلة على المتروك.

وكان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم، ويجعلون مكانه الرديء، فربما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها الهزيلة، ويأخذ الدرهم الجيد، ويجعل مكانه الزيف، ويقول شاة بشاة، ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم الذي نهوا عنه.

﴿إلى أموالكم﴾: الجار والمجرور: متعلق بمحذوف حال، وخص النهي بالمضموم، وإن كان أكل مال اليتيم حرامًا، وإن لم يضم إلى مال الوصي؛ لأن أكل ماله مع الاستغناء عنه أقبح فلذلك خص النهي به، أو لأنهم كانوا يأكلونه مع الاستغناء عنه فجاء النهي على ما وقع منهم فالقيد للتشنيع[١].

مرجع الضمير:

﴿إنه﴾: الضمير يعود على الأكل المفهوم من النهي، ﴿ولا تأكلوا﴾: وقيل الضمير للتبدل المفهوم من لا تتبدلوا، أو لهما معًا وهو منزل منزلة اسم الإشارة

(١) حاشية الجمل ١: ٣٥٢

في ذلك[1] نحو: ﴿عوان بين ذلك﴾[2]، والأول أولى؛ لأنه أقرب مذكور.

[٤] ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا﴾.

الإعراب:

نحلة: أي عطية، أي أعطوهن مهورهن عن طيب نفس، وهو منصوب على المصدر، وقيل هو مصدر في موضع الحال، ونفسًا: منصوب على التمييز، هنيئًا مريئًا: حالان من الهاء في ﴿فكلوه﴾.

مرجع الضمير:

﴿منه﴾: الضمير للصدقات، وتذكيره لإجرائه مجرى ذلك، فإنه كثيرًا ما يشار به إلى المتعدد كقوله تعالى: ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم﴾[3] بعد ذكر الشهوات المعدودة، وقد روي عن أبي عبيدة أنه قال: قلت لرؤبة في قوله:

فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق

إن أردت الخطوط فقل كأنها، وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما، فقال: أردت كأن ذلك وتلك.

أو يعود الضمير في (منه) للصداق الواقع موقعه ﴿صدقاتهن﴾ كأنه قيل: وآتوا النساء صداقهن، والحمل على المعنى كثير، ومنه قوله تعالى: ﴿فأصدق وأكن﴾[4] حيث عطف على ما دل عليه المذكور، ووقع موقعه، أو يعود

(١) روح المعاني ٤: ١٨٨.

(٢) البقرة ٦٨.

(٣) آل عمران ١٥.

(٤) المنافقون ١٠.

للصداق الذي في ضمن الجمع؛ لأن المعنى آتوا كل واحدة من النساء صداقًا، أو يعود الضمير على الإيتاء، واعترض بأنه إنما يستقيم إذا أريد به المأتى، ورجوع ضمير إلى مصدر مفهوم، ثم تأويل ذلك المصدر بمعنى المفعول لا يخلو عن بعد.

﴿فكلوه﴾: أي فكلوا ذلك الشيء الذي طابت لكم عنه نفوسهن، وتصرفوا فيه تملكًا، وتخصيص الأكل بالذكر؛ لأنه معظم وجوه التصرفات المالية فضمير النصب في فكلوه يعود على شيء، وضمير الرفع وهو الواو في فكلوه تعود على الأولياء، أو على الأزواج[1].

[٨] ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفًا﴾.

الإعراب:

إذا: ظرف للمستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة حضر في محل جر بالإضافة، أولو: فاعل مرفوع بالواو؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم.

مرجع الضمير:

﴿فارزقوهم منه﴾: الضمير يعود إلى المال والميراث وذكّر على ذلك المعنى قال بذلك الأخفش[2]، أو إلى القسمة ولهذا عاد إليها الضمير حملاً على المعنى قال بذلك ابن قتيبة[3].

---

(١) البيان ١:٢٤٢

(٢) معاني القرآن ١: ٢٢٨

(٣) البيان ١: ٢٤٤

وقال الألوسي: الضمير في (منه) يعود على شيء من المال، أو المقسوم المدلول عليه بالقسمة، وقيل الضمير لـ(ما) وهو أمر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبًا لقلوب المذكورين، وتصدقًا عليهم، وقيل أمر وجوب، ومنهم من قال بعدم نسخه، أو نسخ بآية الميراث فجعل لكل إنسان نصيبه مما ترك[1]، وحكى الرازي قول الزمخشري فقال: قال صاحب الكشاف والواحدي: الضمير في قوله: ﴿فارزقوهم منه﴾ عائد إلى ما ترك الوالدان، والأقربون، وقال الواحدي الضمير عائد إلى الميراث فتكون الكناية على هذا الوجه عائدة إلى معنى القسمة لا إلى لفظها كقوله: ﴿استخرجها من وعاء أخيه﴾[2] والصواع مذكر لا يكنى عنه بالتأنيث لكن أريد به المشربة فعادت الكناية إلى المعنى لا إلى اللفظ، وعلى هذا التقدير، فالمراد بالقسمة المقسوم؛ لأنه إنما يكون الرزق من المقسوم لا من نفس القسمة[3].

{١١} ﴿... فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف، ولأبويه لكل واحد منهما السدس ....﴾.

القراءة والإعراب:

قرئ واحدة بالنصب والرفع، فالنصب على أنه خبر كان الناقصة وتقديره: فإن كان المتروك واحدة، والرفع على أنه فاعل كان التامة، وهي بمعنى حدث ووقع فلا تفتقر إلى خبر.

﴿فإن كن﴾: الفاء تفريعية، والجملة بعدها لا محل لها؛ لأنها بمثابة

(١) روح المعاني ٤: ٢١٢

(٢) يوسف ٧٦ .

(٣) التفسير الكبير ٩: ١٩٨

الاستئنافية والتعليلية.

﴿فلهن ثلثا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، لهن: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وثلثا: مبتدأ مؤخر، و(ما) اسم موصول في محل جر بالإضافة، وجملة ﴿فلهن ثلثا﴾ في محل جزم لتوفر الشرطين وهما: أداة الشرط جازمة، ووجود الفاء، ومثلها جملة: ﴿فلها النصف﴾.

مرجع الضمير:

﴿فإن كن﴾: الضمير للأولاد مطلقًا، أو المولودات، أو البنات اللاتي في ضمن مطلق الأولاد، والمعنى: فإن كانت المولودات، أو البنات نساء خلصا ليس معهن ذكر.

أما الضمير في قوله: ﴿ولأبويه﴾ فهو للميت؛ لأنه لما قال: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ كان المعنى: يوصي الله الميت قبل موته بأن عليه لأبويه كذا، ولولده كذا أي فلا يأخذن إلا ماله.

[١٢] ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾.

اللغة والإعراب:

﴿كلالة﴾: مصدر كلَّ فلان إذا لم يكن له ولد أو والد، أي كل عن بلوغ القرابة، ولم يكن من النسب، وقيل الذي لا والد له فقط، وقيل الذي لا ولد له فقط، وقيل هو من لا يرثه أب ولا أم.(١)

(١) سئل نحوي عن إعراب كلالة، فقال أخبروني ما الكلالة فقالوا له الورثة إذا لم يكن منهم أب فما علا، ولاابن فما سفل فقال: فهي إذًا تمييز

وعلى هذه الأقوال كلهـا فالكلالة واقعة عـلى الميت، وقيل الكلالة الورثة ما عدا الأبـوين والولد، قال قطرب: وسموا بذلك؛ لأن الميت بذهاب طـرفيه تكلله الورثة أي أحاطوا به من جميع نواحيه، ويؤيد هذا القول أن الآية نزلت في جـابر ﷺ ولـم يكن له يوم أنـزلت أب ولا ابن، وقـيل الكـلالة المال الموروث، وقيل الكلالة القرابة، وقيل هي الورثة فنخلص مما تقدم أن المقصود بالـكلالة إمـا الميـت الموروث، أو الورثة، أو المـال الموروث، أو الإرث، أو القرابة.

وأما اشتقاقها فقـيل هي مشتقة من تكلله الشيء أي أحاط به، لأنه إذا لم يترك ولدًا ولا والدًا فـقد انقطع طرفاه وهمـا عمود نسبـه، وبقي ماله الموروث لمن يتكلله نسـبه أي يحـيط به كالإكليـل، ومنه الروضة المكللة بالزهر، وقـيل اشتقاقها من الكلال وهو الإعياء فكان الميراث يصير للوارث من بعد إعياء.

﴿وإن كان﴾ في (كان) وجهـان: أن تكون ناقصة، ورجل اسـمها، وفي الخبر احتمالان؛ أحدهمـا: أنه كلالة، إن قلنا إنها الميت، فإذا قلنا إنها الوارث أو غيـر ذلك فيقـدر حذف مضـاف أي ذا كلالة، و﴿يورث﴾: في محل رفع صفـة لرجل وهو مـبني للمجـهول، نائب الفـاعل ضمـير، والمفـعول الثـاني محذوف تقديره: يورث هو ماله.

الاحتمـال الثاني: أن يكون الخبر هو الجـملة من يورث وفي نصب كلالة حينئذ أربعة أوجه:

الأول: أنه منصوب على الحال من الضمير في يورث إن أريد بها الميت أو الوارث على حذف مضاف أي ذا كلالة؛ لأن الكلالة حينئذ ليست نفس الضمير

المستكن في يورث.

الثاني: أنها مفعول من أجله إن قيل إنها بمعنى القرابة أي لأجل الكلالة.

الثالث: أنها مفعول ثان ليورث إن قيل إنها بمعنى المال الموروث.

الرابع: أنها نعت لمصدر محذوف إن قيل أنها بمعنى الورثة أي يورث وراثة كلالة، وقدر مكي في هذا الوجه حذف مضاف قال تقديره ذات كلالة، وأجاز بعضهم على كونها بمعنى الوراثة أن تكون حالاً.

والوجه الثاني من وجهي كان: أن تكون تامة فتكتفي بالمرفوع أي وإن وجد رجل، ﴿يورث﴾: في محل رفع صفة لرجل، والكلالة منصوبة على ما تقدم من الحال أو المفعول من أجله، أو المفعول به، أو النعت لمصدر محذوف[1].

مرجع الضمير:

﴿وله﴾: الضمير إما أن يعود على الميت المفهوم من المقام، أو على واحد منهما، والتذكير للتغليب، أو على الرجل، واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه، ويجوز أن يعود للموروث لتقدم ما يدل عليه.

﴿فإن كانوا﴾: أي الإخوة، والأخوات من الأم المدلول عليهم بما تقدم، والتذكير للتغليب.

[١٣] ﴿تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها

(١) حاشية العلامة الجمل ١: ٣٦٣، ٣٦٤

الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾.

الإعراب:

﴿جنات﴾: منصوب بنزع الخافض، أو مفعول به ثان على السعة، وجملة تجري صفة لجنات، ﴿خالدين﴾: حال من الهاء في يدخله.

مرجع الضمير:

﴿يدخله﴾: الهاء تعود على (من)، ومن تصلح للواحد والجمع وإنما جمع حملاً على المعنى.

﴿خالدين فيها﴾: الهاء تعود على (من)، ووحد خالداً على لفظ (من) وهم تارة يحملون على اللفظ، وتارة على المعنى.

البلاغة:

في الآية الكريمة (جمع المختلفة والمؤتلفة) وهو عبارة عن إرادة المتكلم التسوية بين ممدوحين، أو مذمومين، أو اثنين أحدهما ممدوح، والآخر مذموم، ثم يرجح أحدهما على الآخر بما لا ينقص من الآخر فيأتي لأجل ذلك الترجيح بمعان تخالف معاني التسوية.

فقد جمع ضمير الخالدين في الجنة؛ لأن كل من دخل الجنة كان خالداً فيها أبدا، أو لتفاوت درجات الخالدين، أما أهل النار فبينهم الخالدون، وغير الخالدين من عصاة المؤمنين، فساغ الجمع هناك، ولم يسغ هنا؛ لأن الخالدين في النار فرقة واحدة، أما الخالدون في الجنان فهم طبقات بحسب تفاوت

درجاتهم، وهذا أسمى درجات البيان[1].

{٢٢} ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتًا وساء سبيلاً﴾.

الإعراب:

﴿إلا ما قد سلف﴾: إلا : أداة إستثناء، و(ما): مستثنى منقطع؛ لأن الماضي لا يستثنى من المستقبل، ويجوز أن يكون متصلاً؛ لأن نكاح ما نكح الآباء من النساء أمر مستنكر وممقوت قبل ورود الشرع به.

و﴿ما قد سلف﴾: في موضع نصب؛ لأنه استثناء منقطع فالبصريون يقدرون إلا بلكن، والكوفيون يقدرونه بسوى، و﴿ساء سبيلاً﴾: سبيلاً: منصوب على التميز والتفسير[2].

مرجع الضمير:

﴿إنه﴾: راجع إلى هذا النكاح قبل النهي، وكان ممقوتًا في قلوبهم، وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه مقني، وذلك لأن زوجة الأب تشبه الأم، وكان نكاح الأمهات من أقبح الأشياء عند العرب فبين الله تعالى أنه كان فاحشة في الإسلام ومقتًا عند الله، وقال: (كان) لبيان أنه كان في حكم الله، وفي علمه موصوفًا بهذا الوصف[3].

{٣٥} ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها إن

(١) إعراب القرآ الكريم ٢:١٧٨

(٢) البيان ١: ٢٤٨

(٣) التفسير الكبير ١٠: ٢٤

يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما إن الله كان عليمًا خبيرا﴾.

اللغة والإعراب:

الشقاق: الخلاف، وسمي الخلاف شقاقًا؛ لأن المخالف يفعل ما يشق على صاحبه، أو لأن كل واحد منهما قد صار في شق أي جانب. وشقاق: مصدر مضاف إلى بين، ومعناها الظرفية، والأصل شقاق بينهما؛ ولكن اتسع فيه فأضيف المصدر إلى ظرفه، وظرفيته باقية نحو: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾[1].

﴿من أهله﴾: فيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلق بابعثوا فهي لابتداء الغاية.

والثاني: أنه يتعلق بمحذوف؛ لأنه صفة للنكرة أي كائنًا من أهله فهي للتبعيض.

مرجع الضمير:

الضميران في ﴿يريدا﴾ و ﴿بينهما﴾:

١ـ للحكمين والمعنى إن يريدا أي الحكمان إصلاحًا يوفق الله بينهما، أي يوقع بينهما الموافقة فيتفقان على الكلمة الواحدة، ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض، ويتم المراد.

٢ـ أو الضمير الأول للحكمين، والثاني للزوجين، أي إن قصدا إصلاح ذات البين، وكانت نيتهما صحيحة، وقلوبهما ناصحة لوجه الله، بورك في وساطتهما، وأوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والألفة، وألقى في

---

(١) سبأ ٣٣.

نفوسهما المودة والرحمة[1].

٣ـ ويجوز أن يكون الضميران للزوجين أي إن أرادا إصلاح ما بينهما من الشقاق أوقع الله تعالى بينهما الألفة والوفاق.

٤ـ ويجوز أن يكون الأول للزوجين، والثاني للحكمين، أي إن يرد الزوجان إصلاحًا واتفاقًا يوفق الله تعالى شأنه بين الحكمين حتى يعملا بالصلاح ويتحرياه[2].

[٤٠] ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا﴾.

اللغة والقراءة والإعراب:

المثقال: ما يوزن به ثقيلاً كان أو كثيرًا، ومثقال الشيء وزنه أو ميزانه، والجمع: مثاقيل، والمثقال عرفًا يساوي درهمًا ونصف درهم، وربما زاد على ذلك، أو نقص شيئًا.

﴿وإن تك حسنة﴾: قرأ الحرميان[3] بالرفع جعلا كان تامة بمعنى حدث ووقع غير محتاجة إلى خبر.

وقرأ الباقون بالنصب جعلوا كان ناقصة تحتاج إلى خبر، فأضمروا فيها اسمها، ونصبوا حسنة على خبر كان، وحسن الإضمار لتقدم ذكر مثقال ذرة، وتقديره: وإن تكن الذرة حسنة، وإن تكن الحسنة مثل ذرة بكل قيل: ﴿تك﴾

(١) محاسن التأويل ٥: ١٣٥، ١٣٦

(٢) روح المعاني ٥: ٢٧

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي ١: ٣٩٠

مجزوم بالسكون على النون المحذوفة للتخفيف، ﴿يضاعفها﴾: جواب الشرط، والهاء: مفعول به.

﴿ويؤت﴾: معطوف على يضاعفها مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة، ﴿من لدنه﴾: جار ومجرور متعلقان بيؤت، أو بمحذوف حال لتقدمه على الموصوف، وأجرًا: مفعول به، وعظيمًا: صفة.

مرجع الضمير:

﴿وإن تك حسنة﴾: الضمير المستتر في الفعل الناقص عائد على المثقال، وأنث حملاً على المعنى، لأنه بمعنى وإن تك زنة ذرة حسنة، وقيل لأن المضاف قد يكتسب التأنيث من المضاف إليه إذا كان جزأه نحو:

كما شرقت صدر القناة من الدم

أو صفة له نحو: ﴿تنفع نفسًا إيمانها﴾[1] في قراءة من قرأ بالتاء الفوقانية، ومقدار الشيء صفة له، كما أن الإيمان صفة للنفس، وقيل الضمير عائد إلى المضاف إليه وهو مؤنث بلا خفاء.

(١) الأنعام ١٥٨.

[٤٧] ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقًا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهًا فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً﴾.

اللغة والإعراب:

﴿نطمس وجوهًا﴾: نمحو تخطيط معالمها وصورها، ﴿على أدبارها﴾: أي نجعلها كالأقفاء، كاللوح المنصوب الباهت حتى لا تبين ولا تتضح للرائي.

﴿مصدقًا﴾: حال، ﴿على أدبارها﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف في موضع المفعول الثاني لنردها، وقيل بمحذوف حال، ﴿كما﴾: الكاف بمعنى مثل أي لعنًا مثل.

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿أو نلعنهم﴾: إما أن يرجع إلى الوجوه إن أريد بها الوجهاء، أو لأصحاب الوجوه؛ لأن المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم، أو يرجع إلى ﴿الذين أوتوا﴾ على طريقة الالتفات[1].

البلاغة:

يوجد في الآية مجاز مرسل حيث ذكرت الوجوه، وأريد أصحابها والعلاقة الكلية.

الإبهام في تنكير الوجوه تلطفًا بالمخاطبين، وتهويلاً للأمر العظيم الذي يثير الخوف، وهل المراد بالتهديد الحقيقة فيجعل الوجه كالقفا، ويذهب الأنف

---

(١) محاسن التأويل ٥: ١٩٨، التفسير الكبير ١٠: ١٢٢

والحاجب والعين والأذن، وتلك ظلمات بعضها فوق بعض، أم المراد سلبهم التوفيق وحرمانهم اللطف بكل قيل.

[٦٦] ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتًا﴾.

القراءة والإعراب:

قرئ قليل بالرفع والنصب، فالرفع على البدل من الواو في **﴿فعلوه﴾** وتقديره ما فعله إلا قليل منهم، والنصب على الأصل في الاستثناء، والأصل في الاستثناء النصب، والرفع على البدل أوجه الوجهين[1].

﴿ولو أنهم فعلوا﴾: أن واسمها وخبرها في تأويل مصدر فاعل لفعل محذوف أي ولو ثبت فعلهم.

﴿خيراً﴾: خبر كان، و**﴿تثبيتًا﴾**: تمييز.

مرجع الضمير:

الضمير في قوله: **﴿عليهم﴾** إما:

ـ أن يعود إلى المنافقين، وذلك لأنه تعالى كتب على بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم، وكتب على المهاجرين أن يخرجوا من ديارهم، فقال تعالى: ولو أنا كتبنا الخروج عن الوطن على هؤلاء المنافقين ما فعله إلا قليل رياء وسمعة، وحينئذ يصعب الأمر عليهم وينكشف كفرهم فإذا لم نفعل ذلك بل كلفناهم بالأشياء السهلة فليتركوا النفاق، وليقبلوا الإيمان على سبيل

(١) البيان ١:٢٥٨

الإخلاص.

ـ أو يعود على الناس أي لو كتب الله على الناس ما ذكر لم يفعله إلا قليل منهم، وعلى هذا التقدير دخل تحت هذا الكلام المؤمن والمنافق، وأما الضمير في قوله: ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾، فهو مختص بالمنافقين، ولا يبعد أن يكون أول الآية عامًا، وآخرها خاص. وعلى هذا التقدير: يجب أن يكون المراد بالقليل المؤمنين[1].

ـ قال القاسمي في محاسن التأويل[2]: الضمير في (فعلوه) للمكتوب الشامل للقتل والخروج لدلالة (كتبنا) عليه، أو عائد على أحد مصدري الفعلين.

{٨٣} ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به .... ﴾.

اللغة والإعراب:

﴿أذاعوا﴾: هو بمعنى الفعل المجرد (ذاع) يقال: ذاع الشيء يذيع، ويقال: أذاع الشيء أيضًا، فيتعدى تعديته، ويجوز أن يكون من باب التضمين، وقد ضمن أذاع معنى تحدث، فيتعدى بنفسه، وبالباء.

جملة أذاعوا: لا محل لها من الإعراب؛ لأن الأداة غير جازمة ولم تدخل الفاء على الجواب.

مرجع الضمير:

﴿وإذا جاءهم﴾: أي المنافقين ـ كما روي عن ابن عباس ﷺ والضحاك

(١) التفسير الكبير ١٠: ١٦٧

(٢) محاسن التأويل ٥: ٢٩٦

وأبي معاذ، أو ضعفاء المسلمين كما روي عن الحسن، وذهب إليه غالب المفسرين، أو الطائفتين كما نقله ابن عطية[1].

[٨٧] ﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثًا﴾.

الإعراب:

الله: مبتدأ، ولا إله إلا هو: خبر، ليجمعنكم: جواب قسم محذوف أي والله ليحشرنكم، والجملة القسمية إما مستأنفة لا محل لها من الإعراب، أو خبر ثان للمبتدأ، أو هي الخبر، ولا إله إلا هو اعتراض، حديثًا: تمييز.

مرجع الضمير:

﴿لا ريب فيه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه في محل نصب على الحال من يوم فالضمير في (فيه) يعود عليه.

الثاني: أنه في محل نصب نعتًا لمصدر محذوف دل عليه ليجمعنكم أي جمعًا لا ريب فيه فالضمير يعود على المصدر.

والأول أظهر كما رجحه السمين وذكره العلامة الجمل[2].

[١٠٢] ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم .... ﴾.

---

(١) روح المعاني ٥: ٩٣.

(٢) الفتوحات ١: ٤٠٨، إرشاد العقل السليم ٢:٢١١

الإعراب:

فلتقم طائفة منهم معك: الفاء رابطة، واللام لام الأمر، وتقم: مضارع مجزوم بلام الأمر، وطائفة: فاعل، (منهم): متعلقان بمحذوف صفة، ومعك ظرف مكان متعلق بتقم.

مرجع الضمير:

﴿وليأخذوا أسلحتهم﴾: فالمأمور بأخذ السلاح قيل هم الطائفة الذين يواجهون العدو، وقيل بل هم الطائفة المصلون، وأراد ما لا يشغل عن الصلاة من الدروع والخناجر والسيوف ونحو ذلك، ولعل ذلك هو الراجح؛ لأن من لم يصلّ إنما أعد للحرس، فالظاهر الاستغناء عن أمرهم بذلك، وتنبيههم عليه، وأخروا الصلاة لذلك.

أما المصلون فهم في مظنة طرح الأسلحة؛ لأنهم لم يعتادوا حملها في الصلاة، فنبهوا على أنهم لا ينبغي لهم طرح الأسلحة، وإن كانوا في الصلاة لضرورة الخوف، وأيضًا فصنيع الآية يعطي ذلك؛ لأنه قال: ﴿فلتقم طائفة منهم معك﴾، وعقّب ذلك بقوله: ﴿وليأخذوا أسلحتهم﴾، فالظاهر رجوع الضمير إليهم، وحيث يعاد إلى غير المصلين، يحتاج إلى تكلف في صحة العودة إليهم بدلالة قوة الكلام عليهم وإن لم يذكروا.

البلاغة:

يوجد في الآية الكريمة عطف الحقيقة وهي الأسلحة، على المجاز وهو الحذر وهو آلة يستعملها الغازون في حروبهم، فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ، وجعلهما معًا كالمأخوذين، وهذا التناسب بين الحقيقة والمجاز لا

يسهل إدراكه إلا على أهل الذوق المرهف.

{١١٢} ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثمًا ثم يرم به بريئًا فقد احتمل بهتانًا وإثمًا مبينًا﴾.

الإعراب:

من: اسم شرط جازم مبتدأ، يكسب: فعل الشرط، **﴿فقد احتمل﴾**: الفاء واقعة في جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر (من)، والمعنى: فله عقوبتان.

مرجع الضمير:

الضمير في **﴿به﴾** إلى ماذا يعود؟ فيه وجوه:

الأول: أنه عائد على أحد الأمرين لا على التعيين، ومن هنا ساغ توحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان (أو) وتذكيره لتغليب الإثم على الخطيئة كأنه قيل ثم يرم بأحدهما، وقرئ يرم بهما.

الثاني: أنه يعود على الإثم وحده؛ لأنه هو الأقرب، فإن المتعاطفين (بأو) يجوز عود الضمير فيما بعدهما على المعطوف عليه نحو قوله تعالى: **﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها﴾**[1]، فعاد على التجارة، وعلى المعطوف نحو قوله تعالى: **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها﴾**[2].

الثالث: أن يعود على الكسب، والتقدير: يرم بكسبه بريئًا فدل بكسب

(١) الجمعة ١١

(٢) التوبة ٣٤

على الكسب على حد قوله تعالى: ﴿إعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[1]، وثم للتراخي في الرتبة.

الرابع: أن يكون الضمير راجعًا إلى معنى الخطيئة فكأنه قال: ومن يكسب ذنبًا ثم يرم به بريئًا.

الخامس: ويجوز أن يكون في الكلام حذف أي يرم بها وبه.

{١١٣} ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم .... ﴾.

الإعراب:

في جواب لولا وجهان:

الأول: قوله: ﴿لهمت﴾ وهو الأظهر.

الثاني: أنه محذوف أي لأضلوك ثم استأنف فقال: لهمت أي لقد همت واستشكل كون قوله لهمت جوابًا؛ لأن اللفظ يقتضي انتفاء همهم بذلك؛ لأن لولا تقتضي انتفاء جوابها لوجود شرطها والغرض أن الواقع كونهم هموا على ما يروى في القصة. وأجيب عن ذلك بأحد وجهين:

إما بتخصيص الهم أي لهمت هما يؤثر عندك، وإما بتخصيص الإضلال أي يضلونك عن دينك وشريعتك وكلا هذين الهمين لم يقع، وأن يضلوك على حذف الباء أي بأن يضلوك ففي محلها الخلاف المشهور، وفي الحقيقة المنفى إنما هو أثر همهم أي الذي هموا به وهو الضلال.

---

(١) المائدة ٨

والمعنى انتفى ضلالك الذي هموا به لوجود فضل الله عليك بالعصمة والحفظ[1].

مرجع الضمير:

﴿طائفة منهم﴾: أي من الذين يختانون، والمراد بهم أسيرين عروة وأصحابه، أو الذابون عن طعمه، المطلعون على كنه القصة، العالمون بحقيقتها ويجوز أن يكون الضمير راجعًا إلى الناس، والمراد بالطائفة الذين انتصروا للسارق، أو المودع الخائن، وقيل المراد بهم وفد ثقيف فقد روي عن جرير عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم قدموا على رسول الله ﷺ وقالوا: يا محمد جئناك نبايعك على ألا نكسر أصنامنا بأيدينا، وعلى أن نتمتع بالعزى سنة، فلم يجبهم ﷺ، وعصمه الله تعالى من ذلك فنزلت[2].

[١١٩، ١٢٠] ﴿ومن يتخذ الشيطان وليًا من دون الله فقد خسر خسرانًا مبينًا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا﴾.

المعنى والإعراب:

﴿يعدهم ويمنيهم﴾: أي يعدهم بما لا يكاد ينجزه، ويمنيهم بالأماني الفارغة، أو يفعل لهم الوعد والتمنية على طريقة فلان يعطي ويمنع غروراً: يحتمل أن يكون مفعولاً ثانيًا، وأن يكون مفعولاً من أجله، وأن يكون نعتًا لمصدر محذوف أي وعداً ذا غرور، وأن يكون مصدراً على غير المصدر؛ لأن قوله يعدهم في قوة يعزهم بوعده.

(١) الفتوحات ١: ٤٢٤

(٢) روح المعاني ٥: ١٤٣

مرجع الضمير:

﴿يعدهم ويمنيهم﴾: الضميران: لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد في ﴿يتخذ﴾، و﴿خسر﴾ باعتبار لفظها[1].

[١٣٥] ﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيًا أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾.

اللغة والإعراب والقراءة:

القسط: العدل قسط يقسط قسطًا من باب ضرب جار وعدل أيضًا فهو من الأضداد، وأقسط: عدل والاسم القِسط، واسم الفاعل من قسط قاسط أي ظالم، وأقسط مقسط أي عادل.

تلووا: أي تميلوا ألسنتكم معرضين عن الحق.

﴿شهداء﴾: خبر ثان لكونوا، أو صفة لقوامين، أو حال من المضمر في قوامين.

﴿ولو على أنفسكم﴾: الواو حالية، لو: شرطية، و﴿على أنفسكم﴾: متعلقان بمحذوف خبر لكان المحذوفة هي واسمها بعد لو الشرطية أي ولو كانت الشهادة على أنفسكم، وجواب (لو) محذوف أي فلا تحجموا عن أداء الشهادة.

﴿أن تعدلوا﴾: ان: في موضع نصب على تقدير: كراهة أن تعدلوا كقوله

(١) إرشاد العقل السليم ٢: ٢٣٤

تعالى: ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾[1] أي لئلا تضلوا، وقيل تقديره كراهة أن تضلوا وأن تلووا.

﴿تلووا﴾: قرئ تلووا بواوين، وأصله تلويوا على وزن تفعلوا من لويت فنقلت الضمة من الياء إلى ما قبلها فبقيت الياء ساكنة، وواو الجمع ساكنة فحذفت الياء لالتقاء الساكنين فبقي تلووا ووزنه تفعوا، وقرئ تلوا بواو واحدة ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون من لويت وأصله تلويوا على ما بينا في القراءة الأولى إلا أنه لما نقلت الضمة من الياء إلى الواو حذفت الياء لالتقاء الساكنين، ونقلت الضمة على الواو فقلبت همزة، وحذفت ونقلت حركتها إلى اللام فبقيت تلُوا.

والثاني: أن يكون تلوا أصله توليوا من وليتُ إلا أنه حذفت الواو الأولى التي هي الفاء لوقوعها بين تاء وكسرة حملاً للتاء على الياء كما تحذف من نعد حملاً على بعد؛ حملاً لبعض حروف المضارعة على بعض طلبًا للتشاكل، فلما حذفت الواو الأولى بقي تليوا فاستثقلت الضمة على الياء، فنقلت إلى اللام قبلها، وحذفت الياء لسكونها، وسكون واو الجمع بعدها، وكانت أولى بالحذف؛ لأن واو الجمع دخلت لمعنى والياء لم تدخل لمعنى، فكان حذفها أولى، وصار (تلُوا) على وزن (تعوا) لذهاب الفاء واللام[2].

---

(١) النساء ١٧٦

(٢) البيان ١: ٢٦٩، ٢٧٠

مرجع الضمير:

الضمير في (بهما) راجع لِمَا دَلَّ عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير وقرئ (بهم) وقال: بهما ولم يقل به لأن (أو) لأحد الشيئين وذلك لأربعة أوجه:

الأول: أنه محمول على المعنى، فلما كان المعنى إن يكن الخصمان غنيين أو فقيرين قال: ﴿فالله أولى بهما﴾.

والثاني: أنه لما كان المعنى، فالله أولى بغنى الغني، وفقر الفقير رد الضمير إليهما.

والثالث: إنما رد الضمير إليهما؛ لأنه لم يقصد قصد غني بعينه، ولا فقير بعينه.

والرابع: أن (أو) بمعنى الواو، والواو للجمع بين الشيئين أو الأشياء، فلهذا قال: أولى بهما، وأو بمعنى الواو في مذهب أبي الحسن الأخفش والكوفيين.

[١٥٧] ﴿.... ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا ......﴾.

الإعراب:

ما: نافية، لهم: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، (به) متعلق بعلم أو حال من علم لأنه كان صفة وتقدمت، من: حرف جر زائد أي صلة، علم: مبتدأ مجرور لفظًا مرفوع محلاً، والجملة من المبتدأ والخبر مستأنفة، أو في موضع نصب على الحال، أو في موضع جر صفة ثانية كشك أي غير معلوم.

﴿اتباع الظن﴾: منصوب؛ لأنه استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم، ويجوز رفعه على البدل ﴿من علم﴾ على الموضع، وموضعه رفع؛ لأن تقديره: ما لهم به علم كقوله تعالى: ﴿ما لكم من إله غيره﴾[1]، وتقديره: ما لكم إله غيره. ﴿يقينًا﴾: منصوب وذلك من ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون منصوبًا على الحال من الواو في ﴿قتلوه﴾ أي ما قتلوه متيقنين.

الثاني: أن يكون منصوبًا على الحال من الهاء في ﴿قتلوه﴾ أي ما قتلوه متيقنًا بل مشكوكًا فيه.

الثالث: أن يكون منصوبًا؛ لأنه صفة مصدر محذوف تقديره: وما قتلوه قتلاً متيقنًا.

مرجع الضمير:

﴿وما قتلوه﴾: الهاء يجوز أن تكون لعيسى كما كانت في قوله: ﴿وما قتلوه وما صلبوه﴾[2].

ـ ويجوز أن تكون للعلم، والمعنى: وما قتلوه علمهم به يقينًا كما يقال: قد قتلت الشيء علمًا أي قد علمته علمًا يأتي على جميعه، واستعير القتل هنا؛ لأن القتل هو الإتيان على جميع نفس المقتول، وهذا العلم قد أتى على جميع المعلوم.

ـ وقيل الضمير للظن أي وما قطعوا الظن يقينًا، ونقل ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[3].

(١) الأعراف ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، هود: ٥٠، ٦١، ٨٤، المؤمنون ٣٢

(٢) النساء ١٥٧

(٣) روح المعاني ٦: ١١

{١٥٩} ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا﴾.

المعنى والإعراب والقراءة:

روي أنه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه، ولا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، وتلعب الصبيان بالحيات، ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه[١].

وقرئ (ليؤمنُن به قبل موتهم) بضم النون؛ لأن أحدًا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم، والتحريض على معاجلة الإيمان به.

مرجع الضمير:

﴿ليؤمنن به قبل موته﴾: ليؤمنن جملة اسمية وقعت صفة لموصوف محذوف إليه يرجع الضميران وهو عيسى عليه السلام أي وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل أن تزهق روحه بأنه عبدالله ورسوله ولات حين إيمان لانقطاع وقت التكليف[٢]، وقيل الهاء في قوله: ﴿قبل موته﴾ إما أن يكون المراد به كل واحد من الكفار من أهل الكتاب وغيرهم أي يؤمن به قبل موته، أو تكون الهاء لعيسى عليه السلام، والأول أوجه الوجهين وأصحهما.

(١) البيضاوي ١٣٥

(٢) إرشاد العقل السليم، ٢: ٢٥٢

[سورة المائدة]

{٤} ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب﴾.

الإعراب:

﴿فكلوا﴾: الفاء للفصيحة أو رابطة على أن (ما) شرطية في محل رفع في قوله: ﴿وما علمتم﴾ وجملة ﴿فكلوا﴾ جواب.

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿عليه﴾ يرجع إلى ما أمسكن على معنى وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته أو إلى ما علمتم، أي سموا عليه عند إرساله[١].

قال أبو حيان: الظاهر عود الضمير إلى المصدر المفهوم من قوله: ﴿فكلوا﴾ أي على الأكل[٢]، روي أنه ﷺ قال لعمر بن أبي مسلمة: «سم الله وكل مما يليك».

وذكر الفخر الرازي عوده إلى تلك الثلاثة في التفسير الكبير[٣].

{٨} ﴿... اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾.

الإعراب:

جملة اعدلوا مفسرة، وهو ضمير منفصل مبتدأ يعود على المصدر المفهوم

(١) الكشاف ١: ٥٩٥ البيضاوي ١٤١، إرشاد العقل السليم ٣: ٨

(٢) البحر ٣: ٤٣٠

(٣) ١١: ١٤٥

من قوله: ﴿اعدلوا﴾، واقرب: خبر، والجملة مستأنفة.

مرجع الضمير:

هو: أي العدل أقرب للتقوى، وادخل في مناسبتها، أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفًا منها، وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كانوا بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأطباؤه[1].

{١٢} ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبًا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضًا حسنًا لأكفرن عنكم .....﴾.

اللغة والإعراب:

النقيب في القوم: من ينقب عن أحوالهم، ويبحث عن شئونهم وهو فعيل بمعنى فاعل مشتق من التنقيب وهو التفتيش وقيل هو بمعنى مفعول كأن القوم اختاروه على علم منهم، وقيل هو للمبالغة كعليم وخبير.

﴿عزرتموهم﴾: نصرتموهم.

﴿ولقد﴾: اللام جواب قسم محذوف، وقد: حرف تحقيق، واثنى عشر: مفعول به لبعثنا، ونقيبًا: تمييز.

﴿لئن﴾: اللام موطئة للقسم المحذوف، إن: شرطية، وأقمتم: فعل وفاعل، ﴿لأكفرن﴾: اللام واقعة في جواب القسم، والجملة لا محل لها؛

(١) البحر ٢: ٣٨، الكشاف ١: ٥٩٨

لأنها جواب لـلقسم، وجواب الشرط محـذوف دل عليه جواب القسـم المتقدم عليه، جنـات: مفعـول ثان على السعـة، أو منصوب بنزع الخـافض، وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات.

مرجع الضمير:

قوله: ﴿إني معكم﴾ خطاب لمن؟ فيه قولان:

الأول: أنه خطاب للنقباء، أي وقال الله للنقباء إني معكم.

والثـاني: أنه خطاب لكل بني إسرائيل، وكـلاهمـا محتـمل إلا أن الأول أولى؛ لأن الضمير يكون عائداً إلى أقرب المذكورات، وأقرب المذكور هنا النقباء والله أعلم[١].

{١٦} ﴿يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾.

الإعراب:

يهدي: جملة فعلية في موضع رفع؛ لأنها صفة لكتاب، ويجوز أن تكون في موضع نصب على الحال من (كتاب) لأنه قد وصف بمبين[٢].

مرجع الضمير:

﴿به﴾: الظاهر أنه يعود على كتاب الله، أو يعود على الرسول عليه الصلاة والسلام، أو على الإسلام[٣].

---

(١) التفسير الكبير ١١: ١٨٥

(٢) البيان ١: ٢٨٧

(٣) البحر ٣: ٤٤٨

[٣٥] ﴿فبعث الله غرابًا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري ....﴾.

الإعراب:

يري: من أرى التي بمعنى عرف المتعدية لمفعول، فتتعدى بالهمزة لاثنين الأول: الضمير البارز، والثاني: جملة كيف.

وكيف: في محل نصب على الحال معمول ليواري، وفي السمين أن جملة الاستفهام معلقة للرؤية البصرية فهي في محل المفعول الثاني سادة مسدة[(١)].

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿ليريه﴾ لله تعالى، أو للغراب.

(١) الفتوحات ١: ٤٨٨.

[٣٦] ﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم﴾.

الإعراب:

﴿لهم﴾ خبر لأن، وما في الأرض اسمها، وجميعاً: توكيد له، أو حال منه، ومثله في نصبه وجهان:

أحدهما: أنه معطوف علي اسم أن، وهو(ما) الموصولة والثاني: أنه منصوب على المعية، وهو رأي الزمخشري، ومعه: ظرف واقع موقع الحال، واللام في ليفتدوا متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر وهو لهم وبه، ومن عذاب متعلقان بالافتداء[١].

مرجع الضمير:

لم وحد الراجع من ﴿ليفتدوا به﴾ وقد ذكر شيئان؟

- إما لإجرائه مجرى اسم الإشارة في نحو قوله تعالى:

﴿عوان بين ذلك[٢]﴾ فجرى الضمير مجرى اسم الإشارة، كأنه قيل: ليفتدوا بذلك.

- ويجوز أن تكون الواو في ﴿مثله﴾ بمعنى (مع) فيتوحد المرجوع إليه[٣]، قال أبو حيان[٤]. وإنما يوحد، لأن حكم ما قبل المفعول معه في الخبر

(١) الفتوحات ١: ٤٨٨

(٢) البقرة ٦٨

(٣) الكشاف ١: ٦١٠

(٤) البحر المحيط ٣: ٤٧٣، ٤٧٤

والحال، وعود الضمير متأخراً حكمه متـقدماً تقول: الماء والخشبة استوى، كما يقـول: الماء استـوى والخشـبة، وقـد أجاز الأخـفش أن يعطي حكم المعطوف فنقول: الماء مع الخشبة، استويا، ومنع ذلك ابن كيسان، وجعل الواوبمعنى .

(مع) ليس بشيء لذكر(معه) .

- ويجوز أن يكون من باب قول (عمير بن ضابيء البرجمي:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب

وقيار اسم فرسه، وقيل جمله، وقيل غلامه .

وهو مبتدأ، أو مـعطوف على محل إن واسمها، وإذا أعرب مـبتدأ فيكون خبره محذوف اختصاراً لدلالة المذكورة عليه .

ولا يجوز جعل غريب خبرا عنهما لئلا يتوارد عاملان على معمول واحد.

البلاغة:

﴿**ليفتدوا به**﴾ استعارة تمثيليـة، للزوم العذاب بهم، وديمومته عليهم، وأنه لا سبيل الى النجاة منه.

وفي الحديث الشريف:

«يقـال للكافر يـوم القيـامة: أرأيت لو كـان لك ملء الأرض ذهبـا أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم فيقال له: قد سئلت أيسر من ذلك».

[٤١] ﴿يأيها الرسـول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفـر من الذين قالوا آمنا بأفـواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سـماعـون للكذب سمـاعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم﴾.

الإعراب:

﴿سماعون للكذب﴾: مرفوع لوجهين.

أحدهما: أن يكون مبتدأ وخبره ﴿من الذين هادوا﴾ أويكون سماعون صفة لموصوف محذوف وتقديره: فريق سماعون.

والثاني: أن يكون مرفوعاً، لأنه خبر مبتدأ محذوف وتقديره: هم سماعون الكذب، وقد تزاد اللام في المفعول كقوله: ﴿للذين هم لربهم يرهبون﴾[1].

وكقوله: ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾[2].

﴿لم يأتوك﴾ جملة فعلية في موضع جر صفة لقوم، ويحرفون: جملة فعلية في موضع نصب على الحال من المضمر في ﴿سماعون﴾.

وتكون هي الحال المقدرة أي يسمعون مقدرين للتحريف، ويجوز أن يكون في موضع رفع، لأنه صفة لموصوف محذوف في موضع رفع بالابتداء، وتقديره: وفريق يحرفون وهو عطف على ﴿سماعون﴾ وخبره من الذين هادوا[3].

مرجع الضمير:

سماعون للكذب: خبر لمبتدأ محذوف تقديره أي هم سماعون ويعود الضمير.

---

(١) الأعراف ١٥٤

(٢) يوسف ٤٣

(٣) البيان ١: ٢٩٢

علي الفريقين أو الذين يسارعون أي الذين هادوا[1].

[٤٤] ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ....﴾.

الإعراب:

﴿يحكم بها النبيون الذين أسلموا﴾: الذين: صفة للنبيين علي معنى المدح، لاعلى معني الصفة التي تدخل للفرق بين الموصوف، ومن ليس له صفة، وكذلك لأنه لا يحتمل أن يكون نبيون غير مسلمين كما يحتمل أن يكون قولك . رأيت زيدا العاقل، فرقت بالعاقل بينه وبين زيداً آخر ليس له هذه الصفة[2].

مرجع الضمير:

الضمير في **﴿استحفظوا﴾** للأنبياء أي بما سألهم أنبياؤهم حفظة من التوراة أى بسبب سؤال أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل **﴿وكانوا عليه شهداء﴾** أى رقباء والمعنى: يحكم بأحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى، وكان بينهما ألف نبي وعيسى للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يعدلوا عنها، ويجوز أن يكون الضمير في استحفظوا للأنبياء والربانيين والأحبار جميعاً، ويكون الاستحفاظ من الله أى كلفهم الله حفظه،

---

(١) الكشاف ١: ٦١٢، البيضاوي ١٥٠

(٢) البيان ١: ٢٩٢

وأن يكونوا عليه شهداء[1] والضمير في (عليه).

عائد علي (كتاب الله) وقيل عائد إلى الرسول عليه السلام[2].

{٤٥} ﴿...... والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ .

الإعراب:

والجروح قصاص قريء أيضاً بالنصب والرفع، فالنصب بالعطف علي المنصوب (بأن) كأنه قال: وأن الجروح قصاص، والرفع علي أنه مبتدأ، وخبره قصاص .

مرجع الضمير:

﴿له﴾: يحتمل أن يكون عائدا إلى العافي أو إلى المعفو عنه .

أما الأول فالتقدير: أن المجروح، أو ولي المقتول إذا عفا كان ذلك كفارة له، أى للعافي، ويتأكد هذا بقوله تعالى في آية القصاص في سورة البقرة[3].

﴿وأن تعفو أقرب للتقوى﴾[4].

ويقرب منه قوله ﷺ : (أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته تصدق بعرضه على الناس).

---

(١) الكشاف ١: ٦١٥

(٢) البحر ٣: ٤٩٢

(٣) آية ١٧٨(يأيها الذين أمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف) .

(٤) البقرة ٢٣٧

وروى عن عباده بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : (من تصدق من جسده بشئ كفر الله تعالى عنه بقدره من ذنوبه. وهذا قول أكثر المفسرين .

والقول الثاني:

أن الضمير في قوله: ﴿فهو كفارة له﴾ عائد إلى القاتل، يعني أن المجني عليه إذا عفا عن الجاني صار ذلك العفو كفارة للجاني يعني لا يؤاخذه الله تعالى بعد ذلك العفو، وأما المجني عليه الذي عفا فأجره على الله تعالى، وإلى ذلك ذهب ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فيما أخرجه عن ابن جرير ومجاهد وجابر فيما أخرجه عنهما ابن أبي شيبة.

[٥٨] ﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبًا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾

الإعراب :

﴿اتخذوها﴾: الجملة لا محل لها من الإعراب، لأنها جواب شرط غير جازم، والواو: فاعل، والهاء مفعول به أول، وهزوا : مفعول به ثان، (ذلك) اسم إشارة مبتدأ، والباء حرف جر، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر مجرور بالياء، والجار والمجرور: متعلقان بمحذوف خبر، وجملة (يعقلون) صفة لقوم.

مرجع الضمير:

﴿اتخذوها﴾ الضمير يعود إلى الصلاة، أو إلى المناداة[١]. قيل كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله يقول:

(١) الكشاف: ١: ٦٢٤، التفسير الكبير ١٢: ٣٣

أحرق الكاذب، فدخلت خادمته بنار ذات ليلة، فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت، واحترق هو وأهله، وقيل كان اليهود يقولون عند النداء استهزاء: قاموا لاقاموا، صلوا لا صلوا فنزلت، أو المنافقون كانوا يتضاحكون عند القيام إلى الصلاة .

{٦١} ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله، وغضب عليه، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت .....﴾

المعنى والإعراب:

الطاغوت: اللات والعزى ، والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال وما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب .

من لعنه: من في محل رفع خبر مبتدأ محذوف فإنه لما قال:

هل أنبئكم بشر من ذلك فكأن قائلاً قال من ذلك فقيل هو من لعنه الله، ويحتمل أن تكون من موصولة وهو الظاهر، أو نكرة موصوفة فعلى الأول لا محل للجملة التي بعدها، وعلى الثاني لها محل بحسب ما يحكم به على (من) من أوجه الإعراب، ويصح كون محلها الجر على البدل من (بشر)، والنصب بمضمر دل عليه، أنبئكم أي أعرفكم من لعنه الله(١).

مرجع الضمير:

﴿منهم﴾ جمع الضمير الراجع إلى الموصول في ﴿منهم﴾ باعتبار معناه كما أن إفراد الضميرين الأولين باعتبار لفظه، وإيثار وضعه موضع ضمير الخطاب المناسب لأنبئكم للقصد إلى إثبات الشرية(٢).

(١) الفتوحات ١: ٥٠٦

(٢) إرشاد العقل السليم ٣:٥٥

[٨٩] ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين﴾

اللغة والإعراب:

﴿عقدتم الأيمان﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف، كما قرئ ﴿عاقدتم﴾، وتعقيد الأيمان: توثيقها بالقصد والنية

﴿فكفارته﴾ الكفارة: الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها .

﴿إطعام﴾ مصدر مضاف لمفعوله وهو مقدر بحرف وفعل مبني للفاعل أي فكفارته أن يطعم الحانث عشرة، وفاعل المصدر يحذف كثيراً وأهليكم: مفعول أول لتطعمون، والثاني محذوف. أي تطعمونه أهليكم. ﴿وأهليكم﴾: جمع سلامه، وفقد من الشروط كونه ليس علما ولا صفة والذي حسن ذلك أنه كثيراً ما يستعمل استعمال مستحق لكذا من قولهم: هو أهل لكذا، أي مستحق له فأشبه الصفات فجمع جمعها .

قال تعالى:﴿شغلتنا أموالنا وأهلونا﴾ [١] ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾[٢].

مرجع الضمير:

الضمير في (فكفارته) يعود على ما يأتي

أحدهما: أن يعود على الحنث أو إثمه الدال عليه سياق الكلام وإن لم يجر له ذكر صريح لكنه يقتضيه المعنى[٣].

ثانيها: أن يعود على (ما) إن كانت اسم موصول، وهو علي حذف مضاف أي فكفارته نكثه كذا قدره الزمخشري.

(١) الفتح ١١.

(٢) التحريم ٦.

(٣) الكشاف ١: ٦٤٠، البحر ٤: ١٠ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦: ٢٧٥

ثالثهـا: أن يعود على العـقد لتقـدم الفعل الدال عليـه بتقدير مـضاف أي فكفارته نكثه.

رابعها: أن يعود على اليمين، وإن كانت مؤنثة، لأنها بمعنى الحلف.

{٩٠} ﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾

اللغة والإعراب:

(الرجس) بالكسر القذر، ويحرك وتفتح الراء وتكسر الجيم والمأثم، وكل ما استقـذر من العمل، والعمل المؤدي إلى العذاب والعـقاب والغضب، ورجس كفرح وكرم رجاسة عملاً قبيحًا، ورجسه عن الأمر يرجسه، ويرجسه: عافه

مرجع الضمير:

﴿فاجتنبوه﴾ قال البـيضـاوي. الضميـر للرجس، أو لما ذكر، أو للتـعاطي المقدره، أو الشيطان[1].

{١٠٠} ﴿أحل لكم صيـد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيـارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾

الإعراب:

متاعـا: مفعول لأجله أي أحل لكم صيـد البحر وطعامه تمتـيعا أي لأجل تمتعكم وانتفاعكم، ويصح أن يكون مفعولاً مطلقًا أي تمتعكم بما ذكر تمتيعًا .

(١) روح المعاني ٧: ١٦

مرجع الضمير :

﴿طعامه﴾ قيل الضمير للصيد، وطعامه أكله[1].

[١٠١] ﴿يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور رحيم﴾

اللغة والإعراب:

﴿أشياء﴾ ممنوعة من الصرف، وقد خاض علماء اللغة والنحو في سبب منعها ويتلخص فيما يأتي:

١ـ مذهب سيبويه والخليل وجمهور البصريين:

أنها منعت من الصرف لألف التأنيث الممدودة، والأصل(شيئاء) على وزن فعلاء فاستثقلوا اجتماع همزتين بينهما ألف فقدموا الهمزة التي هي اللام على الفاء التي هي الشين فقالوا : أشياء، ووزنها بعد التقديم (لفعاء) ولا ينصرف، لأن الألف في آخرها للتأنيث وهي اسم للجمع، وليست بجمع شيء.

٢ـ مذهب الفراء:

ذهب الفراء إلى أن أصلها أشيئاء على أفعلاء، وهو جمع شيء على الأصل وأصل شيء: شيِّء كهين ولّين فجمعوه علي أفعلاء، كهين وإهوناء، ولين والبناء فصار أشيئاء، فلما أجتمع همزتان بينهما ألف حذفوا الهمزة الأولى تخفيفاً لأمرين:

- أحدهما: لاجتماع همزتين بينهما ألف وهو حاجز غير حصين، فكأنه قد

(١) البيضاوي ١٦٣

اجتمع فيه همزتان، وذلك مستثقل .

والآخر: لأن الكلمة جمع، والجمع يستثقل فيه ما لا يستثقل في الواحد

٣ـ مذهب الكسائي:

فقد ذهب إلى أن وزن أشياء: أفعال، وإنما منعوا صرفه تشبيهاً له بما في آخره ألف التأنيث .

٤ـ مذهب الأخفش:

ذهب إلى أنه جمع شيء بالتخفيف، وجمعوا فعلاعلى أفعلاءكما يجمعونه على فُعلاء، فيقولون: سمح وسمحاء، وفعلاء نظير أفعلاء فكما جاز أن يجئ جمع فعل على فُعلاء،جاز أن يجئ على أفعلاء، لأنه نظيره، ويدل على ذلك أنهم قالوا طبيب وأطباء، والأصل فيه طبباء، كشريف وشرفاء إلا أنهم لما كرهوا اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد نقلوه عن فعلاء إلى أفعلاء، فكرهوا اجتماع الحرفين المتماثلين المتحركين، فنقلوا حركة الحرف الأول إلى الساكن مثله فسكن، وأدغموه في الحرف الثاني، وإذا كان نظيره جاز أن يجمع على أفعلاء فقالوا: أشيئاء ثم فعل به من التخفيف ما فعل به من قول الفراء فبقى وزنه بعد الحذف أفعاء، والمختار الأول. .

و﴿إن تبد لكم تسؤكم﴾ جملة مكونة من شرط وجزاء في موضع جر، لأنها صفة لأشياء .

مرجع الضمير :

﴿وإن تسألوا عنها﴾: الضمير في ﴿عنها﴾ يحتمل أن يعود على نوع

الأشياء المنهي عنها لا عليها أنفسها قاله ابن عطية، ونقله الواحدي عن صاحب النظم، ونظرة بقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾[1] .

يعني آدم ثم جعلناه نطفة قال يعني ابن آدم فعاد الضمير على ما دل عليه الأول قال: ويحتمل أن يعود عليها أنفسها قاله الزمخشري بمعناه[2] .

ويحتمل أن يعود علي التكاليف الصعبة حين ينزل القرآن في زمان الوحي، وهو مادام الرسول بين أظهركم يوحى إليه تبدلكم تلك التكاليف التي تسؤكم، وتؤمروا بتحملها، فتعرضوا أنفسكم لغضب الله لتفريطكم فيها .

﴿ عفا الله عنها﴾ اي عن المسألة التي سلفت منهم، وقيل عن الأشياء التي سألوا عنها من أمور الجاهلية، وما جرى مجراها .

وقيل: العفو بمعنى الترك أي تركها، ولم يعرف بها في حلال ولا حرام، فهو معفو عنها فلا تبحثوا عنه فلعله إن ظهرلكم حكمه ساءكم، وأخرج الدارقطني عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم حرمات فلا تنتهكوها، وحدد حدودًا فلا تضيعوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»[3] .

{١٠٢} ﴿قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين﴾

الإعراب:

---

(١) المؤمنون ١٢ .

(٢) الكشاف ١ . ٦٤٨

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦: ٣٣٤

الجملة مستأنفة وهو الأولى، أو نعتا ثانيا لأشياء سألها. فعل ومفعول مقدم، قوم: فاعل.

﴿من قبلكم﴾ جار ومجرور صفة قوم (كافرين) خبر أصبح.

مرجع الضمير:

قال الزمخشري[1]. فإن قلت كيف قال: لا تسألوا عن أشياء ثم قال (قدسألها)، ولم يقل قد سأل عنها؟

قلت: الضمير في سألها ليس براجع إلى أشياء حتى تجب تعديته بعن، وإنما هو راجع إلى المساءلة التي دل عليها، ﴿لا تسألوا﴾: يعني قد سأل قوم هذه المساءلة من الأولين ثم أصبحوا بها أي بمرجوعها أو بسببها كافرين قال أبو حيان[2]:

ويستقيم ذلك بتقدير مضاف أي أمثالها .باعتبارها مساءلة لها في المغبة وجر الوبال .

{١٠٦}: {١٠٨} ﴿يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذن لمن الآثمين، فإن عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين

(١) الكشاف ١: ٦٤٨ وانظر الفتوحات ١: ٥٣٠، ٥٣١.

(٢) البحر ٤: ٣٢.

استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذن لمن الظالمين، ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾.

اللغة والإعراب :

ضربتم: سافرتم .

الأوليان: مثنى الأولى أي الأحق بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما .

شهادة: مبتدأ، بينكم: مضاف إليه، إذا: ظرف مضمن معنى الشرط متعلق بالجواب المحذوف أي فشهادة اثنين وجملة حضر أحدكم الموت . في محل جر بالإضافة، حين الوصية ظرف متعلق بحضر، واثنان: خبر شهادة، ولابد من تقدير مضاف محذوف، وذلك ليتطابق المبتدأ والخبر، وذلك لأن الشهادة لا تكون هى الاثنان، إذ الجثة لا تكون حيزاً عن المصدر وجوز الزمخشري أن تكون شهادة مبتدأ، والخبر محذوف .

أي فيما فرض عليكم شهادة، واثنان : فاعل بشهادة أي أن يشهد اثنان، وهذا ماجرى عليه ابن هشام.

وذوا: عدل صفة لـ (اثنان)، ومنكم صفة أيضاً .

آخران: عطف على اثنان، ومن غيركم: متعلقان بمحذوف صفة ل(آخران)أي من غير ملتكم.

وإن شرطية، أنتم: فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فالشاهدان آخران، وجملة (ضربتم) مفسرة

لامحل لها، وفي الأرض متعلق بضربتم، وجملةالشرط معترضة لا محل لها، ﴿ارتبتم﴾: فعل الشرط في محل جزم، والجواب محذوف دل عليه ما قبله، وتقديره: إن ارتبتم فيهما فحلفوهما وجملة الشرط معترضة بين القسم وجوابه.

﴿ولوكان ذا قربى﴾الواو: حالية، لو: شرطية وجوابها محذوف أي فلا تشتري به، وجملة لو الشرطية وما في حيزها في محل نصب حال .

إذن : حرف جواب وجزاء مهملة، واللام: المزحلقة و(من الآثمين) خبر إن، وجملة إن وما في حيزها لا محل لها بمثابة التعليل لعدم الكتمان.

(فإن عثر . . .) الفاء :استئنافية، وإن: شرطية وعثر: فعل ماضي مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط وعلى أنهما جار ومجرور نائب فاعل، أي فإن اطلع على استحقاقهما الإثم، وأن واسمها، وجملة استحقاقي محل رفع خبر أن، والألف فاعل أستحقا، وإثما: مفعول استحقا.

﴿فآخران يقومان....﴾

الفاء رابطة لجواب الشرط، وآخران : مبتدأ، ساغ الابتداء به لأنه وصف،أو هو خبر لمبتدأ محذوف، وجملة يقومان في محل رفع خبر على الأول، أو صفة على الثاني ومقامهما: مفعول مطلق، الأوليان: خبر لمبتدأ محذوف أي هما الأوليان، أو فاعل استحق، وجملة فآخران في محل جزم جواب الشرط

فيقسمان : مضارع والألف فاعل، والفاء عاطفة .

واللام :واقعة في جواب القسم، وشهادتنا مبتدأ، وأحق: خبر ومن شهادتهما متعلقان بأحق، وجملة شهادتنا لا محل لها، لأنها واقعة في جواب القسم ﴿وما اعتدينا إنا إذن لمن الظالمين﴾ الواو: استئنافية وما: نافية، إذن: حرف جواب وجزاء مهمل ومن الظالمين خبر إن، والجملة تعليلية لا محل لها من الإعراب.

﴿ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة ..﴾

اسم الإشارة: مبتدأ، أدنى: خبر، والجملة مستأنفة وأن وما بعدها في تأويل مصدر مضاف لأدنى وبالشهادة متعلقان بيأتوا، وعلى وجهها متعلقان بمحذوف حال، ﴿أو يخافوا أن ترد﴾ أن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول ليخافوا، أيمان : نائب فاعل ﴿واتقوا الله﴾ الواو: استئنافية، وفعل وفاعل ومفعول به ﴿والله لا يهدي﴾ الواو استئنافية، والله: مبتدأ وجملة لايهدي: الخبر .

هذه الآيات الثلاث قال عنها مكي في كتابه الكشف. من أصعب آي القرآن في القراءة والإعراب والتفسير والأحكام وقال السخاوي. لم أر أحدا من العلماء تخلص كلامه منها من أولها إلى آخرها، وقال السمين الحلبي. وأنا استعين الله في توجيه إعرابها وتصريف كلماتها وقراءاتها، ومعرفة تأليفها وأما بقية علومها فنسأل الله العون في تهذيبه.

مرجع الضمير:

(به) الهاء تعود على ما يأتي :

قال ابن قتيبه[1].

تعود على الشهادة، إلا أنه ذكر الضمير بالتذكير، لأنها في المعنى قول، والحمل على المعنى كثير في كلامهم، وقيل يعود على محذوف مقدر، لأن

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٣٠٨

التقدير لا نشترى بتحريف شهادتنا ثم حذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه.

قال أبو حيان[١]:

الضمير عائد على الله، أو على القسم، أو على تحريف الشهادة وقال العكبري[٢]:

الضمير يعود على الشهادة، لأنها قول، وقال الزمخشري[٣] تعود على القسم فنلخص مما سبق أن المعنى لا نشتري بالشهادة على أنها في معنى القول، أولا نشتري بتحريف الشهادة، أولا نشتري به أي بالله، أولا نشتري بالقسم بكل قيل (يأتوا) جمع الضمير في يأتوا وما بعده، وإن كان السابق مثنى، فقيل هو عائد على الشاهدين باعتبار الصنف والنوع، وقيل لا يعود عليهما بخصوصهما، بل على الناس الشهود .

والتقدير: ذلك أدنى أن يحذر الناس الخيانة، فيشهدوا بالحق[٤].

وقال البيضاوي[٥]:

وإنما جمع الضمير، لأنه حكم يعم الشهود كلهم .

(١) البحر ٤ : ٤٤

(٢) إملاء مامن به الرحمن ١٢٨:١

(٣) الكشاف ١ : ٦٥٠

(٤) البحر ٤ : ٧٤

(٥) ١٦٥

[١١٠]﴿..وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها ..﴾

الإعراب:

(كهيئـة) الكاف اسم بمعنى مثل في محل نصب مفعول به لتـخلق وهيئته: مضاف إليه، وهو مضاف، والطير مضاف إليه(بإذني) متعلقان بمحذوف حال، طيرا: خبر تكون (بإذني) حال .

مرجع الضمير:

(فيها) الضمير يعود:

١- على الهيئة وهى مصدر في مـعنى المهيأ، لأن النفخ إنما يكون في المهيأ لا في الهيئة.

٢- على الطير، لأنها تؤنث، ومن قـرأ طائرا جاز أن يكون جمعا كـالباقر والحامل فيؤنث الضمير في (فيها)، لأنه يرجع إلى معنى الجماعة.

٣- الضمـير للكاف، لأنهـا صفـة الهيـئة التي كـان يخلقهـا عيسى عـليه السلام، وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها، لأنها ليست من خلقه، ولا من نفخه في شئ قال بذلك الزمخشري[١].

قال أبو حيان[٢].

الكاف اسم بمعنى (مثل) في غير الشعر هو رأي أبي الحسن وحده.

---

(١) الكشاف ١: ٦٥٣

(٢) البحر ٤: ٥١، ٥٢

[١١٥] ﴿قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين﴾

الإعراب:

﴿إني منزلها﴾ الجملة في محل نصب مقول القول.

﴿فمن يكفر﴾الفاء: استئنافية، من:اسم شرط جازم مبتدأ، يكفر: فعل الشرط،بعد: ظرف مقطوع عن الإضافة لفظاً لا معنى مبنى على الضم.

﴿منكم﴾متعلق بمحذوف حال.

﴿فإني﴾ الفاء واقعة في جواب الشرط والجملة في محل جزم جواب الشرط، عذابا: مفعول مطلق وهو اسم مصدر بمعنى التعذيب، الضمير في(أعذب) نائب عن المفعول المطلق، لأنه يعود عليه والتقدير: فإني أعذبه تعذيبا لا أعذب مثل ذلك التعذيب أحدا، أحدا مفعول به، والجملة المنفية صفة لعذابًا و(من العالمين) متعلقان بمحذوف صفة لـ(أحدا)، وجملة فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ (من).

مرجع الضمير:

(لا أعذبه)

الضمير للمصدر، أو للعذاب إن أريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر[1].

(١) البيضاوي ١٦٧

[سورة الأنعام]

[٥]﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ماكانوا به يستهزؤن﴾

الإعراب:

﴿فقد كذبوا﴾الفاء الفصيحة، قد: حرف تحقيق، (لما) حينية أو رابطة، وعلى الأول فهى متعلقة، وجملة جاءهم في محل جر بالإضافة، وعلى الثاني لا محل لها .

و﴿كذب﴾ضمن معنى استهزأ فعداه بالباء، والظاهر كما قال الصفاقس أن الفاء لتعقيب الإعراض بالتكذيب، فهى عاطفة على الجملة قبلها، وجعلها الزمخشري جواب شرط مقدر أي إن كانوا له معرضين عن الآيات فلا تعجب فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها وهو الحق لما جاءهم وفيه تكلف وهذه المرتبة أزيد من الأولى، لأن المعرض عن الشيءقد لا يكون مكذبا به بل قد يكون غافلاً عنه غير متعرض له فإذا صار مكذبافقد زاد على الإعراض[١] .

مرجع الضمير:

(ما) موصولة اسمية، والضمير في (به) عائد عليها ويجوز أن تكون مصدرية قال ابن عطية أي أنباء كونهم مستهزئين، وعلى هذا فالضمير لا يعود إليها ، لأنها حرفية بل يعود على الحق، ويعود إليها عند الأخفش، لأنها اسم عنده.

وقال الزمخشري: (به يستهزئون) وهو القرآن الكريم أي أخباره وأحواله بمعنى سيعلمون بأي شيء استهزءوا، وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء،

(١) الفتوحات ٢: ٦

وذلك عند إرسال العذاب عليهم في الدنيا، ويوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام وعلو كلمته[1].

[٦] ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾

الإعراب:

رأى: بصرية، وجملة أهلكناهم سدت مسد مفعولها، أو علمية والجملة المذكورة سدت مسد مفعوليها، وكم مفعول مقدم لأهلكنا، (من قبلهم) أي من قبل زمنهم ووجودهم و(من) لابتداء الغاية، وأما (من) في قوله من قرن فللبيان أي بيان (كم) وهى تمييز لها، وجملة مكناهم، والجملتان بعدها نعوت لقرن أي قرنا موصوفاً بالصفات الثلاث.

﴿ما لم نمكن لكم﴾ في (ما) هذه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موصولة بمعنى الذي وهى حينئذ صفة لمصدر محذوف، والتقدير: التمكين الذي لم نمكن لكم، والعائد محذوف أي الذي لم نمكنه لكم، والثاني: أن تكون مفعولا بها على المعنى، لأن معنى مكناهم: أعطيناهم ما لم نعطكم. ذكره أبو البقاء قال الشيخ هذا والتضمين لا ينقاس.

الثالث: أن تكون نكرة موصوفة بالجملة المنفية بعدها والعائد محذوف أي شيئا لم نمكنه لكم ذكره أبو البقاء أيضاً قال الشيخ وهذا أقرب إلى الصواب[2].

---

(١) الكشاف ٢: ٥

(٢) الفتوحات ٢:٦، ٧

مرجع الضمير :

(مكناهم)أي القرن، وجمع الضمير باعتبار كون القرن جمعاً في المعنى أي قرناً موصوفاً بالصفات الثلاث، ومع ذلك فقد أهلكناهم بذنوبهم، ولم ينفعهم ولم يدفع عنهم التمكين وما بعده من الصفـات فيخاف على قريش آن ينزل بهم الهلاك مثل ما نزل بمن قبلهـم، مع أن من قبلهم كانوا أعظم شأناً منهم لكن لما كذبوا الأنبـياء، استـحقوا الهـلاك فقريش إذا اسـتمروا على الـتكذيب يخشى عليهم مثلهم .

{٧} ﴿ولونزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾

اللغة والإعراب :

القرطاس: ما يكتب فيه، وكسر القاف فيـه أشهر من ضمها كلام مستأنف لبـيان فـرط تعنتـهم، وتماديهم في المكابرة (في قرطاس) جار ومجـرور صفة (الكتاب)

﴿لقال الذين كفروا﴾: اللام واقعة في جواب (لو)، وجملة (إن هذا. .) مقول القول .

مرجع الضمير:

﴿فلمسوه بأيديهم﴾ الضمير المنصوب يجوز أن يعود على القرطاس، وأن يعود على الكتاب بمعنى المكتوب.

{٩} ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾

الإعراب:

﴿ما يلبسون﴾في (ما) قولان :

أحدهما : أنهـا موصولة بمعنى الذي أي ولخلطنا عليـهم ما يخلطون على أنفسهم، أو على غيرهم قاله أبو البقاء وتكون (مـا) حينئذ مفعولا بها، والثاني أنها مصدرية أي وللبسنا عليهم مثل ما يلبسون على غيرهم ويشككونهم .

مرجع الضمير:

الضمير الأول (جعلناه)، والثـاني(لجعلناه) فالأول للنذير المحدث للناس عنه عليه الصلاة والسلام المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام والضمير الثاني للملك لا لما رجع إليـه الأول أي ولو جعلنا النذير الذي اقـترحـتم إنزاله ملكا لمثلنا ذلك الملك رجلا لعدم استطاعتكم معاينة الملك علي هيكله الأصلي[1].

[١٠] ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فـحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾

مرجع الضمير :

(ما) يحتمل أن تكون بمعنى الذي، وقيل بمعنى المـصدر أي حاق بهم عاقبة استهزائهم[2].

والعـا ئد على أنها مـوصـولة الهاء في (به)، وبه مـتـعلق بيسـتهـزئون، ويستـهزئون: خبـر لكان، ومنهم متـعلق بسخروا على أن الـضميـر يعود على

(١) روح المعاني ٧: ٩٨

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦ : ٣٩٤

الرسل قال تعالى: ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم﴾[1].

والذي يظهر أن الضمير في (به) يعود على الرسول الذي يتضمنه الجمع فكأنه قيل فحاق بهم عاقبة استهزائهم بالرسول المندرج في جملة الرسل، وأما على رأي الأخفش وابن السراج فيعود علي (ما) المصدرية، لأنها عندهما اسم وهل يحتاج إلي تقدير مضاف قبل(ما كانوا) نقل الواحدي عن أكثر المفسرين ذلك أي عقوبة ما كانوا، أو جزاء ما كانوا، ثم قال. وهذا إذا جعلنا (ما) عبارة عن القرآن والشريعة، وما جاء به النبي ﷺ فإن جعلت(ما) عبارة عن العذاب الذي كان عليه السلام توعدهم به إن لم يؤمنوا استغنيت عن تقدير المضاف.

والمعنى: فحاق بهم العذاب الذي يستهزئون به وينكرونه[2].

{٢٢} ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾

الإعراب:

جميعا: حال، (أين) اسم استفهام في محل نصب ظرف مكان، والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، وشركاؤكم مبتدأ مؤخر، والذين: اسم موصول صفة لشركاء ومفعولا (تزعمون) محذوفان للعلم بهما أي تزعمونهم شركاء.

مرجع الضمير:

(نحشرهم) الضمير المنصوب يعود على المفترين الكذب،

---

(١) هود ٣٨.

(٢) انظر الفتوحات ٢: ٩، ١٠

وقيل على الناس كلهم فيندرج هؤلاء منهم، والتوبيخ مختص بهم، وقيل يعود على المشركين وأصنامهم ويدل عليه قوله: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله﴾.

[٢٦] ﴿وهم ينهون عنه وينئون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾

الإعراب:

﴿وإن يهلكون إلا أنفسهم﴾

الواو: حالية، إن: نافية، يهلكون: مرفوع بثبوت النون، إلا: أداة حصر، وأنفسهم: مفعول به، والجملة في محل نصب حال

مرجع الضمير:

في الضميرين(هم) وهاء (عنه) أوجه:

أحدهما: أن المرفوع يعود على الكفار، والمجرور يعود على القرآن، وهو أيضاً الذي عاد إليه الضمير المنصوب في يفقهوه.

الثاني: أن (هم) يعود على من تقدم ذكرهم من الكفار، وفي (عنه) يعود على الرسول، وعلى هذا فقيه التفات من الخطاب إلى الغيبة، فإن قوله جاءوك يجادلونك خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، فخرج من هذا الخطاب إلى الغيبة، وقيل يعود المرفوع على أبي طالب وأتباعه.

وقيل نزلت[١] في أبي طالب وحينئذ فجمع الضمير المرفوع من حيث

(١) روي أنهم اجتمعوا إلى أبي طالب وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

استتباعه لأتباعه، وقوله كان ينهي عن أذاه الخ

فعلى الأول وهم ينهون عنه يعني عن أتباعه، وعلى الثاني يعني عن أذاه

ولعل الوجه الأول أرجح، لأن جميع الآيات المتقدمة في ذم طريقتهم، فكذلك ينبغي أن يكون قوله وهم ينهون عنه محمولا على أمر مذموم، وإذا حمل على أن أبا طالب كان ينهى عن إيذائه لما حصل هذا النظم، وأيضاً قوله تعالى بعد ذلك وإن يهلكون إلا أنفسهم يعني به ما تقدم ذكره ولا يليق ذلك بالنهي عن أذيته.

وقال السيوطي: الضمير في (هم) للكفار، وعنه على القرآن أو على النبي ﷺ (1).

{٣١} ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون﴾

مرجع الضمير:

(فيها) الضمير للحياة الدنيا، وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة .

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت أي أنه كان ينهي قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه ولا يؤمن به

الكشاف ٢: ١٢

(١) معترك الأقران ٣ك ٣٣١

ثانيا: الضـمير للساعة على معنى قصرنا في شأنها، والإيمان بهـا وإعداد الزاد لها[1].

ثالثا: الضـمير يعود على معنى مـا في قوله: (ما فرطنا) أي حسرتنا على الأعمال، والطاعات التي فرطنا فيها.

رابعا: الضمير يعود إلى الصفـقة لأنه تعالى لما ذكر الخسران دل ذلك على حصول الصفقة والمبايعة[2].

خامسا: الضمير يعود على الجنة أي على ما فرطنا في طلبها.

[٣٨] ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾

الإعراب:

﴿من دابة﴾ من حرف زائد (صلة) دابة: مبتدأ مجرور لفظا مرفوع محلا، في الأرض: جار ومجرور صفة لدابة، وجـملة يطير: صفة، أمم: خبر دابة، وأمثـالكم: صفة (من شيء) من حـرف جر زائد (صلة) وشيء مـجرور لفظا منصوب محلا علي المصدرية، أو المفعولية

مرجع الضمير:

﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ بيان لأحوال الأمم في الآخرة بعد بيان أحوالها في الدنيا، وإيراد ضـميرها بصيـغة جمع العقـلاء لإجرائها مجـراهم في وجوه المماثلةالسابقة .

(١) البحر ٤: ١٠٧ الكشاف ٢: ١٤ العكبري ١: ١٣٣

(٢) التفسير الكبير ١٢: ١٩٩

البلاغة:

قال الزمخشري: فإن قلت كيف قيل إلا أمم مع إفراد الدابة والطائر؟ قلت لما كان قوله تعالى :وما من دابة في الأرض ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن أن يقال. وما من دواب ولا طير حمل قوله إلا أمم على المعنى فإن قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم، وما معنى زيادة قوله في الأرض ويطير بجناحيه، قلت معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة كأنه قيل: وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها، والغرض من ذكر ذلك الدلالة على عظم قدرته، ولطف علمه، وسعة سلطانه، وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس المتكاثرة الأصناف، وهو حافظ لما لها وما عليها، مهيمن على أحوالها، لا يشغله شأن عن شأن وأن المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوانات[1].

{٤٦} ﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به﴾

الإعراب:

﴿قل أرأيتم إن أخذ الله﴾ المفعول الأول محذوف تقديره: أرأيتم سمعكم وأبصاركم إن أخذهما الله، والجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني

مرجع الضمير:

﴿يأتيكم به﴾ أي بذاك إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة، أو بما أخذ

(١) الكشاف ٢: ١٧.

وختم، وقيل يعود على السمع بالتصريح، وتدخل فيه القلوب والأبصار، وقيل عائد على الهدى الذي يدل عليه المعنى(١).

[٥١] ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون﴾

الإعراب:

﴿ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون﴾

الجملة حال من الضمير في أن يحشروا أي أنذر به هؤلاء الذين يخافون الحشر حال كونهم لا ولي لهم يواليهم ولا نصير ولا شفيع يشفع لهم من دون الله، (من دونه) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، (ولي) اسم ليس والجار والمجرور قبله خبر، (يتقون) الجملة خبر لعل، وجملة الرجاء حالية .

مرجع الضمير:

﴿وأنذر به﴾ أي بما يوحي، أو بالقرآن كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والزجاج، وقيل أي بالله تعالى، وروي ذلك عن الضحاك(٢).

[٥٢] ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء،وما من حسابك عليهم من شيء فتطردَهم فتكون من الظالمين﴾.

---

(١) البحر ٤: ١٣٢، معاني القرآن للزجاج ٢: ٢٧٣، روح المعاني ٧: ١٥٣.

(٢) روح المعاني ٧: ١٥٧

الإعراب:

ما: نافية، عليك: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وشيء: مبتدأ مؤخر، زيدت فيه (من) (من حسابهم) حال، وصاحب الحال هو شيء، لأن الجار والمجرور لو تأخرا عنه لتعلقا بمحذوف صفة له، وصفة النكرة متى تقدمت انتصبت على الحال، وجملة: ما عليك: حال .

مرجع الضمير في:

(حسابهم) و(عليهم) إلى ماذا يعود؟

الأول: أنه عائد إلى المشركين[1]، والمعنى ما عليك من حساب المشركين من شيء، ولا حسابك على المشركين، وإنما الله هو الذي يدبر عبيده كما شاء وأراد، والغرض من هذا الكلام: أن النبي ﷺ يتحمل هذا الاقتراح من هؤلاء الكفار، فلعلهم يدخلون في الإسلام، ويتخلصون من عقاب الكفر.

الثاني: أن الضمير عائد إلى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وهم الفقراء، وذلك أشبه بالظاهر، والدليل عليه أن الضمير في قوله: **﴿فتطردهم فتكون من الظالمين﴾** عائدة لا محالة إلى هؤلاء الفقراء، فوجب أن تكون سائر الضمائر عائدة إليهم، وعلى هذا التقدير: ذكروا في قوله: **﴿ما عليك من حسابهم من شيء﴾** قولين:

(١) والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم، ولا هم بحسابك حتى يهمك إيمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه.

أحدهما: أن الكفـار طعنوا في إيمان أولئك الفقراء، وقالوا يامـحمد إنهم إنما اجتمعـوا عندك، وقبلوا دينك، لأنهم يجدون بهذا السبب مـأكولا وملبوسا عندك، وإلا فهم فارغون عن دينك فقال الله تعالى: **إن كان الأمر كما يقولون** فما يلزمك إلا اعتبار الظاهر، وإن كان لهم باطن غير مرضي عند الله فحسابهم عليه لازم لهم لا يتـعدى إليك، كما أن حسـابك عليك لا يتعدى إليـهم كقوله تعالى: **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾**[1].

(١) الإسراء ١٥، فاطر ١٨.

{٥٧} ﴿قل إني على بينة من ربي وكـذبتم به ما عندي مـا تستعـجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين﴾

الإعراب:

﴿من ربي﴾ صفة لبينة، ﴿وكذبتم بـه ما عندي﴾الواو استئنافية والكلام مستأنف مسـوق لاستيضاح تكذيبهم أو حـالية، بتـقدير (قد) (عندي) مـتعلق بمحذوف خبر مقدم و(ما) اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر ﴿الحق﴾ فيه أربعة أوجه:

١-أنه منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف أي يقضي القضاء الحق .

٢- أنه ضمن يقضي معنى ينفذ فلذلك عداه إلى المفعول به.

٣-أن قضى بمعنى صنع فيتعدى بنفسه من غير تضمين .

٤-أنه على إسـقـاط حـرف الجر أي يقـضي بالحق فلـما حـذف انتـصب مجروره، والجملة حال .

مرجع الضمير :

الهـاء في (كذبتم بـه) يجوز أن تعـود على (ربي) أي بوحـدانيتـه وهو الظاهر، وقـيل على القرآن، لأنه كـالمذكور، وقـيل على بينة، لأنها في مـعنى البيان، وقـيل لأن التاء فيهـا للمبالغـة، والمعنى على أمر بين من ربي، أو على البيان الدال عليه ببينة، أو على الوحي، أو الحجج العقلية وما يعمها .

{٦٠} ﴿.. ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه....﴾

اللغة والإعراب:

جرح: من باب نفع، واجترح عمل بيده واكتسب ومنه قيل لكواسب الطير والسباع جوارح جمع جارحة، لأنها تكسب بيدها.

(ماجرحتم) الظاهر أن(ما) مصدرية، وإن كان كونها موصولةاسميةأكثر، ويجوز أن تكون نكرة موصوفة بما بعدها، والعائد على كلا التقديرين الأخيرين محذوف، وكذا عند الأخفش وابن السراج على القول الأول[١].

مرجع الضمير:

الضمير من (فيه) عائد على النهار، عائد عليه لفظا، والمعنى في يوم آخر كما تقول: عندي درهم ونصفه، وقيل على التوفي، وقيل على الليل[٢].

[٦١ , ٦٢] ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾

القراءة والإعراب:

قرئ توفاه رسلنا بالتذكير فالتأنيث على نية الجماعة والتذكير على نية الجمع

(مولاهم) في موضع جر على البدل من اسم الله تعالى، و(الحق) قرئ بالجر والنصب، فالجر على أنه صفة لمولاهم، والنصب لوجهين:

أحدهما: أن يكون منصوبا على المصدر .

والثاني: أن يكون منصوبا بتقدير أعني[٣].

(١) الفتوحات ٢: ٣٩

(٢) البحر ٤: ١٤٧

(٣) البيان ١: ٣٢٥

مرجع الضمير:

(ثم ردوا) يحتمل أن يعود الضمير على (أحدكم) على المعنى، لأنه لا يريد بأحدكم ظاهره من الإفراد، وإنما معناه الجمع، وكأنه قيل: حتى إذا جاءكم الموت، والظاهر عود الضمير على العباد(فوق عباده) .

{٦٦} ﴿وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل﴾

الإعراب:

﴿وهو الحق﴾ في هذه الجملة وجهان:

الأول الظاهر منهما أنهما استئناف .

الثاني: أنها حال من الهاء في (به) أي كذبوا به حال كونه حقاً، وهو أعظم في القبح، وعليكم: متعلق بما بعده وهو بوكيل، وقدم لأجل الفواصل، ويجوز أن يكون حالاً من قوله بوكيل، لأنه لو تأخر لجار أن يكون صفة له، وهذا عند من يجيز تقديم الحال على صاحبها المجرور بالحرف وهو اختيار جماعة[١] .

مرجع الضمير:

الضمير في (وكذب به) إلى ماذا يرجع ؟ فيه أقوال:

الأول: أنه راجع إلى العذاب المذكور في الآية السابقة﴿وهو الحق﴾ أي لابد وأن ينزل بهم، واختار ذلك غالب المفسرين

الثاني: الضمير في(به) للقرآن الكريم وهو الحق أي في كونه كتابا منزلا

(١) الفتوحات ٢: ٤٣

من عند الله، أو الوعيد المتضمن في هذه الآيات المتقدمة، أو على النبي ﷺ[1]،

قال العلامة الجمل : وفي عوده على النبي ﷺ بعد، لأنه خوطب بالكاف عقيبه، فلو كان كذلك لقال: وكذب بك قومك، وادعاء الالتفات فيه أبعد[2].

الثالث: يعود إلى تصريف الآيات، وهو الحق، لأنهم كذبوا كون هذه الأشياء دلالات، ثم قال: ﴿قل لست عليكم بوكيل﴾ أي لست عليكم بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم، وإعراضكم عن قبول الدلائل﴿إنما أنا منذر﴾[3]. والله هو المجازي لكم بأعمالكم .

{٦٨} ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾

الإعراب:

(إذا) منصوب بجوابها وهو فأعرض أي أعرض عنهم في هذا الوقت، ورأيت هنا يحتمل أن تكون بصرية وهو الظاهر، ولذلك تعدت لواحد، ولابد حينئذ من تقدير حال محذوفة أي وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا متلبسين بالخوض فيها ، ويجوز أن تكون الرؤية قلبية، وحذف المفعول الثاني للاختصار.

---

(١) البحر ٤: ١٥١

(٢) الفتوحات ٢: ٤٣

(٣) الرعد ٧

مرجع الضمير :

(غيره) إنما ذكر الهاء، لأنه أعادها على معنى الآيات، لأنها حديث وقرآن، وقال الحوفي عائد إلى الخوض[1].

البلاغة :

الخوض في اللغة هو الشروع في الماء والعبور فيه، وقد استعير للأخذ في الحديث، والشروع فيه على أفانين متنوعة، وأساليب متعددة، على وجه العبث واللهو فهي استعارة تبعية، كذلك جاء لفظ (إذا) في الشرط الأول، لتفيد أن خوضهم في الآيات أمر غير مشكوك فيه، ومن هذا القبيل

قول الشاعر:

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي علي سواد

فيخرج من البلدة في الصباح الباكر تاركا لها إذا أنكرته أو نكرها أي تحقق من ذلك فإذا تفيد التحقق.

أما الشرط الثاني فقد جاء (بإن)، لأن إنساء الشيطان أمر مشكوك فيه قد يقع وقد لا يقع، لأنه معصوم منه، وإن تفيد الشك، كذلك وضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿مع القوم الظالمين﴾

{٦٩} ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾

(١) البحر ٤: ١٥٢، العكبري ١: ١٣٨

الإعراب:

(ذكرى) مصدرذكر، ولم يجئ على فعلى بكسر الفاء غيره ،ما: نافية (على الذين) جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر (من حسابهم) جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من: حرف جر زائد، شيء مجرور لفظا بمن مرفوع محلا على أنه مبتدأ مؤخر

(ذكرى) يجوز في موضعها النصب والرفع ، فالنصب على المصدر والتقدير : ولكن يذكرونهم ذكرى ، وأن تكون رفعا على أنها خبر لمبتدأ محذوف أي هى ذكرى، أو أنها مبتدأ والخبر محذوف أي ولكن عليهم ذكرى، وجملة (لعل) في محل نصب حال

مرجع الضمير:

قال الزمخشري : (لعلهم يتقون) أي يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم[1]،ويجوز أن يكون الضمير للذين يتقون أي يذكرونهم إرادة أن يثبتوا على تقواهم، ويزدادوها، وروى أن المسلمين قالوا:

لئن كنا نقوم كلما استهزءوا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام، وأن نطوف فرخص لهم[2].

[٧٠] ﴿..وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾

(١) أي فالضمير يعود على الذين يخوضون

(٢) الكشاف ٢: ٢٧، البيضاوي ١٧٩

اللغة والإعراب:

العدل: الفدية، أبسلوا: منعوا، وأصل البسل في اللغة: التحريم والمنع، ومنه هذا عليك بسل: أي حرام ممنوع، ومنه أسد باسل، لأن فريسته لا تفلت منه، أو لأنه ممتنع، والباسل : الشجاع لاقتناعه من قرنه (أولئك الذين) مبتدأ وخبر، ويجوز أن يكون اسم الموصول بدلا من اسم الإشارة، والخبر (لهم شراب . . .)

مرجع الضمير :

فاعل (يؤخذ) قوله (منها) ، لا ضمير العدل، لأن العدل هاهنا مصدر، فلا يسند إليه الأخذ، وأما في قوله تعالى:

﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾(١) فبمعنى المفدى به، فصح إسناده إليه(٢). وقال أبو حيان: عائد على المعدول(٣).

(وذكر به) أي بالقرآن من يصلح للتذكير قال بذلك الزمخشري وأبو حيان والألوسي(٤)، وقد جاء مصرحا به في قوله سبحانه **﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾**، والقرآن يفسر بعضه بعضا، وقيل الضمير (لحسابهم)، وقيل (للدين)، وقيل إنه ضمير يفسره قوله سبحانه (أن تبسل نفس بما كسبت، فيكون بدلا منه، واختاره أبو حيان، ويجوز أن يكون الضمير في (به) راجعا إلى الإنسان

---

(١) البقرة ٤٨ .

(٢) الكشاف ٢:٢٨ الفتوحات ٢: ٤٥

(٣) البحر ٤ : ١٥٦

(٤) الكشاف ٢: ٢٧، البحر ٤: ١٥٥، روح المعاني ٧: ١٨٦

مع عدم جريان ذكره، كـما في ضمير الشأن، وتكون الجـملة بدلا منه، مفسرا له لما في الإبهام أولا.

{٨٠} ﴿وحـاجـه قومـه قـال أتحاجوني في الـله وقد هدان ولا أخـاف مـا تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما﴾.

القراءة والإعراب:

قرئ بتشديد النون وتخفيفـها، فمن قرأ بالتشديد فعلى الأصل، لأن أصله أتحاجونني، فاجـتمع نونان، نون علامة الرفع، ونون الوقاية، فاجـتمع حرفان متحركان من جنس واحد، فاستثقلوا إجتماعهما، فسكنوا الأول، وأدغموه في الثاني، ومن قرأ بالتـخفيف استـثقل اجتماع النونين، فـحذف أحدهما تخفـيفاً لاجتماع المثلين، وكثرة الاستعمال كقوله تعالى﴿فبم تبشرون﴾[1].

واختلفـوا في المحذوفة منهـما، فذهب الأكـثرون إلى أن المحذوف منهـما الثانية، وكان حذف الثانية أولى من حذف الأولى ،

لأن الأولى علامة الرفع، فلا تحذف إلا بعامل ناصب أو جازم،

ولأن الاستثقال إنما حصل بالثانية لا بالأولى، فكان حذفها أولى، وكسرت النون لمجاورة ياء المتكلم وإن كان من حقـها الفتح، لأن ياء المتكلم لا يكون ما قبلهـا إلا مكسورا ألا ترى أنك تقـول : قام غـلامي ورأيت غلامي فـيكون ما قبلها مكـسورا، وإن كان (غلامي) في موضع رفع، أو نصـب فوقع في قراءة من قرأ بالتخفيف حذف وتغيير.

---

(١) الحجر ٥٤

﴿إلا أن يشاء ربي شيئا﴾

شيئا: منصوب على المصدر، كقولك إلا أن يشاء مشيئة

علما: منصوب على التمييز

مرجع الضمير:

﴿ما تشركون به﴾ الهاء تعود على (ما)، والمعنى ولا أخاف الذي تشركون الله به، أو تعود على الله، والمحذوف هو العائد على ما، ويجوز أن تكون مصدرية وعلى هذا فالهاء في (به) لا تعود على (ما) عند الجمهور بل تعود على الله تعالى، والتقدير: ولا أخاف إشراككم بالله، والمفعول محذوف أي ما تشركون غير الله به[1].

{٨٤} ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين﴾.

الإعراب:

كلا: منصوب بهدينا وكذلك نوحا وهو منصرف، وإن كان قد اجتمع فيه العجمة والتعريف لخفة الوزن، لأن خفة الوزن قام مقام أحد السببين فكأنه بقى سبب واحد، والسبب الواحد لا يمنع الصرف، فانصرف، وداود، وسليمان منصوبان بهدينا وهما غير منصرفين للعجمة والتعريف.

مرجع الضمير:

(١) الفتوحات، ٢: ٥٥

﴿ومن ذريته﴾: الضميـر لإبراهيم، لأن مساق النظم الكريم لبيـان شئونه العظيمـة من إيتاء الحجة، ورفـع الدرجات، وهبة الأولاد الأنبيـاء، وإيتاء هذه الكرامـة في نسله إلى يوم القيـامة، كل ذلك لإلزام من ينتـمي إلى ملته عـليه السلام مـن المشركين واليهـود، فإبراهيم هو المـقصود بالذكـر في هذه الآيات، وإنما ذكـر الله تعـالى نوحـا، لأن كون إبراهيـم عليه السـلام من أولاده أحـد موجبات رفعة إبراهيم[1].

وقيل الضمير لنوح بدليل ما يأتي

الأول: أن نوحا أقرب المذكورين، وعود الضمير إلى الأقرب واجب

الثاني: أنه تعالى ذكر في جملتهم لوطا وهو ابن أخ إبراهيم، وما كان من ذريته، بل كان من ذرية نوح عليه السلام، وكان رسولا في زمان إبراهيم .

الثـالث: أن ولد الإنسان لا يقـال إنه ذريته، فـعلى هذا إسمـاعيل علـيه السلام ما كان من ذرية إبراهيم، بل هو من ذرية نوح عليـه السلام وهو اختيار جمهور المفسرين .

قال الزجاج: كلا الاحتمالين جائز، لأن ذكرهما جميعا قد جرى .

[٨٩ , ٩٠] ﴿أولئك الذين آتينـاهم الكتاب والحـكم والنبـوة فإن يكفـر بهـا هؤلاء فقـد وكلنا بها قومـا ليسو بهـا بكافرين، أولئك الذين هدى الله فبـهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾

القراءة والإعراب:

(١) التفسير ١٣: ٦٤

أولئك مبتدأ والإشـارة إلى الأنبياء الثمانية عشـر المذكورين والذين : خبر اسم الإشارة، الكتـاب: مفـعول به ثان هؤلاء: فاعل والإشـارة إلى أهل مكة الذين أرسل محمد عليه الصلاة والسلام لهـدايتهم، قوما: مفعول به، وجملة ليـسوا: صفـة، بكافرين: الـباء حرف جـر زائد (صلة) وكافـرين: خبـر ليس مجرور لفظا ومنصوب محلا.

(اقتده) قرئ بإثبات الهاء ساكنة ومكسورة، وحذفها فمن أثبتها ساكنة جعل الهاء للسكت، ودخلت بيانًا للحركة، وصـيانة لها عن الحذف، ومن قرأ بكسر الهاء جـعلها كناية عن المصدر أي اقتـد الاقتداء، وقيل : إنه شـبه هاء السكت بهاء الضمير فكسرها وهو ضعيف جدا[1].

مرجع الضمير:

(بهـا) عائد على النبـوة، لأنهـا أقرب مـذكور، أو على الكتـاب والحكم والنبوة[2].

(هؤلاء): إشارة إلى أهل مكة(قـوما) هم الأنبياء المذكـورون ومن تابعهم بدليل قوله: ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهـداهم اقتده**﴾، وبدليل وصل قوله: فإن يكفـر بها هؤلاء بما قـبله، وقيل هم أصحـاب النبي ﷺ ، وكل من آمن به، وقيل كل مـؤمن من بني آدم، وقيل الملائكة، وادعى الأنصـار أنها لكم، وعن مجاهد: هم الفرس، ومعنى توكيلهم بهـا أنهم وفقوا للإيمان بها، والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به، ويتعهده، ويحافظ عليه[3]. ﴿**قل لا**

(١) البيان ١: ٣٣٠

(٢) البحر ٤: ١٧٥، الكشاف ٢: ٣٣

(٣) الكشاف ٢: ٣٤

أسألكم عليه﴾.

أي على القرآن، أو على التبليغ، فإن مساق الكلام يدل عليهما، وإن لم يجر ذكرهما[1].

[٩٢] ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون﴾

اللغة والإعراب:

أم القرى: مكة، لأنها مكان أول بيت وضع للناس، ولأنها قبلة أهل القرى ومحجهم، ولأنها أعظم القرى شأنا وأنشد الزمخشري:

فمن يلق في بعض القريات رحله　　فأم القرى ملقى رحالي ومنتابي

﴿ولتنذر أم القرى﴾ اللام لام (كي) تتعلق بفعل مقدر، وتقديره: ولتنذر أم القرى أنزلناه[2]، والذين يجوز فيه وجهان: الواو: استئنافية، والذين اسم موصول مبتدأ، وجملة يؤمنون بالآخرة صلة الموصول، وجملة يؤمنون به خبر، ويجوز أن تكون الواو عاطفة، والذين: اسم موصول معطوف على أم القرى فهو منصوب أي لتنذر أهل أم القرى، ولتنذر الذين آمنوا فتكون جملة يؤمنون الثانية حالا من الموصول، والواو حالية، وهم: مبتدأ، وجملة: يحافظون خبر، والجملة نصب على الحال.

مرجع الضمير:

(١) روح المعاني ٧: ٢١٧

(٢) البيان ١: ٣٣١

(به) يعود على الكتاب[1]، أو على رسول الله ﷺ[2]، وأرجعه الألوسي[3]، إلى الكتاب، أو النبي ﷺ، لأنهم يرهبون من العذاب، ويرغبون في الثواب، ولا يزال ذلك يحملهم على النظر، والتأمل حتى يؤمنوا به.

البلاغة:

جملة (أنزلناه) صفة وهى فعلية، لأن الإنزال يتجدد وقتا بعد وقت على حد قوله.

وقال رائدهم : أرسو نزاولها   فحتف كل امرئ يجري بمقدار

ووقعت الصفة اسما، والثالثة كذلك للدلالة على الثبوت والاستمرار، وديمومة البركة.

[١٠٠] ﴿وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾

الإعراب:

﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾:

شركاء: منصوب لأنه مفعول أول، والجن: مفعول ثان واللام في (لله) تتعلق بشركاء ، ويجوز أن نجعل (الجن) بدلا من (شركاء) واللام في (لله) تتعلق ب(جعل) وقرئ الجنُّ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وتقديره: هم الجن[4].

(١) الكشاف ٢: ٣٥

(٢) البحر ٤: ١٧٩

(٣) روح المعاني ٧: ٢٢٢

(٤) البيان: ١: ٣٣٣

مرجع الضمير:

(وخلقهم) الضمير إلى ماذا يعود؟

الأول: أنه عائد إلى (الجن)، والمعنى أنهم قالوا .الجن شركاء لله

الثاني: أن الضمير عائد إلى الجاعلين، وهم الذين أثبتوا الشركة بين الله تعالى، وبين الجن، ومعناه: وعلموا أن الله خالقهم دون الجن، ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق، وقرئ: وخلقهم: أي اختلاقهم الإفك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم إلى الله في قولهم: والله أمرنا بها وضعف الفخر الرازي[1]. عوده على الجاعلين لوجهين.

أحدهما: أنا إذا حملناه على ماذكرناه صار ذلك اللفظ الواحد دليلا قاطعا تاما كاملا في إبطال ذلك المذهب، وإذا حملناه على هذا الوجه لم يظهر منه فائدة.

ثانيهما:

أن عود الضمير إلى أقرب المذكورات واجب، وأقرب المذكورات في هذه الآية هو الجن، فوجب أن يكون الضمير عائدًا إليه .

[١٠٥] ﴿وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون﴾

القراءة والإعراب:

﴿وليقولوا درست﴾ قرأت على اليهود وقرأوا عليك دارست يقرأ بإثبات الألف وحذفها، فالحجة لمن أثبت الألف أنه أراد قارأت وذاكرت غيرك

(١) التفسير الكبير ١٣: ١١٦ بتصرف

فاستفدت، والحجة لمن حذفها أنه أراد قرأت لنفسك وعلمت، فأما من قرأه بضم الدال وإسكان التاء فله وجهان.

أحدهما: أنه أراد قرئت وعلمت وهو الوجه، والثاني أنه أراد محيت وذهبت من قولهم. درس المنزل إذا ذهبت آثاره ومعالمه[1].

(وليتولوا) معطوف على فعل مقدر، والتقدير: نصرف الآيات ليجحدوا وليقولوا أي ليصير عاقبة أمرهم إلى الجحود، وإلى أن يقولوا هذا القول، وهذه اللام تسمى لام العاقبة عند البصريين، ولام الصيرورة عند الكوفيين، ونظير هذه اللام، اللام في قوله تعالى ﴿**فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا**﴾[2]. وما التقطوه ليكون لهم عدوا، وإنما التقطوه ليكون لهم قرة عين، ولكن صارت عاقبة التقاطهم إياه إلى العدوان والحزن[3].

مرجع الضمير:

﴿ولنبينه﴾ الضمير يرجع إلى الآيات، لأنها في معنى القرآن، أو للقرآن، وإن لم يجر له ذكر، لكونه معلوما، أو إلى التبيين الذي هو مصدر الفعل، وقال أبو حيان. أو على المصدر المفهوم من (لنصرف)[4].

البلاغة:

(١) الحجة ١٤٧

(٢) القصص ٨.

(٣) البيان ١: ٣٣٤

(٤) الكشاف ٢: ٤٢، البحر ٤: ١٩٨، البيضاوي ١٨٧.

قال الزمخشري: وهو من عيـون النكت التي جاء بها: فإن قلت: أي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه؟

قلت الفـرق بينهما أن الأولـى مجاز والثـانية حـقيـقة، وذلك أن الآيات صرفت للتـبيين، ولم تصرف ليـقولوا (درست) ولكن لأنه حـصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين به شبه به فسيق مساقه.

[١٠٩] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾

اللغة والقراءة والإعراب:

جهد أيمانهم: الجهد بفتح الجيم المشقة، وبضمها الطاقة ﴿يشعركم﴾ يدريكم ويعلمكم .

﴿أنها﴾ يقرأ بفتح الهمزة من ﴿أنها﴾ وبكسرها، فمن قرأ ﴿إنها﴾ بالكسر، جعلها مبتدأ، ووقف على قوله تعالى: ﴿وما يشعركم﴾ وجعل ﴿ما﴾ استفهامية، وفي ﴿يشعركم﴾ ضمير يعود إلى ﴿ما﴾، ويقدر مفعولا ثانيا محذوفا، وتقديره. وما يشعركم إيمانهم، لأن الله تعالى قد أعلمنا أنهم لا يؤمنون ومن قرأ أنها بالفتح ففيه وجهان:

الأول: أن تكون﴿أن﴾ بمعنى لعل، وتقديره: وما يشعركم إيمانَهم لعل الآيات إذا جاءت لا يؤمنون، وقد جاءت﴿أن﴾ بمعنى لعل، حكى الخليل عن العرب أنهم قالوا. اذهب إلى السوق أنك تشتري لنا شيئا أي لعلك،

والثاني: أنها في موضع نصب بيشعركم، ولا زائدة، وتقديره: وما يشعركم أن الآيات إذا جاءت يؤمنون، وهي المفعول الثاني ولا حذف مفعول في الكلام[١].

[١١٠] ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾

اللغة والإعراب:

---

(١) البيان ١: ٣٣٥

﴿يعمهون﴾ مضارع (عمه) في طغيانه عمها، من باب تعب إذا تردد متحيرا، وهو مأخوذ من قولهم: أرض عمهاء إذا لم تكن فيها أمارات النجاة، فهو عمه وأعمه،

﴿كما لم يؤمنوا﴾ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره: فلا يؤمنون كما كانوا عند نزول الآيات على مقترحهم الأول لكونهم مطبوعا على قلوبهم، فهو مفعول مطلق، وما: مصدريةولم حرف نفي وقلب وجزم، ويؤمنوا: فعل مضارع مجزوم بلم، ﴿أول مرة﴾ ظرف زمان متعلق بيؤمنوا، أول مرة: المراد الدنيا ﴿يعمهون﴾ الجملة حال، أي متحيرين.

مرجع الضمير:

﴿به﴾ أي بما جاءمن الآيات بالله تعالى، وقيل: بالقرآن،وقيل: بمحمد ﷺ وإن لم يجر لذلك ذكر، وقيل بالتقليب[١].

[١١٢] ﴿يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولوشاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾

الإعراب:

غرورا: مفعول لأجله أي ليغرُوهم، أو مصدر في موضع نصب على الحال أي غارين، أو على المفعولية المطلقة، لأن معنى يوحي بعضهم إلى بعض: يغرونهم بذلك غرورا.

مرجع الضمير:

(١) روح المعاني ٤: ٢٠٧

﴿فعلوه﴾ أي العداوة، أو الوحي، أو الزخرف، أو القول، أو الغرور[1].

[١١٣] ﴿ولتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون﴾

الإعراب:

﴿ولتصغي﴾ معطوف على فعل مقدر دل عليه قوله تعالى: زخرف القول غرورا، وتقديره: ليقروه ولتصغي إليه، فحمل على المعنى، وقيل: اللام لام قسم، وتقديره: ولتصغين إليه أفئدة الذين، فلما كسرت اللام حذفت النون[2].

مرجع الضمير:

﴿إليه﴾ الضمير يرجع إلى ما رجع إليه الضمير في فعلوه أي ولتميل إلى ما ذكر من عداوة الأنبياء، ووسوسة الشياطين[3].

[١٢١] ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ...﴾

الإعراب:

﴿وإنه لفسق﴾ هذه الجملة فيها أوجه:

أحدها: أنها مستأنفة قالوا ولا يجوز أن تكون نسقا على ما قبلها، لأن الأولى طلبية وهذه خبرية، وتسمى هذه الواو للاستئناف.

---

(١) البحر ٤: ٢٠٧

(٢) البيان ١: ٣٣٦

(٣) الكشاف ٢: ٤٥

والثاني: أنها معطوفة على ما قبلها، ولا يبالي بتخالفهما وهو مذهب سيبويه.

الثالث: أنها حالية أي لا تأكلوه والحال أنه فسق[1].

مرجع الضمير:

﴿وإنه﴾ راجع إلى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي، يعني وإن الأكل منه لفسق، أوعائد إلى المصدر المأخوذ من مضمون ﴿لم يذكر اسم الله عليه﴾وهو الترك، لكونه الأقرب، ومعلوم أن الترك نسيانا ليس بفسق لعدم تكليف الناس، والمؤاخذة عليه فيتعين العمد.

أو يعود إلى الموصول﴿ما﴾ على معنى وإن أكله لفسق، أوْ جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا،

أو يعود إلى﴿ما﴾ بمعنى الذبيحة، وجعلها عين الفسق على سبيل المبالغة لكن لابد من ملاحظة كونها متروكة التسمية عمدا إذ لا فسق في النسيان.

فائدة:

اختلف الفقهاء في جواز أكل مالم يذكر اسم الله عليه.

١ - ذهب قوم إلى تحريمها سواء أتركها عمدا أو نسيانا، وهو قول ابن سيرين والشعبي ومالك بن أنس، ونقل عن عطاء أنه قال: كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام أو شراب فهو حرام، واحتجوا عليه بظاهر هذه الآية .

(١) الفتوحات ٢: ٨٤

٢- وقال الثوري وأبو حنيـفة: إن ترك التسمية عامـدا لا تحل، وإن تركها ناسيا حلت .

٣- وقال الشافـعي: تحل الذبيحة سواء أترل التـسمية عامـدا، أوْ نسيانا، ونقله ابن الجوزي عن أحمد ابن حنبل ما نقله الرازي عن الشافعي:

ذكر الرازي في كـتابه: مناقب الشـافعي: أن مـجلسا ضمـه وجمـاعة من الحنفية، وأنهم زعموا أن قول الشافعي بحل أكل مـتروك التسمية مردود بقوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكـر اسم الله عليه وإنه لفـسق﴾ فقال فقلت لهم: لادليل فيها، بل هى حجة للشافعي، وذلك لأن الواو ليست للعطف، لتخالف الجملتين الاسمية والفعليـة،ولا للاستئناف، لأن أصل الواو أن تربط ما بعدها بما قبلها، فـبقى أن تكون للحال فتكون جملة الحال مـقيدة للنهي، والمعنى: لا تأكلوا منه في حالة كونه فسقا، ومفهومه جواز الأكل إذا لم يكن فسقا.

ما يقوله الزمخشري:

وقال الزمخشـري في كشافه: فإن قلت: قد ذهب جماعـة من المجتهدين إلى جواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسـيان أو عمد؟ قلت قد تأوله هؤلاء بالميـته، وبما ذكـر غيـر اسم الله عليه، كـقوله:(أو فـسقـا أهل لغيـر الله به) وواضح أن الزمخشري حنفي، فهو ينتصر لمذهبه[1].

[١٢٨] ﴿ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ..﴾

الإعراب:

﴿ويوم يحشرهم جـميعا﴾ يوم منصـوب بفعل مـقدر، وتقديـره اذكر يوم

(١) إعراب القرآن وبيانه محى الدين الدرويش ٣: ٢١٢

نحشرهم، جميعا: منصوب على الحال من الهاء والميم في﴿نحشرهم﴾.

مرجع الضمير:

﴿يحشرهم﴾ الضمير لمن يحشر من الثقلين، أو عائد إلى الشياطين الذين تقدم ذكرهم في قوله: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا[1] ﴾.

{١٣٧} ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه﴾.

الإعراب:

كذلك: جار ومجرور في محل نصب نعت لمصدر محذوف (من المشركين) جار ومجرور صفة، ﴿قتل﴾ مفعول به مقدم ﴿شركاؤهم﴾ فاعل ﴿زين﴾.

وقرأ ابن عامر وهو من السبعة وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ، يرفع قتل على النيابة عن الفاعل يزين المبني للمجهول، ونصب أولادهم على أنه مفعول به وجر شركائهم على أنه مضاف إليه (إلى قتل) من إضافة المصدر إلى فاعله، وفصل بين المضاف والمضاف إليه وحسن ذلك ثلاثة أمور:

١- كون الفاصل فضله، فإن ذلك مسوغ لعدم الاعتداد به.

٢- كونه غيرأجنبي لتعلقه بالمضاف.

٣-كونه مقدر التأخير من أجل أن المضاف إليه مقدر التقديم بمقتضى الفاعلية المعنوية.

(١) التفسير الكبير ١٣: ١٩٠

مرجع الضمير:

﴿ما فعلوه﴾ الضمير يعود علي القتل، لأنه المصرح به، والمحدث عنه، والواو عائدة على ﴿لكثير﴾، وقيل الهاء للتزيين أو الإرداء والواو: للشركاء، وقيل الهاء للبس وهذا بعيد وقيل لجميع ذلك إن جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الإشارة[1].

{١٣٩} ﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم﴾.

اللغة والإعراب:

حجر: فعل بمعنى مفعول كالذبح، والطحن، ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث، والواحد والجمع، لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات، ولذلك وقع صفة لأنعام وحرث، ومعناه: الحجر أي المنع، كانوا إذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها إلا من نشاء فجعلوا نصيب الآلهة أقساما ثلاثة:

الأول ما ذكره بقوله: حجر، أي ممنوعة محرمة .

والثاني: ما ذكره بقوله: وأنعام حرمت ظهورها .

والثالث قوله: (لا يذكرون اسم الله عليها) فجعلوها أجناسا بهواهم، ونسبوا ذلك التجنيس إلى الله (خالصة)[2] التاء في خالصة للمبالغةمثل راوية وعلامة نسابة، والخاصة والعامة، أو تكون مصدر على وزن فاعلةكالعافية والعاقبة.

(١) الكشاف ٢: ٤٥، البحر ٤: ٢٣٠

(٢) خالصة تقرأ بالرفع والنصب فيكون مرفوعا من وجهين: على أنه خبر لمبتدأ، وأنث خالصة حملا على =

﴿ما﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ، خالصة: خبر عن ﴿ما﴾، هم :مبتدأ، شركاء: خبر، فيه: جار ومجرور في محل نصب حال، لأنه كان في الأصل صفة لشركاء ﴿يجزيهم﴾ فعل والفاعل ضمير مستتر يعود على الله تعالى والهاء: مفعول به أول، ووصفهم: مفعول به ثان ليجزيهم، وجملة : إنه حكيم عليم تعليلية لا محل لها، ولابد من تقدير مضاف، والتقدير: سيجزيهم جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم .

مرجع الضمير:

﴿فيه﴾ أي فيما في بطون الأنعام، وقيل الضمير للميتة إلا أنه لما كان المراد بها ما يعم الذكر والأنثى غلب الذكر، فذكر الضمير كما فعل ذلك فيما قبله[1].

[١٤١] ﴿... والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾

الإعراب:

﴿مختلفا﴾ حال مقدرة، لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك ﴿أكله﴾

معنى (ما) ، لأن المراد بما في بطون هذه الأنعام الأجنة، وذكر (محرم) حملا على لفظ (ما)، ويجوز ان يكون مبتدأ والخبر لذكورنا ويجوز أن يكون خالصة مرفوعًا؛ لأنه بدل من (ما) وهو الشيء من الشيء وهو بعضه، ولذكورنا الخبر، ومن قرأ (خالصة) بالنصب كان منصوبًا على الحال من الضمير المرفوع في قوله: في بطون)، وخبر (ما) لذكورنا ولا يجوز أن يكون الحال من الضمير المرفوع في (لذكورنا) عند سيبويه؛ لأنه لا يجوز ان تتقدم الحال على العامل فيها. وأجازه الأخفش.

(١) روح المعاني ٣٦:٨

فاعل، ﴿متشابها﴾ حال.

مرجع الضمير:

﴿أكله﴾ الضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه وقال أبو حيان: يعود على أقرب مذكور وهو الزرع

﴿حصاده﴾ الضمير يعـود إلى ما عاد عليه ﴿من ثمره﴾ وقيل عـائد على النخل، لأنه ليس في الآية ما يجب أن يؤتى حقه عند جذاذه إلا النخل، وقيل على الزيتون، والرمان، لأنهما أقرب مذكور[1].

[١٤٥] ﴿إلا أن يكون ميـتة أو دمـا مسـفوحا، أو لحم خنزيـر فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به﴾

القراءة والإعراب:

قرئ ﴿تكون﴾ بالتاء والياء، وميتـة بالرفع والنصب فمن قرأ تكون بالتاء، ورفع ميتة جعل كان تامة ورفع ميتـة بها، ومن قرأ بالياء ونصب ميتة على أنها خبر، واسمها ضمير والتقدير: إلا أن يكون المأكول ميتة.

مرجع الضمير:

﴿فإنه﴾ يعـود على ﴿لحم خنزير﴾ وقـيل يعود على خنزير، لأنه أقـرب مذكور، وإذا احتمل الضميـر العود على شيئين كان عوده على الأقرب أرجح، وعورض بأن المحـدث عنه هو االحم، وجاء ذكـر الخنزير على سبيل الإضـافة إليه.

(١) روح المعاني ٨: ٤٩

{١٤٧} ﴿فإن كـذبوك فقل ربكم ذو رحمـة واسعة ولا يرد بأسـه عن القوم المجرمين﴾.

الإعراب:

﴿فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ الفاء: واقعة في جواب الشرط قل: فعل أمر، ربكم: مبـتدأ، ذو: خبر، واسعـة: صفةوالجملة في مـحل نصب مقول القول، وجـملة القول ومـا في حيزه في مـحل جزم جـواب الشرط، ولا يرد بأسه خبر ثان عن ربكم

مرجع الضمير:

﴿فإن كذبوك﴾ أي اليهود كما قال مجاهد والسدي وغيرهما،

وهو الذي يقتضيه الظاهر، لأنهم أقـرب ذكرا، ولذكر المشركين بعد بعنوان الإشراك، وقـيل الضميـر للمشركين فـالمعنى على الأول إن كذبك اليـهود في الحكم المذكور، وأصروا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم[١].

{١٥٦} ﴿أن تقـولوا: إنما أنزل الكتـاب على طائـفتين من قبـلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين﴾.

اللغة والإعراب:

درس: دراسـة من درس العـلم وهو المراد في الآية ولتلك المـادة مـعـان يقـال: درس الحنطة دراسـا: داسهـا، ودرس الناقـة: راضهـا وأذلهـا، ورجل مـدرس، ودرس الكتاب للحـفظ كرر قـراءته، درسا، ودراسـة، ودرس المرأة

---

(١) إعراب القرآن وبيانه ٣: ٢٧٩

نكحها، ودرست المرأة: حاضت، ودرس الثوب: أخلق فهو درس ودريس، وبسط دريسا أي: ثوبًا وبساطا خلقا، وقتل رجل في مجلس النعمان بن المنذر رجلا فأمر بقتله، فقال الرجل أيقتل الملك جاره؟ ويضيع ذماره؟ قال: نعم إذا قتل جليسه، وخضب دريسه أي بساطه، وطريق مدروس، كثر مشي الناس فيه حتى ذللوه وربع دارس ومدروس، فالمادة تشير إلى معنى الرياضة والتذليل والتعبيد بجميع معانيها وهذا من الدقة بمكان(١).

وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول لأجله على حذف مضاف أي كراهية أن تقولوا، وإن مخففة عند البصرين، وبمعنى﴿ما﴾ واللام بمعنى إلا عند الكوفيين.

مرجع الضمير:

﴿دراستهم﴾ أعاد الضمير جمعا، لأن كل طائفة منهم جمع(٢).

[سورة الأعراف]

[٢] ﴿كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾

الإعراب

كتاب: مرفوع لوجهين

أحدهما: أنه خبر (المص) على قول من جعله مبتدأ، الثاني أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف، وتقديره: هذا كتاب.

---

(١) البحر ٤:٢٥٧

(٢) الفتوحات ٢: ١١٩، البحر ٤: ٢٦٦

وذكرى: في موضع رفع بالعطف على كتاب، أو على تقدير مبتدأ والتقدير: هذه ذكرى، والنصب بالعطف على موضع ﴿لتنذر به﴾ أي إنذارا وذكرى أو بالعطف على موضع الهاء في ﴿به﴾، والجر بالعطف على ﴿لتنذر﴾، لأن معناه للإنذار فكأنه قال: للإنذار والذكرى.

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿منه﴾ يعود على الكتاب، وهو الظاهر، ويجوز أن يعود على الإنزال المدلول عليه بأنزل، أو على الإنذار، أو على التبليغ المدلول عليهما بسياق الكلام، أو على التكذيب الذي تضمنه المعنى(١).

﴿لتنذر به﴾ أي بالكتاب المنزل متعلق بأنزل وما بينهما اعتراض، أو العلم بأنه موفق للقيام بحقه، موجب للتجاسر على ذلك(٢).

[١٣] ﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين﴾

الإعراب:

﴿أن تتكبر فيها﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل تكون، لأنه فعل تام، لأنه متضمن معنى ينبغي أو يصح.

﴿إنك من الصاغرين﴾ إن وما بعدها في محل نصب حال أي ذليلا صاغرا.

---

(١) إرشاد العقل السليم ٣: ٢١٠

(٢) معاني القرآن للفراء ١: ٣٧٩، ٣٨٠.

مرجع الضمير:

﴿فاهبط منها﴾ من السماء التي هى مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هى مقر العاصين المتكبرين من الثقلين، أو منها أي من الجنة، وكونه من سكانها مشهور أو منها أي من زمرة الملائكة المعززين، فإن الخروج من زمرتهم هبوط، وأي هبوط أو﴿منها﴾ أي من السماء وإليه ذهب جماعة ورد بأن وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلابد أن يحمل على أحد الوجهين السابقين قطعا،وتكون وسوسته على الوجه الأول بطريق النداء من باب الجنة كما روى عن الحسن البصري.

{١٤} ﴿قال أنظرني إلى يوم يبعثون﴾

مرجع الضمير:

ضمير ﴿ يبعثون﴾ عائد على ما يدل عليه المعنى، إذ ليس في اللفظ ما يدل عليه.

{٢٢} ﴿.. وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ..﴾

اللغة والإعراب:

﴿يخصفان﴾ خصف النعل خصفا: خرزها، والمعنى يلزقان بعضه ببعض ليسترا به عورتهما، وخصف نعله خصفا من باب ضرب فهو خصاف وهو فيه كرقع الثوب.

مرجع الضمير:

﴿عليهما﴾ أي على عورتيهـما كأنه قيل: يخـصفان على سوأتهـما، وعاد بضميـر الاثنين، لأن الجمع يراد به اثنان، ولا يجوز أن يعود الضـمير على آدم وحواء، لأنه تقـرر في علم العربية أنه لا يتـعدى فعل الظاهر والمضمـر المتصل المنصوب لفظا أو محلا في غير باب ظن وعلم وفقد ووجد.

[٢٧] ﴿..... إنه يراكم هو وقـبيله من حيث لا تـرونهم إنا جعلنا الشـياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾

اللغة والإعراب:

﴿قبيله﴾ القبـيل الجماعـة يكونون من ثلاثة فصاعـدا من جماعـة شتى، والقبيل الجمـاعة من أب واحد فليست القبيلة تأنيث القـبيل لهذه المغايرة ﴿من حيث﴾ جار ومجرور، وحيث مبنية على الضم لوجهين:

١- أنها اقتطعت عن الإضـافة إلى المفرد، لأنها لا يجوز إضافـتها إلا إلى الجـمل، فلما اقـتطعت عن الإضافـة إلى المفـرد وهو الأصل تنزل منزلة بعض الكلمة، لأن المضاف والمضاف إليه بمنزلة كلمة واحدة، فلما تنزلت منزلة بعض الكلمة بنيت، لأن بعض الكلمة مبني.

٢- بني لأنه أشبه الحرف، لأنه لا يفيـد مع كلمة واحدة كما أن الحرف لا يفيـد مع كلمة واحـدة، لأنه يلزم إضافتـه إلى الجمل، والجمـلة أقل ما تكون مركبة من كلمتين مبتدأ وخبر، أو فعل وفاعل فلما أشبه الحرف، والحرف مبني فكذلك ما أشبهه وبنيت على حركة لالتقاء الساكنين.

جملة ﴿لا ترونهم﴾ في محل جر بالإضافة ﴿الشياطين﴾ مفعول به أول، وأولياء: مفعول به ثان (للذين) جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأولياء.

مرجع الضمير:

قرئ شاذا ﴿من حيث لا ترونه﴾ بإفراد الضمير فيحتمل أن يكون عائدًا على الشيطان وقبيله، إجراء له مجرى اسم الإشارة، ويحتمل أن يكون عائدًا على الشيطان وحده، لكونه رأسهم وكبيرهم .

[٤٨] ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون﴾

الإعراب:

﴿يعرفونهم﴾ مرفوع بثبوت النون، الواو: فاعل، الضمير: مفعول به الجملة: صفة لـ(رجالا) (قالوا) الجملة مفسرة لا محل لها من الإعراب فسرت النداء، ما: اسم استفهام للتوبيخ أيْ أيُّ شيء أغنى عنكم ويصح أن تكون نافية، وعلى الأول تكون مفعولا مقدما لأغنى.

مرجع الضمير:

﴿يعرفونهم﴾ أي يعرفون أهل الجنة ببياض وجوههم، ويعرفون أهل النار بسواد وجوههم فذلك قوله: **﴿يعرفون كلا بسيماهم﴾**

وأصحاب الأعراف أقوام اعتدلت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم الحسنات عن الجنة، ولم تبلغ بهم سيئاتهم النار، ثم أدخلهم الله الجنة بفضل رحمته[1].

[٥٧] ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾.

القراءة والإعراب:

بشرا بضم الباء وسكون الشين جمع بشير أي مبشرات وفيه أربع قراءات سبعية، والثانية بشرا الضمتين، والثالثة ﴿نشرا﴾ بالنون وبضمتين، والرابعة نشرا بفتح النون وسكون الشين، ومعنى نشرا متفرقة ﴿بشرا﴾ حال، أي مبشرات بالخصب والنماء ﴿أقلت﴾ في محل جر بالإضافة، جملة سقناه لا محل لها جواب الشرط (به) أي بالسحاب، أو بالبلد، أو بالسوق أي المصدر المفهوم من(سقناه)، وجوز أبو حيان أن يعود إلى الأقرب، وإلى غير الأقرب، ويجوز أن يعود على الريح، والتذكير بتأويل المذكور، ويحتمل أن يعود الضمير إلى الماء وهو الظاهر.

البلاغة:

المجاز المرسل في قوله : ﴿بين يدي رحمته﴾ التي هى الغيث والعلاقة هى السببية، لأن اليد سبب الإنعام والإنعام: الرحمة .

التشبيه المرسل في قوله: ﴿كذلك نخرج الموتى﴾

{٨٢} ﴿ وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾

الإعراب:

﴿جواب﴾ خبر كان المقدم، وأن المصدرية وما في حيزها في تأويل مصدر اسم كان المؤخر أي إلا قولهم .

مرجع الضمير:

﴿أخرجوهم﴾ أي لوط وابنتيه يقولون: يرغبون عن أعمال قوم لوط، ويتنزهون عنها[1].

[٨٦] ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾

الإعراب:

﴿واذكروا﴾ إما أن يكون مفعوله محذوفا فيكون هذا الظرف معمولا لذلك المفعول أي اذكروا نعمته عليكم في ذلك الوقت، وأما أن يجعل نفس الظرف مفعولا به قاله الزمخشري.

كيف: اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم وعاقبة المفسدين اسمها، وقد علق الاستفهام النظر فالجملة في محل نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بانظروا

مرجع الضمير:

﴿آمن به﴾ إلى كل صراط تقديره: توعدون من آمن به، وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح أمرهم، ودلالة على عظم ما يصدون عنه

﴿وتبغونها عوجا﴾ أي وتطلبون لسبيل الله عوجا أي تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها، والدخول فيها أو يكون

(١) معاني القرآن للفراء ١: ٣٨٥

تهكما بهم، وأنهم يطلبون لها ما هو محال، لأن طريق الحق لا يعوج[1].

{١٠١} ﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾

الإعراب:

تلك: مبتدأ، القرى: خبرها، نقص: الجملة حال أي قاصين كقوله: **﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾**[2]، ويجوز أن تكون القرى صفة لتلك، ونقص الخبر، ويجوز أن يكون نقص خبرا بعد خبر **﴿ولقد جاءتهم﴾** الواو: استئنافية، أو عاطفة، واللام جواب قسم محذوف، قد حرف تحقيق، وجاءتهم فعل ومفعول به، رسلهم: فاعل، **﴿ليؤمنوا﴾** اللام للجحود، ويؤمنوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود، والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أي فما كانوا مريدين ليؤمنوا .

مرجع الضمير

﴿رسلهم، ليؤمنوا، كذبوا﴾ الضمائر متوافقة في المرجع، وقيل ضمير **﴿كذبوا﴾** راجع إلى أسلافهم.

والمعنى: فما كان الأبناء ليؤمنوا بما كذب به الأباء، ولا يخفي ما فيه من التعسف، وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا لو أحييناهم بعد إهلاكهم، ورددناهم إلى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله تعالى **﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾**[3]،

---

(١) الكشاف ٢: ٩٤

(٢) النمل ٥٢.

(٣) الأنعام ٢٨.

وقيل البـاء للسببيـة، وما: مصدرية أي بسـبب تعودهم تكذيب الحق، وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل .

{١٠٣} ﴿ثم بعثنا من بعـدهم موسى[١] بآياتنا إلى فرعون وملئـه فظلموا بها فانظر كيف كانت عاقبة المفسدين﴾

الإعراب:

﴿فظلموا بها﴾ ضمن ظلمـوا معنى كفروا فغـداه بالباء، ويصح أن تكون الباء سببية، والمفعول محذوف تقديره: ظلموا أنفسهم بسببها أي بسبب تكذيبها

﴿كيف كان عاقبةالمفسدين﴾ كيف اسم استفهام خبر ﴿كان﴾ مقدم عليها، عاقبة: اسمها، وإنما قدم، لأن الاستفهام له الصدارة[٢].

مرجع الضمير:

(ثم بعـثناهم مـن بعـدهم) الضـمـيـر للرسل في قـوله: ﴿ولقد جاءتهم رسلهم﴾ أو للأمم .

{١٢٣} ﴿قـال فـرعـون آمنـتم به قـبل أن آذن لكم إن هذا لمكـر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون﴾

---

(١) موسى: عاش مائة وعشرين سنة، وبينه وبين يوسف أربعـمائة سنة، وبين موسى وإبراهيم سبعمائة سنة، والآيات : تسع : وهي كلها في الاعـراف ماعدا الطمس، ففي يـونـس (ربنا اطمس على أموالهم)وفي الأعراف: العصا، واليـد البيضاء، والسنون المجدبة، والطوفان، والجـراد، والقمل، والضفادع ،والدم فرعون: لقبه،واسمه الوليد بن مصعب، وهو في الأصل علم شخص ثم صار لقبا لكل من ملك مصر في الجاهلية وعاش ستـمائة وعشرين سنة، وكنيته أبو مرة وقيل أبو العـباس وهو فرعون الثاني، والأول قانوس بن مصعب ملك العمالقة، وفرعون إبراهيم النمروذ

(٢) حاشية الصاوي ٢: ٨٩

الإعراب :

﴿آمنتم﴾ في محل نصب مقول القول

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿به﴾ عائد على الله تعالى لقوله: ﴿آمنا برب العالمين﴾، ويجوز أن يعود على موسى، وأما الذي في سورة طه والشعراء في قوله ﴿آمنتم له﴾ فالضمير لموسى لقوله ﴿إنه لكبيركم﴾

{١٣٢} ﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾

الإعراب:

﴿وقالوا مهما تأتنا به﴾

مهما فيها ثلاثة أوجه:

أحدها :أن يكون أصلها ﴿ما ما﴾ و﴿ما﴾ فيها للشرط زيدت الثانية للتأكيد، وركبت إحداهما مع الأخرى فاستثقل اجتماعهما بلفظ واحد، فأبدل من ألف﴿ما﴾ الأولى (هاء)

الثاني: أن يكون أصلها (مه) بمعنى اكفف واسكت، زيدت عليها ﴿ما﴾ التي للشرط، وقيل حدث فيها معنى الشرط بالتركيب.

الثالث: ألا تكون مركبة بل هى حرف واحد، لأن الأصل عدم التركيب، ولا مانع أن تكون موضوعة على هذا المعنى من غير تركيب، والوجهان الأولان أشهر من هذا الوجه .

ومهما: في موضع نصب بتأتنا على قول من قال زيدا ضربته ويجوز أن تكون في موضع رفع على قول من قال: زيد ضربته، وتأتنا مجزوم بمهما، لأنه شرط، وجواب الشرط قوله تعالى: ﴿فما نحن لك بمؤمنين﴾[1].

{١٣٦} **﴿فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾**

مرجع الضمير:

﴿عنها﴾ الظاهر عود الضمير في ﴿عنها﴾ إلى الآيات، وقيل يعود إلى النقمة التي دل عليها ﴿فانتقمنا﴾[2].

{١٤٢} **﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾**

الإعراب:

الواو في الآية للاستئناف لتفصيل المجمل في سورة البقرة:

﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة﴾

وواعدنا: فعل وفاعل، موسى: مفعول به، ثلاثين: مفعول به ثان، وفيه حذف مضاف والتقدير تمام ثلاثين ليلة: تمييز، وذلك ليصومها حتى نكلمه.

﴿أربعين﴾ حال، ليلة: تمييز، وقيل هو مفعول ﴿تم﴾، لأن معناه بلغ،

(١) البيان ١: ٣٧١

(٢) البحر ٤: ٣٧٥

ولا يصح أن يكون ظرفا للتمام، لأن التمام إنما هو بآخر جزء من تلك الأزمة.

﴿هارون﴾ بدل من أخيه، أو عطف بيان

مرجع الضمير:

﴿وأتممناها﴾ الهاء عائدة على المواعدة المفهومة من واعدنا وقال الحوفي: إلى ﴿ثلاثين﴾ ولا يظهر، لأن الثلاثين لم تكن ناقصة فتممت بعشر[1].

[١٤٥] ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة﴾

الإعراب:

﴿في الألواح﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حال، ﴿من كل شيء﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول به، والمراد ألواح التوراة ﴿موعظة﴾ بدل من محل ﴿من كل شيء﴾ لأنه مفعول به ويجوز إعرابه مفعولا لأجله، أي كتبنا له تلك الأشياء للموعظة والتفصيل ﴿لكل شيء﴾جار ومجرور متعلقان ب﴿تفصيلا﴾، أوصفة له.

مرجع الضمير:

﴿فخذها﴾ عائد على ﴿ما﴾، أو على الألواح، أو على كل شيء، لأنه بمعنى الأشياء، أو على التوراة، أو على الرسالات[2].

[١٥٣] ﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من

(١) البحر ٤: ٣٨٠

(٢) الكشاف ٢: ١١٦

بعدها لغفور رحيم﴾

الإعراب:

﴿من بعدها﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حال﴿إن ربك ..﴾ إن واسمها ﴿من بعدها﴾ حال، واللام للمزحلقة، وغفور خبر أول، ورحيم: خبر ثان، والجملة كلها خبر الذين.

مرجع الضمير:

﴿من بعدها﴾ أي من بعد عمل السيئات، أو عائد على التوبة المصدر المفهوم من ﴿تابوا﴾، وهذا أولى، لأنه لو عاد على السيئات احتيج إلى حذف مضاف ومعطوف، والتقدير من بعد عمل السيئات والتوبة[1].

{١٥٦} ﴿ ..ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾

مرجع الضمير:

﴿فسأكتبها﴾ الضمير عائد على الرحمة، لأنها أقرب مذكور، ويحتمل أن يعود على حسنة من قوله: ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة﴾

{١٥٧} ﴿...فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾

مرجع الضمير:

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿أنزل معه﴾ وإنما أنزل مع جبريل ؟

(١) البحر ٤: ٣٩٧، ٣٩٨.

قلت معناه أنزل مع نبوته، لأن استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به، ويجوز أن يعلق باتبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي، والعمل بسنته، وبما أمر به، ونهى عنه، أو اتبعوا القرآن[1].

[١٩٠، ١٩١] ﴿فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهم فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون﴾

الإعراب :

﴿شركاء﴾ مفعول جعلا ﴿له﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حال، لأنه كان في الأصل صفة لشركاء وتقدم ﴿فيما﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لشركاء، وجملة أتاهما صلة، والمعنى أتى أولادهما، وقد دل على ذلك قوله: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ حيث جمع الضمير، وآدم وحواء بريئان من الشرك.

مرجع الضمير:

﴿يشركون﴾ الضمير لهما ولأعقابهما المقتدين بهما، وقرأ نافع وأبو بكر شركا أي شركة بأن أشركا فيه غيره، أو ذوي شرك وهم الشركاء، وهم ضمير الأصنام جئ به على تسميتهم إياها آلهة[2].

﴿ما﴾: واقعة على الأصنام وأفرد الضمير في يخلق نظرا للفظ ﴿ما﴾ وجمع في وهم يخلقون، ولا يستطيعون إلى آخر الضمائر نظرا لمعناها.

---

(١) الكشاف ٢: ١٢٢، ١٢٣.

(٢) البيضاوي ٢٣١

[١٩٣] ﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون﴾

الإعراب:

﴿لا يتبعوكم﴾ لا: نافية، ويتبعوكم جواب الشرط المجزوم ﴿سواء﴾خبر مقدم، والهمزة تؤول مع ما بعدها بمصدر مبتدأ مؤخر، ويجوز إعراب ﴿سواء﴾ خبر لمبتدأ محذوف والمصدر المؤول فاعل لسواء الذي أجرى مجري المصادر .

مرجع الضمير:

﴿وإن تدعوهم﴾ أي المشركين إلى الإسلام لا يتبعوكم،وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الياء، وقيل الخطاب للمشركين وهم: ضمير الأصنام أي إن تدعوهم إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم، ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله: ﴿فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾

[٢٠٢] ﴿وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون﴾

الإعراب:

﴿وإخوانهم﴾ الواو: استئنافية، وإخوانهم: مبتدأ والضمير فيه يعود على الشيطان، لأنه لا يراد به الواحد بل الجنس والضمير المنصوب في ﴿يمدونهم﴾ يعود على الكفار والمرفوع يعود على الشيطان، والتقدير: وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين، وعلى هذا فالخبر جار على غير من هوله في المعنى، ألا ترى أن الإمداد مسند إلى الشياطين، وهو في اللفظ خبر عن إخوانهم، قال الزمخشري: وهذا الوجه أوجه لأن إخوانهم في مقابلة ﴿الذين اتقوا﴾.

مرجع الضمير:

﴿وإخوانهم﴾ الضمير للشياطين أي إخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان في الغي بالتزيين، والحمل عليه، والضمير في ﴿يمدونهم﴾ يعود على الكفار وقرئ: يمدونهم: من أمد، ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والإغراء، وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال، ثم لا يقصرون: ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يردوهم، ويجوز أن يكون الضمير للإخوان أي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين، ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين، ويرجع الضمير إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هوله[1].

(١) البيضاوي ٢٣٣

[سورة الأنفال]

{١} ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾

اللغة والإعراب:

ذات: أصلها ذويه، حذفت اللام التي هى الياء،كما حذفت من المذكر في(ذو)، فإن أصله:ذوي فلما حذفت الياء من ذويه، فتحركت الواو، وانفتح ما قبلها فقبلت ألفا فصارت ذات، والوقف عليها بالتاء عند أكثر العلماء والقراء إلا ماروى عن أبي علي قطرب، وأبي حاتم السجستاني من جواز الوقف عليها بالهاء، لأنها هاء تأنيث ذي مال[١] .

﴿الأنفال﴾ جمع نفل بفتح النون والفاء، كفرس وأفراس والمراد بها: الأغنام، والنفل الزيادة والغنيمةوالضمير في ﴿يسألونك﴾ من سأل هذا السؤال ممن حضروا غزوة بدر، وسأل يكون تارة لاقتضاء معنى في نفس المسئول، فيتعدى إلى الثاني بعن كهذه الآية، وقد يكون لاقتضاء مادة أو مال فيتعدى لاثنين نحو: سألت زيدا مالا ﴿الأنفال لله﴾ جملة اسمية في محل نصب مقول القول.

﴿فاتقوا﴾ الفاء للفصيحة ﴿ذات﴾ مفعول به، ومعنى ﴿ذات بينكم﴾ ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق، فالبين هنا بمعنى الاتصال، ويطلق أيضا على الفراق فهو من الأضداد.

مرجع الضمير:

---

(١) البيان ١:٣٨٣

﴿يسألونك﴾ ضمير الفاعل ليس عائدا على مذكور قبله، وإنما تفسره وقعة ﴿بدر﴾ فهو عائدعلى من حضرها من الصحابة.

وقال الصفاقسي[1]:

ضمير الفاعل في ﴿يسألونك﴾ لمعين، وقع منه السؤال يوم بدر، وضمير المفعول وهو الكاف خطاب للنبي ﷺ، والسؤال قد يكون لاقتضاء معنى في نفس المسئول فيعدي بعن كقوله:

سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم   فليس سواء عالم وجهول

[١٠] ﴿وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾.

الإعراب

﴿إلا بشرى﴾ مفعول لأجله، مستثنى من أعم العلل، ولتطمئن معطوف عليه، وجر باللام لفقد شرط النصب من اتحاد الفاعل

مرجع الضمير:

﴿وما جعله﴾ الضمير يرجع إلى قوله: ﴿أني ممددكم﴾،

لأن المعنى فاستجاب لكم بإمدادكم، ويجوز أن يرجع إلى الإمداد الذي يدل عليه ممدكم[2]، أو على المدد، أو على الوعد الدال عليه﴿يعدكم﴾ أو على الألف، أو على الاستجابة[3].

(١) المجيد في إعراب القرآ المجيد، ق ١٥ تحقيق المؤلف

(٢) الكشاف ٢: ١٤٦

(٣) البحر ٤: ٢٦٦

{٢٠} ﴿يأيها الذين أمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾

مرجع الضمير:

﴿عنه﴾ لرسول الله ﷺ، لأن المعنى: وأطيعوا رسول الله، كقوله: (والله ورسوله أحق أن يرضوه)[1]، ولأن الرسول وطاعة الله شيء واحد ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[2]، فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما، ويجوز أن يرجع إلى الأمر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الأمر وامتثاله وأنتم تسمعونه، أو ولاتتولوا عن رسول الله ﷺ ولا تخالفوه وقيل على الله[3]، وقيل يعود على الجهاد،

{٢٤} ﴿يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون﴾

مرجع الضمير:

﴿دعاكم﴾ وحد الضمير كما وحده فيما قبله، لأن الاستجابة إلى رسول الله ﷺ كالاستجابة إلى الله، وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد[4]. ﴿وأنه﴾ عائد على الله تعالى، أو ضمير الشأن[5].

البلاغة:

---

(١) التوبة ٦٢.

(٢) النساء ٨٠.

(٣) البحر ٤: ٤٧٩

(٤) الكشاف ٢: ١٥١، البحر ٤: ٤٨ الفتوحات ٢: ٢٣٧

(٥) المجيد ٢: ق ١٢أ، إرشاد العقل السليم ٤: ١٦

المجاز في قوله: ﴿يحول بين المرء وقلبه﴾ فأصل الحول تغير الشئ وانفصاله عن غيره، وباعتبار التغير قيل: حال الشيء يحول، وباعتبار الانفصال قيل: حال بينهما فحقيقةكون الله يحول بين المرء وقلبه أنه يفصل بينهما، فهو مجاز مرسل عن غاية القرب من العبد لأن من فصل بين شيئين كان أقرب إلى كل منهما من الآخر لاتصاله بهما، فالعلاقةالمحلية أو السببية، ويجوز أن يكون الكلام استعارة تمثيلية لغاية قربه من العبد، واطلاعه على مكنونات القلوب وسائر النفوس[1].

{٥٠} ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾

الإعراب والمعنى ومرجع الضمير :

ولو ترى الكفرة، أو حال الكفرة حين توفاهم الملائكة ببدر، وتقديم المفعول للاهتمام به، وقيل الفاعل ضمير عائد إلى الله عز وجل والملائكة مبتدأ، وقوله تعالى: ﴿ **يضربون وجوههم**﴾، خبره، والجملة حال من الموصول قد استغنى فيها بالضمير من الواو، وهو على الأول حال منه، أو من الملائكة، أو منهما لاشتماله على ضميريهما[2].

{٦٠} ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ...﴾

اللغة والإعراب:

(١) إعراب القرآن وبيانه ٣: ٥٥٤

(٢) إرشاد العقل السليم ٤ : ٢٧

﴿رباط الخيل﴾ هى ما يرتبط منها، رباط الخيل: حبسها واقتناؤها وهى ما تربط في سبيل الله، ﴿ما﴾ مفعول به، وجملة استطعتم صلة ﴿من قوة﴾ في موضع نصب على الحال من الموصول، أو من العائد عليه

﴿ترهبون﴾ جملة ترهبون: حال من فاعل أعدوا، أي حال كونكم مرهبين، أوحال من مفعول أعدوا وهو الموصول أي حال كونه مرهبا به

مرجع الضمير:

﴿به﴾ الضمير راجع إلى ﴿ما استطعتم﴾[١]، وقيل على الإعداد دل عليه ﴿أعدوا﴾ وقيل على القوة، وقيل على رباط الخيل[٢]،وقرأ الحسن: ﴿ترهبون﴾ مشدداً للتعدية كالهمزة، وروى أن الحسن قرأ يرهبون بالياء،والتخفيف، والضمير على هذا يعود على الكفار،ومعناه أنهم يخوفون من يليهم من الكفار إذا علموا بما أعددتم لهم[٣].

[٦١] ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾

اللغة والإعراب:

(جنح) له وإليه: مال، (فاجنح) الفاء واقعة في جواب الشرط، والجملة في محل جزم.

---

(١) الكشاف ١: ١٦٦

(٢) البحر ٤: ٥١٢

(٣) المجيد ٢: ق ١٢٤

مرجع الضمير:

﴿وإن جنحوا﴾ الضمير عائد على الكفار مطلقا، أو على خصوص قريظة، فعلى الأول يتمشى القول بالنسخ، وذلك لأنه من جملة الكفار مشركي العرب، وهم لا كتاب لهم فلا يصح الصلح معهم بعقد الجزية،

وعلى الثاني: لا نسخ، لأن قريظة يهود وهم أهل كتاب فيصح عقد الجزية لهم، وهذا كله مبني على أن المراد بالصلح هو عقد الجزية، أما لو أريد غيره من العقود التي تفيدهم الأمن وهى الهدنة، والأمان فلا نسخ مطلقا إذ يصح عقدهما لكل كافر.

﴿فاجنح لها﴾ الهاء للسلم، والتأنيث لحمله على نقيضه، والسلم وهو الصلح بالفتح لغة أهل الحجاز ، ولغة العرب الكسر[1]، وجعله الفراء عائدا على السلم، أو الفعلة كما قال: ﴿إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾، ولم يذكر قبله إلا فعلا، فالهاء للفعلة[2].

فائدة في المؤنث:

لقد أنث العرب أسماء كثيرة بتاء مقدرة ويستدل على ذلك :

١- بالضمير العائد عليها نحو قوله تعالى: ﴿النار وعدها الله الذين كفروا﴾[3]. ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾[4]، ﴿حتى تضع الحرب

(١) معاني القرآن للأخفش ،٢: ٣٢٥.

(٢) معاني القرآن للفراء ١: ٤١٦.

(٣) الحج ٧٢.

(٤) الأنفال ٦١

أوزارها﴾[1].

٢- بوصفه نحو قوله تعالى: ﴿وتعيها أذن واعية﴾[2].

٣-أو حاله نحو قوله تعالى: ﴿والشمس وضحاها﴾[3].

٤- أو خبره نحو قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾[4].

٥- أو الإشارة إليه نحو قوله تعالى: ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون﴾[5].

٦- أو الإسناد إليها ﴿ولَمَّا فصلت العير﴾[6]، أي بثبوت التاء في فعلها.

٧- ثبوت التاء في تصغيرها نحو: أذينة، عيينه في تصغير أذن وعين من الأعضاء المزدوجة، لأن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها، وغير المزدوج مذكر كالرأس، والقلب.

٨- سقوط التاء من العدد كقول حميد الأرقط يصف قوسا عربية:

أرمي عليها وهى فرع أجمع   وهى ثلاث أذرع وأصبع

فأذرع جمع ذراع وهى مؤنثة بدليل سقوط التاء من عددها وهو ثلاث والقاعدة المشهورة هى أنه ما كان من الأعضاء مزدوجا فالغالب عليه التأنيث إلا الحاجبين

(١) محمد ٤.

(٢) الحاقة ١٢.

(٣) الشمس ١.

(٤) يس ٣٨.

(٥) الرحمن ٤٣.

(٦) يوسف ٩٤.

والمنخرين، والخدين فإنها مذكرة والمرجع السماع، وعد المنخرين من المزدوج لا ينافي عد الأنف من غيره، لأن الأنف اسم للمنخرين معا، وكل واحد يسمى منخرا لا أنفا ومن المزدوج الكف فهى مؤنثة، وما كان من الأعضاء غير مزدوج فالغالب عليه التذكير، ومن غير الغالب اللسان والقفا فإنهما قد يؤنثان.

{٧٣} ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾

الإعراب:

﴿الذين﴾ مبتدأ، **﴿بعضهم﴾** مبتدأ ثان، وأولياء: خبر المبتدأ الثاني، والجملة خبر المبتدأ

﴿إلا تفعلوه﴾ إن شرطية، لا: زائدة **﴿تفعلوه﴾** فعل وفاعل ،مفعول به وهو فعل الشرط، تكن: جواب الشرط. وتكن: هنا تامة، وفتنة فاعل أي تحصل فتنة.

مرجع الضمير :

﴿إلا تفعلوه﴾ عائد على الميثاق، أو على حفظه، أو على النصرة، أو على الإرث، أو على المجموع[1].

وقال ابن الأنباري: **﴿تفعلوه﴾** فيها وجهان

أحدهما: أن تعود على الوارث، والثاني: أن تعود على الناصر

تكن : تامة بمعنى تقع[2].

(١) البحر: ٤: ٥٢٢، المجيد ٢: ٢٥ب، روح المعاني ١٠: ٣٨

(٢) البيان ١: ٣٩٢

[سورة التوبة]

[٣] ﴿فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾

الإعراب:

﴿أنكم غير﴾ أن وما في حيزها في محل نصب سدت مسد مفعولي اعلموا.

مرجع الضمير:

﴿فهو﴾ الضمير عائد على المصدر المفهوم من الفعل أي المتاب أو التوب، أو التوبة خير أي أخير وأحسن من بقائكم على الكفر الذي هو خير في زعمكم، أو التفضيل ليس على بابه، والمعنى فهو خير لكم لا شر.

[٣٣] ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾.

الإعراب:

هو: مبتدأ، الذي: خبره، **﴿ولو كره﴾**: الواو حالية والجملة في محل نصب حال.

مرجع الضمير:

﴿ليظهره﴾ أي الرسول عليه الصلاة والسلام على أهل الأديان كلهم، أو ليظهر دين الحق على كل دين.

قال أبو حيان:

في عود الضمير أقوال ثلاثة:

هو محمد ﷺ ، والهدى: التوحيد، أو القرآن، أو بيان الفرائض، ثم قال: والظاهر أن الضمير في ليظهره عائد على الرسول، لأنه المحدث عنه، والدين هنا جنس أي ليعليه على أهل الأديان كلهم[1] .

[٣٤] ﴿ ....والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾.

اللغة والإعراب:

﴿يكنزون﴾ يجمعون ويدفنون، الذهب: يذكر ويؤنث وله أسماء عديدة وهي: نضر، نضار، نضير، زبرج، زخرف، عسجد، عقيان.

﴿الذين﴾ مبتدأ، ويكنزون: صلة، فبشرهم الفاء واقعة في جواب الشرط، وجملةفبشرهم: خبر والأحسن أن يكون الذين منصوبا بتقدير: بشر الذين يكنزون

مرجع الضمير:

﴿ولا ينفقونها﴾

الضمير عائد على المعنى، لأن كلا منهما جملة وآنية دنانير، ودراهم فهو كقوله تعالى: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾**.

– ويجوز أن يكون التقدير ولا ينفقون الكنوز بدليل يكنزون واكتفى بذكر أحدهما من صاحبيه كما قال الفراء[2].

---

(١) البحر ٥: ٣٣، المجيد ٢: ق٢٩

(٢) معاني القرآن للفراء ١: ٤٣٤

- أو يكون التقدير ولا ينفقون الذهب والفضة باعتبار الأموال، والأنواع التي تحتها، أو على النفقة بدليل ينفقونها أو الزكاة

ويجوز أن يكون الضمير عائداً على اللفظ أي ولا ينفقون الفضة، وحذف الذهب، لأنه داخل في الفضة من حيث إنهما معا يشتركان في ثمنية الأشياء، وفي كونهما جوهرين شريفين، وفي كونهما مقصودين بالكنز فلما كانا متشاركين في أكثر الصفات كان ذكر أحدهما مغنيا عن ذكر الآخر كقوله تعالى: **﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها﴾**[1] ورد بأن ذلك حكم (أو) لا حكم الواو، إلا أن يدعي أن الواو في والفضة بمعنى (أو) وكذلك قوله تعالى: **﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا﴾**[2]،حيث جعل الضمير للإثم، أو يكون التقدير: ولا ينفقونها والذهب كذلك كما في قوله: وإني وقيار بها لغريب، أي وقيار كذلك.

قال أبو حيان: عائد على الذهب، لأن تأنيثه أشهر[3].

[٣٦] ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾.

الإعراب:

﴿اثنا عشر﴾ خبر إن، شهرا: تمييز، **﴿في كتاب﴾** متعلق بمحذوف صفة

---

(١) الجمعة ١١.

(٢) النساء ١١٢.

(٣) البحر ٥: ٣٦، معاني القرآن للزجاج ٢: ٤٩٢

لاثنى عشر، أي اثنا عشر كائنة في كتاب الله، وكتاب: مصدر

يوم: منصـوب به، ولا يجـوز أن يكون اسـما لـلقرآن، ولا لغـيـره من الكتب، لأن الأسماء التي تدل على الأعيان لا تعمل في الظروف، لأنها ليست فيها معنى الفعل، وقيل: يوم منصوب على البدل من موضع قوله: ﴿**في كتاب الله**﴾.

مرجع الضمير:

﴿**منها، فيهن**﴾ الضميـر عائد على ﴿**الاثنا عشر**﴾، وقال قتـادة، والفراء عائد على الأربعة الحـرم، نها عن المظالم فيها، تشـريف لها، ويؤيده عوده على الأربعة الحرم كونها أقرب مذكور، وكون الضمير جاء بلفظ ﴿**فيهن**﴾ ولـم يجئ بلفظ (فيهـا) كما جاء منها أربعـة حرم، لأنه قد تقرر في علم العـربية أن الهاء تكون لما زاد على العشرة، وتعامل في الضمير معاملة الواحدة المؤنثة، فنقول: الجذوع انكسـرت، والعرب تقول: لما بين الـثلاثة إلى العشـرة، لثلاث خلون، وثلاثة أيام خلون إلى العشرة، وما زاد على العـشرة يقولون: خلت ومضت، ويقولون لما بين الثـلاثة إلى العشـرة هن وهؤلاء، فإذا زاد على العشـرة قالوا: ﴿**هي وهذه**﴾ ويجوز في كل واحد ما جاز في صاحـبه قال الفراء: أنشدني أبو القمقام الفقعس:

أصبحن في فرح وفي داراتها　　　سبع ليال غير معلوفاتها

ولم يقل معلوفاتهن، وهي سبع، وكل ذلك صواب إلا أن المؤثر ما فسرت لك[1].

(١) معاني القرآن ١: ٤٣٥، وانظر المذكر والمؤنث ٣٨٤

{٣٩} ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير﴾.

الإعراب:

﴿إلا تنفروا﴾ إن: أداة شرط، لا: نافية تنفروا: فعل الشرط، يعذبكم: جوابه، عذابا: مفعول مطلق ﴿شيئا﴾ مفعول مطلق أي شيئًا من الضرر.

مرجع الضمير:

﴿ولا تضروه شيئا﴾ الضمير لله عز وجل أي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه أصلا، فإنه سبحانه الغني عن كل شيء، وفي كل أمر، وقيل الضمير للرسول ﷺ، فإن الله عز وجل وعده العصمة والنصر، وكان وعده سبحانه مفعولا لا محالة، والأول هو المروي عن الحسن، واختاره أبو علي الجبائي، ويقرب الثاني رجوع الضمير الآتي إليه ﷺ اتفاقا[١].

{٤٠} ﴿..فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾

الإعراب:

﴿وكلمةالله﴾ مرفوعة، لأنها مبتدأ وهي العليا خبره، وقد قرئ كلمة الله بالنصب بالعطف على كلمة﴿الذين كفروا﴾ وفيه بعد، لأن كلمة الله لم تزل عالية فيبعد نصبها بجعل، لما فيه من إيهام أنها صارت عالية بعد أن لم تكن، والذي عليه جماهير القراء هو الرفع.[٢]

(١) روح المعاني ١٠: ٩٦، البيضاوي ٢٥٤

(٢) البيان ١: ٤٠٠

مرجع الضمير:

﴿عليه﴾ الضمير يعود إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقيل على الرسول ﷺ، وقيل عليهما، وأفرده لتلازمهما، ويؤيده ما في مصحف حفصة فأنزل الله سكينته عليهما وأيدهما، والظاهر أن الضمير في عليه يعود على أبي بكر رضي الله عنه، لأن النبي ﷺ كان ثابت الجأش، وفي أيده عائد على الرسول ﷺ[1].

وقال العكبري: يعود على أبي بكر، لأنه كان منزعجا[2].

{٦٢} ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾.

الإعراب:

﴿والله أحق أن يرضوه﴾ أي ورسوله أحق أن يرضوه، فحذف خبر الأول لدلالة خبر الثاني عليه، وهذا مذهب سيبويه.

وذهب المبرد إلى أنه لا حذف في الكلام، ولكن فيه تقديم وتأخير وتقديره عنده: والله أحق أن يرضوه ورسوله، فالهاء على قول المبرد تعود إلى الله تعالى، والله: مبتدأ، وأن يرضوه: بدل منه، وأحق خبر المبتدأ، ويجوز أن يكون: الله مبتدأ، وأن يرضوه: مبتدأ ثان، وأحق خبره، والمبتدأ الثاني وخبره خبر عن المبتدأ الأول.

مرجع الضمير :

أفرد الضمير في أن يرضوه، لأنهما في حكم مرضي واحد إذ رضا الله

(١) البحر ٥: ٤٣، المجيد ٢: ق١٣١، ب

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢: ٩

هو رضا الرسول ﷺ .

﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[1]،وإما لأنه مستعار لاسم الإشارة الذي يشار به إلى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور كما في قول رؤبة:

فيها خطوط من سواد وبلق   كأن في الجلد توليع البهق

أي كأن ذلك، أو يكون في الكلام حذف أي حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها، والتقدير: والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه وهذا كقول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عنـ   ـدك راض والرأي مختلف

ومذهب المبرد أن في الكلام تقديما وتأخيرا تقديره: والله أحق أن يرضوه ورسوله، وقيل الضمير عائد على المذكور كما تقدم في الإعراب

[٦٤] ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبؤهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون﴾.

الإعراب:

﴿أن تنزل﴾ في موضع نصب حال بتقدير حرف الجر، وتقديره: من أن تنزل، ويجوز أن تكون في موضع جر على إرادة حرف الجر، لأن حرف الجر يكثر حذفه معها دون غيرها.

مرجع الضمير:

﴿عليهم﴾ أي على المؤمنين، ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين فإن النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث إنه مقروء، ومحتج به عليهم، وذلك يدل

(١) النساء ٨٠.

على ترددهم أيضا في كفرهم وأنهم لم يكونوا على بت في أمر الرسول ﷺ وقيل إنه خبر في معنى الأمر، وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله: **قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون**(١).

[٦٩] ﴿... كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا﴾.

الإعراب:

الكاف في ﴿كالذين﴾ في موضع نصب، لأنها صفة مصدر محذوف، وتقديره: وعدًا كما وعد الذين من قبلكم، ودل على تقدير هذا المصدر قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿وعد الله المنافقين﴾فالكاف في ﴿كما استمتع الذين﴾ في موضع نصب أيضا صفة لمصدر محذوف، وتقديره: استمتاعا كاستمتاع الذين من قبلكم، والكاف في كالذي خاضوا في موضع نصب أيضا صفة مصدر محذوف، وتقديره: خضتم خوضا كالخوض الذي خاضوا(٢).

مرجع الضمير:

قال الفراء: كخوضهم الذي خاضوا، وقيل النون محذوفة أي كالذين خاضوا، أي كخوض الذين، وقيل الذي مع ما بعدها يسبك منها بمصدر أي كخوضهم(٣).

(١) البيضاوي ٢٥٩

(٢) البيان ١:٤٠٣

(٣) معاني القرآن للفراء ١: ٤٤٦، البحر ٥: ٦٩

{٧٦, ٧٧} ﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه﴾

الإعراب:

لما: بمعنى حين، ﴿وهم معرضون﴾ جملة حالية في محل نصب

نفاقا: مفعول به ثان في قلوبهم: صفة أي نفاقا متمكنا راسخا في قلوبهم ﴿إلى يوم﴾ حال أي ممتدا

مرجع الضمير:

﴿فأعقبهم﴾ الضمير للبخل: يعني فأورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم، لأنه كان سببا فيه، وداعيا إليه، والظاهر أن الضمير لله عز وجل، والمعنى: فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم، فلا ينفك عنها إلى أن يموتوا بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين.

﴿يلقونه﴾ عائد على الله تعالى، وقيل جزاء فعلهم، وجزاء بخلهم[١].

{٩٩} ﴿..ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم﴾.

الإعراب:

﴿ما﴾ اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به أول، وقربات. مفعول به ثان ﴿عند الله﴾ ظرف في محل نصب صفة.

(١) الكشاف ٢: ٢٠٤، البحر ٥: ٧٤، المجيد ٢:ق٣٥ ب

مرجع الضمير:

﴿إنها﴾ عائد على الصلوات، أو النفقات، وتحرير هذا القول أنه عائد على ما معناهما[1].

[١٢٠] ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح﴾

مرجع الضمير:

أفرد الضمير في ﴿به﴾ إجراء له مجرى اسم الإشارة، كأنه قيل إلا كتب لهم بذلك، وقال الصفاقسي في ﴿كتب﴾ ضمير يعود إلى الإنفاق المفهوم من ينفقون، ويجوز أن يعود على عمل صالح المتقدم[2].

[١٢٢] ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾

الإعراب:

﴿لينفروا﴾ اللام للجحود، ينفروا: منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد لام الجحود، وعلامة نصبه حذف النون.

﴿فلولا﴾ الفاء للفصيحة، لولا: حرف تحضيض أي هلا ﴿منهم﴾ متعلق بمحذوف حال، لأنه كان في الأصل صفة لطائفة.

(١) البحر ٥: ١٩، المجيد ٢ق: ٣٧ب

(٢) البحر ٥: ١١٣، المجيد ٢: ٤١أ

مرجع الضمير:

﴿ليتفقهوا ولينذروا﴾ لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو، وفي رجعوااللطوائف أي ولينذر البواقي قولهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم(١).

[سورة يونس]

{٥} ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾

اللغة والإعراب:

الضياء: يجوز أن يكون جمع ضوء كسوط وسياط، ويجوز أن يكون مصدر ضاء يضوء ضياء وضوءا، مثل: عاذ يعوذ عياذا وعوذا، وعلى أي الوجهين فالمضاف محذوف، وتقديره جعل الشمس ذات ضياء، والقمر ذا نور، ويكون جعل الضياء والنور لكثرة ذلك فيهما ﴿ضياء﴾ مفعولا ثانيا، وإن كان الجعل بمعنى الخلق كانت الشمس مفعولا به، وضياء حال ﴿منازل﴾ أي في منازل فهو منصوب على الظرفية، ويجوز أن يكون التقدير: ذا منازل، وقدره على هذا متعدية إلى مفعولين، لأنه معناه: جعل وصير فيكون مفعولا ثانيا، ويجوز أن يكون قدر متعديا إلى واحد بمعنى ﴿خلق﴾ وهو الهاء، ومنازل: حال أي متنقلا، ورأى أبو البتاء رأيا آخر لا يخلوا من وجاهة، وهو أن يكون الضمير منصوبا بنزع الخافض، فحذف حرف الجر، أي قدر له منازل، ومنازل

(١) إرشاد العقل السليم ٤: ١١٢، الكشاف ٢: ٢٢١، البيضاوي: ٢٧١.

مفعول به، عدد: مفعول به، والسنين مضاف إليه والحساب معطوف على عدد، سئل أبو عمرو عن الحساب أتنصبه، أم تجره فقال: ومن يدري عدد الحساب، ومعنى جوابه، أنه سئل هل نعطفه على عدد فننصبه، أم على السنين فنجره؟ فكأنه قال: لا يمكن جره إذ يقتضي ذلك أن يعلم عدد الحساب، ولا يقدر أحد أن يعلم عدده، ﴿بالحق﴾ حال، فالحال مستثنى من عموم الأحوال، أي ما خلق ذلك إلا ملتبسا والحكمة البالغة، ولم يخلقه عبثا، وجملة يفصل الآيات حال أيضا.

مرجع الضمير:

﴿وقدره منازل﴾ فيه وجهان:

الأول: أنه لهما، وإنما وحد الضمير للإيجاز، وإلا فهو في معنى التثنية اكتفاء بالمعلوم، لأن عدد السنين والحساب إنما يعرف بسير الشمس والقمر، ونظيره قوله تعالى ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾(1).

والثاني: أن يكون هذا الضمير راجعا إلى القمر وحده، لأن بسير القمر تعرف الشهور، وذلك لأن الشهور المعتبرة في الشريعة مبنية على رؤية الأهلة، والسنة المعتبرة في الشريعة هى السنة القمرية، كما قال تعالى: **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله**(2).

[١٦] ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله﴾.

---

(١) التوبة ٦٢.

(٢) التفسير الكبير ١٧: ٣٦، البحر ٥: ١٢٥، البيضاوي ٢٧٣

الإعراب:

عمرا: مشبه بظرف الزمان، فانتصب انتصابه، أي مدة متطاولة، وقيل هو على حذف مضاف، أي مقدار عمر.

مرجع الضمير:

(قبله) الظاهر عوده على القرآن وأجاز الكرماني أن يعود إلى التلاوة، وعلى النزول، وعلى وقت نزوله[1].

(١) البحر ٥: ١٣٣.

{٢٢} ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان﴾

الإعراب:

بريح: متعلق بجرين، وعلى هذا فيقال: كيف يتعدى فعل واحد إلى معمولين بحرفي جر متحدين لفظا ومعنى، فالجواب أن الباء الأولى للتعدية كهي في مررت بزيد، والثانية للسببية فاختلف المعنيان فلذلك تعلقا بعامل واحد، ويجوز أن تكون الباء الثانية للحال فتتعلق بمحذوف، والتقدير: جرين بهم ملتبسة بريح طيبة فتكون الحال من ضمير الفلك ﴿وفرحوا بها﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة نسقا على جرين، وأن تكون حالا، وقد معها مضمرة عند بعضهم أي وقد فرحوا، وصاحب الحال الضمير في بهم(١).

مرجع الضمير:

﴿جاءتها﴾ عائد إلى الفلك وهو ضمير الواحد، والضمير في قوله: ﴿وجرين بهم﴾ عائد إلى الفلك وهو الضمير الجمع فما السبب فيه؟ الجواب عنه من وجهين:

الأول: أنا لا نسلم أن الضمير في قوله: ﴿جاءتها﴾ عائد إلى الفلك، بل نقول: إنه عائد إلى الريح الطيبة المذكورة في قوله: ﴿وجرين بهم بريح طيبة﴾

الثاني: لو سلمنا ما ذكرتم إلا أن لفظ ﴿الفلك﴾ يصلح للواحد، والجمع، فحسن الضميران(٢).

(١) الفتوحات ٢: ٣٤١

(٢) التفسير الكبير ١٣: ٧٠

قال أبو حيان:

الضمير في ﴿بهم﴾ عائد على الكائنين في الفلك، وهو التفات، وضمير ﴿جرين﴾ يعود على الفلك الجمع[1].

البلاغة:

التفات من الخطاب إلى الغيبة، ثم العودة إلى الغيبة وذلك في قوله تعالى: ﴿**هو الذي يسيركم في البر والبحر**﴾إلى آخر الآية فلما كان قوله: هو الذي يسيركم خطابا ينطوي على الامتنان، وإظهار نعمة المخاطبين، ولما كان المسيرون في البر والبحر مؤمنين وكفارا، والخطاب شامل لهم جميعا حَسُنَ خطابهم بذلك ليستديم الصالح الشكر، ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيتهيأ قلبه لتذكر وشكرمسديها، ولما كان في آخر الآية ما يقتضي أنهم إذا نجوا بغوا في الأرض عدل عن خطابهم بذلك إلى الغيبة لئلا يخاطب المؤمنين بما لا يليق صدوره منهم وهو البغي بغير الحق هذا من جهة، ومن جهة ثانيةذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخير لهم، ويستدعي منهم الإنكار عليهم، والتقبيح لما اقترفوه، ففي الالتفات فائدتان، وهما المبالغة والمقت والتبعيد وكذلك المشاكلة حيث أفرد لفظ الريح للمشاكلة لوجهين، لأنه في مقابلة قوله سبحانه: جاءتهم ريح عاصف، ولأن الرحمة تقتضي هنا وحدة الريح، فإن السفينةإنما تسير بريح واحدة، ولو اختلفت عليها الرياح هلكت، ولذا أكد بوصف الطيبة.

[٥٠] ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون﴾.

---

(١) البحر ٥: ١٣٩، الكشاف ٢: ٢٣١، ٢٣٢

الإعراب:

في ﴿ماذا﴾ وجهان :

﴿ما﴾ يجوز أ ن يكون في موضع رفع، وذلك إذا كان﴿ذا﴾ بمعنى الذي، والمعنى ما الذي يستعجل منه المجرمون فيكون ﴿ما﴾ مبتدأ، والذي خبره، ويجوز أن يكون في موضع نصب وذلك إذا جعلت﴿ما﴾ و ﴿ذا﴾ اسما واحدا، والمعنى أي شيء يستعجل منه المجرمون فيكون مفعول يستعجل، والمجرمون فاعل يستعجل، وجوز بعض النحويين وجها ثالثا على أن تكون ﴿ما﴾ مبتدأ، ويستعجل خبره على حد قولهم: زيد ضربت أي ضربته، وأنكر جوازه بعض النحويين، وقال هذا إنما يجوز في ضرورة الشعر كقول الشاعر:

قد أصبحت أم الخيار تدعى   على ذنبا كله لم أصنع

أي لم أصنعه، ولا يجوز مثله في اختيار الكلام ومثله قراءة ابن عامر في سورة الحديد ﴿وكلا وعد الله الحسنى﴾[1].أي وعده، فدل على جوازه، وإنما كان هذا الحذف قليلا في اختيار الكلام[2].

مرجع الضمير:

إن شئت جعلت ﴿ماذا﴾ استفهاما محضا على جهة التعجب، كقوله: ويلهم ماذا أرادوا باستعمال العذاب؟

وإن شئت عظمت أمر العذاب فقلت: بماذا استعجلوا وموضعه رفع إذا

(١) الحديد ١٠

(٢) البيان ١:٤١٤، ٤١٥

جعلت الهاء راجعة عليه، وإن جعلت الهاء في ﴿منه﴾ للعذاب، وجعلته في موضع نصب أوقعت عليه الاستعجال[1].

[٥٣] ﴿ويستنبؤونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق﴾

اللغة والإعراب:

﴿الاستنباء﴾: طلب النبأ الذي هو الخبر

﴿ويستنبؤنك﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون بمعنى يستخبرونك فيتعدى إلى مفعولين، فالمفعول الأول: الكاف

﴿أحق هو﴾ استفهام، خبر مقدم، ومبتدأ مؤخر، والجملة في موضع المفعول الثاني

الثاني: أن يكون بمعنى يستعلمونك فيتعدى إلى ثلاثة مفاعيل فتكون الجملة الاسمية قد سدت مسد المفعولين قل: إي وربي: ﴿إي﴾ حرف يكون مع القسم بمعنى نعم، ومنه قولهم: أيها الله بمعنى أي والله، ـ **إنه لحق.**

جواب القسم[2]، ﴿إي﴾ بمعنى نعم في القسم خاصة، كما كان هل بمعنى قد، ويصلونه في التصديق بواو القسم فيقولون (أيو) ولا ينطقون به وحده[3]. (هو) مرجع الضمير يعود على العذاب الموعود، أو أمر الساعة، أو الوعيد.

---

(١) معاني القرآن للفراء ١: ٤٦٧

(٢) البيان ١: ٤١٥

(٣) قال الزمخشري: سمعتهم يقولون: إيو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده الكشاف ٢: ٢٤١

[٥٤] ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به، وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾.

الإعراب:

لو: حرف امتناع لامتناع والمعنى امتنع افتداء كل نفس من العذاب لامتناع ملكها لما تفدي به، وهو جميع ما في الأرض من الأموال.

﴿افتدى﴾ يجوز أن يكون متعديا، وأن يكون قاصرا، فإذا كان مطاوعا لمتعد كان قاصرا تقول فديته فافتدي، وإن لم يكن مطاوعا يكون بمعنى فدى فيتعدى لواحد، والفعل هنا يحتمل الوجهين فإن جعلناه متعديا فمفعوله محذوف تقديره: لافتدت به نفسها، وهو من المجاز كقوله تعالى: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾[1].

مرجع الضمير:

﴿بينهم﴾ أي بين الظالمين والمظلومين، دل على ذلك ذكر الظلم، أو عائدًا على (كل نفس ظلمت)، وقيل على المؤمن والكافر، أو الأتباع والرؤساء[2].

[٥٨] ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾

الإعراب:

﴿بفضل الله﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف، والأصل ليفرحوا بفضل الله وبرحمته فبذلك، ثم قدم الجار والمجرور على الفعل، لإفادة الحصر،

(١) الفتوحات ٢: ٣٥٦

(٢) البحر ٥: ١٦٩

وأدخلت الفاء لإفادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا، ثم قال فبذلك فليفرحوا للتأكيد والتقرير ثم حذف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه، والفاء الأولى جزائية، والثانية للسببية، ثم قالوا الفاء الداخلة على بذلك زائدة، وبذلك بدل من بفضل، والأولى أن تكون عاطفة، وبذلك عطف على بفضل الله، وذلك أصح من جعلها زائدة، والفاء الداخلة على فليفرحوا فهى للفصيحة، لأنها داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل : إن فرحوا بشىء فليخصوها بالفرح فإنه ليس ثمة ما هو أدعى إلى الفرح وأثلج للصدور منهما، هو: مبتدأ، خير: خبر.

مرجع الضمير:

﴿هو﴾ راجع إلى ذلك باعتبار مدلوله، وهو: مفرد فروعي لفظ، وإن كان عبارة عن الفضل والرحمة، ويجوز إرجاع الضمير إليهما ابتداء بتأويل المذكور كما فعل في ذلك، أو جعلهما في حكم شيء واحد ويجوز أن يرجع إلى المصدر أعني المجيئ الذي أشير إليه في قوله: ﴿قد جاءتكم﴾.

﴿ما﴾ تحتمل الموصولية والمصدرية، وقرأ ابن عامر ﴿تجمعون﴾ بالخطاب لمن خوطب ب﴿يأيها الناس﴾ سواء أكان عاما أو خاصا بكفار قريش، وضمير ﴿فليفرحوا﴾ للمؤمنين أي فبذلك فليفرح المؤمنون، فهو خير ﴿ما﴾ تجمعون أيها المخاطبون، وعلى قراءة ﴿فلتفرحوا﴾، ﴿وافرحوا﴾ يكون الخطاب للمؤمنين، وجوز أن يكون لهم على قراءة الغيبة أيضا التفاتا، وتعقب بأن الجمع أنسب بغيرهم، وإن صح وصفهم به في الجملة فلا ينبغي أن يلتزم القول بما يستلزمه مادام مندوحة عنه(١).

(١) روح المعاني ١١: ١٤٢

البلاغة:

تقديم الجار والمجرور على الفعل لإفادة الحصر، وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا ﴿فليفرحوا﴾ للمؤمنين أي فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعون أيها المخاطبون، وعلى قراءة ﴿فلتفرحوا﴾، ﴿وافرحوا﴾: يكون الخطاب للمؤمنين، وجوز أن يكون لهم على قراءة الغيبة التفاتا.

[٦١] ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه...﴾

الإعراب:

ما: نافية تكون: مضارع ناقص، واسمها مستتر، وفي شأن خبر تكون، وقرآن: مفعول به محلا، أي وما تتلون من التنزيل من قرآن، لأن كل جزء منه قرآن

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿منه﴾ للشأن، لأن تلاوة القرآن شأن من شئون رسول الله ﷺ، بل هو معظم شأنه، أو للتنزيل كأنه قيل: وما تتلون من التنزيل من القرآن، لأن كل جزء منه قرآن، والإضمار قبل الذكر: تفخيم له، أو لله عز وجل[1]، أو يعود على الشأن على تقدير: حذف المضاف وتقديره، وما تتلو من أجل الشأن من قرآن، أي يحدث لك شأن فتتلو القرآن من أجله.

(١) الكشاف ٢: ٢٤٢، البحر ٥: ١٧٤، والمجيد ٢: ق٥١ب

{٧٤} ﴿ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾.

الإعراب وعود الضمير :

الضمير في ﴿كذبوا﴾ يعود على قوم نوح، والهاء في ﴿به﴾ لنوح، والظاهر أن ﴿ما﴾ موصولة لعود ضميريه عليها، وقال ابن عطية: مصدرية، واستبعد بقاء الضمير غير عائد على مذكور، وضمير كذبوا عائد على ما عاد عليه، فما كانوا، وقيل عائد على قوم نوح، ومن قبل متعلق بكذبوا، أي من قبل بعثة الرسل، أو بما كذبوا قوم نوح من قبلهم[1].

{٧٨} ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين﴾

الإعراب:

﴿وتكون لكما الكبرياء﴾

الكبرياء اسم تكون، ولكما: الخبر ﴿ في الأرض﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها : أن يكون متعلقا بنفس الكبرياء

الثاني: أن يتعلق بنفس تكون

الثالث: أن يتعلق بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا

الرابع: أن يكون حالا من الكبرياء

(١) المجيد ٢:ق٥٢ب، تفسير ابن عطية ٥: ٢٥ العكبري ٢:١٧

الخامس : أن يكون حالا من الضمير في لكما لتحمله إياه، والكبرياء مصدر على وزن فعلياء، وسمي الملك بالكبرياء، لأنه أكبر ما يطلب من أمور الدنيا[1].

مرجع الضمير:

﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾ تثنية الضمير في هذين الموضعين بعد إفراده فيما تقدم باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام، واستلزام التصديق لأحدهما التصديق للآخر [2].

[٨٣] ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين﴾

الإعراب:

﴿على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم﴾ على بمعنى مع، وهي مع مجرورها في محل نصب على الحال **﴿أن يفتنهم﴾** أن وما في حيزها بدل اشتمال من فرعون أي على خوف من فتنة فرعون، أو مفعول لأجله بعد حذف اللام

مرجع الضمير:

﴿من قومه﴾ راجع إلى موسى، لأنه هو المحدث عنه وهو أقرب مذكور، وأريد قومه الذين كانوا بمصر من أولاد يعقوب، هلك الآباء، وبقى الأبناء فسموا ذرية بهذا الاعتبار، وآباؤهم قوم موسى من حيث إنهم بنو إسرائيل وهو

(١) الفتوحات ٢:٣٦٦

(٢) إرشاد العقل السليم ٤: ١٦٩

منهم، وقيل هم قوم نجـوا من قتل فرعون، وذلك أن فرعـون لما أمر بقتل بني إسرائيل كـانت المرأة من بني سرائيل إذا ولدت ابـنا وهبته لقـبطية خـوفا من القـتل وقيل راجع إلى فـرعون، والذرية مـؤمن آل فرعـون، وآسية امـرأته، وخازنه، وامرأة خازنه، وماشطته ﴿وملئهم﴾ يعود إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقـال ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصـحاب يأتمرون له، ويجور أن يرجع إلى الذرية أي على خـوف من فرعـون، وخوف مـن أشراف بني إسـرائيل، لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم، وعلى أنفسهم ويدل عليه قوله: ﴿أن يفتنهم﴾ يريد أن يعذبهم وإفراده بالضمير للدلالة على أن الخوف من الملأ كان بسببه، وجمع الضمير في ملئهم لخمسة أوجه:

الأول: أنه إذا ذكر علم أن معه غيره فعاد الضمير إليه وإلى من معه.

والثاني: أنه إخبار عن جبار فعبر عنه بلفظ الجمع .

الثـالث: أن في الكلام حـذف مـضـاف، وتقـديره: على خـوف من آل فرعون، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه.

الرابع: أن جمع الضـمير يعود على الذرية التي تقـدم ذكرها الخامس: أنه يعود على القـوم الذين تقدم ذكرهم وذكر تلك الأوجـه الألوسي، أو ما يقرب منها مع وجود بعض الردود[1] .

---

(١) روح المعاني ١١: ١٦٩

[سورة هود]

{٢} ﴿ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير﴾

مرجع الضمير والإعراب:

﴿منه﴾ الضمير يعود على الله تعالى وهو الظاهر أي أنني لكم من جهة الله تعالى نذير وبشير، والثاني أن يعود على الكتاب أي نذير لكم مخالفته، وبشير منه لمن آمن وعمل صالحا والجار والمجرورمتعلق بمحذوف حال أي كائنا من جهته وقيل متعلق بنذير أي أنذركم نوائبه إن لم تؤمنوا، أو أبشركم برحمته إن آمنتم، وقدم الإنذار، لأن التخويف أهم إذ يحصل به الانزجار.

{٣} ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾.

الإعراب ومرجع الضمير:

كل: مفعول أول، وفضله: مفعول ثان والضمير في ﴿فضله﴾ يجوز أن يعود على الله تعالى أي يعطي كل صاحب فضل فضله أي يوليه إياه، ويجوز أن يعود على لفظ كل، أي يعطي صاحب فضل، وجزاء فضله لا يبخس منه شيئا أي جزاء عمله.

{١٤} ﴿فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم منتهون﴾.

الإعراب:

﴿بعلم الله﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال والمعنى: فاعلموا أن القرآن المنزل على محمد لم ينزل إلا حال كونه ملتبسا بعلم الله لا بافتراء كما

تزعمـون. ويصح أن تكون ﴿ما﴾ موصـولة، ويجوز أن تكون كافة والتـقدير: فاعلموا أن تـنزيله، أو أن الذي أنزله ملتبس بعلم الله، ولكن: هذه مخـففة، واسمها: محذوف، وجملة النفي خبرها.

مرجع الضمير:

ما وجه جمع الخطاب بـعد إفراده، وهو قوله ﴿لكم فاعلموا﴾ بعد قوله: ﴿قل﴾، قلت معناه: فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين، ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله ﷺ كقوله:

وإن شئت حرمت النساء سواكم

ويجوز أن يكون الخطاب للمشركين، والضمـيـر في لم يستجيبوا يعود على من اسـتطعـتم، وفي ﴿لكم﴾ عـائد على الكفـار، لأنه أقـرب مذكـور، لأن الخطاب يكون لواحد، ولـترتيب الجواب على الشـرط ترتبا حقـيقيـا من الأمر بالعلم، ولا يحتاج إلى تجوز، فدوموا على العلم بأنه لا إله إلا هو فجاء ضمير الجمع مرادًا به الواحد للتعظيم وهو قوله ﴿لكم فاعلموا﴾ بعد قوله: قل.

[١٦] ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخـرة إلا النار وحبـط ما صنعـوا فيـها وباطل ما كانوا يعملون﴾

الإعراب:

﴿وباطل ماكانوا يعملون﴾ فيه وجهان: أحـدهما : أن يكون باطل خبرا مقدما، وما كانوا يعملون مبتدأ مؤخر، و﴿ما﴾ يحتمل أن تـكون مصدرية أي وباطل كونهـم عاملين، وأن تكون بمعنى الذي والعـائد محذوف أي يعـملونه، وهذا على أن الكلام من عطف الجمل

الثاني: أن يكون وباطل عطفا على الإخبار قبله أي أولئك باطل ما كانوا يعملون، وما كانوا يعملون فاعل بباطل، ويرجح هذا ما قرأ به زيد بن علي وبطل ما كانوا يعملون جعله فعلاً ماضيًا معطوفًا على حبط[1].

مرجع الضمير:

﴿فيها﴾ متعلق بحبط، والضمير عائد على الآخرة، أي ظهر خوف ما صنعوا في الآخرة، أو متعلق بصنعوا فيكون عائدًا على الدنيا[2].

[١٧] ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه، ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ....﴾

الإعراب:

من: مبتدأ، خبره مقدر أي كمن ليس كذلك، وجواب الاستفهام محذوف قدره بقوله: لا أي لا يستويان، وقد صرح بهذين المحذوفين في قوله تعالى: أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون.

مرجع الضمير:

﴿يتلوه﴾ من التلاوة الهاء للقرآن، والشاهد هو جبريل عليه السلام يتلو القرآن، وقيل المراد من يتلوه شاهد منه يعنى الإنجيل يتلو القرآن، وإن كان قد أنزل قبله يذهب إلى أنه يتلوه بالتصديق ثم قال ومن قبل الإنجيل كتاب موسى[3]. وقال السيوطي ﴿يتلوه﴾ للبرهان، وهو البينة، أو لمن كان على بينة

(١) الفتوحات ٢: ٣٨٦

(٢) المجيد ٢: ١٥٨

(٣) معاني القرآن للفراء ٢: ٦

من ربه[1]، وقال الصفاقس: الضمير يعود على ﴿من﴾ المعبر بها عن النبي ﷺ أو المؤمنين، والشاهد لسانه ﷺ، وقيل يعود على البينة بمعنى البيان، ﴿ويتلوه﴾: يتبعه أو من التلو والشاهد ملك يحفظ ﴿منه﴾: أي من الله تعالى، أو من القرآن، وقيل للرسول ﷺ ﴿به﴾ أي بالقرآن أي يصدقون به حسب التصديق حسبما تشهد به تلك الشواهد، أو لكتاب موسى عليه السلام، لأنه أقرب، وقيل إنه للنبي ﷺ.

[٢٨] ﴿قال أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾.

الإعراب:

﴿أرأيتم﴾ يطلب البينة منصوبة، وفعل الشرط يطلبها مجرورة بعلى، فأعمل الثاني، وأضمر في الأول والتقدير: أرأيتم البينة من ربي إن كنت عليها أنلزمكموها فحذف المفعول الأول، والجملة الاستفهامية في محل المفعول الثاني، وجواب الشرط محذوف للدلالة عليه.

مرجع الضمير:

﴿فعميت﴾ أي فخفيت عليكم فلم تهدكم، والظاهر أن الضمير للبينة، أو للرحمة، وإما عليهما باعتبار أنهما واحد باعتبار أن الرحمة البينة، واختار أبو حيان أن يقدر فعميت بعد البينة، وحذف لذكره بعد وعميت معناه خفيت، وقيل مقلوب، أي فعميتم عنها كقوله: أدخلت القلنسوة في رأس، وقوله:

---

(١) معترك الأقران ٣: ٣٥٥

ترى الظل فيها مدخل الظل رأسه[1].

فتوحيد الضمير، لأن البينة في نفسها هى الرحمة، وإن أريد بها النبوة، وبالبينة البرهان، الدال على صحتها، فالإفراد لإرادة كل واحدة منهما أو يكون الضمير للبينة، والاكتفاء بذلك، لاستلزام خفائها خفاء النبوة، أو لتقدير: فعل آخر بعد البينة، وقرئ فعماها على أن الفعل لله[2].

البلاغة:

(الكناية) في ﴿فعميت﴾ حيث أطلق العمى وأريد لازمه وهو الخفاء، لأن الأعمى تخفى عليه الأشياء، فلا يهتدي، ولا يهدي غيره[3].

[٢٩] ﴿وياقوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله﴾.

مرجع الضمير:

يعود على التبليغ ، وهو إن لم يذكر فمعلوم مما ذكر

[٤٠] ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ...﴾

مرجع الضمير :

---

(١) المجيد ٢: ٥٩ب، الكشاف ٢: ٢٦٥, ٢٦٦

(٢) البيضاوي: ٢٩٥، وقال أبو علي الفارسي في الحجة ١٨٦ فعميت عليكم يقرأ بضم العين والتشديد، وبفتحها والتخفيف، فالحجة لمن ضم وشدد: أنه دل بذلك على بناء الفعل لما يسم فاعله، ودليله أنها في حرف (عبد الله) و(أبي) فعماها عليكم، والحجة لمن فتح وخفف أنه جعل الفعل للرحمة، ومعناها قريب يريد فخفيت.

(٣) حاشية الصاوي ٢: ٢١٣.

﴿فيها﴾ عائد على الفلك، وهو مـذكر أنث على معنى السفـينة، وكذلك قوله: وقال اركبوا فيها

[٤٦] ﴿قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾.

القراءة والإعراب:

﴿إنه عمل غـير صالح﴾ يقرأ بالـتنوين، ورفع غيـر، وبالفتح نصب غـير فالحجة لمن نون، ورفع ﴿غير﴾ أنه جعله اسما أخبر به عن ﴿إن﴾، ورفع غير إتباعـا له على البدل، ومـعناه: إن سؤالك إياي أن أنجي كافـرا ليس من أهلك عمل غير صالح، والحجة لمن فتح: أنه جعله فعـلا ماضيا، وفاعله مستتر فيه، وغير منصـوب، لأنه وصف قام مقام الموصـوف، ومعناه: أنه عمل عمـلا غير صالح

قال السيوطي[(١)].

﴿إنه﴾ فيه ثلاثة تأويلات على قراءة الجمهور:

أحدها: أن يكون الضمير في ﴿إنه﴾ سؤال نوح لنجاة ابنه

الثاني: أن يكون الضمير لابن نـوح، وحذف مضاف من الكلام تقديره: إنه ذو عمل غير صالح.

الثـالث: أن يكون الضـميـر لابن نوح، ومـا مصـدر وصف به مـبالغـة كقولـك: رجل صوم، وقرأ الكسائي عـمل بفعل ماضي، غيـر صالح بالنصب والضمير على هذا لابـن نوح بلا إشكال، لأن الله تعالى لما أراد أن يعذبه قطع

(١) الحجة: ١٨٧

نسبه عنه ووصفه بعدم الصلاحية[1].

مرجع الضمير :

﴿إنه﴾ عائد على ابن نوح، وقيل لنداء نوح، وقيل على الركوب وكلاهما بعيد، وقرأ الكسائي عـملا فعلاً ماضيا، ونصب غير على المفعـول لعمل فيتعين ضمير أنه للابن[2].

{٨٢, ٨٣} ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليهـا سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود، مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد﴾.

اللغة والإعراب:

﴿سجيل وسجين﴾ بمعنى واحـــد، والعـرب تعـاقب بـين النون واللام، فـقلبت النون لامًا وهـو الطين اليـابس ﴿منضود﴾ متراكب، والنـضد، جعل الشيءبعضه فوق بعض والمراد وصف الحجارة بالكثرة

﴿مسومة﴾ معلمة للعذاب، والتسويم العلامة

مرجع الضمير:

﴿هي﴾ يعود إلى القـرى المهلكة أي هي قريبة لمن تأمل فيـها من الظالمين، وقيل على العـقوبة المفهـومة من السياق وقـيل يعود على الحجـارة وهي أقرب مذكور.

{١٠٥} ﴿يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد﴾

---

(١) معترك الأقران ٢: ٦٣٨

(٢) المجيد ٢: ٦٢ب

الإعراب:

يوم: منصوب بقوله لا تكلم أي لا تكلم نفس في ذلك اليوم، وفاعل يأتي ضمير يعود على اليوم، واختار الزمخشري أن يكون فاعل يأتي هو الله عز وجل، لأن ضمير بإذنه يعود عليه وهو قول وجيه، ولكن الأول أقرب إلى السياق (لا تكلم) لا: نافية، تكلم مضارع أصله تتكلم فحذفت إحدي تاءيه، ونفس فاعل تكلم، إلا: أداة حصر وبإذنه حال، ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ الفاء: للتفريع ﴿منهم﴾ خبر مقدم، وشقي: مبتدأ مؤخر، وسعيد مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله أي ومنهم سعيد.

مرجع الضمير:

﴿يوم يأت﴾ أي هو أي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء أجله المضروب حسبما تقتضيه الحكمة، وقيل الضمير للجزاء، وقيل لله تعالى، وفيه من تفخيم شأن اليوم ما لا يخفى، ويعضده قراءة، وما يؤخره بالياء، ونسبة الإتيان ونحوه إليه سبحانه أتت في غير ما آية ﴿فمنهم﴾ الضمير لأهل الموقف، ولم يذكروا، لأن ذلك معلوم، ولأن قوله لا تكلم نفس يدل عليه[1]،أو عائد على الناس في ﴿مجموع له الناس﴾ وقال ابن عطية عائد على الجميع الذي تضمنه ﴿كل نفس﴾ إذ هو اسم جنس يراد به الجميع[2]،وكذلك قال الزمخشري .

البلاغة:

في الآية الكريمة جمع وتفريق، فالجمع في قوله: ﴿ لا تكلم نفس إلا

(١) الكشاف ٢: ٢٩٣

(٢) البحر ٥: ٢٦٢

بإذنه﴾، والتفريق في قوله: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾.

[١١٠] ﴿.. ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب﴾.

الإعراب:

لولا: حرف امتناع لوجود، كلمة: مبتدأ، والخبر محذوف وجملة سبقت صفة، واللام: جواب ﴿لو﴾، قضي: فعل مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، والظرف متعلق به أي وقضي الأمر بينهم.

﴿وإنهم لفي شك منه مريب﴾ الواو: حالية وإن واسمها، في شك: خبرها، منه: صفة لشك ومريب: صفة ثانية.

مرجع الضمير:

﴿فيه﴾ الظاهر عوده على الكتاب، ويجوز أن يعود على موسى عليه السلام، ويلزم من الاختلاف في أحدهما الاختلاف في الآخر، وقيل: في بمعنى على أي عليه

﴿بينهم﴾ الضمير عائد على قوم موسى، وقيل على المختلفين في الرسول ﷺ من معاصريه[١].

(١) المجيد ٢: ١٧٠أ

[سورة يوسف]

{٢} ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾

الإعراب:

قرآنا: حال من الهاء في ﴿إنا أنزلناه﴾ أي أنزلناه مجموعا وعربيا حال أخرى، ويجوز أن يكون: قرآنا: توطئة للحال، وعربيا: هو الحال، كقولك: مررت بعبد الله رجلا عاقلا، فرجلا توطئة للحال وعاقلا هو الحال[1] .

مرجع الضمير:

﴿أنزلناه﴾ ضمير المفعول عائد على الكتاب الذي فيه قصة يوسف عليه السلام، وقيل على القرآن، وقال الزجاج وابن الأنباري يعود على نبأ يوسف، وقيل هو ضمير الإنزال، وقرآنا هو المفعول به، وهذان ضعيفان، وينتصب قرآنا على أن هاء أنزلناه ضمير المفعول على البدل من الضمير، وقيل على الحال، وقيل على الحال الموطئة، قال أبو البقاء توطئة للحال التي هي عربيا، أو هو الحال ويكون مصدرا في موضع المفعول أي مجموعا، وعربيًا صفة على رأي من يصف الصفة أو حال من الضمير الذي في المصدر على رأي من قال يحتمل الضمير إذا وقع موقع ما يحتمله[2].

{٣} ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾

---

(١) البيان ٢: ٣٢

(٢) إعراب القرآن ومعانيه ٢:٨٦، والبحر ٥: ٢٧٧، والمجيد ٢: ٧٢ب

الإعراب:

أحسن: منصوب نصب المصدر، لأنه مضاف إلى المصدر، وأفعل إنما يضاف إلى ما هو بعض له، فينزل منزلة المصدر فصار بمنزلة قولهم: سرت أشد السير، وصمت أحسن الصيام.

مرجع الضمير:

﴿قبله﴾ الضمير يعود إلى القرآن، أو الإيمان، أو هذا أو الإيحاء.

{٩} ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾

الإعراب:

أرضا: منصوب على أنه ظرف مكان، وتعدى إليه ﴿اطرحوا﴾ وهو لازم، لأنه ظرف مكان مبهم، وليس له حدود تحصره، ولا نهاية تحيط به، وزعم النحاس أنه غير مبهم، وكان ينبغي ألا يتعدى إليه الفعل إلا بحرف جر، إلا أنه حذف حرف الجر فتعدى الفعل إليه كقول الشاعر:

فلأبغينكم قنا وعوارضا ولأقبلن الخيل لابة ضر غد

أراد بقنا وعوارض وهو قول ليس بمرض(١).

البلاغة:

ذكر الوجه، وأراد إقباله عليهم، وعدم الالتفات إلى غيرهم، وانتفاء الشركة في حب أبيهم.

(١) البيان ٢: ٣٤، قنّا وعوارض: جبلان، اللابة: الحرة، وضرغد: جبل بعينه.

مرجع الضمير:

﴿بعده﴾ يعود إلى يوسف، أو مصدر اقتلو، أو اطرحوه[1].

[١٩] ﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون﴾

القراءة والإعراب:

قرئ يا بشرايّ بتشديد الياء، ويابشرى بغير ياء، فمن قرأ يابشرايّ كان منادى مضاف، وكذلك قراءة من قرأ بشريّ بتشديد الياء، لأن أصله يابشراي إلا أنه لما كانت ياء الإضافة لا يكون ما قبلها إلا مكسورا قلبت الألف ياء، وأدغمت الياء في الياء، ومثله قراءة من قرأ ﴿فمن اتبع هداي﴾[2]، في هداي، وذكر أنها قراءة النبي ﷺ، ومن قرأ يابشرى بغير ياء كان منادى مفردا، كأنه جعل بشرى اسم المنادى نحو قولك: يازيدُ، ويجوز أن يكون نادى البشرى كأنه قال يا أيتها البشرى: صفة (أية) فحذف الموصوف و(ها) التي للتنبيه، والألف واللام من الصفة، فصار يابشرى، وكذلك ياسكرى، وتقديره: يا أيتها السكرى ففعل به ما ذكرنا، كذلك نقول: يارجل وأصله يا أيها الرجل، فتحذف ﴿أي﴾ الموصوف، وها: التي للتنبيه، والألف واللام فيبقى يارجل، ولهذه الحذوف لا يجوز حذف النداء من هذا النحو، فإنك لو قلت: بشرى في ﴿يابشرى﴾ وسكرى في (ياسكرى)، ورجل في (يارجل لم يجز لما فيه الإفراط في الحذف وكان هو أولى بالتبقية لما فيه من الدلالة على غيره من المحذوف، وليس في غيره ما يدل على حذفه، وكأنه قال: يا أيتها

(١) الكشاف ٢: ٣٠٥، البحر ٥: ٢٨٤

(٢) طه ١٢٣

البشرى هذا أوانك ﴿الدلو﴾ ما يستقى بها ﴿واسروه بضاعة﴾.

المراد بالـواو في ﴿وأسروه﴾ أخـوة يوسف، وقيل: المراد بهـا التجـار، والمراد بالهـاء يوسف، وبضـاعـة، منصـوب على الحـال من يوسف، ومـعناه مبضوعا[1].

مرجع الضمير:

﴿وأسروه﴾ يعـود الضميـر المرفوع كـما وضـحنا في الإعراب إلـى أخوة يوسف، وذلك لأن يهوذ كان يأتيـه بالطعام كل يوم فأتاه يومئذ فلم يجـد فيها فأخبر إخـوته فأتوا الرفقة، وقالوا هذا غلامنا أبق منا فـاشتروه فسكت يوسف مخافة أن يقتلوه[2]، وفي رواية أنهم قالوا بالعبرانية لاتنكر العـبودية نقتلك فأقر بها واشتروه منهم وكون الضميـر للأخوة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قيل وهو المناسب لإفراد قال[3].

وقيل الضمير يعود إلى الوارد وأصحابـه من سائر الرفقة وقيل أخفوا أمره وقالـوا لهم دفعـه إلينا أهل الماء لنبيـعه لـهم بمصر وذلك لأنهم قـالوا: إن قلنا للسيارة التقطناه شاركونا فيه، وإن قلنا اشتريناه سألونا الشركة ومن هنا قالوا إن أهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على أن نبيعه لهم بمصر، ونقل عن ابن عباس أنه قال: ﴿وأسروه﴾ يعني أخوة يوسف أسروا شأنه، والمـعنى: أنهم أخفوا كونه أخـا لهم بل قـالوا: إنه عـبـد لنا أبق منا، وتابعـهم علـى ذلك يوسف لأنهم توعدوه بالقتل بلسان العبرانية والأول أولى لأن قوله: ﴿وأسروه بضاعة﴾ يدل

(١) البيان ٢: ٣٧

(٢) البيضاوي ٣١١

(٣) روح المعاني ١٢: ٢٠٤

على أن المراد أسروه حال ما حكموا بأنه بضاعة، وذلك إنما يليق بالوارد لا بإخوة يوسف[1].

{٢٠} ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين﴾

الإعراب:

دراهم: في موضع جر على البدل من ﴿ثمن﴾.

﴿من الزاهدين﴾ في موضع نصب خبر كان.

﴿فيه﴾ يتعلق بفعل دل عليه من الزاهدين، ولا يجوز أن يتعلق به، لأن الألف واللام فيه بمعنى الذي، وصلة الاسم الموصول لا يعمل فيما قبله، وقد أجاز بعض النحويين أن يكون الألف واللام للتعريف[2].

مرجع الضمير:

﴿وشروه﴾ الضمير المرفوع إما للأخوة، فشرى بمعنى باع، وإما للسيارة فهو بمعنى اشترى كما في قوله:

وشريت بُرداً ليتني ... من بعد برد كنت هامه

وبقوله:

ولو أن هذا الموت يقبل فدية ... لشريت أبا يزيد بما ملكت يدي

وجوز أن يكون على هذا الوجه بمعنى باع بناء على أنهم باعوه لما التقطوه من بعضم[3]، ﴿كانوا﴾ إن كان للإخوة فظاهر، وإن كان للرفقة، وكانوا بائعين

(١) التفسير الكبير ١٨: ١٠٦

(٢) البيان ٢: ٣٧.

(٣) روح المعاني ١٢: ٢٠٤.

فزهدهم فيه، لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء متهادن به، خائف من انتزاعه، مستعجل في بيعه وإن كانوا مبتاعين فلأنهم اعتقدوا أنه أبق[1]، ﴿فيه﴾ الضمير يعود إلى يوسف، أو إلى ثمن بخس[2].

{٢١} ﴿... وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾

الإعراب:

﴿كذلك﴾ نعت لمصدر أي مثل ذلك التمكين ﴿في الأرض﴾ حال، ﴿والله غالب على أمره﴾ جملة في محل نصب حال .

مرجع الضمير:

﴿على أمره﴾ الظاهر عود الضمير على الله تعالى قال ابن جبير، أو على يوسف قاله الطبري، أي على أمر نفسه، أو أمر يوسف يدبره لا يكله إلى غيره قد أراد به إخوته ما أرادوا، ولم يكن إلا ما أراد الله ودبره[3].

{٢٣} ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾.

اللغة والإعراب:

﴿راودته﴾ المراودة من راد يرود ﴿مفاعلة﴾ إذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد

(١) الفتوحات ٢: ٤٤٢ البيضاوي ٣١١.

(٢) البحر٥: ٢٩١.

(٣) تفسير الطبري ١٦: ٢٠، الكشاف ٢: ٣١٠، البحر٥: ٢٩٢، المجيد ٢: ٧٦ ب.

أن يخرجه من يده، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذهُ منه وهي عبارة عن التحيل لمواقعته إياها ومنه الرائد لطالب الماء والكلأ وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن، مماطلة المدين، ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من أحد الجانبين الفعل ومن الآخر سببه فإن هذه الأفعال وإن كانت صادرة عن الجانبين لكن لما كانت أسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت كأنها صادرة عنهما فسبب الشيء يقوم مقامه، ويطلق عليه اسمه، ويجوز أن يراد بصيغة المفاعلة مجرد المبالغة، وقيل الصيغة على بابها بمعنى أنها طلبت منه الفعل، وهو طلب منها الترك، ويجوز أن يكون من الرويد وهو الرفق والتجمل، وتعديتها بعن لتضمنها معنى المخادعة، فالمعنى خادعته عن نفسه أي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه عن شيء لا يريد إخراجه من يده، وهو يحتال أن يأخذه منه[1]، ﴿هيت﴾ اسم فعل ماضي بمعنى تهيأت، وهي مثلثة الآخر، وقد يكسر أوله أي هلم و(معاذ الله) منصوب على المصدرية أي أعوذ بالله معاذا

﴿إنه ربي﴾ ربي في موضع نصب على البدل من الهاء في ﴿إنه﴾ وهي اسم (إن) ، وأحسن: خبر إن، وتقديره: إن ربي أحسن مثواي، والهاء في ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ ضمير الشأن والحديث، ولا يفلح الظالمون، جملة فعلية في موضع رفع خبر (إن)[2].

مرجع الضمير :

﴿إنه﴾ يجوز أن تكون الهاء ضمير الشأن، وما بعده جملة خبرية له،

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه ٤: ٤٦٦.

(٢) البيان ٢: ٣٨.

ومـراده بربه سـيده ومـالكه ويبـعـد أن يطلق نبي كـريم على مـخلوق أنه ربه ولوبمعنى السيد، لأنه ليس مملوكا في الحقيقة[1]، ويحتمل أن تكون الهاء ضمير الباري تعالى، وربي يحتمل أن يكون خبـرها، وأحسن جملة حالية لازمة وأن يكون مبتدأ وأحسن جملة خبرية له والجملة خبر لإن.

البلاغة:

جاء المسند إليه اسما موصـولا لتقرير الغرض المسوق له الكلام ﴿**وراودته التي هو في بيـتها عن نفـسه**﴾ فالغـرض هو براءة يوسف عليه السـلام فلو قيل راودته امرأة العـزيز أو زليخا لم يفد مـا أفاده الموصول باعـتبار صلته فـهو أدل على الغرض المسـوق وهو النزاهة فكونه في بيتـها وهى التي راودته ومع ذلك عف عنها ولم يفعل كان ذلك غاية في النزاهة عن الفحـشاء، كذلك يفيد تقرير المراودة لما فيه من فرط الاختلاط والألفـة لكونه في بيتها، وكذلك تقرير المسند إليه لإمكان وقوع الإبهام والاشتراك في امرأة العزيز أو زليخا ولو ذكر إحداهما ولا يتأتى ذلك في التي هو في بيتها، لأنها واحدة معينة مشخصة[2].

{٣٦} ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحـدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبـزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾.

الإعراب:

﴿**قال أحدهما**﴾: جملة مستأنفة، ولا يجوز أن تكون حالاً لأنهما لم يقولا

(١) الفتوحات ٢: ٤٤٥، البيضاوي ٣١٢.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه ٤: ٤٧٣.

ذلك حال الدخول، ولا يجوز أن تكون مقدرة؛ لأن الدخول لا يؤول إلى الرؤيا وكان بين دخولهم السجن وبين الرؤيا خمس سنين الياء في ﴿أراني﴾ مفعول أول، وجملة أعصر: المفعول الثاني؛ لأن الرؤيا حلمية ﴿فوق رأسي﴾ حال؛ لأنه كان صفة وتقدم وجملة تأكل الطير: صفة لخبزاً.

مرجع الضمير:

﴿بتأويله﴾: أي بتأويل ما ذكر من الرؤيتين، أو ما رؤي بإجراء الضمير مجرى اسم الإشارة كقوله:

فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق

أي كأن ذلك.

البلاغة:

﴿إني أراني أعصر خمراً﴾: مجاز مرسل علاقته ما يكون سمي العنب خمراً؛ لأنه يئول إلى الخمر.

[٥٤] ﴿... وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾.

مرجع الضمير:

فاعل ﴿كلمه﴾ ضمير الملك، أو ضمير يوسف[1].

[٧٤] ﴿قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾.

(١) البحر ٥: ٣١٩

الإعراب:

الفاء: للفصيحة، ما: اسم استفهام مبتدأ، جزاؤه: خبر، إن: شرطية، كاذبين: خبر كان، وجواب (إن) محذوف دل عليه ما قبله، أي فما جزاء سرقة الصواع أو السارق.

مرجع الضمير:

﴿جزاؤه﴾: الضمير عائد على الصواع، أي فما جزاء سرقته وهو الظاهر لاتحاد الضمائر في قوله: ﴿قالوا جزاؤه من وجد في رحله﴾، أو على السارق[1]، والقائلون هم أصحاب يوسف، أو المنادى منهم وحده[2].

{٧٦} ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه ...﴾.

الإعراب:

﴿قبل﴾: ظرف زمان متعلق بمحذوف حال.

مرجع الضمير:

﴿ثم استخرجها﴾: الضمير عائد على الصواع وهي تذكر وتؤنث أو على السقاية؛ لأن الصواع يحمل معناها، قال أبو عبيدة يؤنث الصواع من حيث يسمى سقاية، ويذكر من حيث هو صواع أو يعود الضمير على السرقة، وفيه نظر؛ لأن السرقة لا تستخرج الإعجاز[3]، قال: من وعاء أخيه، ولم يقل منه على رجع الضمير إلى الوعاء، أو من وعائه على رجعه إلى أخيه قصداً إلى

(١) البحر ٥: ٣٣٠، ٣٣١، المجيد ٢: ق٨٢ب

(٢) فتح القدير: ٣: ٤٣

(٣) الفتوحات: ٢: ٤٧١

زيادة كشف وبيان[1].

{٧٧} ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانًا والله أعلم بما تصفون﴾.

الإعراب:

﴿من قبل﴾: حال، أنتم: مبتدأ، شر: خبر، مكانًا: تمييز.

مرجع الضمير:

﴿فأسرها﴾: إضمار على شريطة التفسير، تفسيره أنتم شر مكانًا، وإنما أنث؛ لأن قوله: أنتم شر مكانًا جملة أو كلمة، فالضمير لما يفهم من الكلام والمقام أي أضمر الحزازة التي حصلت له عليه السلام مما قالوا، كالتفسير في قول حاتم:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

أو أضمر مقالتهم، أو نسبة السرقة إليه فلم يجبهم عنها، وفي قراءة ابن مسعود ﴿فأسره﴾ بالتذكير؛ لأنه يريد القول أو الكلام نحو قوله تعالى: ﴿تلك من أنباء الغيب﴾[2] ﴿ذلك من أنباء الغيب﴾[3]، أو أسر المجازاة، أو الحجة.

﴿ولم يبدها لهم﴾: في الضمير ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الضمير يرجع للكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى - أي قول

---

(١) إرشاد العقل السليم ٤: ٢٩٦

(٢) هود ٤٩.

(٣) آل عمران ٤٤.

يوسف ـ: ﴿أنتم شر مكانًا﴾ روى هذا المعنى الحوفي عن ابن عباس.

الثاني: الضمير يرجع للكلمة التي قالوها في حقه وهي قولهم: فقد سرق أخ له من قبل، وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس، فعلى هذا القول يكون المعنى فأسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقه، ولم يجبهم عليها.

الثالث: أن الضمير يرجع إلى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فأسر يوسف الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم.

قال: أنتم شر مكانًا يعني منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة[1].

[١٠٠] ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا ....﴾.

الإعراب:

﴿سجدًا﴾: جمع ساجد[2]، كشهد جمع شاهد، وهو منصوب على الحال من الواو في ﴿خروا﴾ وهي حال مقدرة.

مرجع الضمير:

﴿له﴾: أي لأجله سجدا لله شكرًا، وقيل الضمير لله تعالى، والواو لأبويه وإخوته، والرفع مؤخر عن الخرور، وإن قدم لفظًا للاهتمام بتعظيمه لهما.

---

(١) الفتوحات ٢: ٤٧٢

(٢) ومعنى السجود أنه كان انحناء على سبيل التحية، ويحتمل، أن يكون، وخروا لله سجدا لأجل يوسف، ويحتمل أن يكون الله أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهى أن إخوة يوسف ربما حملتهم الأنفة والتكبر عن السجود على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جائزا في ذلك الزمان فلما جاء الإسلام نسخت هذه الفعلة والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه الفتوحات: ٢: ٢٨٣.

{١٠٤} ﴿وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين﴾.

مرجع الضمير:

﴿عليه﴾: أي على الإنباء المفهوم من قوله: ﴿ذلك من أنباء الغيب﴾ وهو بمعنى القول أو القرآن، أو لدين الله تعالى، والمعنى: ما تطلب منهم على تبليغه، أو على التبليغ.

{١١٠} ﴿حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾.

مرجع الضمير:

﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾: أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون، أو كذبهم القوم بوعد الإيمان، وقيل الضمير للمرسل إليهم، أي وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد، وقيل الأول للمرسل إليهم والثاني للرسل، أي وظنوا أن الرسل قد كذبوا وأخلفوا فيما وعد لهم من النصر، وخلط الأمر عليهم[١].

(١) البيضاوي ٣٢٦.

[سورة الرعد]

[٢] ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى﴾.

الإعراب:

يجوز أن تكون الباء في ﴿بغير﴾ متعلقة برفع، ويجوز أن تكون متعلقة بترونها، وترونها جملة فعليه، يجوز أن تكون في موضع نصب على الحال من السموات، ويكون المعنى أنه ليس ثم عمد ألبتة، ويجوز أن تكون في موضع جر؛ لأنها صفة لعمد، ويكون المعنى أن ثم عمدا ولكن لا ترى[١].

مرجع الضمير:

في الضمير المنصوب وجهان:

أحدهما: أنه عائد على عمد وهو أقرب مذكور، وحينئذ تكون الجملة في محل جر صفة لعمد.

الثاني: أن الضمير عائد على السموات ثم في هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أنها مستأنفة لا محل لها.

الثاني: أنها في محل نصب على الحال من السموات، والتقدير:

رفعها مرئية لكم، وقرأ أبي ترونه بالتذكير مع مراعاة اللفظ عمد، أو هو اسم جمع، وهذه القراءة رجح بها الزمخشري كون الجملة صفة لعمد[٢].

(١) البيان ٢: ٤٧

(٢) الفتوحات ٢: ٤٨٨

{١٠، ١١} ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾.

مرجع الضمير:

﴿له﴾: مردود على (من) كأنه قيل: لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب، وقيل عائد على الله، أو على الرسول ﷺ، وإن لم يجر له ذكر قريب، والظاهر عوده على (من)[١].

{١٣} ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .... ﴾.

الإعراب:

﴿بحمده﴾: الباء للملابسة في محل نصب على الحال[٢].

مرجع الضمير:

﴿من خيفته﴾: الظاهر عوده على الله تعالى كما عاد عليه في قوله: ﴿بحمده﴾، وقيل يعود على الرعد[٣].

{١٤} ﴿... والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾.

الإعراب:

﴿والذين﴾ اسم موصول، ويدعون: صلته، والعائد من الصلة إلى

(١) البحر: ٥: ٣٧١، المجيد ٢: ٨٩ب

(٢) الفتوحات ٢: ٤٩٥

(٣) الكشاف ٢: ٣٥٣، البحر ٥: ٣٧٥

الموصول محذوف، وتقديره: الذين يدعونهم، كما حذف من قوله تعالى: ﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا﴾[1].

أي تدعونهم، والكاف في ﴿كباسط كفيه﴾ متعلقة بصفة مصدر محذوف، وتقديره الاستجابة كاستجابة باسط كفيه ويجوز أن يجعل الكاف اسما وتقديره الاستجابة مثل استجابة باسط كفيه، ولا يكون في الكاف ضمير، واللام في ﴿ليبلغ فاه﴾ متعلقة بباسط.

مرجع الضمير:

﴿وما هو ببالغه﴾ وماهو أي الماء ببالغه، أي ببالغ فيه أبدا لكونه جمادا لايشعر بعطشه، وبسط يديه إليه، وجوز أبو حيان كون ﴿هو﴾ ضمير الفم، والهاء في﴿بالغه﴾ ضمير الماء أي ومافوه ببالغ الماء، لأنه كلا منهما لا يبلغ الآخر على هذه الحال، وجوز بعضهم كون الأول ضمير ﴿باسط﴾، والثاني ضمير ﴿الماء﴾، والغرض كما قال بعض المحققين نفي الاستجابة على البت بتصوير أنهم أحوج ما يكون إليها لتحصيل مباغيهم أخيب ما يكون أحد في سعيه لما هو مضطر إليه.

البلاغة:

التشبيه الرائع في قوله تعالى: ﴿والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه﴾ وهو تشبيه تمثيلي حيث شبه دعوة الكفار للآلهة مع عدم استجابتها بمن يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه

---

(١) الحج ٧٣

وهو بعيد عـنه ثم يبالغ في الدعوة، ويحمله ذلك الهـوس على الرجاء من الماء أن يستجيب وهو جـماد لايشعر، وقيل شبهوا في قلة جـدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليـشربه، فبسطها ناشرا أصابعـه، فلم تلق كفاه منه شيئا، ولم يبلغ طلبته وشربته كقوله:

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض   على الماء خانته فروج الأصابع

[١٧] ﴿....أنزل من السماء مـاء فسالت أودية بقدرها فاحـتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ....﴾

الإعراب:

﴿في النار﴾ جـار ومجـرور في مـوضع نصب على الحـال من الضـمير المجرور في **﴿عليه﴾** وتقديره: ومما يوقـدون عليه كـائنا، أو مستـقرا في النار (ابتـغـاء حليـة) منصـوب علـى المصـدر في مـوضع الحـال من المضـمـر في **﴿يوقدون﴾** ولا يجوز أن يكون **﴿في النار﴾** متعلقا بيوقدون؛ لأنه ليس المعنى أنهم يوقـدون في النار، وإنما المعنى أنهم يوقـدون على الذهب كـائنًا في النار، وزبد: مبتدأ ومثله وصف له، وفي خبره وجهان:

أحدهما: أن تكون **﴿مما يوقدون﴾** خبره.

والثاني: أن يكون خبره **﴿في النار﴾**(١).

مرجع الضمير:

أي يفعلون الإبقـاء عليه كـائنًا في النار، والضمـيـر للناس أضمـر مع عدم

---

(١) البيان ٢: ٥٠

سبق الذكر لظهوره، وإضماره للعلم به.

{٢٧} ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب﴾.

الإعراب:

﴿من ربه﴾: جار ومجرور صفة **﴿إن الله يضل من يشاء﴾** الجملة في محل نصب مقول القول.

مرجع الضمير:

﴿إليه﴾: الضمير يعود على الله تعالى على حذف مضاف أي إلى دينه وشرعه سبحانه هداية موصلة إليه لا دلالة مطلقة إلى ما يوصل فإن ذلك غير مختص بالمهتدين، وفيه من تشريفهم ما لا يوصف، وقيل الضمير للقرآن، أو للرسول عليه الصلاة والسلام وهو خلاف الظاهر جدًا[١].

{٣٦} ﴿.... قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب﴾.

القراءة والإعراب:

قد اتفق القراء على نصب ولا أشرك به عطفًا على أعبد، وقرأ أبو خليد بالرفع على الاستئناف، وروى هذه القراءة عن نافع[٢].

مرجع الضمير:

(١) البحر ٥: ٣٨٩، روح المعاني ١٣: ١٤٨، البيضاوي ٣٣٠.

(٢) فتح القدير ٣: ٨٧

﴿إليه أدعو﴾: أي إلى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد، أو إلى ما أمرت به من التوحيد، والأولى عود الضمير على الله تعالى(١).

[سورة إبراهيم]

{٤} ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾.

الإعراب:

﴿من رسول﴾: من زائدة (صلة) ورسول: مجرور لفظًا منصوب على المفعولية محلاً، إلا أداة حصر، بلسان قومه: حال أي متلبسًا بلسان قومه، فهو استثناء من أعم الأحوال.

﴿فيضل﴾: الفاء: استئنافية، يضل: مرفوع على الاستئناف، ولا يجوز عطفه على يبين كما يتوهم؛ لأن المعطوف كالمعطوف عليه في المعنى، والرسل أرسلت للبيان لا للإضلال.

مرجع الضمير:

﴿بلسان قومه﴾: أي إلا بلغة قومه الذي هو منهم، وبعث فيهم، وقيل الضمير في قومه لمحمد ﷺ فإن الله أنزل الكتب كلها بالعربية، ثم ترجمها جبريل عليه السلام، أو كل نبي بلغة المنزل عليهم، وذلك يرده قوله ليبين لهم، فإنه ضمير القوم والتوراة والإنجيل ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب(٢).

---

(١) روح المعاني ١٣: ١٦٦

(٢) البيضاوي ٣٣٥

البلاغة:

في جعل اللسان لغة مجاز علاقته السببية؛ لأنه آلة النطق، لأن معنى بلسان قومه: أي بلغة قومه، ووحد اللسان؛ لأن المراد اللغة، كذلك الطباق بين يضل ويهدي.

[٩] ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم...﴾.

مرجع الضمير:

﴿أيديهم﴾ و**﴿أفواههم﴾**: الضمير في أيديهم وأفواههم عائد إلى الكفار، وعلى هذا ففيه احتمالات:

الأول: أن الكفار ردوا أيديهم في أفواههم فعضوها من الغيظ والضجر من شدة نفرتهم عن رؤية الرسل، واستماع كلامهم، ونظيره قوله تعالى: **﴿عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾**[1]، وهذا القول مروي عن ابن عباس، وابن مسعود رحمهما الله تعالى وهو اختيار القاضي.

الثاني: أنهم لما سمعوا كلام الأنبياء عجبوا منه، وضحكوا على سبيل السخرية، فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل ذلك من غلبه الضحك، فوضع يده على فيه.

الثالث: أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم مشيرين بذلك إلى الأنبياء أن

(١) آل عمران ١١٩.

كفوا عن هذا الكلام، واسكتوا عن ذكر هذا الحديث، وهذا مروي عن الكلبي.

الرابع: أنهم أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وإلى ما تكلموا به من قولهم: إنا كفرنا بما أرسلتم به، أي هذا هو الجواب عندنا عما ذكرتموه، وليس عندنا غيره؛ إقنَاطًا لهم من التصديق، ألا ترى إلى قوله: **﴿فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به﴾**.

الوجه الثاني: أن يكون الضميران راجعين إلى الرسل عليهم السلام وفيه وجهان:

الأول: أن الكفار أخذوا أيدي الرسل، ووضعوها على أفواههم؛ ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم.

الثاني: أن الرسل لما أيسوا منهم سكتوا ووضعوا أيدي أنفسهم على أفواه أنفسهم فإن من ذكر كلامًا عند قوم، وأنكروه خافهم، فذلك المتكلم ربما وضع يد نفسه على فم نفسه، وغرضه أن يعرفهم أنه لا يعود إلى ذلك الكلام ألبتة.

الوجه الثالث: أن يكون الضمير في أيديهم يرجع إلى الكفار، وفي الأفواه إلى الرسل وفيه وجهان:

الأول: أن الكفار لما سمعوا وعظ الأنبياء عليهم السلام ونصائحهم وكلامهم أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسل تكذيبًا لهم، وردًا عليهم.

الثاني: أن الكفار وضعوا أيديهم على أفواه الأنبياء عليهم السلام منعًا لهم من الكلام، ومن بالغ في منع غيره من الكلام فقد يفعل به ذلك[1].

---

(١) التفسير الكبير ١٩: ٨٩

وقال أبو حيان والصفاقس:

الضميران عائدان على المرسل إليهم وفي على بابها، وقيل ضمير أفواههم عائد على الرسل، وقيل في بمعنى إلى أي رجعوا بأيديهم إلى أفواههم، وقيل في بمعنى الباء وضمير أيديهم عائد على الرسل، والأيدي بمعنى النعم، وفي أفواههم عائد على المرسل إليهم أي ردوا نعم الأنبياء من المواعظ وغيرها بأفواههم أي بتكذيبهم، قال الفراء؛ وقد وجدنا من العرب من يجعل (في) موضع الباء وأنشد عليه:

وأرغب فيها عن لقيط وأهله ... ولكنني عن سبب لست أرغب

[١٥، ١٦] ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد﴾.

الإعراب:

﴿وخاب﴾: معطوف على مقدر أي اقتصروا وسعدوا وربحوا، وخاب كل جبار عنيد يعني خسر، وقيل: وهلك كل جبار.

﴿من ورائه جهنم﴾: جملة في محل جر صفة لجبار، ويجوز أن تكون الصفة وحدها الجار والمجرور، وجهنم، فاعل به.

مرجع الضمير:

﴿واستفتحوا﴾: في ضميره أقوال:

أحدها: أنه عائد على الرسل الكرام، ومعنى الاستفتاح: الاستنصار كقوله

تعالى: ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾[1]، الثاني: أن يعود على الكفار أي استفتح أمم الرسل عليهم كقوله: ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾[2].

الثالث: عائد على الفريقين؛ لأن كلا طلب النصر على صاحبه، الرابع: يعود على قريش؛ لأنهم في سني الجدب استمطروا، فلم يمطروا، وهو على هذا مستأنف، وأما على غيره من الأقوال فهو عطف على قوله: فأوحى إليهم ربهم.

{١٧} ﴿يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ﴾.

اللغة والإعراب:

﴿يتجرعه﴾: يتكلف جرعه أي ابتلاعه، **﴿يسيغه﴾**: من أساغ الطعام، أو الشراب سهل دخوله في الحلق.

﴿يتجرعه﴾: الجملة صفة لماء، الموت أي أسبابه، **﴿من كل مكان﴾**: جار ومجرور في موضع نصب على الحال، أي تأتيه محيطة به من جميع جهاته.

﴿وما هو بميت﴾: الواو: للحال، ما: نافية حجازية، وهو اسمها والباء: حرف جر زائد، وميت: مجرور لفظًا منصوب محلاً على أنه خبر (ما)، ومن ورائه خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وغليظ صفة لعذاب.

مرجع الضمير:

---

(١) الأنفال ١٩.

(٢) الأنفال ٣٢.

الهاء في ﴿من ورائه﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون عائدة على الكافر، ويكون معنى ﴿من ورائه﴾ أي قدامه كقوله تعالى: ﴿وكان وراءهم ملك﴾[1] أي قدامهم.

الثاني: أن تكون عائدة على العذاب، ويكون المعنى، أن وراء هذا العذاب عذاب غليظ[2].

البلاغة:

في قوله: ﴿يتجرعه ولا يكاد يسيغه﴾ فيها ألوان من البلاغة:

- الاستقصاء وهو أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه أي يأتي بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتية بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالا يقوله، فقد استقصى المعنى الذي أراده في الآية وهو كراهية الصديد الذي يشربه بأنه يتجرعه وفيه احتمالات أولها: أنه مطاوع جرعته بالتشديد نحو علمته فتعلم، وثانيها أنه للتكلف، وأنه دال على المهلة نحو: تفهمته أي يتناوله شيئًا فشيئًا بالجرع كما يتفهم شيئًا فشيئًا بالتفهيم.

رابعها: أنه بمعنى جرعه المجرد، وفي جميع هذه الأحوال استقصى غاية، ما يمكن أن يتناوله شارب الماء.

الثاني: المبالغة في قوله: ﴿ولا يكاد﴾ فدخول فعل يكاد للمبالغة، يعني: ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة؟ كقوله: ﴿لم يكد يراها﴾ أي لم

---

(١) الكهف٧٩

(٢) البيان ٢: ٥٦، مشكل إعراب القرآن المكي ١: ٤٤٦ تحقيق ياسين السواس، دار المأمون دمشق.

يقرب من رؤيتها فكيف يراها.

الثالث: ذكر الموت وأراد أسبابه وهذا مجاز.

الرابع: وصف العــذاب بالغلظة كنـاية عن قـوته واتصـالـه؛ لأن الغلظة تستوجب القوة، وتستدعي أن يكون متـصلاً تتصل به الأزمنة كلها فلا انفصال بينها.

الخامس: الغلو: بذكر كـاد وهو غلو مقبول؛ لأنه مـقترن بالأداة، ويزداد حسنه إذا تضمنه نوعًا حسنًا من التخييل.

السادس: التتـميم وهو ثلاثة: تتميم النقص، وتتـميم الاحتيـاط، وتتميم المبالغة ﴿يتجرعه﴾، ولو قال: جـرعه لما أفاد المـعنى الذي أراده؛ لأن جرع الماء لا يشير إلى معنى الكـراهية فلما أتى بالتاء على صيغة التـفعل أفهم أنه يتكلف شـربه تكلفًا، وأنه يعانـي من جراء شـربه ما لا يأتـي الوصف عليه من تقـزز وكراهية، ثم احتاط للأمر؛ لأنــه قد يوهم بأنه تكلف شربه ثم هان عليه الأمر بعـد ذلك فـأتى بالكيـدودة، أي أنه تكلف شـربه، وهو لا يكاد يشـربه، ولو اكتفى بالكيدودة لصح المعنى دون مبالغة، ولكن عندما جاءت يسيغه أفهم أنه لا يسيغه بل يغص به عندما يشربه.

[٤٦] ﴿وقـد مكروا مكرهم وعند الله مـكرهم وإن كـان مكرهم لتـزول منه الجبال﴾.

مرجع الضمير:

﴿وقد مكروا﴾: إلى ماذا يعود الضمير؟ فيه وجوه:

الأول: أن يكون الضمير عائـدًا إلى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا هو الصحيح؛ لأن الضمير يعود إلى أقرب المذكورات.

الثاني: أن يكون المراد بـه قوم محـمد ﷺ أي وأنذر الناس يا محـمد، وقد مكر قومك مكرهم وذلك المكر هو الذي ذكـره الله تعالى في قوله: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾[1].

قال أبو حيان: الظاهر أن الضمير في مكروا عائد على المخاطبين في قوله: ﴿أو لم تكونوا أقسمتم من قبل﴾، أي مكروا بالشرك بالله، وتكذيب الرسل[2].

(١) الأنفال ٣٠.

(٢) البحر ٥: ٤٣٧

[سورة الحجر]

{٩} ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

مرجع الضمير:

الضمير في قوله: ﴿**له لحافظون**﴾ إلى ماذا يعود؟ فيه قولان:

القول الأول: أنه عائد إلى الذكر يعني: وإنا نحفظ ذلك الذكر من التحريف والزيادة والنقصان، ونظيره قوله تعالى في صفة القرآن: ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾[١].

وقال: ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا**﴾[٢].

القول الثاني: أن الضمير في قوله: ﴿**له**﴾ راجعة إلى محمد ﷺ، والمعنى: وإنا لمحمد لحافظون، وهو قول الفراء، وقوى ابن الأنباري هذا القول فقال: لما ذكر الله الإنزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه فحسنت الكناية عنه؛ لكونه أمرًا معلومًا كما في قوله تعالى: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾[٣]، فإن هذه الكناية عائدة إلى القرآن مع أنه لم يتقدم ذكره، وإنما حسنت الكناية للسبب المعلوم فكذا ها هنا، إلا أن القول الأول أرجح القولين وأحسنهما مشابهة لظاهر التنزيل والله أعلم[٤].

---

(١) فصلت ٤٢.

(٢) النساء ٨٢.

(٣) القدر ١

(٤) التفسير الكبير ١٩: ١٦٠، معاني القرآن للفراء ٢ك٨٥ البيضاوي ٣٤٥

{١٢، ١٣} ﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين﴾.

مرجع الضمير:

﴿نسلكه﴾: الضمير إلى القرآن، وقال ابن عطية: عائد على الاستهزاء والشرك، أو على الذكر المحفوظ.

قال الفخر الرازي: التأويل الصحيح أن الضمير في قوله تعالى: **﴿كذلك نسلكه﴾** أي هكذا نسلك القرآن في قلوب المجرمين والمراد من هذا السلك هو أنه تعالى يسمعهم هذا القرآن، ويخلق في قلوبهم حفظ هذا القرآن، ويخلق فيها العلم بمعانيه، ويبن أنهم لجهلهم، وإصرارهم لا يؤمنون به مع هذه الأحوال عناداً وجهلاً، فكان هذا موجبًا للحوق الذم الشديد بهم، ويدل على صحة هذا التأويل وجهان:

الأول: أن الضمير في قوله: **﴿لا يؤمنون به﴾** عائد إلى القرآن بالإجماع، فوجب أن يكون الضمير في قوله: **﴿كذلك نسلكه﴾** عائدا إليه أيضًا؛ لأنهما ضميران متعاقبان فيجب عودهما إلى شيء واحد.

والثاني: أن قوله: **﴿كذلك﴾** معناه: مثل ما عملنا كذا وكذا نعمل هذا السلك، فيكون هذا تشبيهًا لهذا السلك يعمل آخر ذكره الله تعالى قبل هذه الآية من أعمال نفسه، ولم يجر لعمل من أعمال الله ذكر في سابقة هذه الآية إلا قوله: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾** فوجب أن يكون هذا معطوفًا عليه، ومشبهًا به، ومتى كان الأمر كذلك كان الضمير في قوله: **﴿نسلكه﴾** عائدًا إلى الذكر وهذا تمام تقرير كلام القوم.

والجواب: لا يجـوز أن يكون الضـمير في قـوله: ﴿نسلكه﴾ عائدًا على الذكر، ويدل عليه وجوه:

الوجه الأول: أن قـوله: ﴿كذلك نسلكه﴾ مذكـور بحرف النون، والمراد منه إظهار نهاية التـعظيم والجلالة، ومثل هذا التعظيم إنما يحـسن ذكره إذا فعل فعلاً يظهر له أثر قوي كامل بحيث صـار المنازع والمدافع له مغلوبًا مقهورًا، فأما إذا فعل فعلاً، ولم يظهر له أثر ألبتة صار المنازع والمدافع غالبًا قاهرًا، فإن ذكر اللفظ المشعر بنهاية العظمة والجلالة يكون مستقيمًا في هذا المقام.

والأمر ههنا كذلك؛ لأنه تعـالى سلك سماع القرآن وتحفـيظه وتعليمه في قلب الكافر؛ لأجـل أن يؤمن به، ثم إنه لم يلفت إليه، ولم يؤمن به، فـصار فعل الله تعالى كـالهدر الضائع، وصار الكافر والشـيطان كالغالب الدافع، وإذا كان كذلك كـان ذكر النون المشعر بالعظمـة والجلالة في قوله: ﴿نسلكه﴾ غير لائق بهذا المقام فثبت بهذا التأويل الذي ذكروه فاسد.

والوجه الثاني: أنه لو كان المراد ما ذكروه لوجب أن يقال: (كذلك نسلكه في قلوب المجـرمين ولا يؤمنون به) أي وقع هذا السـعي العظيم فـي تحصـيل إيمانهم لا يؤمنون.

أما لم يذكـر الواو فعلمنـا أن قوله: ﴿لا يؤمنـون به﴾ كالتفسير، والبيان لقوله: ﴿نسلكه في قلوب المجـرمين﴾ وهذا إنما يصح إذا كـان المراد أن نسلك الكفر والضلال في قلوبهم.

والوجـه الثـالث: أن قـوله: ﴿إنا نحـن نزلنا الـذكـر﴾ بعيـد، وقوله: ﴿يستهزئون﴾ قريب، وعـود الضميـر إلى أقرب المذكـورات هو الواجب، أما

قوله: لو كان الضمير في قوله: ﴿نسلكه﴾ عائدًا إلى الاستهزاء لكان في قوله: ﴿لا يؤمنون به﴾ عائدًا إليه وحينئذ يلزم التناقض قلنا: الجواب عنه من وجوه.

الوجه الأول: أن مقتضى الدليل عود الضمير إلى أقرب المذكورات، ولا مانع من اعتبار هذا الدليل في الضمير الأول، وحصل المانع من اعتباره في الضمير الثاني فلا جرم قلنا الضمير الأول عائد إلى الاستهزاء، والضمير الثاني عائد إلى الذكر وتفريق الضمائر المتعاقبة على الأشياء المختلفة ليس بقليل في القرآن، أليس أن الجبائي والكعبي والقاضي قالوا في قوله تعالى:

﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفًا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحًا ...... فتعالى الله عما يشركون﴾[1].

فقالوا هذه الضمائر من أول الآية إلى قوله: **﴿جعلا له شركاء﴾** عائدة إلى آدم وحواء، وأما في قوله: **﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾** عائدة إلى غيرهما فهذا ما اتفقوا عليه في تفاسيرهم، وإذا ثبت هذا ظهر أنه لا يلزم من تعاقب الضمائر عودها إلى شيء واحد بل الأمر فيه موقوف على الدليل فكذا ها هنا والله أعلم.

والوجه الثاني: في الجواب قال بعض الأدباء من أصحابنا قوله: **﴿لا يؤمنون به﴾** تفسير للكتابة في قوله: **﴿نسلكه﴾** والتقدير: كذلك نسلك في قلوب المجرمين ألا يؤمنوا به، والمعنى: نجعل في قلوبهم ألا يؤمنوا به.

والوجه الثالث: وهو أنا بينا بالبراهين العقلية القاهرة أن حصول الإيمان

(١) الأعراف ١٨٩، ١٩٠.

والكفر يمتنع أن يكون بالعبد، وذلك لأن كل أحد إنما يريد الإيمان والصدق، والعلم والحق، وإن أحدًا لا يقصد تحصيل الكفر والجهل والكذب فلما كان كل أحد لا يقصد إلا الإيمان والحق، ثم إنه لا يحصل ذلك، وإنما يحصل الكفر والباطل علمنا أن حصول ذلك الكفر ليس منه[1].

هذا ما أورده الفخر الرازي آثرت أن أذكر كلامه بالنص مع طوله وغاية ما يقال عن أقوال المفسرين أنها تتلخص فيما يأتي:

أن الضمير يعود إلى القرآن، أو الذكر المحفوظ، وقيل إن الضمير في ﴿نسلكه﴾ للاستهزاء، وضمير (به) للذكر وتفريق الضمائر المتعاقبة على الأشياء المختلفة إذا دل الدليل عليه ليس ببدع في القرآن، وجوز على هذا كون الجملة حالاً من المجرمين، ولا يتعين كونها حالاً من الضمير ليتعين رجوعه للذكر، وقيل: إن الضمير في ﴿نسلكه﴾ للاستهزاء المفهوم من يستهزئون فتتعين البيانية إلا أن يجعل ضمير (به) له أيضًا على أن الباء للملابسة أي يسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بملابسة الاستهزاء.

وقد ذهب إلى إرجاع الضميرين إلى الاستهزاء ابن عطية إلا أنه جعل الباء للملابسة.

(١) التفسير الكبير ١٩: ١٦٥.

[١٦، ١٧] ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجًا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾.

الإعراب:

﴿جعلنا﴾: يجوز أن يكون بمعنى خلقنا فيتعلق به الجار، وأن يكون بمعنى صيرنا، فيكون مفعوله الأول بروجًا، ومفعوله الثاني: الجار فيتعلق بمحذوف.

مرجع الضمير:

الظاهر أن الضمير في ﴿وزيناها﴾ عائد على البروج؛ لأنها المحدث عنها، والأقرب في اللفظ، وقيل: على السماء، وهو قول الجمهور حتى لا تختلف الضمائر، ﴿وحفظناها﴾ على السماء.

[١٩] ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾.

الإعراب:

﴿الأرض﴾: نصب على الاشتغال، ولم يقرأ بغيره؛ لأنه أرجح من حيث العطف على جملة فعلية قبلها، وهي قوله: ولقد جعلنا في السماء بروجًا، وقال الشيخ: ولما كانت هذه الجملة بعدها جملة فعلية كان النصب أرجح من الرفع قلت لم يعدوا هذا من القرائن المرجحة للنصب، وإنما عدوا عطفها على جملة فعلية قبلها، لا عطف جملة فعلية عليها ولكنه القياس إذ يعطف فيه فعلية على مثلها بخلاف ما لو رفعت إذ يعطف فعلية على اسمية لكنهم لم يعتبروا ذلك[١].

(١) الفتوحات ٢: ٥٤١

مرجع الضمير:

﴿فيها﴾: الضمير يعود على الأرض، وقيل: يعود على الجبال وقيل عليها وعلى الأرض معًا[1].

ورجوعه إلى الأرض أولى؛ لأن أنواع النبات المنتفع بها إنما تتولد في الأراضي، فأما الفواكه الجبلية فقليلة النفع ومنهم من قال: رجوع ذلك الضمير إلى الجبال أولى، لأن المعادن إنما تتولد في الجبال، والأشياء الموزونة في العرف والعادة هي المعادن لا النبات[2].

وجعله الفراء عائدًا على الجبال، أي أنبتنا في الجبال ﴿من كل شيء موزون﴾ يقول: من الذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد فذلك الموزون[3].

[٣٤] ﴿قال فاخرج منها فإنك رجيم﴾.

مرجع الضمير والإعراب:

الضمير يعود على الجنة، وإن لم يجر لها ذكر، أو من السماء كما قال في آية الأعراف ﴿فاهبط منها﴾.

ويحتمل أن يعود الضمير على جملة الملائكة، وعلى هذا فيكون إبليس من الملائكة، وهو الظاهر من القرآن، ومن كثير من الأحاديث، وانتقده ابن عطية بأن الملائكة معصومون، قاله الأصوليون، وحكى الطبري عن ابن عباس

---

(١) البحر ٥: ٤٥٠

(٢) التفسير الكبير ١٩: ١٧١

(٣) معاني القرآن ٢: ٨٦

أن الله خلق ملائكة فأمرهم بالسجود لآدم فأبوا فأرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم، ورد بثبوت العصمة للملائكة[1].

﴿فاخرج منها﴾: الفاء في جواب شرط مقدر، أي فحيث عصيت وتكبرت فاخرج منها[2].

{٣٩} ﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك﴾.

الإعراب:

﴿بما﴾: الباء للقسم، وما مصدرية وجواب القسم لأزينن لهم: أي أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم في الأرض أي ما داموا في الدنيا[3]، ويجوز أن تكون الباء للسببية ولأزينن: اللام موطئة للقسم.

مرجع الضمير:

﴿لهم﴾: الضمير عائد على غير مذكور، بل على ما يفهم من الكلام وهو ذرية آدم، ولذلك قال في الآية الآخرة: **﴿لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً﴾**[4].

{٧٥} ﴿فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾.

اللغة والإعراب:

---

(١) معترك الأقران ٣:٦٨

(٢) الفتوحات ٢:٥٤٥

(٣) فتح القدير: ٣: ١٣١

(٤) البحر ٥: ٤٥٤

﴿سجيل﴾: الطين المطبوخ بالنار. ﴿عاليها﴾: مفعول أول، ﴿سافلها﴾: مفعول ثان، ﴿من سجيل﴾: صفة.

مرجع الضمير:

الضمير لقرى قوم لوط، عائد على المدينة المتقدمة ولم يتقدم لفظ القرى[1].

{٧٦} ﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾.

مرجع الضمير:

وإن هذه القرى، يعني آثارها[2] عائد على المدينة المهلكة، أو على الآيات، أو على الحجارة، أو الصيحة[3]، وأعاده العلامة أبو السعود على المدينة، أو القرى[4].

{٧٨، ٧٩} ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين، فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين﴾.

اللغة والإعراب:

الأيكة: هي غيضة شجر بقرب المدينة وأصحابها هم قوم شعيب، وفي المختار: الأيك: الشجر الملتف والكثير والواحدة أيكة مثل تمر وتمرة، ويروى أن شجرهم كان دومًا وهو المقل، وأصحاب الأيكة هم قوم شعيب.

---

(١) البحر ٥: ٤٦٣

(٢) الكشاف ٢: ٥٨٦

(٣) البحر ٥: ٤٦٣

(٤) إرشاد العقل السليم ٥: ٨٦

إن: هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن المحذوف أي وإن الشأن كان أصحاب الأيكة.

قال الفراء والزجاج: سمي الطريق إمامًا؛ لأنه يؤتم ويتبع، وقال ابن قتيبة؛ لأن المسافر يأتم به حتى يصل إلى الموضع الذي يريده[1].

مرجع الضمير:

﴿وإنهما﴾: يعني قرى قوم لوط والأيكة، وقيل: الضمير للأيكة ومدين؛ لأن شعيبًا كان مبعوثًا إليهما[2]، والظاهر قول الجمهور من أن الضمير في ﴿وإنهما﴾ عائد على قريتي قوم لوط، وقوم شعيب أي على أنهما ممر السابلة، وقيل يعود على شعيب ولوط أي وإنهما لبطريق من الحق واضح، والإمام: الطريق، وقيل يعود على أصحاب الأيكة ومدين؛ لأنه مرسل إليهما، فدل ذكر أحدهما على الآخر فعاد الضمير إليهما[3]، وقيل: ﴿وإنهما﴾ يعني سدوم والأيكة، وقيل الأيكة ومدين فإنه عليه الصلاة والسلام كان مبعوثًا إليهما فذكر أحدهما منبه على الآخر[4].

{٩٢} ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾.

الإعراب:

الفاء: عاطفة، والواو للقسم، وربك: مجرور بواو القسم وهما متعلقان

---

(١) فتح القدير ٣: ١٤٠

(٢) الكشاف ٢: ٣٩٦

(٣) إرشاد العقل السليم ٥: ٨٧

(٤) التفسير الكبير ١٩: ٢٠٤

بفـعل محـذوف تقديره أقـسم، واللام واقعـة في جواب القـسم، أجمـعين: توكيد.

مرجع الضمير:

﴿لنسألنهم﴾: الضمـير يعـود إلى المقتسـمين الذين جعلوا القـرآن عضين للقرب، ويجوز أن يعود على الجميع من مؤمن وكافر لتقدم ما يشعر بذلك من قوله سبحانه: ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾[1].

---

(١) روح المعاني ١٤:٨٥

[سورة النحل]

[١] ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾.

مرجع الضمير:

﴿فلا تستعجلوه﴾: الظاهر عود الضمير على الأمر؛ لأنه هو المحدث عنه، وقيل يعود إلى الله، أي فلا تستعجلوا الله بالعذاب، أو بيوم القيامة[١]، والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهي الغائب، واستعجالهم، وإن كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة، ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء أريد بأمر الله ما ذكر، أو العذاب الموعود[٢].

البلاغة:

أتى بمعنى يأتي، أقام الماضي مقام المستقبل لتحقيق إثبات الأمر وصدقه، وقد يقام الماضي مقام المستقبل كما يقام المستقبل مقام الماضي. فإقامة الماضي مقام المستقبل كقول الشاعر:

وكنت أُرى كالموت من بين ليلة ... فكيف ببين كان ميعاده الحشر

أي يكون ميعاده الحشر.

وإقامة المستقبل مقام الماضي كقول الشاعر:

وإذا مررت بقبره فانحر له ... كُوم الهجان وكل طرف سابح

---

(١) البحر ٥: ٤٧٢، العكبري ٢: ٤١ المجيد ٢: ١٠٥ب

(٢) إرشاد العقل السليم ٥: ٩٤

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادم وذبائح

أي فلقد كان، وهذا كثير في كلامهم[1].

[٩] ﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين﴾.

اللغة والإعراب:

قصد السبيل: القصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه، جائر: حائد عن الاستقامة وعلى الله قصد: خبر مقدم، ومبتدأ مؤخر، ومنها: خبر مقدم، جائر: صفة لموصوف هو المبتدأ المؤخر، أي سبيل جائر أي حائد عن الاستقامة، ومفعول شاء محذوف والتقدير: ولو شاء هدايتكم.

مرجع الضمير:

﴿منها﴾: إذا كانت (ال) للعهد يكون الضمير عائدًا على السبيل التي يتضمنها معنى الآية، قال ابن عطية: ويحتمل أن يعود على سبيل الشرع، وقيل (ال) للجنس، والضمير يعود على الخلائق[2].

[١٦] ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾.

الإعراب:

وعلامات: منصوب وفي نصبه وجهان:

أحدهما: أن يكون منصوبًا بالعطف على قوله سخر أي سخر الليل والنهار

---

(١) البيان ٢: ٧٤

(٢) البحر ٥: ٤٧٧، تفسير ابن عطية ٥: ٢٢٢

وعلامات.

الثاني: أن يكون منصوبًا بتقدير خلق أي وخلق لكم علامات[1].

مرجع الضمير:

﴿هم يهتدون﴾: الضمير لقريش؛ لأنهم كانوا كثيري الأسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسائرهم بالنجوم وإخراج الكلام عن سنن الخطاب، وتقديم النجم وإقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل: وبالنجم هؤلاء خصوصًا يهتدون فالاعتبار بذلك، والشكر عليه ألزم لهم، وأوجب عليهم[2].

البلاغة:

﴿وبالنجم هم يهتدون﴾: التفات من الخطاب إلى الغيبة والفائدة منه لما كانت الدلالة من النجم أنفع الدلالات وأوضحها في البر والبحر نبه على عظمها بالالتفات إلى مقام الغيبة لإفهام العموم، ولئلا يظن أن المخاطب مخصوص بذلك، وزاد التأكيد بتقديم الجار والمجرور كأنما يشير من طرف خفي إلى أن دلالة غير النجم ضئيلة لا يؤبه لها.

{٢١} ﴿أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون﴾.

الإعراب:

﴿أيان يبعثون﴾: استفهام عن الزمان بمعنى (متى) وأيان، مبني لتضمنه معنى الحرف، وهو: همزة الاستفهام، وبني على حركة لالتقاء الساكنين،

(١) البيان ٢: ٧٦

(٢) البيضاوي : ٣٥٣

وكانت الحركة فتحة؛ لأنها أخف الحركات.

مرجع الضمير:

﴿وما يشعرون﴾: الضمير عائد إلى الأصنام، وأما في ﴿يبعثون﴾ ففيه قولان:

أحدهما: أنه عائد إلى العابدين للأصنام يعني أن الأصنام لا يشعرون متى تبعث عبدتهم، وفيه تهكم بالمشركين، وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم.

الثاني: أنه عائد إلى الأصنام يعني أن هذه الأصنام لا تعرف متى يبعثها الله تعالى قال ابن عباس: إن الله يبعث الأصنام ولها أرواح، ومعها شياطينها فيؤمر بها إلى النار، فإن قيل الأصنام جمادات، والجمادات لا توصف بأنها أموات، ولا توصف بأنهم لا يشعرون كذا وكذا، والجواب عنه من وجوه:

الأول: أن الجماد قد يوصف بكونه ميتًا قال تعالى: ﴿يخرج الحي من الميت﴾.

الثاني: أن القوم لما وصفوا تلك الأصنام بالإلهية والعبودية قيل لهم: ليس الأمر كذلك؛ بل هي أموات ولا يعرفون شيئًا، فنزلت هذه العبارات على وفق معتقدهم.

والثالث: أن يكون المراد بقوله: ﴿والذين يدعون من دون الله﴾ الملائكة، وكان ناس من الكفار يعبدونهم فقال الله إنهم أموات لابد لهم من الموت غير أحياء، أي غير باقية حياتهم ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ أي لا علم لهم بوقت

بعثهم والله أعلم[1].

{٣٤} ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾.

مرجع الضمير:

﴿به﴾: الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام وإن لم يذكره، والمراد أحاط بهم جزاء استهزائهم بالرسول ﷺ، أو موصولة عامة للرسول عليه الصلاة والسلام وغيره، وضمير (به) عائد عليها، والمعنى على الجزاء أيضًا ولا يخفى ما فيه[2].

{٤١} ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾.

الإعراب:

﴿لنبوئنهم﴾: اللام: موطئة للقسم، وجملة نبوئنهم: خبر الذين، وفي الدنيا: حال، وحسنة: صفة لمصدر محذوف أي تبوئة حسنة فهي نائب مفعول مطلق، ولك أن تعربها مفعولاً ثانيًا لنبوئنهم لتضمن معناه نعطينهم فتكون صفة لمحذوف أي دارًا حسنة.

مرجع الضمير:

﴿لنبوئنهم﴾: هم رسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وبعضهم إلى المدينة، والمحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة الرسول ﷺ وهم بلال وصهيب وخباب وعمار

(١) التفسير الكبير ٢٠: ١٦

(٢) روح المعاني ١٤: ١٣٥

وعابس وأبو جندل وسبيل ﷺ.

﴿لو كانوا يعلمون﴾: الضمير للكفار أي لو علموا أن الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين، وقيل: للمهاجرين أي لو علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد، أو لما تألموا لما أصابهم من المهاجرة وشدائدها.

[٥٦] ﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيبًا مما رزقناهم .... ﴾.

مرجع الضمير:

﴿لما لا يعلمون﴾: الضمير إما أن يعود إلى المشركين المذكورين في قوله: ﴿إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ والمعنى أن المشركين لا يعلمون.

والثاني: أنه عائد إلى الأصنام أي لا يعلم الأصنام ما يفعل عبادها قال بعضهم: الأول أولى لوجوه:

١ـ أن نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز.

٢ـ أن الضمير في قوله: ﴿ويجعلون﴾ عائد إلى المشركين، فكذلك في قوله: ﴿لما لا يعلمون﴾ يجب أن يكون عائدًا إليهم.

٣ـ أن قوله: ﴿لا يعلمون﴾ جمع بالواو والنون، وهو بالعقلاء أليق منه بالأصنام التي هي جمادات، ومنهم من قال بل القول الثاني أولى لوجوه:

أ ـ أنا إذا قلنا إنه عائد إلى المشركين افتقرنا إلى إضمار فإن التقدير: ويجعلون لما لا يعلمون كونه نافعًا ضارًا، وإذا قلنا إنه عائد إلى الأصنام لم نفتقر إلى الإضمار؛ لأن التقدير: ويجعلون لما لا علم لها ولا فهم.

ب ـ أنه لو كان العلم مضافًا إلى المشركين لفسد المعنى؛ لأن من المحال أن يجعلوا نصيبًا من رزقهم لما لا يعلمونه، فهذا ما قيل في ترجيح أحد القولين على الآخر. ثم قال الفخر الرازي: إذا قلنا بالقول الأول افتقرنا فيه إلى الإضمار، وذلك يحتمل وجوهًا:

أحدها: ويجعلون لما لا يعلمون له حقًا، ولا يعلمون من طاعته نفعًا، ولا في الإعراض عنه ضرارًا. قال مجاهد: يعلمون أن الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه ينفعهم ويضرهم نصيبًا.

وثانيها: ويجعلون لما لا يعلمون إلهيتها.

وثالثها: ويجعلون لما لا السبب في صيرورتها معبودة.

ورابعها: المراد استحقار الأصنام حتى كأنها لقلتها لا تعلم(1).

[61] ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى .... ﴾.

الإعراب:

﴿من دابة﴾: من: حرف جر زائد، (صلة)، دابة مجرور لفظًا منصوب محلاً لأنه مفعول به.

مرجع الضمير:

﴿عليها﴾: أي على ظهر الأرض، ودل على أنه الأرض قوله: **﴿من دابة﴾**؛ لأن الدبيب من الناس لا يكون إلا في الأرض، فهو كقوله: **﴿فأثرن به**

(1) التفسير الكبير ٢٠:٥٣

نقعًا﴾ أي بالمكان[1].

{٦٣} ﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم﴾.

مرجع الضمير:

﴿فهو وليهم اليوم﴾: أي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها، أو فهو وليهم حين كان يزين لهم، أو يوم القيامة على أنه حكاية حال ماضية، أو آتية، ويجوز أن يكون الضمير لقريش أي زين الشيطان للكفرة المتقدمين أعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغرهم ويغويهم، وأن يقدر مضاف أي فهو ولي أمثالهم[2].

{٦٦} ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين﴾.

مرجع الضمير:

ذكر سيبويه الأنعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة على (أفعال) ولذلك رجع الضمير إليه مفردًا، وأما ﴿في بطونها﴾ في سورة المؤمنين فلأن معناه الجمع، ويجوز أن يقال: في الأنعام وجهان:

أحدهما: أن يكون تكسير (نعم) كجبل وأجبال، وأن يكون اسمًا مفردًا مقتضيًا لمعنى الجمع كنعم، فإذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله:

---

(١) البحر ٥: ٥٠٦، الكشاف ٢: ٤١٥

(٢) البيضاوي ٣٥٩

في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه

وإذا أنث ففيه وجهان: أنه تكسير نعم، وأنه في معنى الجمع وذكر الفخر الرازي أن الضمير عائد على الأنعام فكان الواجب أن يقال مما في بطونها، وذكر النحويون فيه وجوهًا:

الأول: أن لفظ الأنعام لفظ مفرد وضع لإفادة جمع، كالرهط والقوم والبقر والنعم، فهو بحسب اللفظ لفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو التذكير، وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو التأنيث. فلهذا السبب قال ها هنا في بطونه، وقال في سورة المؤمنين **﴿في بطونها﴾**.

الثاني قوله: **﴿في بطونه﴾** أي في بطون ما ذكرنا وهذا جواب الكسائي.

قال المبرد: هذا شائع في القرآن قال تعالى: **﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي﴾**[1].

يعني هذا الشيء الطالع ربي وقال: **﴿إن هذه تذكرة فمن شاء ذكره﴾**[2]. أي ذكر هذا الشيء.

واعلم أن هذا إنما يجوز فيما يكون تأنيثه غير حقيقي، أما الذي يكون تأنيثه حقيقيًا، فلا يجوز فإنه لا يجوز في مستقيم الكلام أن يقال: جاريتك ذهب، ولا غلامك ذهبت على تقدير أن نحمله على النسمة.

الثالث: أن فيه إضمارًا، والتقدير: نسقيكم مما في بطونه اللبن إذ ليس

(١) الأنعام ٧٨

(٢) عبس ١٢

كلها ذات لبن[1].

{٦٧} ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقًا حسنًا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾.

اللغة والإعراب:

﴿سكراً﴾: السكر بفتحتين الخمر سميت بالمصدر من سكر سكَرا وسكْرا، نحو: رشد رشداً ورُشداً.

﴿ومن ثمرات﴾: خبر مقدم، وجملة تتخذون صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ المؤخر أي ثمر.

مرجع الضمير:

﴿منه﴾: يرجع إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير، أو على معنى الثمرات، وهو الثمر، أو على النخل، أو على الجنس، وقال ابن الأنباري: الضمير يعود على موصوف محذوف وتقديره: ما تتخذون منه[2].

{٦٩} ﴿ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾.

الإعراب:

﴿مختلف﴾: صفة لشراب، وألوانه: فاعل لاسم الفاعل فيه: خبر مقدم، شفاء مبتدأ مؤخر، وللناس: جار ومجرور متعلقان بشفاء، والجملة صفة ثانية لشراب.

---

(١) التفسير الكبير ٢٠: ٦٤

(٢) البيان ٢: ٨٠

مرجع الضمير:

﴿فيه﴾: الضمير للعسل، وقيل القرآن، أي فيه بيان الحلال والحرام[1].

قال أبو بكر بن العربي: سياق الكلام كله للعسل، وليس للقرآن فيه ذكر[2].

وذكر الفخر الرازي قولين:

أحدهما: وهو الصحيح أنه صفة للعسل فإن قيل كيف يكون شفاء وهو يضر بالصفراء، ويهيج المرارة قلنا إنه تعالى: لم يقل: إنه شفاء لكل الناس، ولكل داء، وفي كل حال، بل لما كان شفاء للبعض، ومن بعض الأدواء صلح بأن يوصف بأنه فيه شفاء.

والقول الثاني: وهو قول مجاهد أن المراد أن القرآن شفاء للناس، وعلى هذا التقدير فقصة تولد العسل من النحل تمت عند قوله: يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه، ثم ابتدأ وقال: فيه شفاء للناس أي في هذا القرآن حصل ما هو شفاء للناس من الكفر والبدعة وعن ابن مسعود: أن العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور، واعلم أن هذا القول ضعيف ويدل عليه وجهان:

الأول: أن الضمير في قوله: ﴿فيه شفاء للناس﴾ يجب عوده إلى أقرب المذكورات وهو قوله: ﴿شراب مختلف ألوانه﴾، والثاني: ما روى أبو سعيد

(١) معاني القرآن للفراء ٢: ١٠٩

(٢) البحر ٥: ٥١٣ العكبري ٢:٤٤، الكشاف ٢: ٤١٨ المجيد ٢: ١١١ب

الخـدري: أنه جاء رجل إلـى رسول الله ﷺ وقـال: إن أخي يشـتكي بطنه فقال: «اسـقه عسلاً»، فذهب ثم رجع فقـال: قد سقيتـه فلم يغن عنه شيئًا، فقال عليه الصلاة والسلام: «اذهب واسقه عسلاً»، فذهب فسقاه، فكأنما نشط من عقال، فقال: «صـدق الله وكذب بطن أخيك»، وحملوا ذلك على قوله: ﴿فيه شفاء للناس﴾ وذلك إنما يصح لو كان هذا صفة للعسل[1].

البلاغة:

﴿يخـرج من بطونها شـراب مخـتلف ألوانه﴾ إلى آخـر الآية التفـات من الخطاب إلى الغيبة، ولـو جاء الكلام على النسق الأول لقيل من بطونك، وإنما صرف الكلام ها هنا من الخطاب إلى الغـيبة لفائدة وهي أنه ذكر للبـشر العسل وأوصافه وألوانه المختلفة وأخبرهم أن فيه فوائد شتى لهم ليلفت انتباههم إليه، ولو قال من بطونك لذهبت تلك الفـائدة التي أنتجها خطاب الغـيبة وليس ذلك بخاف عن نقده الكلام[2].

ونكر قـوله: ﴿فيـه شفـاء﴾ ولم يقل فـيـه الشـفـاء لكل الناس فـاندفع الاعتراض بأن كثيرين يأكلون العـسل ولا يشفون مما ألم بهم فيلاحظ أن النكرة في سياق الإثبات لا تفيد العموم.

---

(١) التفسير الكبير ٢٠: ٧٣ بتصرف

(٢) إعراب القرآن وبيانه ٥: ٣٣٢.

{٧٥} ﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكًا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقًا حسنًا فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾.

الإعراب:

﴿ومن رزقناه منا رزقًا حسنًا﴾: رزق: فعل يتعدى إلى مفعولين الأول منهما الهاء في ﴿رزقناه﴾ والثاني رزقًا.

ولا يجوز أن يكون مصدراً؛ لأنه قال: فهو ينفق منه سراً وجهراً، والإنفاق: إنما يكون من الأعيان لا الأحداث(١).

مرجع الضمير:

إنما جمع الضمير في يستوون، وإن تقدمه اثنان؛ لأن المراد جنس العبيد والأحرار المدلول عليهما بعبد، أو بمن رزقناه، وقيل على الأغنياء والفقراء المدلول عليهما بهما أيضًا اعتباراً بمعنى من فإن معناها جمع فراعى معناها بعد أن راعى لفظها(٢).

{٩٢} ﴿.... أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به .... ﴾.

مرجع الضمير:

﴿به﴾: الضمير يعود إلى ﴿أن تكون أمة﴾؛ لأنه مصدر، وقيل على الوفاء بالعهد، وقيل على الكثرة وهي تأويل ﴿أربى﴾ قال ابن الأنباري:

---

(١) البيان ٢: ٨٢

(٢) الفتوحات ٢: ٥٨٧

لما كان تأنيثها غير حقيقي حمل على معنى التذكير كما حملت الصيحة على الصياح فالضمير إما أن يعود على المصدر المنسبك من ﴿أن تكون﴾، أو على المصدر المنفهم من ﴿أربى﴾ وهو الربو بمعنى الزيادة أو للأمر بالوفاء المدلول عليه بقوله تعالى: وأوفوا إلخ، ولا حاجة إلى جعله متفهمًا من النهي عن العذر بالعهد، واختار بعضهم الأول؛ لأنه أسرع تبادرًا أي يعاملكم معاملة المختبر بذلك الكون لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله تعالى وبيعة رسوله عليه الصلاة والسلام أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم، وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال.

[٩٧] ﴿من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.

الإعراب:

﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، عمل: فعل الشرط في محل جزم، ﴿من ذكر﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل عمل، وهو مؤمن: الواو حالية والجملة في محل نصب حال.

﴿فلنحيينه﴾: الفاء واقعة في جواب الشرط، اللام: موطئة للقسم ونحيينه مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، والهاء: مفعول به، حياة: مفعول مطلق، طيبة: صفة، وفعل الشرط وجوابه خبر المبتدأ، ويجوز أن تكون (من) اسمًا موصولاً والفاء الداخلة لما في الموصوف من رائحة الشرط فتكون جملة فلنحيينه خبره.

مرجع الضمير:

﴿ولنجزينهم﴾: راعى معنى من فجمع الضمير بعد أن راعى لفظها فأفرد في فلنحيينه وما قبله وقرأ العامة ولنجزينهم بنون العظمة مراعاة لما قبله، وقرأ ابن عامر في رواية بياء الغيبة وهذا ينبغي أن يكون على إضمار قسم ثان، فيكون من عطف جملة قسمية على قسمية مثلها حذفتا، وبقي جواباهما.

البلاغة:

في الآية الكريمة فنون بلاغية شتى أبرزها التتميم، وقد تقدم القول فيه، وتكرر في هذه الآية مرتين الأولى في قوله من ذكر أو أنثى؛ لأن من الشرطية أو الموصولية تفيد العموم فكان لابد من تتميمها بذلك للتأكيد، وإزالة لوهم التخصيص جريًا على معتقدات العرب القديمة في تفضيل الذكر على الأنثى وإيثاره بكل ما هو خير.

والثانية: في قوله: ﴿وهو مؤمن﴾، والمقصود من هذا التتميم والحياة الطيبة التي ينالها من هو بهذه المثابة، قال الزمخشري[1]: وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسرًا كان أو معسرًا يعيش عيشًا طيبًا إن كان موسرًا فلا مقال فيه، وإن كان معسرًا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله، وأما الفاجر فأمره على العكس إن كان معسرًا فلا إشكال في أمره على حد قول أبي دلامة:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا   وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

وإن كان موسرًا فالحرص لا يدعه أن يهنأ بعيشه.

(١) الكشاف ٢: ٤٢٥

{١٠٠} ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾.

مرجع الضمير:

﴿سلطانه﴾: الهاء تعود على الشيطان، والضمير في (به) يعود إلى الله تعالى، أو على الشيطان وهو الظاهر لاتفاق الضمير، فإن عاد على الله أي هم بإشراكهم إبليس مشركون بالله تعالى، أو على إبليس، والباء سببية أي بسببه مشركون[١]، وهو مما جاء في التنزيل من ضميرين مختلفين كقوله تعالى: ﴿الشيطان سول لهم وأملى لهم﴾ فالضمير في سول للشيطان، وفي (أملى) لله تعالى كقوله تعالى: ﴿إنما نملي لهم﴾[٢].

{١١٢} ﴿..... فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾.

مرجع الضمير:

﴿يصنعون﴾: عائد على المحذوف المضاف إلى قرية أي قصة أهل القرية، وما قبله عائد على لفظها.

{١١٩} ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾.

الإعراب:

﴿بجهالة﴾: في موضع الحال من فاعل عملوا أي جاهلين غير عارفين بالله تعالى، وبعقابه أي غير مقدرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم[٣].

(١) المجيد ٢: ١١٣ب

(٢) آل عمران ١٧٨

(٣) الفتوحات ٢: ٦٠٣

مرجع الضمير:

﴿بعدها﴾: الضمير عائد على المصادر المفهومة من الأفعال السابقة أي من بعد الفتنة والهجرة والجهاد والصبر، وقيل يعود على الجهالة، وقيل على السوء بمعنى المعصية.

قال الألوسي بعد ذكر أبي حيان: وقيل على السوء على معنى المعصية وليس بذاك.

{١٢٦} ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾.

الإعراب:

﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾: اللام موطئة للقسم، وإن شرطية وصبرتم في محل جزم فعل الشرط، واللام واقعة في جواب القسم لتقدمه هو: مبتدأ، خير: خبر للصابرين متعلقان بخير.

مرجع الضمير:

﴿هو﴾: يعود على المصدر الدال عليه الفعل أي صبركم[1]، قال أبو البقاء: أو للعفو، وقد دل على المصدر الكلام المتقدم.

{١٢٧} ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾.

القراءة والإعراب:

(١) البحر ٥: ٥٤٩

﴿في ضيق﴾: قرئ بفتح الضاد وكسرها، والضيق بالفتح المصدر، والضيق بالكسر الاسم، وقيل: أصل الضيْق الضيِّق إلا أنه خفف كما خفف سيد وهين وميت فقيل: سيد وهين وميت، وقيل الضيق بالفتح في القلب والصدر، والضيق بالكسر في الثوب والدار، والقراءة بالكسر تدل على خلاف هذا القول[١].

مرجع الضمير:

﴿ولا تحزن عليهم﴾: أي على الكافرين، أو على المؤمنين وما فعل بهم[٢].

(١) البيان ٢: ٨٥

(٢) البضاوي :٣٦٩

[سورة الإسراء]

{٢} ﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلاً﴾.

الإعراب والقراءة:

موسى: مفعول أول، والكتاب: مفعول به ثان، هدى: مفعول به ثان.

﴿تتخذوا﴾: قرئ بالتاء والياء، فمن قرأ بالتاء فتقديره: قلنا لهم لا تتخذوا فَحذَف، وحذف القول كثير في كلامهم، وتكون (أن) على هذا زائدة، ويجوز أن تجعل (أن) بمعنى أي فيكون تقديره: وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا: أي لا تتخذوا فيكون ﴿ألا تتخذوا﴾ تفسيراً لهدى، ولا يمتنع أن يكون التقدير وجعلناه هدى لبني إسرائيل بألا تتخذوا، ومن قرأ بالياء فالمعنى: جعلناه لهم هدى لئلا يتخذوا وكيلاً من دوني[1].

مرجع الضمير:

﴿وجعلناه﴾: الضمير للكتاب، ويحتمل أن يعود إلى موسى.

{٣} ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً﴾.

الإعراب:

﴿ذرية﴾: تقرأ بالنصب والرفع، فالنصب من أربعة أوجه:

الأول: أن يكون منصوبًا على البدل من قوله: ﴿وكيلاً﴾.

---

(١) البيان ٢: ٨٦

الثاني: أن يكون منصوبًا على النداء في قراءة من قرأ بالتاء.

الثالث: أن يكون منصوبًا؛ لأنه مفعول أول (لتتخذوا) و (وكيلاً) المفعول الثاني.

الرابع: أن يكون منصوبًا بتقدير أعني.

وأما الرفع فعلى البدل من الواو في ﴿ألا تتخذوا﴾.

مرجع الضمير:

﴿إنه﴾: عائد على نوح، وقيل على موسى عليهما السلام[1].

[٥] ﴿ .... فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً﴾.

الإعراب:

خلال: منصوب؛ لأنه ظرف مكان، والعامل فيه جاسوا، وقرئ حاسوا بالحاء، وجاسوا وداسوا بمعنى واحد[2].

مرجع الضمير:

﴿كان﴾: الضمير عائد على وعد أولاهما، وقيل على الجوس قال الزمخشري: وكان وعد العقاب وعدًا لابد أن يفعل[3].

[٧] ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة

---

(١) المجيد ٢: ١١٥ب

(٢) البيان ٢: ٨٧

(٣) الكشاف ٢: ٤٣٩

ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾.

اللغة والإعراب:

التتبير: الهلاك.

﴿كما دخلوه﴾: كما: منصوب على المصدرية أي دخولاً مثل دخولهم وأول مرة: نصب على الظرفية، ما: مفعول به ليتبروا أي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه.

مرجع الضمير:

أي ليجعلوها بادية آثارا لمساءة فيها فحذف لدلالة ذكره أولاً عليه، وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر ليسوء على التوحيد، والضمير فيه للوعد أو البعث، أو لله، ويعضده قراءة الكسائي بالنون، وقرئ ليسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة وليسوءن بفتح اللام على الأوجه الأربعة على أنه جواب إذا.

[١٣] ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورا﴾.

الإعراب:

﴿كل إنسان﴾: نصب على الاشتغال، وألزمناه: فعل وفاعل ومفعول به، وطائره: مفعول به ثان، وفي عنقه: حال أي كائنًا، يلقاه: صفة لكتابًا، ومنشورًا: إما صفة ثانية لكتابًا، وإما حال.

مرجع الضمير:

﴿ونخرج له﴾: بنون العظمة، وقد قرئ بالياء مبنيًا للفاعل على أن الضمير لله عز وجل، وللمفعول والضمير للطائر كما في قراءة يخرج من الخروج[(١)].

[٣٣] ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً﴾.

الإعراب:

﴿بالحق﴾: الباء للسببية والجار والمجرور متعلق بتقتلوا، أو بمحذوف حال من فاعل تقتلوا فهي للملابسة أي ملتبسين بالحق.

مرجع الضمير:

﴿فلا يسرف﴾: أي القاتل في القتل بأن يقتل من لا يستحق قتله، فإن العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك، أو المولى، ويؤيد الأول قراءة أبي فلا تسرفوا، وقراءة حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب أحدهما.

﴿إنه﴾: الضمير إما للولي يعني حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص، فلا يستزد على ذلك، وبأن الله قد نصره بمعونة السلطان وبإظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه، وإما للمظلوم؛ لأن الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله، وينصره في الآخرة بالثواب.

وأما الذي يقتله الولي بغير حق، ويسرف في قتله، فإنه منصور بإيجاب القصاص على المسرف الضمير يعود على الولي لتناسق الضمائر، وقيل على المقتول[(٢)].

(١) إرشاد العقل السليم ٥: ١٦١

(٢) البحر ٦: ٣٤، العكبري ٢: ٤٨

قال ابن الأنباري[1]: فيه ثلاثة أوجه: يعود على القتل، أو الولي، أو المقتول.

[٣٦] ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾.

اللغة والإعراب:

﴿ولا تقف﴾: قفا الشيء أو الأثر تبعه، واقتفاه: تبعه، والقفا: مؤخر العنق (يذكر ويؤنث) وقد يمد والجمع أقفاء وقُفيّ، وقفا كل شيء خلفه، ولا أفعله قفا الدهر أبداً.

﴿ولا تقف﴾: تقف: مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة، **﴿لك﴾**: خبر ليس المقدم، و**﴿به﴾**: متعلق بمحذوف حال.

مرجع الضمير:

﴿كان عنه مسئولاً﴾: في ثلاثتها ضمير كل، أي كان كل واحد منها مسئولاً عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه، ويجوز أن يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف، أو لصاحب السمع والبصر، وقيل مسئولاً مسند إلى عنه كقوله تعالى: ﴿غير المغضوب عليهم﴾، أي كل واحد من الحواس الثلاثة كان عنه مسئولاً صاحبه في الآخرة، فالضمير في (عنه) لصاحب هذه الجوارح لدلالتها عليه وهو اختيار صاحب الكشاف، ومن المعلوم أن السؤال لا يصح إلا للعاقل، وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل الفاهم هو الإنسان، فهو كقوله:

(١) البيان ٢: ٩٠

﴿واسأل القرية﴾، والمراد أهلها وهو من الالتفات إذ لو جرى على ما تقدم لقيل: كنت عنه مسئولاً، والمعنى أنه يقال للإنسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه، ولم نظرت ما لا يحل لك نظره، ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه، أو كان عن نفسه أي عما فعل به صاحبه مسئولاً، وعليه جرى القاضي، والمعنى: أن هذه الأعضاء تسأل مجازًا توبيخًا لأصحابها؛ لأنها حواس لها إدراك وجعلها في هذه الآية مسئولة فهي حالة من يعقل، ولذلك عبر عنها بكناية من يعقل كما وهذا أبلغ مما قبله[1].

[٦٠] ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانًا كبيرًا﴾.

الإعراب والمرجع:

الشجرة: منصوبة بالعطف على (الرؤيا) وهي مفعول أول لجعلنا، والثاني: فتنة، والشجرة: مفعول أول، والمفعول الثاني محذوف، وتقديره: وما جعلنا الشجرة الملعونة إلا فتنة إلا أنه حذف لدلالة المفعول الثاني بجعلنا: المنطوق به في الأول عليه، ونظائره كثيرة في كلامهم.

﴿ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانًا كبيرًا﴾

﴿يزيدهم﴾: فاعله مقدر، وتقديره: فما يزيدهم التخويف (وقدَّر) التخويف لدلالة نخوفهم عليه كقولهم: من كذب كان شرًا له أي كان الكذب شرًا له، وطغيانًا: منصوب؛ لأنه مفعول ثان (ليزيدهم) لأنه يتعدى إلى

(١) الفتوحات ٢: ٦٢٥

مفعولين[1]. والضمير يعود إلى التخويف كما سبق.

[٦٩] ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفًا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعًا﴾.

الإعراب:

﴿بما كفرتم﴾: يجوز أن تكون مصدرية، وأن تكون بمعنى الذي والباء للسببية أي بسبب كفركم، أو بسبب الذي كفرتم به، ثم اتسع فيه فحذف الباء، فوصل الفعل إلى الضمير، وإنما احتيج إلى ذلك لاختلاف المتعلق.

﴿به تبيعًا﴾: يجوز في (به) أن يتعلق بتجدوا، وأن يتعلق بتبيعًا، وأن يتعلق بمحذوف؛ لأنه حال من تبيعًا، والتبيع: المطالب بحق الملازم للطلب.

مرجع الضمير:

الضمير في (به) عائد على المصدر الدال عليه **﴿فيغرقكم﴾** إذ هو أقرب مذكور، وهو نتيجة الإرسال، وقيل عائد على الإرسال، وقيل: عائد عليهما فيكون كاسم الإشارة[2].

[٧٨، ٧٩] ﴿..... وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا، ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾.

اللغة والإعراب:

﴿فتهجد﴾: الهجود: ترك النوم للصلاة، وفيه خلاف بين أهل اللغة،

---

(١) البيان ٢: ٩٤

(٢) البحر ٦: ٦٠، المجيد ٢: ١٢١ب، روح المعاني ١٥: ١١٧

فقيل: هو النوم، وقيل: الهجود مشترك بين النائم والمصلي، وفي القاموس والتاج: الهجود: النوم بالنهار، والهجوع: النوم بالليل، والتهجد: صلاة الليل، ﴿نافلة﴾: زائدة، و﴿قرآن الفجر﴾: فيه أوجه:

أحدها: أنه عطف على الصلاة، أي وأقم قرآن الفجر، والمراد به صلاة الصبح عبر عنها ببعض أركانها.

والثاني: أنه منصوب على الإغراء أي وعليك قرآن الفجر كذا قدره الأخفش وتبعه أبو البقاء، وأصول البصريين تأبى هذا؛ لأن أسماء الأفعال لا تعمل مضمرة، الثالث: أنه منصوب بإضمار فعل أي أقم قرآن، أو الزم قرآن الفجر.

﴿من الليل﴾: فيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلق بتهجد أي تهجد بالقرآن بعض الليل، والثاني أنه متعلق بمحذوف تقديره: وقم قومة من الليل أي فتهجد أو اسهر من الليل فتهجد ذكرهما الحوفي(١).

مرجع الضمير:

الظاهر أن الضمير في (به) يعود على القرآن لتقدمه في الذكر، ولا تلحظ الإضافة فيه، والتقدير: فتهجد بالقرآن في الصلاة، وقال ابن عطية: عائد على وقت المقدر(٢).

---

(١) الفتوحات ٢: ٦٤٢

(٢) البحر ٦: ٧١، الجمل ٢: ٦٣٤

[١٠٥] ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾.

الإعراب:

﴿وبالحق﴾: يجوز أن تكون الباء للملابسة والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال، أو متعلق بنزل، والباء سببية.

﴿إلا مبشراً﴾: إلا أداة حصر، مبشراً: حال، ونذيراً: معطوف عليه.

مرجع الضمير:

﴿أنزلناه﴾: الضمير الظاهر عوده للقرآن إما الملفوظ به في قوله قبل ذلك على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ويكون ذلك جريًا على قاعدة أساليب كلامهم، وهو أن يستطرد المتكلم بذكر شيء لم يسق له كلامه أولاً، ثم يعود إلى كلامه الأول، وإما للقرآن غير الملفوظ أولاً لدلالة الحال عليه كقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾، وقيل يعود على موسى، وقيل على الوعد، وقيل على الآيات التسع، وذكر الضمير، وأفرده حملاً على معنى الدليل والبرهان، وقوله: ﴿بالحق نزل﴾ فيه: الوجهان الأولان دون الثالث لعدم ضمير آخر غير ضمير القرآن، وفي هذه الجملة وجهان:

احدهما: أنها للتأكيد وذلك أنه يقال: أنزلته فنزل، وأنزلته فلم ينزل فجئ بقوله: ﴿وبالحق نزل﴾ دفعًا لهذا الوهم، وقيل: ليست للتأكيد والمغايرة تحصل بالتغاير بين الحقين، فالحق الأول: التوحيد، والثاني: الوعد والوعيد والأمر والنهي، وقال الزمخشري: وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله، وما نزل إلا ملتبسًا بالحق والحكمة؛ لاشتماله على الهداية إلى كل خير، أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظًا بالرصد من الملائكة، وما نزل على الرسول

إلا محفوظًا بهم من تخليط الشياطين[1].

البلاغة:

﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾: فلو ترك الإظهار إلى الإضمار كما يقتضي السياق فقيل: وبالحق أنزلناه وبه نزل لم يكن فيه من الفخامة ما فيه الآن.

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾: فيه قصر إضافي، والقصر هو: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، وينقسم إلى حقيقي وإضافي.

فالحقيقي: ما كان الاختصاص فيه بحسب الواقع والحقيقة لا بحسب الإضافة إلى شيء آخر نحو: لا كاتب في المدينة إلا على إذا لم يكن فيها غيره من الكتاب.

والإضافي: ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين نحو: ما على إلا قائم أي أن له صفة القيام لا صفة القعود، وكل منهما ينقسم إلى قصر صفة على موصوف نحو لا فارس إلا علي، وقصر موصوف على صفة نحو: ﴿وما محمد إلا رسول﴾.

والقصر الإضافي ينقسم باعتبار حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام قصر إفراد إذا اعتقد المخاطب الشركة، وقصر قلب إذا اعتقد العكس، وقصر تعيين إذا اعتقد واحدًا غير معين[2].

[١٠٧] ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدًا﴾.

---

(١) الفتوحات ٢: ٦٥٣، ٦٥٤

(٢) إعراب القرآن ومعانيه ٥: ٥٢٠

مرجع الضمير:

﴿به﴾: عائد على القرآن وكذا من قبله، وقيل عائدان على الرسول عليه الصلاة والسلام.

[١٠٩] ﴿ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا﴾.

الإعراب:

﴿يبكون﴾: حال أي يبكون من مواعظ القرآن[١]، خشوعًا: مفعول ثان.

مرجع الضمير:

﴿ويزيدهم﴾: أي القرآن، أو المتلو، أو البكاء، أو السجود[٢].

[١١٠] ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾.

الإعراب:

الدعاء: هنا بمعنى التسمية، وادعوا ينصب مفعولين حذف أحدهما نحو قولك: دعوته زيدًا، الضمير في ﴿فله﴾ ليس براجع إلى أحد الاسمين المذكورين، ولكن إلى مسماهما وهو ذاته تعالى، لأن التسمية للذات لا للاسم، والمعنى: أيًا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله: **﴿فله الأسماء الحسنى﴾**؛ لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لأنه منها، ومعنى كونها أحسن الأسماء أنها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم[٣].

(١) الفتوحات ٢: ٦٥٤

(٢) العكبري ٢: ٥٢، الفتوحات ٢: ٦٥٤

(٣) الكشاف ٢: ٤٧٠

[سورة الكهف]

[١] ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا﴾.

اللغة والإعراب:

قيمًا: مستقيمًا معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط، أو قيمًا بمصالح العباد فيكون وصفًا للكتاب بالتكميل بعد وصفه بالكمال، أو قيمًا على الكتب السابقة مصدقًا لها شاهدًا بصحتها.

﴿ولم يجعل له عوجًا﴾: للعطف على ﴿أنزل﴾، وقيل في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: أنزل الكتاب قيمًا، ولم يجعل له عوجًا.

والثاني: أن يكون قوله: ﴿عوجًا﴾ حال على تقدير: أنزل الكتاب على عبده غير مجعول له عوج قيمًا، وهو أولى من جعله معطوفًا على ﴿أنزل﴾ لما فيه من الفصل بين بعض الصلة وبعض(١).

مرجع الضمير:

﴿له﴾: الضمير فيه وجهان:

أحدهما: أنه للكتاب، الثاني: أنه على عبده وليس بواضح(٢).

البلاغة:

التكرير للتأكيد والبيان في قوله تعالى: ﴿ولم يجعل له عوجًا﴾ فنفي

(١) البيان ٢: ٩٩

(٢) الفتوحات ٣: ٣

العوج معناه إثبات الاستقامة، فلما كرر أزال شبهة بقاء ذلك الأدنى الذي يدق على النظرة السطحية الأولى. كذلك المطابقة بين العوج والاستقامة.

[٤، ٥] ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا﴾.

الإعراب:

﴿كلمة﴾: منصوب على التمييز، والتقدير: كبرت الكلمة كلمةً، وتخرج: جملة فعلية في موضع نصب؛ لأنها صفة كلمة، **﴿إن يقولون إلا كذبًا﴾**: أي ما يقولون إلا كذبًا، وكذبًا منصوب بيقولون كما تقول: قلت شعرًا أو قلت خطبة[١].

مرجع الضمير:

﴿به﴾: يحتمل أن يعود إلى الله تعالى، وهذا التأويل أذم لهم ويحتمل أن يعود على القول المفهوم من قالوا أي ليس قولهم هذا ناشئًا عن علم وتفكر، وقيل على الاتخاذ[٢]. المفهوم من اتخذ[٣]، وقيل إنه راجع إلى الولد، ومعنى عدم علمهم به أنه محال ليس مما يعلم.

[١٩] ﴿..... فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعامًا﴾.

الإعراب:

(١) البيان ٢: ١٠٠

(٢) البحر ٦: ٩٦، ٩٧

(٣) تفسير الطبري ١٥: ١٩٣

أيها: مبتـدأ، أزكى: خبر المبتدأ، طعامًا: منصوب على التمـييز، والجملة في موضع نصب؛ لأنها مفعول ﴿فلينظر﴾[1].

مرجع الضمير:

﴿أيها﴾: الضميـر عائد إلى المدينة، على حذف مـضاف أي أي أهلها، أو عائد على ما يفهم من السياق أي أي المآكل.

[٢٠] ﴿إنهم إن يظهـروا عليـكم يرجـمـوكم أو يعـيـدوكم في ملتـهم ولن تفلحوا إذًا أبدًا﴾.

الإعراب:

إذا: جواب وجـزاء، واستـشكل الحكم عليهـم بعدم الفـلاح مع الإكراه المستفاد من أن يظهروا إذ المكره لا يؤاخذ بما أكره عليه لخبر رفع عن أمتي إلخ، وأجيب بأن المؤاخذة به كانت في غير هذه الشـريعة بدليل وما أكرهتنا عليه من السحر وخير رفع عن أمتي[2].

مرجع الضمير:

﴿إنهم﴾: راجع إلى الأهل المقـدر في ﴿أيها﴾، أو عائد على مـا دل عليه المعنى من كفـار تلك المدينة، أو عائد على أحد؛ لأن لفـظه للعموم فيـجوز أن يجمع الضمير كقوله: **﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾**[3].

---

(١) البيان ٢: ١٠٣

(٢) الفتوحات ٣: ١٥

(٣) البحر ٦: ١١١

[٢٦] ﴿قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصربه وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدًا﴾.

الإعراب والمرجع:

﴿أبصر به﴾: صيغة تعجب بمعنى ما أبصره على سبيل المجاز، والهاء لله تعالى، وفي مثل هذا ثلاثة مذاهب، الأصح أنه بلفظ الأمر، ومعناه الخبر، والباء: مزيدة في الفاعل إصلاحًا للفظ، والثاني: أن الفاعل ضمير المصدر، والثالث: أنه ضمير المخاطب أي ارفع الأسماع والأبصار أيها المخاطب أي حصلهما، وقيل هو أمر حقيقة لا تعجب، وأن الهاء تعود على الهدى المفهوم من الكلام، والمعنى عليه أبصر به أي بوحيه وإرشاده هداك وحججك، والحق من الأمور، وأسمع به العالم، وقرأ عيسى أسمع وأبصر فعلاً ماضيًا، والفاعل الله تعالى، وكذلك الهاء في (به) أي أبصر عباده، وأسمعهم.

والتعجب: انفعال يحدث في النفس عند الشعور بأمر خفي سببه، ولهذا يقال: إذا ظهر السبب بطل العجب، ولا يطلق على الله أنه متعجب إذ لا شيء يخفى عليه، وما وقع مما ظاهره ذلك في القرآن فمحمول على أنه مصروف إلى المخاطب نحو قوله تعالى: فما أصبرهم على النار أي أن حالهم في ذلك اليوم ينبغي لك أيها المخاطب أن تتعجب، وقيل التعجب هو استعظام فعل فاعل ظاهر المزية فيه فائدة:

الفرق بين الأحد والواحد:

١ـ أحد أكمل من الواحد، فإذا قلنا فلان لا يقوم له واحد جاز في المعنى أن يقوم له اثنان فأكثر بخلاف قولنا: لا يقوم له أحد.

٢ـ في الأحد خصوصية ليست في الواحد نقول: ليس في الدار أحد، فإنه يعم الناس وغيرهم من دواب وطير، بخلاف ليس في الدار واحد فإنه مخصوص بالآدميين.

٣ـ يأتي أحد بمعنى الواحد فيستعمل في النفي والإثبات نحو: ﴿قل هو الله أحد﴾ أي واحد، وأول نحو قوله: ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم﴾، وبخلافهما فلا يستعمل إلا في النفي تقول: ما جاءني من أحد، ومنه قوله تعالى: ﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ وواحد يستعمل فيهما مطلقًا.

٤ـ أحد يستعمل في المذكر والمؤنث قال تعالى: ﴿لستن كأحد من النساء﴾، بخلاف الواحد، فلا يقال: كواحد من النساء، بل كواحدة.

٥ـ أحد يصلح للإفراد والجمع، ولهذا وصف به في قوله: ﴿من أحد عنه حاجزين﴾ بخلاف الواحد.

٦ـ أحد له جمع من لفظه وهو الأحدون والآحاد وليس للواحد جمع من لفظه فلا يقال: واحدون بل اثنان وثلاثة.

٧ـ الأحد ممتنع من الدخول في شيء من الحساب بخلاف الواحد[1].

{٢٩} ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ....﴾.

الإعراب:

الحق: خبر لمبتدأ محذوف، من ربكم: حال، ويجوز أن يكون الحق مبتدأ، ومن ربكم خبره، فمن شاء: الفاء استئنافية، ومن: شرطية مبتدأ،

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه ٥: ٥٧٦

والخبر فعل الشرط، أو الجواب أو هما معًا.

مرجع الضمير:

الظاهر أن ضمير الفاعل في شاء عائد على (من)، وقيل على الله تعالى، أي فمن شاء الله له[1].

[٣٦] ﴿..... لأجدن خيراً منها منقلبا﴾.

مرجع الضمير:

نافع وابن كثير وابن عامر على التثنية، والضمير للجنتين، والكوفيون، وأبو عمرو بالتوحيد، والضمير لجنته[2].

[٣٨] ﴿لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً﴾.

الإعراب:

لكنا: أصله لكن أنا، وفي صيرورته على هذه الصيغة وجهان:

أحدهما: أن تكون الهمزة حذفت بحركتها، وأدغمت نون (لكن) في النون بعدها.

والثاني: أن يكون نقلت فتحة الهمزة من (أنا) إلى النون من (لكن) وأدغمت نون (لكن) بعد إسكانها في النون من (أنا) فصار (لكنّ) ونظيره ما ذكر عن العرب أنهم قالوا: إن قائم بمعنى إنّ أنا قائم.

---

(١) المجيد في إعراب القرآن المجيد ٢: ١٢٨م

(٢) المجيد ٢: ١٢٩م

ومن قرأ: (لكنّ) بحذف الألف فعلى الأصل في حالة الوصل؛ لأن الأصل في (أنا) (أنّ) إلا أن الألف تثبت في حالة الوقف وفيها لغات.

ومن قرأ: (لكنّا) أثبت الألف كقول الشاعر:

أنا سيف العشيرة فاعرفوني حميدٌ وقد تَذَرَّيتُ السناما

ولكن ها هنا هي الخفيفة التي لا يراد بها الاستدراك، وأنا: مبتدأ، وهو: مبتدأ ثان، والله: خبر المبتدأ الثاني، وربي: صفته، والمبتدأ الثاني، وخبره: خبر المبتدأ الأول، والعائد إليه الياء المجرورة بالإضافة في (ربي)[1]. ونظيره: هند هو زيد ضاربها.

مرجع الضمير:

هو ضمير الأمر والشأن، أو عائد على الذي خلقك، وثم قول محذوف أي لكن أنا أقول هو الله ربي، والله ربي مبتدأ وخبر في موضع خبر هو، وعلى قراءة (لكنه) يجوز أن يكون هو توكيد الضمير النصب في لكنه العائد على الذي خلفك، ويجوز أن يكون فصلاً لوقوعه بين معرفتين، ولا يكون هو ضمير شأن؛ لأنه لا عائد على اسم لكن من الجملة الواقعة خبر[2].

[٤٣] ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً﴾.

القراءة والإعراب:

يقرأ تكن بالتاء والياء، فمن قرأ بالتاء، فلأن الفئة مؤنثة، ومن قرأ بالياء

(١) البيان ٢: ١٠٨

(٢) المجيد ٢: ١٢٩ب

فلوجود الفصل، وكلاهما حسن[١].

﴿له﴾: جار ومجرور خبر تكن، فئة: اسمـها، وجملة ينصرونه صفة لفئة ﴿من دون الله﴾: حال.

مرجع الضمير:

ضمير الجمع عائد على معنى فئة، وقرأ ابن أبي عبلة تنصره على اللفظ.

[٥١] ﴿ما أشهـدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسـهم وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾[٢].

الإعراب:

الأرض: مفعول به ثان، متخذ: خبر كان، عضدًا: مفعول به ثان لمتخذ.

مرجع الضمير:

وضع المضلين موضع الضمـير ذمًا لهم، واستبعاد اللاعتـضاد بهم، وقيل الضمير للمشركين، والمعنى: ما أشـهدتهم خلق ذلك، وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيـرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس كما يزعمـون، فلا تلتفت إلى قولهم طمعًا في نصرتهم للدين، فإنه لا ينبغي لي أن أعتضد بالمضلين لديني، ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول ﷺ[٣].

البلاغة:

(١) البيان ٢: ١١٠

(٢) هذه الآية الكريمة تبطل مزاعم الغربيين أمثال دارون الذي يقول إن أصل الإنسان قرد

(٣) البيضاوي ٣٩٥.

﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾.

تشبيه بليغ، فقد شبه المضلين بالعضد الذي يتقوى به الإنسان، وأصله العضو الذي هو المرفق إلى الكتف، ولم يذكر الأداة، وقد جعله بعضهم استعارة وهو خطأ لوجود ركني التشبيه وهما المشبه والمشبه به.

[٥٢] ﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا﴾.

اللغة والإعراب ومرجع الضمير:

موبقًا: إسم مكان، أو مصدر قيمي من وبق يبق وبوقًا كوثب يثب وثوبًا، أو وبق يوبق وبقًا كفرح فرحًا إذا هلك أي فهلاكا يشتركون فيه وهو النار.

﴿بينهم﴾: منصوب على الظرف فيكون في موضع المفعول الثاني لجعلنا، وقال الفراء هو هنا بمعنى الوصل يكون مفعولاً أول لجلعنا، أي جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكًا يوم القيامة، وضمير بينهم عائد على الداعين والمدعوين، وهم المشركون والشركاء، وقيل على أهل الهدى، وأهل الضلالة[١].

[٥٧] ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾.

الإعراب:

﴿على قلوبهم﴾: في محل نصب مفعول به ثان، ﴿أكنة﴾: مفعول أول. ﴿أن يفقهوه﴾: المصدر المؤول في محل نصب مفعول لأجله.

(١) المجيد ٢: ١٣٠ب .

مرجع الضمير:

بآيات ربه: أي بالقرآن، ولذلك رجع الضمير إليـها مذكراً في قوله: ﴿أن يفقهوه﴾[1].

﴿قلوبهم﴾: عائد على معنى من، ومـا قبله على لفظها، ﴿أن يفقهوه﴾: عائد على القرآن م أبو البقاء أي كراهية أن يفقهوه.

[٨٣] ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً﴾.

المعنى:

﴿عن ذي القرنين﴾: أي الأكبـر وهو من أولاد سام بن نوح وهو ولي الله تعالـى كان على شـريعة إبراهيم الخليل أسلم على يديـه، وطاف معه الـبيت، ودعا له وأوصـاه بوصايا، وكـان الخضر وزيره، وقـيل ابن خالتـه، وقيل بنى الإسكندرية فكان يسير معه على مقدمة جـيشه بخلاف ذي القرنين الأصغر فإنه من ولد العيص بـن إسحاق وكـان كافراً عـاش ألفاوستـمائة سنة، وكـان قبل المسيح بثلثمائة سنة، وزيره (أرسطو)[2].

مرجع الضمير:

﴿السائلون﴾: هم اليهـود سألوه امتـحانًا، أو مشـركو مكة. ﴿قل سأتلو عليكم منه ذكراً﴾ خطاب للسائلين، والهاء لذي القرنين، وقيل لله جل وعز.

---

(١) البحر ٦: ١٣٩، الكشاف ٢: ٤٨٩

(٢) الفتوحات ٣: ٤١، ٤٢، ٤٣

[سورة مريم]

[٢١] ﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيًا﴾.

الإعراب:

﴿كذلك﴾: خبر لمبتدأ محذوف، ﴿ولنجعله آية للناس﴾، الواو فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون واو عطف، ولنجعله معطوف على قوله: ﴿لأهب لك﴾، والثاني: أن تكون الواو زائدة[١].

ويجوز أن يكون المعلل محذوفا أي فعلنا ذلك، أو هو معطوف على مضمر أي لنبين به قدرتنا، ولنجعله آية، وآية: مفعول به ثان لنجعله، وللناس: صفة.

[٢٤] ﴿فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريًا﴾.

اللغة والإعراب:

﴿سريًا﴾: السري فيه قولان:

أحدهما: أنه الرجل المرتفع القدر من سرو يسر وكشرف يشرف فهو سري فأعل إعلال سيد فلامه واو يقال: هو سري من السراة والسروات، قال بشامة ابن حزن النهشلي:

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ٢: ١٢٢

وإن دعوت إلى جلي ومكرمة   يومًا سراة كرام الناس فادعينا

والثاني: أنه النهر الصغير ويناسبه فكلي واشربي، واشتقاقه من سرى يسري؛ لأن الماء يسري فيه، فلامه على هذاياء.

﴿ألا تحزني﴾: أن: مفسرة؛ لأنه تقدم عليها ما هو بمعنى القول، ولا: على هذا ناهية، وحذفت النون للجازم، ويجوز أن تكون ناصبة، ولا: حينئذ نافية، وحذفت النون للناصب، ومحل (أن) إما نصب، أو جر؛ لأنها على حذف حرف الجر، أي فناداها بكذا.

﴿من تحتها﴾: قرأ الأخوان ونافع وحفص بكسر ميم (من)، وجر تحتها، والباقون: بفتحها ونصب تحتها، فالقراءة الأولى تقتضي أن يكون الفاعل في نادى مضمرًا، وفيه تأويلان:

أحدهما: هو جبريل، ومعنى كونه من تحتها أنه في مكان أسفل منها ويدل على ذلك قراءة ابن عيسى فناداها ملك من تحتها فصرح به، ومن تحتها على هذا فيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلق بالنداء أي جاء النداء من هذه الجهة.

والثاني: أنه حال من الفاعل أي فناداها وهو تحتها.

وثاني التأويلين: أن الضمير لعيسى أي فناداها المولود من تحت ذيلها، والجار فيه الوجهان: من كونه متعلقًا بالنداء، أو بمحذوف على أنه حال، والثاني أوضح.

والقراءة الثانية: تكون فيها (من) موصولة، والظرف صلتها، والمراد

بالموصول إما جبريل، وإما عيسى، والضمير في تحتها إما لمريم، وإما للنخلة، والأول أولى لتوافق الضميرين[1].

مرجع الضمير:

﴿فناداها﴾: أي جبريل عليه السلام كما روي عن ابن عباس، وقرأ علقمة فخاطبها، وقيل ضمير (تحتها) للنخلة، واستظهر أبو حيان كون المنادى عيسى عليه السلام والضمير لمريم، والفاء: فصيحة أي فولدت غلامًا فأنطقه الله تعالى حين الولادة فناداها المولود من تحتها[2].

[٢٥] ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا﴾.

القراءة والإعراب:

﴿بجذع﴾: الباء في بجذع زائدة، وتقديره: وهزي إليك جذع النخلة وتساقط: يقرأ بفتح التاء والتخفيف، وتسّاقط بفتح التاء والتشديد، ويساقط بضم الياء وكسر القاف، فمن قرأ (تساقط) بالفتح والتخفيف، فأصله (تتساقط) فحذف إحدى التاءين تخفيفًا، ومن قرأ (تسّاقط) بالتشديد، فأصله (تتساقط) أيضًا فأبدل من إحدى التاءين سينًا، وأدغم السين في السين.

و﴿رطبًا جنيًا﴾: منصوب في هاتين القراءتين على التمييز والحال أيضًا، ويجوز أيضًا أن يكون فيهما منصوبًا (بهزي) وتقديره: وهزي إليك رطبًا جنيًا متمسكة بجذع النخلة، فتكون الباء في ﴿بجذع النخلة﴾ على هذا في موضع

---

(١) الفتوحات ٣: ٥٨

(٢) روح المعاني ١٦: ٨٢ بتصرف

الحال لا زائدة، ومن قرأ (تساقط) نصب رطبًا جنيًا على أنه مفعول تساقط أي تساقط النخلة رطبًا.

ومن قرأ يسّاقط نصب أيضًا رطبًا جنيًا على أنه مفعول (يُسّاقط) أي يساقط جذع النخلة رطبًا[1].

مرجع الضمير:

﴿تساقط﴾: الضمير المؤنث للنخلة، ورجوع الضمير للمضاف إليه شائع، وجوز أبو حيان أن يكون الضمير للجذع لاكتسابه التأنيث من المضاف إليه كما في قوله تعالى: ﴿تلتقطه بعض السيارة﴾[2] في قراءة من قرأ بالتاء الفوقية، وقول الشاعر:

كما شرقت صدر القناة من الدم

البلاغة:

﴿النخلة﴾: التعريف إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فإذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخيل، وإما أن يكون من تعريف الجنس أي جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب[3].

[٦١] ﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيًا﴾.

(١) البيان ٢: ١٢٢.

(٢) يوسف ١٠.

(٣) إعراب القرآن ومعانيه ٦: ٩٠.

الإعراب:

﴿جنات﴾: بدل من الجنة، وعدن: مضاف إليه من عدن بالمكان أي أقام ﴿بالغيب﴾: حال من عباده أي من المفعول، والمعنى غائبة عنهم لا يشاهدونها، ويحتمل أن يكون حالاً من ضمير الجنة، وهو الضمير العائد على الموصول أي وعدها وهم غائبون عنها لا يرونها.

مرجع الضمير:

﴿إنه كان وعده﴾: يجوز في هذا الضمير وجهان:

أحدهما: أنه ضمير الباري تعالى يعود على الرحمن أي إن الرحمن كان وعده مأتيًا، والثاني: أنه ضمير الأمر والشأن؛ لأنه مقام تعظيم وتفخيم، وعلى الأول يجوز أن يكون في كان ضمير هو اسمها يعود على الله تعالى، ووعده بدل من ذلك، والضمير بدل اشتمال ومأتيًا: خبرها، ويجوز ألا يكون فيها ضمير بل هي رافعة لوعده، ومأتيًا الخبر أيضًا، وهو نظير إن زيدًا كان أبوه منطلقًا[1].

{٨٧} ﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾.

الإعراب:

﴿من﴾: في موضعه وجهان: الرفع والنصب، فالرفع على البدل من الواو في ﴿يملكون﴾: والنصب على الاستثناء المنقطع[2].

---

(١) الفتوحات ٣: ٧٠

(٢) البيان ٢: ١٣٧

مرجع الضمير:

﴿لا يملكون﴾: الضمير فيه للعباد المدلول عليه بذكر القسمين وهو الناصب لليوم، وقيل الضمير للمجـرمين، والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً يستعد به أن يشفع له بالإسلام.

{٨٨} ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾.

مرجع الضمير:

الضميـر يحتمل الوجهين؛ لأن هذا لما كـان مقولاً فيـما بين الناس جار أن ينسب إليهم ﴿لقد جئـتم شيئًا إدًا﴾ على الالتفات للمبالـغة في الذم، والتسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى[١].

(١) البيضاوي ٤١١، ٤١٢

[سورة طه]

[١٥، ١٦] ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾.

الإعراب:

﴿أخفيها﴾: فيه وجهان؛ أحدهما: أن تكون الهمزة فيه همزة السلب أي أريد إخفاءها كما تقول: أشكيت الرجل، إذا أزلت شكايته، وأعجمت الكتاب، إذا أزلت عجمته، والثاني: أن يكون المعنى إن الساعة أكاد أخفيها عن نفسي فكيف أظهرها لكم، واللام في **﴿لتجزى﴾** متعلقة بأخفيها، ويحكى عن أبي الحسن الأخفش أنه كان يقف وقفة لطيفة على قوله: **﴿أكاد﴾**، ثم يبتدئ، ويقرأ: أخفيها لتجزى كل نفس، فكأنه إنما وقف تلك الوقفة ليبين لك أن اللام من قوله: لتجزى تتعلق بأخفيها لا بآتية، وكان أبو حاتم السجستاني يجعل هذه اللام لام القسم.

﴿واتبع هواه فتردى﴾: يجوز أن يكون (تردى) في موضع نصب ورفع؛ فالنصب على أنه جواب النهي بالفاء بتقدير (أن) كقوله تعالى: **﴿لا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي﴾**[١].

والرفع على تقدير، فإذا أنت تردى، فإن مثل هذه الأجوبة يجوز فيها النصب والرفع كقوله: **﴿فأطلع إلى إله موسى﴾**[٢]، وقوله تعالى: **﴿يا ليتني**

---

(١) طه ٨١

(٢) غافر ٣٧

كنت معهم فأفوز﴾[1]، وأفوز بالنصب، والرفع إلى غير ذلك من المواضع[2].

مرجع الضمير:

﴿فلا يصدنك﴾: خطاب لموسى عليه السلام، وزعم بعضهم أنه لنبينا صلى الله عليه وسلم لفظًا، ولأمته معنى وهو في غاية البعد.

﴿عنها﴾: أي الساعة، والمراد عن ذكرها، ومراقبتها، وقيل: عن الإيمان بإتيانها، ورجح الأول بأنه الأليق بشأن موسى عليه السلام، وإن كان النهي بطريق التهييج والإلهاب، ورجوع ضمير (عنها) إلى الساعة هو الظاهر، وكذا رجوع ضمير بها في قوله تعالى: ﴿من لا يؤمن بها﴾، وقيل الضميران راجعان إلى الصلاة، وقيل ضمير (عنها) راجع إلى الصلاة، وضمير بها راجع إلى الساعة، وقيل الضميران راجعان إلى كلمة ﴿لا إله إلا أنا﴾، وقيل الأول راجع إلى العبادة، والثاني راجع إلى الساعة، وقيل هما راجعان إلى الخصال المذكورة[3].

الضمير في ﴿أخفيها﴾ عائد على الساعة، وهي يوم القيامة، والظاهر أن الضمير في عنها، وبها عائد على الساعة وقيل على الصلاة، وقيل عنها عن الصلاة وبها بالساعة[4].

---

(١) النساء ٧٣

(٢) البيان ٢: ١٤٠

(٣) روح المعاني ١٦: ١٧٣، معترك الأقران ٣: ٨٢

(٤) البحر ٦: ٢٣٣، الكشاف ٢: ٥٣٢

[٣٨، ٣٩] ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقـذفيه في التابوت فاقـذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له ...﴾.

مرجع الضمير:

﴿اقذفيه﴾: الضمير عائد على موسى، وكذلك الضميران بعده إذ هو المحدث عنه، لا التابوت، إنما ذكر التابوت على سبيل الدعاء والفضلة[١].

ولقائل أن يقول: إن الضمير يعود على التابوت لأنه الأقرب، والرد على ذلك كما ذكره أبو حيان[٢]: أنه إذا كان أحدهما هو المحدث عنه، والآخر فضلة، كان عوده على المحدث عنه أرجح، ولا يلتفت إلى القرب، ويقول: والكلام لأبي حيان ولهذا رددنا على أبي محمد بن حزم في دعواه أن الضمير في قوله: **﴿فإنه رجس﴾** عائد على خنزير لا على (لحم) لكونه أقرب مذكور، فيحرم بذلك شحمه، وغضروفه وعظمه وجلده، بأن المحدث عنه هو (لحم خنزير) لا خنزير.

فالضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه، وبعضها إلى التابوت فيه هجنة كما فيه من تنافر النظم، والمقذوف هو موسى في جوف التابوت[٣].

البلاغة:

التفسير بعد الإبهام في قوله: **﴿إذ أوحينا إلى أمك﴾** بعد قوله: **﴿ولقد**

(١) دراسات لأسلوب القرآن ١: ١٦ د/ عضيمة.

(٢) البحر ٦: ٢٤١

(٣) الكشاف ٢: ٥٣٦

مننا عليك مرة أخرى﴾، والمنن ثمان وهي:

﴿إذ أوحينا﴾ إلى قوله عدوله: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾، ﴿ولتصنع على عيني﴾ إلى قوله: ﴿من يكفله﴾، ﴿فرجعناك إلى أمك﴾ إلى قوله: ﴿ولا تحزن﴾، ﴿وقتلت نفسًا فنجيناك من الغم﴾ ﴿وفتناك فتونًا﴾ ﴿فلبثت في أهل مدين﴾ إلى قوله: ﴿يا موسى﴾ ﴿واصطنعتك لنفسي﴾.

﴿فليلقه اليم بالساحل﴾: مجاز عقلي في إسناد الإلقاء إلى اليم، وهو لا يعقل، ولكنه يمثل مشيئة الله وإرادته التي لا تخطئ ولا يعزب عنها شيء.

[٥١، ٥٢] ﴿قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾.

الإعراب:

﴿علمها﴾: مبتدأ، في كتاب خبره، عند ربي: ظرف يتعلق بالخبر، وتقديره: علمها كائن في كتاب عند ربي، ويحتمل أن يكون ﴿عند ربي﴾ حال؛ لأنه في الأصل صفة (لكتاب) وهو نكرة وتقديره: علمها كائن في كتاب كائن عند ربي، فلما تقدمت صفة النكرة عليها، وجب أن تكون في موضع نصب على الحال، ويحتمل أن يكون (في كتاب) بدلاً من قوله: ﴿عند ربي﴾ ويكون عند ربي خبر المبتدأ، ويحتمل أن يكون من باب قولهم: هذا (حلو حامض) ولا يضل ربي، تقديره: لا يضل ربي عنه، فحذف الجار والمجرور كما حذفها من قوله:

﴿فإن الجنة هي المأوى﴾: أي هي المأوى له، ونظائره كثيرة[1].

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ٢: ١٤٢، ١٤٣

﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾: أي لا يخطئ ابتداء، أي لا يذهب شيء عن علمه، ولا ينسى بعد ما علم، وفي هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أنها في محل جر صفة لكتاب، والعائد محذوف تقديره: في كتاب لا يضله ربي، أو لا يضل حفظه ربي فربي فاعل يضل على التقدير.

والثاني: أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب ساقها تبارك وتعالى لمجرد الإخبار بذلك حكاية عن حاله وفي فاعل ينسى قولان:

أحدهما: أنه عائد على ربي أي لا ينسى ربي ما أثبته في الكتاب، كما أشار إليه في التقرير، والثاني: أن الفاعل ضمير عائد على الكتاب على سبيل المجاز(١).

مرجع الضمير:

﴿علمها﴾: الظاهر عود الضمير على القرون الأولى، وقيل عائد على القيامة؛ لأنه سأله عن بعث الأمم(٢).

﴿ولا ينسى﴾: الظاهر أن الضمير في ولا ينسى عائد على الله تعالى، وقيل يحتمل أن يعود على كتاب أي لا يدع شيئًا، والنسيان استعارة.

{٧٨} ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾.

الإعراب:

﴿بجنوده﴾: في موضع نصب على الحال، والمفعول الثاني محذوف،

---

(١) الفتوحات ٣: ٩٥

(٢) البحر ٦: ٢٤٨

وتقديره: فأتبعهم فرعون عقوبته بجنوده أي معه جنوده.

﴿ما غشيهم﴾: في موضع رفع لأنه فاعل أي غشيهم من ماء اليم شدته.

مرجع الضمير:

الضمير لجنوده، أو له ولهم، وفيه مبالغة[(1)].

البلاغة:

العدول إلى لفظة (ما) فيها ما فيها من التهويل للأمر والتعظيم للشأن وهو من جوامع الكلم التي يقل لفظها ويتشعب القول في معناها، وهذا الإبهام أبلغ من التعيين؛ لأن الوهم يقف في التعيين على الشيء المعين، ولا يقف عند الإبهام بل يتردد في الأشياء المختلفة فيكون أبلغ تخويفًا وتهديدًا[(2)].

{١٠١، ١٠٢} ﴿خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقًا﴾.

الإعراب:

﴿خالدين﴾: منصوب على الحال من الضمير في يحمل، وجمع على معنى (من) (يوم) متعلق بمقدر وهو اذكر، وقيل هو بدل من يوم القيامة والأول أولى، وقرأ الجمهور ينفخ: بضم الياء التحتية مبنيًا للمفعول، وقرأ أبو عمرو، وابن أبي إسحاق بالنون مبنيًا للفاعل، واستدل أبو عمرو على قراءته هذه بقوله: ﴿ونحشر﴾ فإنه بالنون، وقرأ ابن هرمز ينفخ بالتحتية مبنيًا للفاعل

(١) البيضاوي ٤٢٢

(٢) البيان: ١٥١

على أن الفاعل هو الله سبحانه أو إسرافيل، وقرأ أبو عياض ﴿في الصور﴾ بفتح الواو جمع صورة، وقرأ الباقون بسكون الواو، وقرأ طلحة بن مصرف والحسن ﴿يحشر﴾ بالياء التحتية مبنيًا للمفعول، ورفع ﴿المجرمين﴾ وهو خلاف رسم المصحف، وقرأ الباقون بالنون.

زرقًا: حال من المجرمين أي زرق العيون .... إلخ[1].

مرجع الضمير:

﴿وساء لهم ...﴾: أي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملاً، والمخصوص بالذم محذوف أي ساء حملاً وزرهم، واللام في (لهم) للبيان كما في هيت لك، ولو جعلت ساء بمعنى أحزن، والضمير الذي فيه للوزر أشكل أمر اللام، ونصب حملاً، ولم يفد مزيد معنى.

﴿يوم ينفخ في الصور﴾: والقراءة بالنون على إسناد النفخ إلى الآمر به تعظيمًا له، أو للنافخ، وقرئ بالياء المفتوحة على أن فيه ضمير الله، أو ضمير إسرافيل، وإن لم يجر ذكره؛ لأنه المشهور بذلك[2].

[١٠٥، ١٠٦، ١٠٧] ﴿يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا فيذرها قاعًا صفصفًا، لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا﴾.

اللغة والإعراب:

﴿ينسفها﴾: يقلعها، قاعًا صفصفًا: القاع مستنقع الماء أي أرض سهلة

---

(١) فتح القدير: ٣: ٣٨٥، ٣٨٦

(٢) البيضاوي ٤٢٢

مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام والجمع أقواع، وأقْوع، وقيع، وقيعان، وقيعة، وقيل هو المنكشف من الأرض، وقيل المستوى الصلب منها، وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء، والصفصف: الأملس الذي لا نبات فيه.

(الأمت) النتو اليسير، يقال مد حبله حتى ما فيه أمت، وقيل الأمت هو التل، وقيل الشقوق في الأرض، وقيل الآكام.

قال الفراء: وقد سمعت العرب يقولون: ملأ القربة ملأً لا أمت فيها إذا لم يكن فيها استرخاء، ويقال: سرنا سيراً لا أمت فيه ولا وهن فيه ولا ضعف[1].

﴿فقل﴾: الفاء واقعة في جواب شرط مقدر، والتقدير: إن سألوك فقل، أو للمسارعة إلى إلزام السائلين، وانتصاب قاعًا على أنه مفعول ثان ليذر على تضمينه معنى التصيير، أو على الحال، والصفصف صفة له، ومحل ﴿لا ترى فيها عوجًا﴾ النصب على أنه صفة ثانية لقاعًا، والضمير راجع إلى الجبال بذلك الاعتبار[2].

مرجع الضمير:

﴿فيذرها﴾: أي يذر مقارها ومراكزها، أو يجعل الضمير للأرض، وإن لم يجر لها ذكر كقوله تعالى: ﴿ما ترك على ظهرها من دابة﴾[3].

[١٠٨] ﴿يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا

(١) معاني القرآن للفراء: ١٩١

(٢) فتح القدير ٣: ٣٨٦

(٣) البحر ٦: ٢٧٩

تسمع إلا همسًا﴾.

اللغة والإعراب:

﴿همسًا﴾: الهمس: الصوت الخفي وهو مصدر همست الكلام من باب ضرب إذا أخفيته، ومنه الحروف المهموسة، وقيل هو من همس الإبل وهو صوت أخفافها إذا مشت.

﴿لا عوج له﴾: هذه الجملة يجوز أن تكون مستأنفة، وأن تكون حالاً من الداعي، ويجوز أن تكون نعتًا لمصدر محذوف تقديره: يتبعونه اتباعًا لا عوج له.

مرجع الضمير:

﴿له﴾: الضمير عائد على الداعي، نفى عنه العوج أي لا عوج لدعائه بل يسمع جميعهم فلا يميل إلى ناس دون ناس، أو على معنى لا يعوج له مدعو، ولا يعدل عنه، وهذا مما يقال: لا عصيان له أي لا يعصي، ولا ظلم له أي لا يظلم، وأصله أن اختصاص الفعل بمتعلقه ثابت كما هو بالفاعل، أو هو عائد على ذلك المصدر المحذوف أي لا عوج لذلك الاتباع؛ لأن قوله: ﴿لا عوج له﴾ في موضع نعت لمنعوت محذوف أي اتباعًا لا عوج له، فيكون الضمير عائدا على ذلك المصدر المحذوف[1]، أو على القلب أي لا عوج لهم عنه، بل يأتون مقبلين إليه متبعين لصوته من غير انحراف وحكي ذلك عن الجبائي، وليس بشيء، والجملة في موضع الحال من الداعي،أو مستأنفة، كما قال أبو البقاء. قال ابن عطية يحتمل أن يكون المعنى لا شك فيه.

(١) البحر ٦: ٢٨٠، الفتوحات ٣: ١١٢ روح المعاني ١٦: ٢٦٤

البلاغة:

﴿لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا﴾.

العِوَج: بالكسر في المعاني، والعوج بالفتح في الأعيان، ولذلك قال في الكهف: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا﴾[1]، وفي تلك الآية الكريمة الأرض عين فكيف صح فيها مكسور العين، أو ليس مقتضى اللغة يوجب أن يستعمل العوج بالفتح، والجواب أن اختيار العوج بالكسر في الآية له موضع حسن بديع في استواء الأرض ووصفها بالملاسة، وانتفاء الاعوجاج عنها على أبلغ وجه أي أن الله سبحانه وتعالى نفى العوج الذي دق ولطف عن الإدراك من أجل ذلك لحق بالمعاني، وسما عن الأعيان، فقيل فيه عوج بالكسر، وهذا الفن يسمى التنكيت وهو أن يخص المتكلم شيئًا بالذكر دون غيره مما يسد مسده وما يقتضيه ظاهر الكلام؛ لأجل نكتة في المذكور، ترجح مجيئه على سواه وهو كثير في القرآن الكريم.

[١١٠] ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علمًا﴾.

الإعراب:

﴿يعلم﴾: الجملة استئنافية مسوقة لتقرير علمه تعالى ما تقدمه من الأحوال وما يستقبلهم، ﴿ما﴾ مفعول به، ﴿ولا يحيطون﴾: يجوز أن تكون الواو عاطفة، ويجوز أن تكون حالية، ﴿علمًا﴾: مفعول به.

مرجع الضمير:

الظاهر أن الضمير في ﴿أيديهم ...... وما خلفهم﴾ عائد على الخلق المحشورين، وقيل: على الناس لا بقيد الحشر والاتباع، والضمير في (به)

(١) الكهف ١.

عائد على (ما) أي ولا يحيطون بمعلوماته علمًا[1].

وقال البيضاوي: ولا يحيط علمهم بمعلوماته، وقيل بذاته، وقيل الضمير لأحد الموصولين، أو لمجموعهما فإنهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه[2].

وقال الألوسي: الظاهر أن ضمير الجمع عائد على الخلق المحشورين وهم متبعوا الداعي، وقيل على الناس لا بقيد الحشر والاتباع، وقيل على الملائكة عليهم السلام وهو خلاف الظاهر جدًا، والمراد من الموصولين على ما قبل ما تقدمهم من الأحوال، وما بعدهم مما يستقبلونه، أو بالعكس، أو أمور الدنيا، وأمور الآخرة أو بالعكس، أو ما يدركونه وما لا يدركونه.

﴿ولا يحيطون به﴾: ضمير به لله تعالى والكلام على تقدير مضاف، وقيل المراد لا يحيط علمهم بذاته سبحانه أي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل، ويقتضي صحة أن يقال: علمت الله تعالى إذ المنفي العلم على طريق الإحاطة، وقال الجبائي: الضمير لمجموع الموصولين فإنهم لا يعلمون جميع ما ذكر ولا تفصيل ما علموا منه، وجوز أن يكون لأحد الموصولين لا على التعيين[3].

فتلخص مما سبق أن الضمائر في الآية الكريمة كما يلي:

ففي **﴿أيديهم وما خلفهم﴾** يعود على الخلق المحشورين وهم متبعوا الداعي، وقيل على الناس مطلقًا بدون قيد، وقيل على الملائكة عليهم السلام

(١) البحر ٦: ٢٨٠

(٢) البيضاوي ٤٢٣

(٣) روح المعاني ١٦ : ٢٦٥

وهو خلاف الظاهر جدًا، والمراد بالموصولين ما تقدمهم من الأحوال، وما يستقبلونه أو العكس أو أمور الدنيا والآخرة، أو العكس، أو ما يدركونه وما لا يدركونه.

﴿ولا يحيطون به﴾: الضمير لله تعالى، والكلام على تقدير مضاف، وقيل عائد على (ما) أي بمعلوماته علمًا، أو بذاته سبحانه أي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل، ويقتضي صحة أن يقال: علمت الله تعالى إذ المنفي العلم على طريق الإحاطة، وقيل الضمير لأحد الموصولين، أو لمجموعهما؛ فإنهم لم يعلموا جميع ذلك، ولا تفصيل ما علموا منه.

[١٣٣، ١٣٤] ﴿.... أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى، ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا .... ﴾.

الإعراب:

﴿بينة﴾: قرئ بينة بتنوين وغير تنوين، فمن قرأ بالتنوين جعل (ما) في موضع نصب بدلاً من (بينة)، ومن قرأ بغير تنوين جعل (بينة) مضافة إلى (ما)[١].

مرجع الضمير:

﴿من قبله﴾: ذكر الضمير الراجع للبينة؛ لأنها في معنى البرهان والدليل[٢]، والظاهر عوده على الرسول ﷺ، لقوله: ﴿لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾، وقيل للتنزيل[٣].

---

(١) البيان ٢: ١٥٦

(٢) الكشاف ٢: ٥٦٠

(٣) معاني القرآن للفراء ٢: ١٩٧

[سورة الأنبياء]

[١٢] ﴿فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون﴾

اللغة والإعراب:

الركض: الفرار والهرب والانهزام، وأصله من ركض الرجل الدابة برجليه، يقال: ركض الفرس إذا كده بساقيه، ثم كثر حتى قيل ركض الفرس إذا عدا، ومنه اركض برجلك، والمعنى أنهم يهربون منها راكضين دوابهم فقيل لهم لاتركضوا(١).

﴿إذا هم منها يركضون﴾ إذا: فجائية، هم مبتدأ، ويركضون: خبره، لما: حرف وجوب لوجوب، لأن الظرف لابد له من عامل، ولا عامل هنا، لأن مابعد إذا لا يعمل فيما قبلها، والجواب أنه عمل منها معنى المفاجأة المدلول عليها بإذا، والضميرفي﴿منها﴾ يعود على قرية، ويجوز أن يعود على بأسنا، لأنه في معنى النقمة والبأساء، فأنث الضمير حملا على المعنى، ومن على الأول لابتداء الغاية وللتعليل على الثاني(٢).

مرجع الضمير:

﴿منها﴾ عائد إلى القرية، ويحتمل أن يعود على ﴿بأسنا﴾، لأنه في معنى الشدة، فأنث على المعنى و(من) على هذا للسبب(٣).

[٢٣] ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾

---

(١) فتح القدير ٣:٤٠١

(٢) الفتوحات ٣: ١٢٢

(٣) البحر ٦: ٣٠٠

مرجع الضمير:

لعظمته وقوة سلطانه، وتفـرده بالألوهية، والسلطنة الذاتية وهم يسألون، لأنهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة أو للعباد.

[٣٠] ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما﴾

الإعراب:

قـال: رتقـا، ولم يقل رتقين، لأنه مـصـدر وتقـديره: كـانتـا ذواتي رتق[١]، والرتق: ضد الفتق.

مرجع الضمير:

﴿كانتا﴾ قيل كانتا دون كن، لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرض، ونحو قولهم: لقاحان سوداوان، أي جماعتان[٢].

قال الزجاج :

السمـوات جمع أريد به الواحد، ولهذ قـال: كانتا رتقا، لأنه أراد السـماء والأرض، ومنه ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾

جعل السموات نـوعا، والأرضين نوعا، فأخبر عن النوعين كـما أخبر عن اثنين كمـا تقول: أصلحت بـين القوم، ومر بنا غنـمان أسودان لقطيـعي غنم، فأريد من الجمع الواحد[٣].

(١) البيان ٢: ١٦٠

(٢) الكشاف ٢: ٥٧٠

(٣) دراسات لأسلوب القرآن قسم ٣: ٧٠و٧١

[٣١] ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون﴾

اللغة والإعراب:

رواس: جمع راسية من رسا الشيء إذا ثبت ورسخ والرواس من الجبال: الرواسخ واحدتها راسية.

مرجع الضمير:

﴿فيها﴾ يعود على الأرض، وقيل على الرواسى(١).

[٣٣] ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾

الإعراب:

﴿وكل في فلك يسبحون﴾ الجملة حال من الشمس والقمر، وجار انفرادهما بها لعدم اللبس.

كل: مبتدأ، وجاز الابتداء به لما فيه من معنى العموم وجملة يسبحون: خبر، وأتي بالواو والنون، وهى إنما تكون لمن يعقل، لأنه أخبر عنها بفعل من يعقل ، فأجراها مجرى من يعقل كقوله تعالى :

﴿أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾(٢).

---

(١) المجيد ٢: ١١٥٣

(٢) يوسف ٤

مرجع الضمير:

﴿يسبحون﴾ الضمير للشمس والقمر، وإنما جمع باعتبار المطالع، وجعل واو العقلاء، لأن السباحة فعلهم، يقال: شموس وأقمار، وإن لم يكن في الخارج إلا شمس واحدة، وقمر واحد، والذي حسّن ذلك هاهنا توافق الفواصل، وزعم بعضهم أنه غلب القمران لشرفهما على سائر الكواكب، فجمع الضمير لذلك.

٢- وقيل الضمير للنجوم وإن لم تذكر لدلالة ما ذكر عليها،

٣- وقيل الضمير للشمس والقمر والليل والنهار، وفيه أن الليل والنهار لا يحسن وصفهما بالسباحة واختيار ضمير العقلاء إما لأنهما عقلاء حقيقة كما ذهب إليه بعض المسلمين كالفلاسفة، وإما لأنهما عقلاء ادعاء وتنزيلا حيث نسب إليهما السباحة وهى من صنائع العقلاء[1].

[٤٠] ﴿بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولاهم ينظرون﴾

الإعراب:

بغتة: حال أتى مصدرا، وقيل مفعول مطلق.

مرجع الضمير:

﴿تأتيهم﴾ الضمير عائد إلى الوعد، لأنه في معنى النار، أو إلى الحين، لأنه في معنى الساعة التي تصيرهم إلى العذاب، أو إلى العقوبة، أو عائد إلى النار بجعلها بمعنى العذاب، ثم رجع إلى ظاهر اللفظ في ردها (﴿فلا

(١) روح المعاني ١٧: ٤٠

يستطيعون ردها﴾ الضمير المجرور عائد على ماعاد عليه ضمير المؤنث فيما قبله، وقيل على البغتة أي لايستطيعون ردها عنهم بالكلية. وقرئ بياء الغيبة بل يأتيهم فيبهتهم، وتساءل الزمخشري بقوله: إلام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة؟ قلت : إلى النار، أو إلى الوعد، لأنه في معنى النار وهى التي وعدوها، أو على تأويل العدة أو الموعدة، أو إلى الحين، لأنه في معنى الساعة أو إلى البغتة[1].

[٥١] ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين﴾

الإعراب:

اللام: جواب للقسم المحذوف، قد حرف تحقيق، إبراهيم: مفعول به أول، رشده: مفعول به ثان، من قبل: حال أي من قبل موسى وهارون.

مرجع الضمير:

﴿به﴾ الظاهر أنه عائد على إبراهيم، وقيل على الرشد[2].

[٥٦] ﴿بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾

الإعراب:

﴿على ذلكم﴾ يتعلق بتقدير يدل عليه ﴿من الشاهدين﴾ ويكون تفسيرا له، ولايجيزون أن يكون متعلقا به، لأنه لا يجوز تقديم الصلة ولا معمولها على

(١) الكشاف ٢: ٥٧٣

(٢) البحر ٦: ٣٢١، الكشاف ٢: ٥٧٦، المجيد ٢: ١٥٥

الموصول[1].

مرجع الضمير :

﴿فطرهن﴾ الضمير للسموات والأرض، أو للتماثيل، وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم، وأثبت للاحتجاج عليهم.

{٧٨} ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين﴾

اللغة والإعراب:

﴿الحرث﴾ الزرع وبابه كتب، وقيل الحرث: مصدر، والأرض التي تستنبت بالبذر والنوى والغرس، وأكثر المفسرين إن الحرث كان كرما قد تدلت عناقيده، وقيل كان زرعا ﴿نفشت﴾ تفرقت وانتشرت فيه فرعته، وأفسدته والنفش لا يكون إلا في الليل.

وداود: معطوف على نوحا، ومعمول لعامله المذكور أو المقدر .

سليمان: معطوف على داود، والظرف في ﴿إذ﴾ متعلق بما عمل في داود، أي واذكرهما تحت حكمهما[2].

مرجع الضمير:

﴿لحكمهم﴾ الضمير فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون الضمير راجعا إلى داود وسليمان، ويكون مما قام فيه الجمع مقام التثنية مجازا، أو لأن التثنية جمع وأقل الجمع اثنان .

(١) البيان ٢: ١٦٢

(٢) إعراب القرآن وبيانه ٦: ٣٤١، فتح القدير ٣: ٤١٨

والثاني: أن يكون المراد بالضمير الحكمان، والمحكوم عليه وهم جماعة فالمصدر مضاف للحاكمين، وهما داود وسليمان، والمحكوم عليهم، وهذا يلزم عليه أن يضاف المصدر إلى فاعله، ومفعوله دفعة واحدة، وهو إنما يضاف لأحدهما فقط وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز فإن الحقيقة إضافة المصدر لفاعله، والمجاز إضافته لمفعوله[1].

{٨٠} ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾.

﴿لتحصنكم﴾ الضمير المستتر للبوس، والتأنيث بتأويل الدرع وهي مؤنث سماعي، أو للصنعة، وقرأ جماعة (ليحصنكم) بالياء التحتية على أن الضمير للبوس، أو لداود عليه السلام قيل أو للتعليم، وجوز أن يكون لله تعالى على سبيل الالتفات، وأيد بقراءة أبي بكر عن عاصم (لنحصنكم) بالنون، وكل هذه القراءات بإسكان الحاء والتخفيف.

{٩٧} ﴿واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين﴾

الإعراب:

﴿واقترب الوعد﴾ عطف على فتحت فهو من جملة الشرط فإذا هي شاخصة: فيه وجهان: أحدهما وهو الأجود أن يكون هي ضمير القصة، شاخصة: خبر مقدم- وأبصار: مبتدأ مؤخر، والجملة خبر لهي، لأنها لا تفسر إلا بجملة مصرح بجزأيها، وهذا مذهب البصريين.

---

(١) الفتوحات ٣: ١٣٨، البحر ٦: ٢٣١ البيان في غريب القرآن ٢: ١٦٣ العكبري ٢: ٧١

الثاني: أن يكون شاخصة مبتدأ، وأبصار فاعل سد مسد الخبر وهذا إنما يتمشى على مذهب الكوفيين، لأن ضمير القصة عندهم يفسر بالمفرد العامل عمل الفعل فإنه في قوة الجملة[1].

مرجع الضمير:

﴿هي﴾ الضمير للقصة والشأن، وعن الفراء أن ﴿هي﴾ ضمير الأبصار فهو ضمير مبهم يفسره ما في حيز خبره، وعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة في مثل ذلك جائز عند ابن مالك وغيره كما في ضمير الشأن: بل نقل عن الفراء أنه متى دل الكلام على المرجع، وذكر بعده ما يفسره، وإن لم يكن في حيز خبره لا يضر تقدمه. وأنشدقوله

لعمر أبيها لاتقول ظعيتي ألا فَرَّعَنِّي مالك بن أبي كعب[2].

فذكر الظعينة وقد كني عنها في لعمر ونقل عنه أيضا أن ﴿هي﴾ ضمير فصل وعماد يصلح موضعه هو وأنشد قوله:

بثوب ودينار وشاة ودرهم فهل هو مرفوع بما هاهنا رأس

وهذا لا يتمشى إلا على أحد قولي الكسائي من إجازته تقديم الفصل مع الخبر على المبتدأ، وذكر الثعلبي أن الكلام قد تم عند قوله تعالى: ﴿فإذا هي﴾ أي فإذا هى أي الساعة حاصلة أو بارزة، أو واقعة، ثم ابتدئ فقيل ﴿شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ وهو وجه متكلف متنافر التركيب[3].

---

(١) حاشية العلامة الجمل ٣: ١٤٦

(٢) تلك رواية الفراء ورواية الألوس

فلا وأبيها لا تقول خليلتي ألا فر عني مالك بن أبي كعب

(٣) روح المعاني بتصرف ١٧: ٩٣، معاني القرآن للفراء ٢: ٢١٢

[سورة الحج]

{١ ، ٢} ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾.

اللغة والإعراب:

قال كل مرضعة: أي مباشرة للإرضاع بأن ألقمت الرضيع ثديها فهو بالتاء لمن باشرت الإرضاع، وبلاتاء لمن شأنها الإرضاع، زلزلة الساعة: أضيفت الزلزلة إلى الساعة، لأنها من أشراطها وهو مصدر مضاف لفاعله، ومفعوله محذوف تقديره: الأرض أو الناس، وقدر الثاني أبو البقاء والأحسن أن يقدر إن زلزال الساعة الأرض يدل عليه قوله تعالى إذا زلزلت الأرض زلزالها، ونسبة التزلزل أو الزلزال إلى الساعة على سبيل المجاز.

﴿يوم ترونها﴾ فيه أوجه:

أحدها أن ينصب بتذهل ولم يذكر الزمخشري غيره.

الثاني: أن يكون منصوبا بعظيم.

الثالث: أنه منصوب بإضمار اذكر.

الرابع: أنه بدل من الساعة وفتح، لأنه مبني لإضافته إلى فعل على قول الكوفيين.

الخامس: بدل اشتمال من الزلزلة .

﴿تذهل كل مرضعة﴾ في محل نصب على الحال من الهاء في **﴿ترونها﴾** فإن الرؤية هنا بصرية.

مرجع الضمير :

﴿ترونها﴾ الضمير فيه قولان: اظهـرهما أنه ضمير الزلزلة، لأنها المحدث عنها ويؤيده أيضا قوله: ﴿تذهل كل مرضعة﴾ ، والثاني : أنه ضمـير الساعة فعلى الأول يكون الذهول والوضع حقيقة، لأنه في الدنيا، وعلى الثاني يكون على سبيل التعظيم والتـهويل، وأنها بهذه الحيثية إذ المراد بالسـاعة القيامة وهو كقوله: يوما يجعل الولدان شيبا[1].

البلاغة:

١-﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾

تشبيه بلـيغ فقد شبه الناس في ذلك اليوم العـصيب بحالة السكارى الذين فقدوا التميـيز، وأضاعوا الرشد والعلماء يقولون من أدلة المجـار صدق نقيضه كقـولك زيد حمـار إذا وصفتـه بالبلادة والغبـاء ثم يصدق أن تقـول: وما هو بحمـار فتنفي عنـه الحقيـقة فكذلك الآية بعـد أن أثبتت السكر المجـازي تنفي الحقيقـة أبلغ نفي مؤكد بالباء والسر في تأكيـده التنبيه على أن هذا السكر الذي هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود في شيء، وإنما هـو أمر لم يعهدوا قبله مثله، وقوله: ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ تعليل لإثبات السكر المجاري .

٢- في عدوله عن مرضع إلى مرضعة السرفيه أن المرضعة هى التي باشرت الإرضاع فعلا فنزعها الشـدي من فم طفلها عند حدوث الهول، ووقوع الارتباك أدل على الدهشـة وهناك فرق آخـر وهو أن وروده على النسب أي مـرضع لا يلاحظ فيه حدوث الصـفة المشتق فيها ولكن مقتضـاه أنه موصوف بها، وعلى

(١) الفتوحات ٣: ١٥١.

غير النسب أي مرضعة يلاحظ فيه حدوث الفعل ، وخروج الصفة عليه[1].

[٤] ﴿كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾

الإعراب:

اختلف في إعراب الآية فقيل إن ﴿أنه من تولاه﴾ الخ نائب فاعل كتب، والجملة في موضع الصفة الثانية للشيطان، و(من) جزائية، وجزاؤها محذوف، و﴿فأنه يضله﴾ الخ عطف على (أنه) مع ما في حيزها، وما يتصل بها أي كتب على الشيطان أن الشأن من تولاه أي اتخذ وليا وتبعه يهلكه، فإنه يضله عن طريق الجنة وثوابها، ويهديه إلى طريق السعير وعذابها، والتاء لتفضيل الإهلاك، كما في قوله تعالى : ﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم﴾ وعلى ذلك حمل الطيبي كلام الكشاف وهو وجه حسن، وقيل (من) موصولة مبتدأ، وجملة ﴿تولاه﴾ صلته، والضمير المستتر عائدة ﴿وأنه يضله)﴾في تأويل مصدر خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف والجملة خبر الموصول، ودخول الفاء في خبره على التشبيه بالشرط أي كتب عليه أن الشأن من تولاه فشأنه، أو فحق أن يضله الخ ويجوز أن تكون ﴿من﴾ شرطية، والفاء جوابية وما بعدها مع المقدر جواب الشرط .

مرجع الضمير:

﴿عليه﴾ الضمير عائد على كل شيطان، وكذا الضمير المنصوب في ﴿تولاه﴾ وفي﴿فأنه﴾، والضميران المستتران في ﴿يضله ويهديه﴾ وقيل الضمير في ﴿أنه﴾ للشأن، وباقي الضمائر لمن وعن بعض الفضلاء أن الضمير في ﴿أنه﴾ للمجادل أي كتب على الشيطان أن المجادل من تولاه، وذكر بعد

(١) إعراب القرآن وبيانه ٦: ٣٨٨.

ذلك رأي أبي حيان ثم قال والأظهر جعل ضمير ﴿عليه﴾ عائدا على الشيطان، وهو المروي عن قتادة، وأيا ما كان فكتب بمعنى قضي وقدر، ويجوز أن يكون على ظاهره(١).

{١٥} ﴿من كان يظنّ أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء﴾

مرجع الضمير:

﴿ينصره﴾ الظاهر أن الضمير في ﴿ينصره﴾ عائد على (من) لأنه المذكور، وحمل بعضهم النصر على الرزق وقيل يعود على الدين والإسلام، قال الفراء: الهاء في ينصره للنبي ﷺ أي من كان منكم يظن أن اللهلن ينصر محمدا بالغلبة حتى يظهر دين الله فليجعل في سماء بيته حبلا ثم ليختنق به، فذلك قوله: ﴿ثم ليقطع﴾ اختناقا، وفي قراءة عبدالله ﴿ثم ليقطعه﴾ يعني السبب وهو الحبل(٢).

{١٦} ﴿وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد﴾

﴿أنزلناه﴾ الضمير للقرآن، أضمر للدلالة عليه، كقوله: ﴿حتى توارت بالحجاب﴾(٣).

{٢١} ﴿ولهم مقامع من حديد﴾

يجوز في هذا الضمير وجهان: أظهرهما أنه يعود على الذين كفروا وفي اللام حينئذ قولان:

---

(١) روح المعاني ١٧: ١١٥ بتصرف

(٢) معاني القرآن للفراء ٢: ٢١٨

(٣) البحر ٦: ٣٥٨

أحدهما: أنها للاستحقاق .

والثاني: أنها بمعنى عَلَىَ كقوله: ﴿ولهم اللعنة﴾ وليس بشيء.

الوجه الثاني:

أن الضمير يعود على الزبانية أعوان جهنم، ودل عليهم سياق الكلام وفيه بعد .

[٢٧] ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾

اللغة والإعراب:

رجالا: مشاة جمع راجل كقائم وقيام، ضامر: قليل اللحم الرقيق يقال: جمل ضامر وناقة ضامر وضامرة[١]،فج: يجمع على فجاج وهو الطريق الواسع الواضح بين الجبلين.

﴿يأتين﴾ صفة لكل ضامر، لأنه في معنى الجمع، وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان[٢]، وقال الفراء ﴿يأتين﴾ فعل النوق، وقد قرئت (يأتون) يذهب إلى الركبان[٣].

مرجع الضمير:

قال أبو حيان: الظاهر عود الضمير على كل ضامر، لأن الغالب أن البلاد الشاسعة لا يتوصل منها إلى مكة إلا بالركوب، وقد يجوز أن يكون الضمير

(١) المعجم الوسيط (ضمر).

(٢) الكشاف ٣: ١١

(٣) معاني القرآن للفراء ٢: ٢٢٤

يشمل رجالا، وكل ضامر على معنى الجماعات، والرفاق[1].

[٣٠] ﴿ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾

مرجع الضمير:

﴿فهو﴾ عائد على المصدر المفهوم من يعظم.

[٣٢] ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾

الإعراب وعود الضمير:

أي فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها، لأنه لابد من راجع إلى ﴿من﴾ من الجزاء ليرتبط به العائد على من محذوف أي منه أو من تقوى القلوب منهم.

وقال الصفاقس الظاهر في المعنى والله أعلم أن مراده بالراجع من حيث المعنى وقد قدر مضافًا ظاهراً في المعنى وهو قوله ذوي ويكون بني على مذهب من يرى الربط بالمعنى، وأجاز أبو البتاء أن تعود إنها على العظمة، أو على الحرمة، أو الخصلة، وقدر منه عائد كما تقدم[2].

[٤٦] ﴿....فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾

مرجع الضمير:

﴿فإنها﴾ الضمير للقصة وحسن التأنيث، لأن الضمير وليه فعل بعلامة التأنيث وهى التاء في لا تعمى، ويجوز التذكير، وقرأ به عبد الله فإنه لا

(١) البحر ٦: ٣٦٤، المجيد ٢: ١١٦٢أ

(٢) العكبري ٢: ٧٥ للمجيد ١١٦٢أ

تعمى، وقال الزمخشري ﴿فإنها﴾ الضمير ضمير الشأن والقصة يجئ مذكرا ومؤنثا، وفي قراءة ابن مسعود ﴿فإنه﴾، ويجوز أن يكون ضميرا مبهما يفسره ﴿الأبصار﴾ وفي تعمى ضمير راجع إليه، والمعنى: أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها، وإنما العمى بقلوبهم، أولا يعتد بعمى الأبصار فكأنه ليس بعمى بالإضافة إلى عمى القلوب(١).

{٥٥} ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾

مرجع الضمير:

﴿منه﴾ أي من القرآن، وقيل من الرسول، وقيل على ما ألقاه الشيطان(٢).

{٥٦، ٥٧} ﴿الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين﴾.

مرجع الضمير:

﴿يحكم بينهم﴾ بالمجازاة، والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله: **﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآيتنا فأولئك لهم عذاب مهين﴾**

وإدخال الفاء في خبر الثاني دون الأول تنبيه على أن إثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى، وأن عقاب الكفار مسبب عن أعمالهم، ولذلك قال لهم

(١) الكشاف ٣: ١٧

(٢) الفتوحات ٣: ١٧٦، روح المعاني ١٧: ١٧٥

عذاب، ولم يقل هم في عذاب[١].

{٧٨} ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾

مرجع الضمير:

﴿هو﴾ راجع إلى الله تعالى، ويدل عليه أنه قرئ الله سماكم، أو لإبراهيم، وتسميتهم مسلمين في القرآن، وإن لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل، في قوله: ﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾

ورجح أبو حيان أن الضمير في (هو سماكم) عائد على إبراهيم وهو أقرب مذكور[٢].

(١) البيضاوي ٤٤٧

(٢) البحر ٦: ٣٩١

[سورة المؤمنون]

{١١} ﴿الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾

مرجع الضمير:

أنث الضمير، لأنه اسم للجنة، أو لطبقتها العليا[١].

{٣٧} ﴿... إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾

مرجع الضمير:

فأقيم الضمير مقام الأولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرير، وإشعارا بأن تعيينها مُغْنٍ عن التصريح بها كقوله: هى النفس ما حملتها تتحمل، وهي العرب تقول ما شاءت ومعناه لاحياة إلا هذه الحياة الدنيا، لأن ﴿إن﴾ نافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس.

{٤٩} ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون﴾

مرجع الضمير:

﴿لعلهم﴾ أي يعملون بشرائعها، ومواعظها كما قال: على خوف من فرعون وقومه يريد آل فرعون والضمير يعود على بني إسرائيل، لأنهم آوتوا التوراة بعد إغراق فرعون وملئه، ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ماأهلكنا القرون الأولى.

---

(١) البيضاوي ٤٥٢

{٦١} ﴿أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾

مرجع الضمير:

في الضمير في ﴿لها﴾ ثلاثة أوجه:

أظهره: أنه يعود على الخيرات لتقدمها في اللفظ، وقيل يعود على الجنة، وقيل على السعادة. والظاهر أن سابقون هو الخبر، ولها متعلق به قدم للفاصلة وللاختصاص واللام قيل بمعنى إلى يقال: سبقت له وإليه بمعنى، ومفعول سابقون محذوف تقديره سابقون الناس إليها، وقيل اللام للتعليل أي سابقون الناس لأجلها وتكون هذه الجملة مؤكدة للجملة بعدها وهي يسارعون في الخيرات، لأنها تفيد معنى آخر وهو الثبوت والاستقرار بعد مادلت الأولى على التجدد[١]، وقد قال أبو حيان الظاهر عود ضمير﴿لها﴾ على الخيرات، وقيل على الجنة، وقيل على الأمم[٢].

{٦٧} ﴿مستكبرين به سامرا تهجرون﴾

مرجع الضمير:

﴿به﴾ الضمير للبيت العتيق، أو للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم، وخدام البيت، وقوامه، قال أبوحيان: الضمير يعود على المصدر الدال عليه ﴿تنكصُون﴾ أي بالنكوص والتباعد، وتعقب بأن ذلك مفهوم من جعل مستكبرين حالا، وذكر أن الضمير لرسول الله ﷺ ويحسنه أن في قوله تعالى: ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم﴾ دلالة عليه عليه الصلاة

(١) الفتوحات ٣: ١٩٦

(٢) البحر ٦: ٤١١

والسلام. والباء إما للتعدية على تضمين الاستكبار معنى التكذيب، أو جعله مجازا عنه، وإما للسببية، لأن استكبارهم ظهر ببعثه ﷺ، ويجوز أن يعود على القرآن المفهوم من الآيات، أو عليها باعتبار تأويلها به، وقيل ﴿به﴾ متعلق بسامرا أي يسمرون بذكر القرآن، والطعن فيه.

[سورة النور]

[١] ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾

مرجع الضمير:

﴿أنزلناها﴾ الضمير للأحكام المفهومة من الكلام فكأنه قيل أنزلنا الأحكام سورة أي في حال كونها سورة من سور القرآن وإلى هذا ذهب في البحر، وربما يقال: يجوز أن يكون الضمير للسورة الموجودة في العلم من غير ملاحظة تقييدها بوصف،

﴿وفرضناها﴾ إما على تقدير مضاف أي فرضنا أحكامها، وإما على اعتبار المجاز في الإسناد حيث أسند فالمدلول للدال لملابسة بينهما تشبه الظرفية، ويحتمل على بعد أن يكون في الكلام استخدام بأن يراد بسورة معناها الحقيقي، وبضميرها معناها المجازي أعني الأحكام المدلول عليها بها[١].

[١١] ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه شراً لكم ...﴾

اللغة والإعراب:

الإفك: أبلغ ما يكون من الكذب، وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك، وأصله الأفك وهو القلب، لأنه قول مأفوك عن وجهه، وجملة إن الذين: مستأنفة للشروع في سرد قصة الإفك وتقع في ثماني عشرة آية تتعلق بعائشة رضي الله عنها، وهى صالحة تستحق المديح والثناء فمن رماها بالسوء فكأنه قلب الحقائق وطمسها ﴿منكم﴾ صفة لعصبة أي من المؤمنين ولو ظاهرا،

(١) روح المعاني ١٨: ٧٥

فقد كـان عبد الله بن أبي وهو أحـد الذين خاضوا في حديث الإفك مـن كبار المنافقين، والخطاب هنا للنبي ﷺ وأبي بكر وعائشـة، وصفوان تسلية لهم، لا: جازمـة، تحسبـوه: مضارع مـجزوم، والواو: فـاعل، والهاء: مفـعول به أول، شرا: مفعول به ثان .

مرجع الضمير :

﴿لا تحسبوه﴾ الهاء للإفك، وقيل على القذف، وقيل على المصدر المفهوم من ﴿جاءوا﴾، وعلى ما نال المسلمين من الغم [١].

إلقاء الضوء على حديث الإفك:

جاء في صحيـحي البخاري ومسلم على لسان عـائشة قالت كنت مع النبي ﷺ في غزوة بعد ماأنزل الحجـاب، ففرغ منها ورجع ودنا من المدينة، وأذن بالرحيل ليلة فـمشيت وقضـيت شأني، وأقبلت إلى الرحل فإذا عـقدي انقطع فرجعت التمسه، وحملوا هودجي يحسبـونني فيه وكانت النساء خفافا إنما يأكلن العلقة[٢]، من الطعـام، ووجدت عقـدي، وجئت بعـدما ساروا فـجلست في المنزل الذي كنت فـيه، وظننت أن القوم سـيفقـدونني فيرجـعون إلي فـغلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان قد عرّس[٣]، من وراء الجيش فأدلج للاستراحة، فسار منه فـأصبح في منزله، فرأى سواد إنسان نائم فـعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجـاب فاستيقظت باستـرجاعه[٤]، حين عرفني فـخمـرت وجهي،

(١) البحر ٦: ٤٣٦

(٢) اي القليل.

(٣) اي نزل ليلا للاستراحة وهو خاص بآخر الليل وهو صحابي جليل

(٤) اي بقوله إنا لله وإنا إليه راجعون

والله ما كلمني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته، ووطئ على يدها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موعزين في نحر الظهيرة فهلك من هلك فيّ وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي سلول

وسنوجز باقي الرواية فيما يأتي:

حيث إن السيدة عائشة رضي الله عنها اشتكت في المدينة شهرا والناس يخوضون، ولا ترى اللطف الذي كانت تعرفه من رسول الله حين تشتكي، إنما كان يسلم ثم يقول: كيف تيكم، فكان هذا يريب السيدة عائشة، وخرجت يوما ومعها أم مسطح فعثرت فقالت: تعس مسطح، فقالت السيدة عائشة: بئس ماقلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا، فقالت أولم تسمعي ما قال، قالت وماذا قال فأخبرتها، فازدادت مرضا، واستأذنت في الذهاب إلى بيت أبيها، وعرفت من أمها وأبيها ما حدث فبكت، ودعا الرسول ﷺ علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فقال: هم أهلك ولا نعلم إلا خيرا وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله بريرة يسألها هل رأيت من شيء يريبك في عائشة قالت: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا قد أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن[1] فتأكله، وفي يوم دخل رسول الله ﷺ بيت أبي بكر فسلم ثم جلس وتشهد ثم قال: أما بعد ياعائشة فإني قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت

(١) الداجن كل ما ألف البيوت وأقام بها من حيوان وطير

بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألمحت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه، فلما قضى رسول الله مقالته تقول السيدة عائشة قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي أجب عنى رسول الله فقال والله ما أدري ماذا أقول لرسول الله؟ وكذلك قالت أمها فقالت السيدة عائشة إني والله لقد عرفت أنكم سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به فإن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، وإن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقوني، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون

ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، فوالله ما رام رسول الله مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى إنه ليتحدر من مثل الجماق من العرق في اليوم الشاتي، فلما سرى عن رسول الله وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشري ياعائشة، أما الله فقد برأك تقول السيدة عائشة قالت لي أمي قومي إليه قلت والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي، وكان أبو بكر ينفق على مسطح لقرابته منه، وفقره، فأقسم لا ينفق عليه شيئا أبدا فأنزل الله عز وجل : **﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى إلى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾** فقال أبو بكر والله إني لأحب أن يغفر الله لي، ورجع إلى مسطح النفقة التي ينفقها عليه.

وقد شغل حديث الإفك كثيراً من المستشرقين منهم بروكلمن المستشرق الألماني صاحب كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية، ولا تخلو روايته من خلل وخطأ وتحامل خفي كقوله: فردها إلى بيت أبويها وثبت أن النبي ﷺ حد

القاذفين الأربعة وهم: عبد الله بن أبـي، وحسان بن ثابت، ومسطح، وحمنة ابن جحش وأنشد حسان بن ثابت أبياتا يثـني فيها على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثي من لحوم الغوافل
سليلة خير الناس دينا ومنصبا ... نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حي من لؤي بن غالب ... كرام المساعي مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله جنيها ... وطهرها من كل شين وباطل
فإن كان ما بلغت عني قلته ... فلا رفعت سوطي إلى أناملي
وكيف وودي ما حييت ونصرتي ... بآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس فضلها ... تقاصرعنها سورة المتطاول

{٢١} ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء﴾

مرجع الضمير:

﴿فإنه﴾ الضمير إما أن يعود على ﴿من﴾ الشرطية، وإما أن يعود على الشيطان (١).

{٣١} ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن ....أو بني أخواتهن أو نسائهن﴾

---

(١) العكبري ٢: ٢٨١، البحر ٤٣٩

مرجع الضمير:

﴿أو نسائهن﴾ أي النساء المختصة بهن من جهة الاشتراك في الإيمان فيخرج الكافرات، لأنهن ربما يحكين المسلمات للكافر فأكثر السلف على أن قوله أو نسائهن مخصوص بمن كان على دينهن[1]. قال الفراء: (أو نسائهن) يقول نساء أهل دينهن يقول: لا بأس أن تنظر المسلمة إلى جسد المسلمة، ولا تنظر إليها يهودية ولا نصرانية[2].

[٣٢]﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾

اللغة والإعراب:

الأيامى: جمع أيم وهي من ليس لها زوج بكرا كانت أو ثيبا، ومن ليس له زوج وهذا في الأحرار والحرائر بقرينة قوله: وإمائكم، وتجمع الأيّم على أيائم، وأيّمون وأيمات والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حكم النكاح، والأمر للوجوب إن كان الرجل والمرأة محتاجين للنكاح خوف الزنا ، وإلا فالأمر للإباحة كما رأى الشافعي، أو للندب :كما رأى أبو حنيفة ومالك.

---

(١) البحر ٦: ٤٤٨

(٢) معاني القرآن للفراء ٢: ٢٥٠

مرجع الضمير:

﴿إن يكونوا﴾ للحرائر خاصة من الرجال والنساء[1].

[٣٥] ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾

اللغة:

﴿كمشكاة﴾ المشكاة كل كوة غير نافذة، وكل ما يوضع فيه أو عليه المصباح قيل هي حبشية معربة.

﴿زجاجة﴾ الزجاج بفتح الزاى وضمها وكسرها : جسم شفاف والمراد: قنديل من زجاج، دري: مضيء منسوب إلى الدر شبه به لصفائه وإضاءته.

يوقد: صفة ثانية لكوكب ونائب الفاعل ضمير مستتر، مباركة: صفة لشجرة، وزيتونة: بدل من شجرة، ولا شرقية صفة ثانية لشجرة دخلت(لا) لتفيد النفي فلا تحول بين الصفة والموصوف.

مرجع الضمير:

﴿نوره﴾ ذكر السيوطي أن الضمير يعود على مولانا جل جلاله، والنور يطلق حقيقة على الضوء الذي يدرك بالأبصار ومجازاً على المعاني التي تدرك بالقلوب والله ليس كمثله شيء، أو يعود على المؤمن، وقيل على القرآن ثم قال وهذه الأقوال كلها ضعيفة، لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير[2]. أما أبو

(١) معاني القرآن للفراء ٢: ٢٥١

(٢) معترك الأقران ٢: ٣٦٢

حيان فقد أعاده على محمد ﷺ، أو على المؤمنين، أو على القرآن والإيمان، ثم قال وهذه الأقوال الثلاثة عاد فيها الضمير على غير مذكور، بخلاف عوده على الله تعالى[1].

البلاغة:

التشبيه البليغ في قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ التشبيه المرسل في قوله: مثل نوره كمشكاة فيها مصباح والطباق في قوله: لا شرقية ولا غربية.

التنكير في قوله: نور على نور: ضرب من الفخامة والمبالغة أي نور متضاعف.

{٣٩} ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾

مرجع الضمير:

﴿لم يجده﴾ أي لم يجد ما قدره وظنه شيئا، ووجه التشبيه أن الذي يأتي به الكافر من أعمال البر يعتقد أن له ثوابا عند الله تعالى وليس كذلك، فإذا وافى عرضة القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم، والعذاب ا لأليم فعظمت حسرته، وتناهى غمه، فشبه حاله بحال الظمآن الذي اشتدت حاجته إلى الماء، فإذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه به، فإذا جاءه لم يجده شيئا فكذلك حال الكافر يحسب أن عمله نافعه، فإذا احتاج إلى عمله لم يجده أغنى عنه شيئا ولا نفعه.

(١) البحر: ٤٥٥

﴿ووجد الله عنده فوفاه حسابه﴾.

قال أبو السعود: فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عينا، ولا أثرًا كأنه قيل: حتى إذا جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئا، ووجدوا الله أي حكمه وقضاءه عند المجيء، وقيل عند العمل فوفاهم أي أعطاهم كاملا وافيا حسابهم أي حساب أعمالهم المذكورة وجزاءها، فإن اعتقادهم لنفعها بغير إيمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا، وإفراد الضميرين الراجعين إلى الذين كفروا، إما لإرادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل، وإما للحمل على كل واحد منهم، وكذا إفراد ما يرجع إلى أعمالهم، وفي البيضاوي ووجد الله أي وجد عقابه، وزبانية عذابه، أو وجد نفسه محاسبا إياه وقوله عنده أي عند السراب، أو العمل، وقوله أو وجد نفسه محاسبا إياه أي فالعندية بمعنى الحساب على طريق الكناية لذكر التوفية بعده.

وفي القرطبي ووجد الله عنده أي وجد الله بالمرصاد فوفاه حسابه أي جزاء عمله، وقيل وجد وعد الله بالجزاء على عمله، وقيل وجد أمر الله عند حشره، والمعنى متقارب[1].

[٤١] ﴿....كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون﴾.

مرجع الضمير:

﴿علم﴾ الظاهر أن الفاعل المستكن يعود على ﴿كل﴾، وقيل الضمير في

(١) الفتوحات ٣: ٢٢٩

﴿علم﴾ لكل، وفي صلاته وتسبيحه لله أي صلاة الله، وتسبيحه الذين أمر بهما.

{٤٨} ﴿وإذا دعـوا إلى الله ورسـوله ليـحكم بـينهم إذا فـريق مـنهم معرضون﴾

مرجع الضمير:

أفرد الضمير في ﴿ليحكم﴾ وقد تقدم (الله ورسوله)، لأن حكم الرسول هو عن الله[١].

{٦٣} ﴿..... فليحذر الذين يخـالفون عن أمره أن تصيبهم فتـنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾

مرجع الضمير:

﴿عن أمره﴾ الضمير لله، أو للرسول عليه الصلاة والسلام[٢].

{٦٤} ﴿ألا إن لله مـا في السـموات والأرض قـد يعلم مـا أنتم عليـه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم﴾

مرجع الضمير:

الخطاب للغيبة في قوله تعالى: ﴿قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه﴾ يجوز أن يكونا جميعا للمنافـقين على طريق الالتفات، ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما، ويرجعون للمنافقين، وقـد تقدم في غير موضع أن الرجوع إليه هو الرجوع إلى حيث لا حكم إلا له[٣].

(١) الكشاف ٣: ٧٢

(٢) البحر ٦: ٤٧٧، المجيد، ١٧٥، البيضاوي ٤٧٥

(٣) التفسير الكبير ٢٣: ٤٣

[سورة الفرقان]

{١} ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾

مرجع الضمير:

﴿ليكون﴾ الضمير المستتر يعود على :

﴿عبده﴾ وهو النبي ﷺ في قراءة الجمهور، واستحسن لقربه، ورجحه أبو حيان[1]، قال الصفاقس[2]، وفيه نظر، لأن ضمير المضاف إليه أقرب، فالضمير يعود على المتزل لعموم المسند إليه، ويقرب ضميره، أو على الفرقان.

{٣} ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا﴾

مرجع الضمير:

عائد على ما يفهم من السياق، لأن في قوله: ولم يتخذ دلالة عليه إذ لم ينف إلا وقد قيل به، وقيل في نذيرا لأنهم المنذرون، وقال الكرماني ضمير الكفار المندرجين في العالمين .

{٤} ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا﴾

الإعراب:

إن: نافية، وهذا: مبتدأ، إلا: أداة حصر، وإفك: خبر هذا وجملة

(١) النهر ٦: ٤٧٨

(٢) المجيد ٢: ١١٧٦، الفتوحات ٣: ٢٤٤

افتراه: صفة لإفك، ظلما: مفعول جاءوا وتعدى إليه بنفسه أي أتوا ظلما.

مرجع الضمير:

﴿افتراه﴾ ضمير الفاعل فيه عائد على عبده.

﴿جاءوا ظلما و زورا﴾ الظاهر أن ضمير جاءوا عائد على الذين كفروا، وقيل على قوم آخرين.

[١٦] ﴿لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا﴾.

الإعراب والمرجع:

﴿خالدين﴾ حال من الضمير في تشاءون، أو من الضمير في لهم ﴿كان﴾ يجوز أن يكون اسمها عائداً على ﴿ما﴾، وأن يكون التقدير: كان الوعد وعدا، ودل عليه أي المصدر المقدر قوله: وعد، وقوله: لهم فيها، وخبر ﴿كان﴾ وعدا، أو على ربك، ووعدا بمعنى موعود.

[٢٠] ﴿وما أرسلنا من قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ....﴾

الإعراب والمرجع:

مفعول أرسلنا: محذوف أي أحدا، وقدره ابن عطية رجالا ورسلا، وأعاد الضمير في ﴿إنهم﴾ على ذلك المحذوف كقوله: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ أي وما منا أحد، وجملة قوله ﴿إلا إنهم﴾ عند هؤلاء صفة أي إلا آكلين وماشين، ورد بأن ما بعد إلا لا يجئ صفة، وقدر الفراء[1] المفعول موصولا محذوفا أي إلا من إنهم، والضمير عائد على معنى ﴿من﴾، فيكون استثناء

(١) معاني القرآن ٢: ٢٦٤.

مفرغـا، وضعف بحذف الموصول، وقـيل قبل إنهم قول مـحذوف أي إلا قيل إنهم، وقال الأنباري: التقدير إلا وإنهم أي الجـملة حالية وهو المختار، وحكاه أبو البتاء فقال: وقيل لو لم تكن اللام لكسرت، لأن الجملة حالية إذ المعنى إلا وهم يأكلـون، وقـرئ أنهم بـالفـتح علـى زيادة اللام، وأن: مـصــدرية أي ماجعلناهم رسلا إلى الناس إلا لكونهم مثلهم.

[٤٤] ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾

مرجع الضمير:

﴿أكثرهم﴾ لمن باعتـبار معناه، وضمـير **﴿عليه﴾** له أيضا باعتـبار لفظه، واختير الجمع مرجع الضمير:

﴿أكثرهم﴾ لمن باعتـبار معناه، وضمـير **﴿عليه﴾** له أيضا باعتـبار لفظه، واختير الجمع هنا لمناسبة إضافة الأكثر لهم، وأفرد فيما قبله لجعلهم في اتفاقهم على الهوى كشيء واحد، وقيل ضمير **﴿أكثرهم﴾** للكفار، لا (لمن) وضمير الفعلين للأكثر لا لما أضيف إليه(١).

[٥٠] ﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا﴾

الضمير المنصوب في **﴿صرفناه﴾** عائد على الماء المنزل من السـماء، وقال ابن عبـاس عائد على القرآن، وإن لم يتقـدم له ذكر لوضوح الأمر، ويعـضده **﴿وجاهدهم به﴾** لتوافق الضـمائر، وقال أبو مسلم راجع إلى المطر والـسحاب

---

(١) روح المعاني ١٩: ٢٥

والرياح، وقال الزمخشري صرفنا هذا القول[1].

{٥٧} ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا﴾

مرجع الضمير:

﴿عليه﴾ عائد على التبشير، أو الإنذار، أو القرآن أو إبلاغ الرسالة[2].

{٥٩} ﴿الذي خلق السموات والأرض، وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا﴾

مرجع الضمير:

﴿به﴾ أي بتفاصيل ما ذكر من خلق السماء والأرض والاستواء على العرش، والباء: من صلة الخبير، وذلك الخبير هو الله عز وجل، لأنه لا دليل في الفعل على كيفية خلق الله السموات والأرض فلا يعلمها أحد إلا الله تعالى وقيل: الضمير للرحمن، والمعنى: إن أنكروا إطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجئ ما يرادفه في كتبهم، وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ، وما بعده خبر، فمعنى ﴿به﴾ أي عنه، والمعنى فاسأل عنه خبيرا قال علقمة:

فإن تسألوني بالنساء فإنني خبير بأدواء النساء طبيب

قال ابن جرير: الباء في قوله ﴿به﴾ صلة، والمعنى فسله خبيرا، وخبيرا: نصب على الحال. أو أن قواه ﴿به﴾ يجري مجرى القسم كقوله:

(١) البحر ٦: ٥٠٦، العكبري ٢: ٨٦

(٢) المجيد ٢:١٧٩ب

﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾[1].

{٦١} ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا﴾

مرجع الضمير:

﴿فيها﴾ الظاهر أنه عائد على السماء، وقيل على البروج.

{٧٣} ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا﴾

مرجع الضمير:

﴿عليها﴾ الضمير يعود على الآيات أي لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل أكبوا عليها سامعين بآذان واعية، مبصرين بعيون راعية، فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك: لا يلقاني زيد مسلما، وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو[2].

---

(١) التفسير الكبير ٢٤: ١٠٥

(٢) البيضاوي ٤٨٤

[سورة الشعراء]

{٢١ , ٢٢} ﴿ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين، وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل﴾

قال الزمخشري:

فإن قلت: لم جمع الضمير في منكم وخفتم مع إفراده في تمنها وعبدت قلت: الخوف والفرار لم يكونا منه وحده، ولكن منه، ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ ، وأما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد فإن قلت: تلك إشارة إلى ماذا، ﴿وأن عبدت﴾ ما محلها من الإعراب؟ قلت: تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة لا يدري ماهي إلا بتفسيرها، ومحل أن عبدت: الرفع عطف بيان لتلك، وقد نقل الفخر الرازي ماقاله الزمخشري[١].

{٧٠} ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون﴾

مرجع الضمير:

﴿وقومه﴾ الظاهر عوده على إبراهيم، وقيل : على أبيه أي وقوم أبيه، كما قال : ﴿إني أراك وقومك﴾[٢].

{٨٧} ﴿ولا تخزني يوم يبعثون﴾

الضمير في ﴿يبعثون﴾ ضمير العباد، لأنه معلوم، أو ضمير الضالين وأن

---

(١) الكشاف ٣: ١٠٩، التفسير الكبير ٢٤: ١٢٧

(٢) البحر ٧: ٢٢، المجيد ٢: ١٨٣أ

يجعل من جملة الاستغفار لأبيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون.

{٩٤، ٩٥} ﴿فكبكبوا فيها هم والغاوون، وجنود أبليس أجمعون﴾.

الإعراب والمرجع:

﴿أجمعون﴾ تأكيد للجنود إن جعل مبتدأ خبره ما بعده، أو للضمير وما عطف عليه، وكذا الضمير المنفصل، وما يعود إليه في قوله: **قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين**، على أن الله ينطق الأصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله: **إذ نسويكم برب العالمين**، أي في استحقاق العبادة، ويجوز أن تكون الضمائر للعبدة كما في قالوا، والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة، والمعنى: أنهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بإنهماكهم في الضلالة فيتحسرون عليها[١].

{١٩١، ١٩٢} ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم، وإنه لتنزيل رب العالمين﴾

مرجع الضمير:

﴿وإنه﴾ الضمير للقرآن أي أنه ليس بكهانة ولا سحر بل هو من عند الله، وكأنه عاد أيضا إلى ما افتتح به السورة من إعراض المشركين عما يأتيهم من الذكر ليتناسب المفتتح والمختتم.

{١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦} ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، وإنه لفي زبر الأولين﴾

(١) البيضاوي ٤٩١

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿وإنه﴾ للقرآن، يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية، وقيل إن معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك في (أن يعلمه) وليس بواضح[1].

قال أبو حيان: تناسق الضمائر لشيء واحد أوضح[2]. وجعله الفراء عائدا على القرآن أي أنه لفى بعض زبر الأولين وكتبهم فقال: ﴿في زبر﴾ وإنما هو في بعضها وذلك واسع، لأنك تقول: ذهب الناس وإنما ذهب بعضهم[3].

{٢٠٠} ﴿كذلك سلكناه﴾

الإعراب ومرجع الضمير:

﴿سلكناه﴾ نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك السلك سلكناه أي أدخلناه فالضمير عائد على القرآن ولم يؤمنوا به عنادا وقيل يعود على التكذيب، أو على الكفر المدلول عليه بقوله: ما كانوا به مؤمنين.

{٢٢٢، ٢٢٣} ﴿تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾

مرجع الضمير:

﴿يلقون﴾ يعود إلى الشياطين، أوعلى كل أفاك، وجمع الضمير لأن ﴿كل أفاك﴾ فيه عموم وتحته أفراد[4].

---

(١) الكشاف ٣: ١٢٨

(٢) البحر ٧: ٤٠، ٤١.

(٣) معاني القرآن ٢: ٢٨٤.

(٤) البحر ٧: ٤٨

[سورة النمل]

{٨} ﴿فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين﴾.

مرجع الضمير:

﴿جاءها﴾ ضمير المفعول عائد على النار، وقيل على الشجرة.

{٩} ﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾

الإعراب ومرجع الضمير:

﴿إنه﴾ ضمير الشأن، وأنا الله جملة في موضع الخبر، والعزيز الحكيم صفتان، وأجاز الزمخشري أن يكون الضمير عائدا على ما دل عليه ما قبله أي أن مكلمك، وأجاز أبو البقاء أن يكون عائدا على الله تعالى.

{١٨} ﴿ادخلوا مساكنكم﴾ أتى بضمير من يعقل، لأنها أمرت بأمر من يعقل(١).

{٢٢} ﴿فمكث غير بعيد ....﴾

مرجع الضمير:

الظاهر أن الضمير في ﴿مكث﴾ عائد على الهدهد، أي غير زمان بعيد وقيل غير بعيد من سليمان، وقيل الضمير لسليمان.

---

(١) البحر ٧: ٦١ المجيد ٢: ١١٨٨

[٣٧] ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾

مرجع الضمير:

﴿ارجع﴾ أمر للرسول، ولم يجمع الضمير كما جمعه فيما تقدم من قوله: ﴿أتمدونني﴾ لاختصاص الرجوع به بخلاف الإمداد ونحوه، وقيل هو أمر للهدهد محملا كتابا آخر، وأخرج ذلك ابن أبي حاتم عن زهير بن زهير، وتعقب بأنه ضعيف دراية ورواية، وقرأ عبد الله ﴿ارجعوا﴾ على أنه أمر للمسلمين والفعل هنا لازم أي انقلب وانصرف (منها) من سبأ [1]. (بها) عائد على الجنود وهو جمع تكسير فيجوز أن يعود الضمير عليه كما يعود على الواحدة كما قالت العرب: الرجال وأعضادها وقرأ عبد الله بهم[2].

[٦٥] ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون﴾

متى ينشرون، والضمير لمن، وقيل للكفرة[3].

---

(١) روح المعاني ١٩: ٢٠١

(٢) البحر ٧: ٧٤ المجيد ٢: ١٨٩ب

(٣) البيضاوي ٥٠٧

[سورة القصص]

{١٥} ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾.

الظاهر أن فاعل ﴿فقضى﴾ ضمير يرجع إلى موسى، وقيل يعود على الله أي فقضى الله عليه بالموت، ويحتمل أن يعود على المصدر المفهوم من وكزه أي فقضى الوكز عليه، وكان موسى لم يتعمد قتله، ولكن وافقت وكزته الأجل فندم موسى[١].

{١٨, ١٩} ﴿... قال له موسى إنك لغوي مبين، فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى ..﴾

مرجع الضمير:

الظاهر أن الضمير في ﴿له﴾ عائد على الذي، إنك لغوي مبين لكونك كنت سببا في قتل القبطي بالأمس قال له ذلك على سبيل العتاب والتأنيب، والضمير في أراد ويبطش هو لموسى، وقيل الضمير في أراد ويبطش للاسرائيلي[٢].

{٤٨, ٤٩} ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه إن كنتم صادقين﴾.

(١) البحر ٧: ١٠٩

(٢) البحر ٧: ١١٠

مرجع الضمير:

﴿فلما جاءهم﴾ أي أولئك القـوم، والمراد بهم هنا أهل مكة الموجـودون عند البعثـة، وضمائر الجمع الآتية كلهـا راجعة إليهم، وجوز أن يكون ضـميرا ﴿جاءهم وقالوا﴾ راجعين إلى أهل مكة الموجودين، وضـمير ﴿يكفروا﴾ وكذا ضمير ﴿قـالوا﴾ في الموضـعين راجع إلى جنس الكفـرة المعلوم من الـسيـاق، والمراد بهم الكفرة الذين كـانوا في عهد مـوسى عليه السلام، وقـيل يجوز أن تكون الضمائر راجعة إلى الموجودين والكفرة.

وادعى أبو حيان ظهور رجوع ضمير يكفروا، وكذا ضمير قالوا إلى قريش الذين قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى، وأن نسبة ذلك إليهم لما أن تكذيبهم لمحمد ﷺ تكذيب لموسى عليه السلام، ونسبتـهم السحر للرسول نسبتهم إياه لموسى وهارون عليهما السلام إذ الأنبياء عليهم السلام من واد واحد[1].

[٥١] ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾

مرجع الضمير:

﴿لهم﴾ الضمير لقريش، وقيل لليهود، والأول أظهر لأن الكلام من أوله مـعهم، والعـموم أحـسن لهم ولغيـرهم ممن يأتي بعـدهم يعني بلغنا ﴿لهم﴾ القـرآن، وبينا لهم الحـلال والحـرام ووعظناهـم بحكاية من تقـدم من الأمم، لعلهم يتـذكرون وهذا مثـل قوله: ﴿وذكـر فإن الذكـرى تنفع المؤمنين﴾[2].

---

(١) روح المعاني ٢٠: ٩٣ بتصرف

(٢) معترك الأقران ٣: ٤١٩

{٥٢} ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾

مرجع الضمير:

﴿به﴾ عائد على القول وهو القرآن، وقال الفراء: عائد على الرسول عليه السلام(١).

{٥٣} ﴿إنا كنا من قبله مسلمين﴾

مرجع الضمير:

﴿من قبله﴾ هذه الهاء للنبي عليه السلام، ولو كانت الهاء كناية عن القرآن كان صوابا، لأنهم قد قالوا: إنه الحق من ربنا فالهاء هاهنا أيضا تكون للقرآن، ولمحمد ﷺ(٢).

{٧٣} ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾

مرجع الضمير:

﴿فيه﴾ لليل

﴿من فضله﴾ عائد على الله تعالى أي من الله فيه، ويحتمل أن يعود على النهار وأضاف الفضل إلى النهار مجازاً لحصوله فيه كقوله:

﴿بل مكر الليل والنهار﴾(٣).

(١) البحر ٧: ١٢٥

(٢) معاني القرآن للفراء ٢: ٣٠٧

(٣) سبأ الآية ٣٣، البحر ٧: ١٣٠، المجيد ٢: ١١٩٦

وقال الفراء: إن شئت جعلت الهاء راجعة على الليل خاصة، وأضمرت للابتغاء هاء أخرى تكون للنهار، فذلك جائز، وإن شئت جعلت الليل والنهار كالفعلين، لأنهما ظلمة وضوء، فرجعت الهاء في ﴿فيه﴾ عليهما جميعا كما يقول: إقبالك وإدبارك يؤذيني، لأنهما فعل، والفعل يرد كثيره ،وتثنيته إلى التوحيد، فيكون ذلك صوابا(١).

{٨٠} ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون﴾

مرجع الضمير:

﴿يلقاها﴾ الضمير للكلمة التي قالها العلماء أو للإثابة، لأنها في معنى الثواب، أو للأعمال الصالحة، أو للجنة، أوللسيرة(٢).

قال أبو حيان:

﴿ولا يلقاها﴾ أي هذه الحكمة وهي معرفة ثواب الله، وقيل الجنة ونعيمها وقيل هذه المقالة وهي قولهم: ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ويخهم بها.

وقال الفخر الرازي : إن الضمير يعود على :

إلى مادل عليه قوله : ﴿آمن وعمل صالحا﴾ يعني هذه الأعمال لا يؤتاها إلا الصابرون، والثاني: قال الزجاج يعني ولا يلقي هذه الكلمة وهي قولهم

(١) معاني القرآ ٢: ٣١٠

(٢) العكبري ٢: ٩٤، الجمل ٣: ٣٦١، الكشاف ٣: ١٩٢

ثواب الله خير إلا الصابرون على أداء الطاعات، والاحتراز عن المحرمات، وعلى الرضا بقضاء الله في كل ما قسم من المنافع والمضار فتلخص مما سبق أن الضمير في ﴿يلقاها﴾ إما يعود للكلمة، والحكمة التي هي معرفة ثواب الله التي قالها العلماء، أو للإثابة أي المقالة، لأنها في معنى الثواب وهي قولهم: ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وبخهم بها أو للأعمال الصالحة التي دل عليها قوله آمن وعمل صالحا يعني هذه الأعمال لا يؤتاها إلا الصابرون، أو للجنة ونعيمها، أو للسيرة .

[سورة العنكبوت]

{١٥} ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين﴾

مرجع الضمير:

﴿وجعلناها﴾ وجهان:

أحدهما: أنها راجعة إلى السفينة المذكورة، وعلى هذا ففي كونها آية وجوه:

أحدها أنها اتخذت قبل ظهور الماء ولولا إعلام الله نوحا وإنباؤه إياه به لما اشتغل بها فلا تحصل لهم النجاة

ثانيها: أن نوحا أمر بأخذ قوم معه ورفع قدر من القوت، والبحر العظيم لا يتوقع أحد نضوبه، ثم إن الماء غيض قبل نفاذ الزاد ولولا ذلك لما حصل النجاة فهو بفضل الله لا بمجرد السفينة.

ثالثها: أن الله كتب سلامة السفينة عن الرياح المرجفة والحيوانات المؤذية، ولولا ذلك لما حصلت النجاة .

الثاني: أنها راجعة إلى الواقعة أو إلى النجاة أي جعلنا الواقعة أو النجاة آية للعالمين(١).

{٢٧} ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾.

مرجع الضمير:

(١) التفسير الكبير ٢٥: ٤٢

﴿ذريته﴾ رجح السيوطي عود الضمير على المحدث عنه في هذه الآية قال في همع الهوامع[1]، ضمير ﴿ذريته﴾ عائد على إبراهيم، وهو غير الأقرب، لأنه المحدث عنه من أول القصة[2].

{٥٨} ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين﴾

مرجع الضمير:

﴿فيها﴾ أي في الغرف، أو في الجنة[3].

{٦٢} ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾.

مرجع الضمير:

﴿ويقدر له﴾ هو من يشاء فكأن بسط الرزق وقدره جعلا لواحد، قلت: يحتمل الوجهين جميعا، يريد يقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع (من يشاء) لأن من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير منهما مثله وأن يريد تعاقب الأمرين على واحد على حسب المصلحة[4].

قال أبو حيان: ظاهر العود على من ﴿يشاء﴾ فيكون ذلك الواحد يبسط له في وقت ويقدر في وقت، ويجوز أن يكون الضمير عائداً عليه في اللفظ، والمراد لمن يشاء آخر، فصار نظير: ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره﴾ أي من عمر معمر آخر، وقولهم: عندي درهم ونصفه[5].

(١) ١. ٦٥
(٢) دراسات لأسلوب القرآن ١:١٦
(٣) البحر ٧: ١٥٨
(٤) الكشاف ٣: ٢١١
(٥) البحر ٧: ١٥٨

[سورة الروم]

[٢٧] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾

الإعراب:

هو: مبتدأ، الذي خبر والجملة بعده صلة، وهو أهون

الواو: حالية، أو عاطفة، وهو مبتدأ، وأهون: خبره

له: خبر مقدم: المثل: مبتدأ مؤخر، الأعلى : صفة في السموات: حال

مرجع الضمير :

﴿هو أهون عليه﴾ الضمير المرفوع للإعادة، وتذكيره لرعاية الخبر،

أولأنها مؤولة بأن والفعل، وهو في حكم المصدر المذكر، أو لتأويلها بالبعث ونحوه، وكونه راجعا إلى مصدر مفهوم من ﴿يعيد﴾ وهو لم يذكر بلفظ الإعادة لا يفيد على ما قبل، لأنه اشتهر به فكأنه إذا فهم منه يلاحظ فيه خصوص لفظه،والضمير المجرور لله تعالى شأنه(١).

البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ استخدام وفيه قولان:

الأول: أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا متوسطة بين قرينتين، أو متقدمة عليهما، أو متأخرة عنهما يستخدم كل قرينة منها في معنى من معنى تلك الكلمة المشتركة وهذا مذهب ابن مالك سواء كان

---

(١) روح المعاني ٢١: ٣٦

الاستخدام بضمير أوبغير ضمير قال تعالى : ﴿لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ فإن لفظة كتاب تحتمل الأجل المحتوم، والكتاب المكتوب ، وقد توسطت بين لفظي أجل، ويمحو إذ استخدمت أحد مفهوميها وهو الأجل بقرينة ذكر الأجل، واستخدمت المفهوم الآخر وهو المكتوب بقرينة يمحو.

والقول الثاني : أنه إطلاق لفظ مشترك بين معنيين مطلقا فيريد بذلك اللفظ أحد المعنيين ثم يعيد عليه ضميراً يريد به المعنى الآخر أو يريد عليه ضميرين يريد بأحدهما أحد المعنيين، وبالآخر المعنى الآخر بعد استعماله في معناه الثالث، وهذا هو المذهب المشهور في الاستخدام وهو طريقة صاحب الإيضاح، ومن تبعه، ومنه الآية التي نحن بصددها فقد أعاد الضمير وهو قوله: ﴿وهو أهون عليه﴾ على الخلق بمفهومه الآخر وهو المخلوق لا بمفهومه الأول وهو المصدر[1] ومنه قول البحتري :

فسقى الغضا والساكنيه وإن هم   شبوه بين جوانحي وضلوعي

فقد أعاد ضمير شبوه على الغضا بمفهومه الآخر وهو الشجر تكون ناره قوية، وبها يضرب المثل فيقال: جمر الغضا مع أنه يريد مكانا معينا تنزل فيه محبوبته.

وفي هذه الآية فن (المذهب الكلامي) قيل أول من اخترعه الجاحظ وزعم أنه لا يوجد منه شيء في القرآن الكريم وهو مشحون به وتعريفه أنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له على طريقة أرباب الكلام، ومنه نوع منطقي تستنتج فيه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة وقد ساق

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه ٧ :٤٩٩، ٥٠٠

الكرماني في إعجازه المترجم بالنكت، وفي تفسيره الجامع الكبير في الضرب الخامس من باب المبالغة من الإعجاز : إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل للاحتجاج كذلك تأخير الجار والمجرور وهو ﴿عليه﴾ مع أنه مقدم في قوله (هو علي هين) لأن المقصود هنا خلاف المقصود هناك فإنه اختصاص الله بالقدرة وأما المقصد هنا فلا معنى للاختصاص فيه كيف والأمر مبني على ما يفتقدونه في المشاهد من أن الإعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى وهنا يرد كيف قال تعالى : ﴿وهو أهون عليه﴾ والأفعال كلها بالنسبة إلى قدرته تعالى متساوية في السهولة، والأمر مبني على ما ينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم من أن الإعادة للشيء أهون من ابتدائه، أو أن أهون ليست للتفضيل بل بمعنى هين كقولهم الله أكبر أي كبير.

[٣٥] ﴿أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون﴾

اللغة ومرجع الضمير:

سلطانا: أي حجة ويذكر لأنه بمعنى الدليل ويؤنث لأنه بمعنى الْحُجَّة ﴿به﴾ لله تعالى ، أو بالأمر الذي يشركون بسببه وألوهيته على أن (ما) موصولة وضمير ﴿به﴾ لها والباء: سببية، والمراد نفي أن يكون لهم مستمسك يعول عليه في شركهم(١).

البلاغة:

﴿فهو يتكلم﴾ مجاز عقلي كما نقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة فهو يشهد بشركهم أو بالذي يشركون به.

---

(١) روح المعاني ٢١: ٤٣

[٤٨] ﴿...فترى الودق يخرج من خلاله....﴾

اللغة ومرجع الضمير :

الودق: المطر

﴿خلاله﴾ الظاهر عود الضمير على السحاب، إذ هو المحدث عنه، والسحاب: اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه، وقيل يحتمل أن يعود على ﴿كسفا﴾[١].

[٤٩] ﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين﴾

مرجع الضمير:

عليهم المطر ﴿من قبله﴾ تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر، واستحكام بأسهم وقيل الضمير للمطر ، أو السحاب، أو الإرسال[٢].

[٥١] ﴿ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون﴾

مرجع الضمير:

﴿فرأوه﴾ عائد على ما يفهم من سياق الكلام، وهو النبات، وقيل على السحاب، لأن السحاب إذا اصفر لم ينبت، وقيل على الريح .وهذان القولان ضعيفان[٣]. وقيل على الأثر، لأن الرحمة هي الغيث، وأثرها النبات ومن قرأ آثار بالجمع رجع الضمير إلى معناها وهو النبات، واسم النبات يقع على القليل والكثير، لأنه مصدر سمي به ما ينبت، ولأن اللام مؤذنة بقسم محذوف،

(١) البحر ٧: ١٧٨، العكبري، ٢: ٩٧، المجيد ٢: ٢٠٥؟

(٢) البيضاوي ٥٤١

(٣) البحر ٧: ١٧٩ العكبري ٢: ٩٧ الكشاف ٣: ٢٢٦

وجوابه لظلوا وهو مما وضع فيه الماضي موضع المستقبل اتساعا أي ﴿ليظلن﴾ ونظيره ﴿ما تبعوا قبلتك﴾[1].

﴿من بعده﴾ أي من بعد الإرسال، أو من بعد اصفرار زرعهم، وقيل من بعد كونهم راجين مستبشرين[2].

(١) البقرة من الآية ١٤٥

(٢) روح المعاني ٢١: ٥٤

[سورة لقمان]

[٦] ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين﴾

اللغة والإعراب:

﴿لهوالحديث﴾ اللهو كل باطل ألهى عن الخبر، وفيهن ملهى وملعب

قال زهير :

وفيهن ملهى للصديق ومنظر   أنيق لعين الناظر المتوسم

﴿ومن الناس من يشتري﴾: من الناس: جار ومجرور خبر مقدم، من: مبتدأ مؤخر، ومن مفرد لفظا جمع معنى، وروعي لفظها أولا في ثلاثة ضمائر يشتري ويضل ويتخذ، وروعي معناها في موضعين وهما أولئك لهم ثم رجع إلى اللفظ في خمسة ضمائر وهى وإذا تتلي الخ الآية.

مرجع الضمير:

ويتخذها الضمير للسبيل، لأنها مؤنثة قال تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله﴾[(١)]، وفي قراءة أبي ﴿وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوها سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوها سبيلا﴾[(٢)].

قال أبو حيان يحتمل أن يعود على آيات الكتاب، أو على الحديث بمعنى الأحاديث.

---

(١) يوسف ١٠٨

(٢) معاني القرآن ٢: ٣٢٧ الآية الأعراف ١٤٦

{١٦} ﴿يابني إنهـا إن تك مثـقال حبـة من خردل فـتكن في صخـرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾

اللغة ومرجع الضمير والقراءة:

الخردل: نبات له حب صغير أسـود مقرح المفرد خردلة ٠(إنها) الظاهر أن الضمـير للقـصة، وقـرأ نافع مثقـال بالرفع على أن ﴿تك﴾ تامة وهـى قراءة الأعرج وأبي جـعفـر وباقي السبعـة بالنصب على أن ﴿تك﴾ ناقصة، واسمها ضمـير يفـهم من سيـاق الكلام تقديره: هي أي التي سـألت عنها فـعلى قراءة النصب أي نصب مثـقال يجوز أن يكون الضمـير في ﴿إنها﴾ ضمير الفعلة لا ضمير القـصة، قال الزمخشري في فمن نصب مـثقال كان الضمير للتـهيئة من الإساءة والإحسان، أي كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في أخفى موضع، وأحرزه كجـوف الصخرة، أو حيث كانت من العالم العلوي أو السفلي[١]، وأخبر عن مثقال وهو مذكـر إخبار المؤنث، لإضافته إلى مؤنث، وكأنه قال إن تك زنة حبة .

{٣٣}﴿...يومـا لا يجـزي والد عن ولده ولا مـولود هـو جـاز عن والده شيئا﴾.

إبراز الضمير في الآية والبلاغة فيه:

فائدة إبراز الضمير في الولد دون الوالـد، لما جبل عليه الوالد من المحبة ، والشفقة لولده بخلاف الولد، فإنه، لا يصل لتلك المحبة والشفقة ولو كان في غاية أكبر[٢].

(١) البحر ٧: ١٨٧

(٢) معترك الأقران ٢: ٣٩٣

البلاغة:

للضمائر شأن كبير في البلاغة، كما لها تأثير في قوة الكلام وضعفه أو توكيده وعدم توكيده ومن ذلك قوله: ﴿ولا مولود هو جاز عن والده شيئا﴾ فقد ورد الضمير بعد مولود، ولم يرد بعد والد في قوله:(لا يجزي والد عن ولده) شيئا ووجه البلاغة في الآية الجملة الاسمية في قوله: ولا مولود فهى آكد من الفعلية في (لا يجزي والد عن ولده)، وقد انضم إلى ذلك قوله هو، وقوله: مولود، والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي، فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم، وأن يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الآكد، وهو عام لكل من ينطبق عليهم اسم الناس فلما كان إجزاء الولد عن الوالد مظنة الوقوع، وموطن الأمل، لأن الله حضه عليه في الدنيا كان جديرا بتأكيد النفي لإزالة هذا الوهم، وهذا غير وارد في حق الولد على الوالد وهذا من الحسن بمكان[1].

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه ٧: ٥٦٩

[سورة السجدة]

{٢} ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾

مرجع الضمير:

﴿فيه﴾ الضمير راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزلا من رب العالمين، ويشهد لوجاهته قوله: ﴿أم يقولون افتراه﴾ لأن قولهم هذا مفترى إنكار، لأن يكون من رب العالمين وكذلك قوله : بل هوالحق من ربك ، وما فيه من تقدير أنه من الله، وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أولا أن تنزيله من رب العالمين، وأن ذلك مالا ريب فيه، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله أم يقولون افتراه(١).

{٢٣} ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه﴾

مرجع الضمير:

﴿لقائه﴾ الهاء فيها ثلاثة أوجه:

الأول: أن تكون عائدة إلى الكتاب، فيكون المصدر مضافا إلى المفعول، والفاعل مقدر، وتقديره: من لقاء موسى الكتاب، وقدر لتقدم ذكره، وأضيف المصدر إلى الكتاب

الثاني: أن تكون ﴿الهاء﴾ عائدة إلى موسى، فيكون المصدر مضافا إلى الفاعل، والمفعول به محذوف وهو الكتاب وتقديره: فلا تكن في مرية من لقاء موسى الكتاب وهو التوراة ويجوز أن يكون التقدير فيه فلا تكن في مرية من

(١) البحر ٧: ١٩٧

لقاء موسى إياك، ويجوز أن يكون تقديره: فلا تكن في مرية من لقاء موسى ربه فيكون مضافا إلى الفاعل والمفعول محذوف، وهذا التقدير مروي عن ابن عباس .

الثالث: أن تكون عائدة (إلى مالاقى موسى) وتقديره: فلا تكن في مرية من لقاء ما لاقى موسى من التكذيب والإنكار من قومه[1].

وقال الألوسي: إن الضمير يعود إلى الكتاب المراد به الجنس، وإيتاء ذلك الجنس باعتبار إيتاء التوراة ولقاؤه باعتبار لقاء القرآن، وحمل بعضهم الكتاب على العهد أي المعهود، وهو التوراة، أو القرآن المفهوم منه[2].

---

(١) البيان ٢: ٢٦٠.

(٢) روح المعاني ٢١: ١٣٧

[سورة الأحزاب]

{٥} ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾

مرجع الضمير:

﴿هو﴾ يعود إلى مصدر الفعل ﴿ادعوهم﴾ أي دعاؤكم [١].

{١٤} ﴿ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا﴾

مرجع الضمير :

﴿أقطارها﴾ للبيوت، إذ هي أقرب مذكور، أو للمدينة ﴿بها﴾ على الفتنة، أو على المدينة[٢].

{٣٦} ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾

مرجع الضمير :

كان من حق الضمير أن يوحد، كما نقول: ماجاءني من رجل ولا امرأة إلا كان من شأنه كذا قلت: نعم، ولكنهما وقعا تحت النفي، فعمَّا كل مؤمن ومؤمنة، فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ[٣].

قال أبو حيان :ولما كان قوله: (لمؤمن ولا مؤمنة) يعم في سياق النفي جاء

(١) العكبري ٢: ٩٩

(٢)البحر ٧: ٢١٨، ٢١٩، المجيد ٢: ٢١٠!.

(٣) الكشاف ٣: ٢٦٢.

الضميـر مجموعـا على المعنى في قوله ﴿لهم﴾ فغلـبا المذكر على المـؤنث قال الزمخشري، وليـس كما ذكر، لأن هذا عطف بالواو، فلا يجوز إفـراد الضمير إلا على تأويل الحذف.

{٧٢} ﴿إنا عـرضنا الأمـانة على السـموات والأرض والجـبـال فـأبين أن يحملنها، وأشفقن منها﴾

مرجع الضمير:

أتي بضمير الإناث ﴿فأبين﴾، لأن جمع التكسير غير العاقل يجوز فيه ذلك وإن كان مذكرا[١].

(١) الفتوحات ٣: ٤٥٥

[سورة سبأ]

{٢٠} ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين﴾.

مرجع الضمير :

﴿عليهم﴾ الضمير عائد على سبأ، ومنشأ ظنه رؤية انهماكهم في الشهوات، وقيل: هو لبني آدم، ومنشأ ظنه أنه شاهد أباهم آدم عليه السلام، وهو قد أصغى إلى وسوسته فقاس الفرع على الأصل، والولد على الوالد، وقيل: إنه أدرك ما ركب فيهم من الشهوة والغضب وهما منشآن للشرور وقيل إن ذاك كان ناشئا من سماع قول الملائكة عليهم السلام ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾، يوم يقول سبحانه لهم ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ ويمكن أن يكون منشأ ذلك ما هو عليه من السوء كما قيل:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وجوز أن يكون كل ما ذكر منشأ لظنه في سبأ، والكلام على الوجه الأول في الضمير على ما قال الطيبي تتمة لسابقه إما حالا، أو عطفا، وعلى الثاني هو كالتذييل تأكيدا له[1].

{٢٣} ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾

المعنى والإعراب ومرجع الضمير:

(١) روح المعاني ٢٢: ١٣٤

إذ لا تنفع الشفـاعة عند الله إلا لمن أذن له أن يشـفع، أو أذن أن يشفع له لعلو شأنه، ولم يثبت ذلك، واللام عـلى الأول كاللام في قولك الكرم لزيد، وعلى الثاني كـاللام في جئـتك لزيد، وقرأ أبو عمـرو وحمزة والـكسائي بضم الهمزة وكسر الذال.

﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ غاية لمفهوم الكلام من أن ثمة توقفا وانتظارا للأذن أي يتربصون فزعين حتى إذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين، والمشفوع لهم بالإذن، وقيل الضمير للملائكة، وقد تقدم ذكرهم ضمنا[1].

[٣٥] ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين﴾

مرجع الضمير:

﴿وقالوا﴾ الضميـر للمترفين الذين تقدم ذكرهم، وقـيل لقريش، والظاهر المتبادر الأول، والمراد حكاية ما شجعهم على الكفر بما أرسل به المنذرون أي وقال المترفون: ﴿نحن أكثر أموالا وأولادا﴾

[٤١] ﴿قالوا سبـحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبـدون الجن أكثرهـم بهم مؤمنون﴾

مرجع الضمير:

﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ الضمير الأول للإنس، أو للمـشركين، والأكثر. بمعنى الكل، والثاني للجن[2].

(١) البيضاوي ٥٦٩

(٢) البيضاوي ٥٧١

{٥٢} ﴿وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾

مرجع الضمير:

﴿به﴾ الضمير عائد على[1] الله قاله مجاهد أي يقولون ذلك عندما يرون العذاب، وقال الحسن على البعث، وقال مقاتل على القرآن، وقيل على العذاب، وقال الزمخشري وغيره على الرسول لمرور ذكره في قوله: ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾[2].

---

(١) البحر ٧: ٣٩٣.

(٢) الكشاف ٣: ٢٩٦

{سورة فاطر}

{٢} ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾.

الإعراب:

ما: اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم، ويفتح فعل الشرط ﴿من رحمة﴾ حال و﴿من﴾ زائدة للتأكيد(صلة)، والفاء: رابطة لجواب الشرط، لا: نافية للجنس، وممسك: اسمها، ولها: خبرها والجملة في محل جزم جواب الشرط.

مرجع الضمير :

قال السيوطي: لم أنث الضمير في قوله: فلا ممسك لها، وذكره في قوله فلا مرسل له، وكلاهما يعود على ﴿ما﴾ الشرطية فالجواب أنه لما فسر الأول بقوله: من رحمة أنث لتأنيث الرحمة، وترك الآخر على الأصل من التذكير[١].

﴿فلا مرسل له﴾، ولم يقل: لها وقد قال قبل ذلك **﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾** فكان التأنيث في لها لظهور الرحمة ولو قال فلا ممسك له لجاز ، لأن الهاء إنما ترجع على (ما)، ولو قيل في الثانية: فلا مرسل لها، لأن الضمير على الرحمة جاز، ولكنها لما سقطت الرحمة من الثاني ذكر على ﴿ما﴾[٢]، ﴿من بعده﴾ إن كان ما في قوله:(وما يمسك) باقية على عمومها في الرحمة وغيرها فتذكير الضمير في قوله: (له من بعده) موافق للفظ

(١) معترك الأقران ٢: ٤٠٣

(٢) معاني القرآن ٢: ٣٦٦

والمعنى وإن كانت ما مفسرة بالرحمة، وحذفت للدلالة، كان الضمير عائدا على لفظ ﴿ما﴾، وقرئ فلا مرسل لها بتأنيث الضمير وفيه دليل على أن المفسر من رحمة، وحذف لدلالة ما قبله عليه[1].

[١٠] ﴿...إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور﴾

اللغة والإعراب:

﴿يبور﴾ يهلك ويفسد، والبوار: الهلاك، ودار البوار: جهنم، وعن ابن المقفع: قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر، وقوس بلا وتر، السيئات: صفة مفعول مطلق وتقديره: المكرات السيئات، ولا يجوز نصبه على أنه مفعول به، لأن مكر غير متعد ، ويجوز تضمين يمكرون السيئات معنى يكسبون السيئات فيجوز نصبها على أنه مفعول به، العمل: مبتدأ، والصالح: نعت، ويرفعه الخبر.

مرجع الضمير والقراءة:

﴿يرفعه﴾ فيه وجوه: فالضمير المستتر يعود على العمل الصالح، والهاء تعود على الكلم والتقدير: والعمل الصالح (بالرفع) يرفع الكلم أي يتقبل الكلام الطيب إذا كان من عمل صالح.

١- ويجوز أن يكون الضمير المستتر لله، والهاء تعود على العمل الصالح والتقدير: والعمل يرفعه الله بنصب العمل الصالح على معنى يرفع الله العمل الصالح، ويجوز على هذا المعنى الرفع كما جاز النصب لمكان الواو في أوله[2].

---

(١) المجيد ٢: ١٢٢١

(٢) معاني القرآن للفراء ٢: ٣٦٧، البحر٧ : ٣٠٤ تفسير ابن عطية٤: ٢٦

(٢) ويجـوز أن يكون الضمـير المسـتتـر للكلم، والهـاء تعود على العـمل الصالح والتـقدير: والعـمل الصالح يرفـعه الكلم فإن مـدار قبـول العمل هو التوحـيد يؤيد ذلك القـراءة بنصب العمل فـإنه يحقق الإيمان ويقـويه ولا تنال الدرجـات العاليـة إلا به ولو كان كـذلك لكان الوجه الأول أن ينصب العـمل الصالح كما قلت: ذهب زيد وعمرو كلمه بكر(١).

وقرئ يصـعد من الإصعـاد على البناءين، والمصعـد هو الله سبـحانه، أو المتكلم به، أو الملك، وقـيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعـاء والاستغـفار، وقراءة القرآن(٢).

وأجاز الزمخشري أن يكون العـمل معطوفا على الكلم الطيب أذ يصعدان إلى الله تعـالى، ويرفعـه استـئناف أخبـار، ووحد الضـمير لاشتـراكهمـا في الصعود، والضمـير قد يجري مجرى اسم الإشارة فـيكون لفظه مفردا، والمراد به التثنية، وقرأ عـيسى والعمل الصالح منصوبين على الاشـتغال، وفاعل يرفع حيتئذ ضمير الكلم، أو ضمير الله تعالى(٣).

[١١] ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطـفة ثم جعـلكم أزواجا ومـا تحمل من أنثى ولاتضع إلا بعلمـه وما يعـمر من مـعمـر ولا ينقص من عمـره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾

مرجع الضمير:

---

(١) البيان ٢: ٢٨٧

(٢) إرشاد العقل السليم ٧: ١٤٦

(٣) البحر ٧: ٣٠٤ المجيد ٢: ٢٢٠، ٢٢١؟

﴿من عمره﴾ الضمير عـائد على معمر آخر نظير مـا قال ابن مالك في : عندهم درهم ونصـفـه أي نصف درهم آخر، ولا يضـر في ذلك احـتمـال أن يكون المراد مثل نصفـه، لأنه مثال وهو استخدام أو شـبيه به وإلى ذلك ذهب الفراء وبعض النحويين ولعله الأظهـر فسروا المعمر بالمزاد عمـره بدليل ما يقابله من قوله تعالى: ﴿ولا ينقص﴾ الخ وهو الذي دعاهم إلى إرجاع الضـمير إلى نظير المذكور دون عينه ضرورة أنه لا يكون المزيد في عـمره منقوصا من عمره، وقيل عليه هب أن مرجع الضـمير معمر آخر أليس قـد نسب النقص في العمر إلى معمر وقد قلتم إنه المزاد عمره، أجيب بأن الأصل وما يعمر من أحد فسمي معمرا باعتبار ما يؤول إليه، وعاد الضمير باعتبار الأصل المحول عنه فمآل ذلك ولا ينقص من عمر أحد أي ولا يجعل من ابتداء الأمر ناقصا.

وقال آخـرون: الضميـر عائد على المعمـر الأول بعينه، والمعـمر هو الذي جعل الله تعالى له عمرا طال أو قصر، ولا مانع أن يكون المعمر ، ومن ينقص من عمره شخصا واحدا ، والمراد ينقص عمره ما يمر منه، وينقضي مثلا يكتب عمره مائة سنة ثم يكتب تحته مضى يوم مضى يومان وهكذا حتى يأتي الخ، و روي هذا عن ابن عبـاس وابن جبير وأبي مـالك وحسان بن عطيـة والسدي، وقيل بمعناه:

حياتك أنفاس تعد فكلما   مضى نفس منها نقصت به جزءا

وقيل الزيادة والنـقص في عمر واحـد باعتبـار أسباب مـختلفـة أثبتت في اللوح كما ورد في الخبر الصدقة تزيد في العمـر، فيجوز أن يكون أحدا معمرا أي مزادا في عمـره إذا عمل عملا، وينقص من عـمره إذا لم يعمله، وهذا لا

يلزم منه تغيير التقدير، لأنه في تقديره تعالى معلق أيضا وإن كان ما في علمه تعالى الأزلي وقضائه المبرم لا يعتريه محو على ما عرف عن السلف ، ولذا جاز الدعاء بطول العمر . . . . وقيل الضمير للمعمر والنقص لغيره أي ولا ينقص من عمر المعمر لغيره بأن يعطي له عمر ناقص من عمره، وقيل الضمير للمنقوص من عمره، وهو وإن لم يصرح به في حكم المذكور كما قيل، وبضدها تتبين الأشياء فيكون عائدا على ما علم من السياق أي ولا ينقص من عمر المنقوص من عمره بجعله ناقصا[1]. وذكر السيوطي أن التعمير والنقص لا يجتمعان في شخص واحد فكيف أعاد الضمير في قوله: ولا ينقص من عمره على الشخص المعمر فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: وهو الصحيح- أن المعنى لا يزاد في عمر إنسان ولا ينقص من عمره إلا في كتاب، فوضع من معمر في موضع من أحد، وليس المراد شخصا واحدا وإنما ذلك كقولك: لا يعاقب الله عبدا ولا يثيبه إلا بحق .

والثاني أن المعنى لا يزاد في عمر إنسان ولا ينقص من عمره إلا في كتاب، وذلك أن يكتبه في اللوح المحفوظ إن تصدق فلان فعمره ستون سنة وإن لم يتصدق فعمره أربعون، وهذا ظاهر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :(صلة الرحم تزيد في العمر) ،إلا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين وليس مذهب الأشعرية، وقد قال كعب حين طعن عمر: لو دعا الله فزاده في أجله، فأنكر الناس ذلك عليه فاحتج بهذه الآية.

والثالث: أن التعمير هو كتب ما يستقبل من العمر والنقص هو كتب ما مضى منه في اللوح المحفوظ، وذلك في حق كل شخص[2] .

---

(١) روح المعاني ٢٢: ١٧٨

(٢) معترك الأقران ٢: ٤٠٤

{١٨} ﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة﴾

مرجع الضمير:

عن الكسائي[١]، (تحمل) بفتح التاء من فوق وكسر الميم، وتقتضي هذه القراءة نصب شيء كما اقتضت قراءة الجمهور رفعه، وفاعله ضمير عائد على مفعول يدع المحذوف أي وإن تدع مثقلة نفسا أخرى إلى حملها لم تحمل منه شيئا ﴿ولو كان ذا قربى﴾.

اسم كان مضمر يعود على المدعو المفهوم من قوله: وإن تدع، قال الزمخشري[٢]، وترك ذكر المدعو ليعم ويشمل كل مدعو.

قال ابن عطية: اسم كان مضمر أي ولو كان الداعى ذا قربى من المدعو ثم قال: وذكر الضمير حملا على المعنى، لأن قوله مثقلة لا يريد به مؤنث المعنى فقط بل كل شخص، وأجاز أبو البتاء أن تكون كان تامة، وفاعلها كما تقدم عائد على المدعو، وذا قربى حال انتهى، وقرئ ذو بالرفع على أن كان تامة.

{٣٢} ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾

المعنى ومرجع الضمير:

فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به، ومنهم مقتصد يعمل به في

(١) المجيد ٢: ٢٢١أ،ب

(٢) الكشاف ٣: ٣٠٥

أغلب الأوقات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله بضم التعليم والإرشاد إلى العمل، وقيل الظالم الجاهل، والمقتصد المتعلم والسابق العالم ، وقيل الظالم: المجرم، والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ، والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام.

(أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فيحاسبون حسابا يسيرا، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته).

وقيل الظالم الكافر على أن الضمير للعباد، وتقديمه لكثرة الظالمين، ولأن الظلم بمعنى الجهل، والركون إلى الهوى مقتضى الجبلة، والاقتصاد والسبق عارضان(١).

[٣٣] ﴿ جنات عدن يدخلونها ..﴾

مرجع الضمير :

الظاهر أن الضمير المرفوع في يدخلونها عائد على الأصناف الثلاثة وهو قول عبد الله بن مسعود وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وأبي الدرداء وعطية بن عامر وأبي سعيد وعائشة ومحمد بن الحنفية وجعفر الصادق وأبي إسحاق السبيعي وكعب الأحبار، قال الزمخشري هو عائد على السابق فقط ولذلك جعل ذلك إشارة إلى السبق بعد التقسيم، أو المقتصد والسابق، لأن المراد بهما الجنس(٢).

---

(١) البيضاوي ٥٧٨

(٢) البيضاوي ٥٧٩، البحر ٧: ٣١٤

[٤٠] ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا﴾

مرجع الضمير:

﴿آتيناهم﴾ ﴿فهم﴾ الأحسن أن يعود على الشركاء لتناسق الضمائر، وقيل يعود على المشركين فيكون التفاتا من خطاب إلى غيبة، وقرأ أبو عمرو، وحمزة وابن كثير وحفص بينة بالإفراد، والباقون بينات بالجمع[1]

(١) الفتوحات ٣: ٤٩٨

[سورة يس]

{٨} ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون﴾

مرجع الضمير:

﴿فهي﴾ في الضمير وجهان:

أحدهما: أنها راجعة إلى الأيدي، وإن كانت غير مذكورة، ولكنها معلومة، لأن المغلول تكون أيديه مجموعة في الغل إلى عنقه واختاره الجمل وأبو حيان(١).

ثانيهما: وهو ما اختاره الزمخشري أنها راجعة إلى الأغلال، معناه إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ثقالا غلاظا بحيث تبلغ إلى الأذقان فلم يتمكن المغلول معها من أن يطأطئ رأسه(٢).

{٣١} ﴿ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون﴾

الإعراب ومرجع الضمير:

أفاض في إعراب تلك الآية الألوسي نوجز منها ما يلي إن شئت فارجع إليها: قال: الاستفهام: للتقرير، وكم خبرية في موضع نصب بأهلكنا ومن القرون: بيان لكم.

﴿إليهم﴾ الضمير لأهل مكة، وجوز بعض المتأخرين أن ﴿كم﴾ مبتدأ، والجملة بعده خبر، والرؤية علمية لا بصرية خلافا لابن عطية، لأنها لا تعلق

---

(١) الفتوحات ٣: ٤٩٩، البحر ٧: ٣٢٥

(٢) التفسير الكبير ٢٦: ٤٤

على المشــهــور، ولأن أهل مكة لم يحضـروا إهلاك من قـبلهم حـتى يروه بل علموه بالإخـبار، ومـشاهدة الآثار ﴿أنهم﴾ الضمـير عائد عـلى معنى ﴿كم﴾ وهى القرون أي إن القـرون المهلكين ﴿إليهم﴾ أي إلى أهل مكة، وذكـر رأي ابن هشـام والحلبي والفـراء وابن عطية، وقـال يرى السـيرافي: أنه يجـوز أن يجعل ﴿أنهم﴾ صلة أهلكناهم أي أهلكناهم بأنهم لا يرجعون، أي بهذا الضرب من الهلاك ثم قـال الألوسي وقال أبو حيـان الذي تقتضـيه صناعة العـربية أن ﴿أنهم﴾ الخ معمول المحذوف دل عليـه المعنى، وتقديره قضينا أو حكمنا أنهم إليهم لا يرجعون، والجملة حال من فـاعل أهلكنا على«ما قال الخفاجي، وأراه أبعد عن القيل والقـال بيد أن في الدلالة على المحذوف خفـاء ثم قال: وكأني بك تخـتار مـا نقل عن السيـرافي، ولا بأس به وجوز على بعـض الأقوال أن يكون الضمير في﴿أنهم﴾ عائدًا على من أسند إليه يـروا وفي إليهم عائدًا على المهلكين، والمعنـى: أن الباقـين لا يرجعـون إلى المهـلكين، بنسب ولا ولادة أي أهلكناهم، وقطعنا نـسلهم والإهلاك مع قطع النسل أتم وأعم ويحسن هذا على الوجه المحكي عن السيرافي[1].

[٣٤ , ٣٥] ﴿وجعلنا فيهـا جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيـها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون﴾

مرجع الضمير:

﴿من ثمره﴾ الضـمير لله تعالى، أي لتـأكلوا مما خلقـه الله من الثمـر، ويجوز أن يرجع إلى النـخل، وتترك الأعناب، لأنه علم أنها في حـكم النخيل

---

(١) روح المعاني ٢٣: ٥

فيما علق به من أكل ثمره، غير مرجوع إليها، أو من ثمر المذكور وهو الجنات، هذا ما قاله الزمخشري[1].

وزاد أبو حيان أو عائد على المال لدلالة العيون عليه، ولكونه على حذف مضاف أي من ماء العيون أو إلى التفجير الدال عليه، ﴿وفجرنا﴾ الآية أقرب مذكور، وعنى بثمره فوائده كما نقول ثمرة التجارة الربح ﴿وما عملته﴾ قرأ الجمهور وما عملته بالضمير فإن كانت موصولة فالضمير عائد عليها، وإن كانت نافية، فالضمير عائد على الثمر، أما الفخر الرازي فقد قال :

المشهور أنه عائد إلى الله أي ليأكلوا من ثمر الله، وفيه لطيفة وهى أن الثمار بعد وجود الأشجار، وجريان الأنهار لم توجد إلا بالله تعالى، ولولا خلق الله ذلك لم توجد، فالثمر بعد جميع ما يظن الظان أنه سبب وجوده ليس إلا بالله تعالى وإرادته فهى ثمرة، ويحتمل أن يعود إلى النخيل، أو إلى المذكور أي من ثمر ما ذكرنا، وهذان الوجهان نقلهما الزمخشري، ويحتمل وجها آخر أغرب وأقرب وهو أن يقال : المراد من الثمر الفوائد يقال : ثمرة التجارة الربح، ويقال: ثمرة العبادة الثواب، وحينئذ يكون الضمير عائدا إلى التفجير المدلول عليه بقوله، وفجرنا فيها من العيون تفجيرا ليأكلوا من فوائد ذلك التفجير وفوائده أكثر من الثمار، بل يدخل فيه ما قال الله تعالى: ﴿أنا صببنا الماء صبا﴾ إلى أن قال ﴿فأخرجنا به حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا﴾ ، والتفجير أقرب في الذكر من النخيل، ولوكان عائدا إلى الله تعالى لقال من ثمرنا، كما قال: وجعلنا وفجرنا[2].

(١) الكشاف ٣: ٣٢٢

(٢)التفسير الكبير ٢٦: ٦٨

{٤٠} ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾

مرجع الضمير:

(وكل) وكلهم والتنوين عوض عن المضاف إليه، والضمير للشموس، والأقمار، والكواكب فإن ذكرها مشعر بها.

{٤٢} ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾

الإعراب:

﴿من مثله﴾ في محل نصب على الحال من المفعول المؤخر وهو**﴿ما﴾**

مرجع الضمير:

﴿مثله﴾ الضمير يعود على الفلك على قول الأكثرين فيكون هذا كقوله تعالى **﴿وآخر من شكله أزواج﴾** وعلى هذا فالأظهر أن يكون المراد الفلك الآخر الموجود في زمانهم، ويؤيد هذا هو أنه تعالى قال: **﴿إن نشأ نغرقهم﴾** ولو كان المراد الإبل على ما قاله بعض المفسرين لكان قوله: **﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾** فاصلا بين متصلين ويحتمل أن يكون الضمير عائدا إلى معلوم غير مذكور، وتقديره أن يقال: وخلقنا لهم من مثل ما ذكرنا من المخلوقات في قوله: **﴿خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض﴾**، وهذا كما قالوا في قوله تعالى: **﴿ليأكلوا من ثمره﴾** أن الهاء عائد إلى ما ذكرنا أي من ثمر ما ذكرنا، وعلى هذا فقوله: (خلقنا لهم) فيه لطيفة، وهي إن ما من أحد إلا وله ركوب مركوب من الدواب، وليس كل أحد يركب الفلك فقال في الفلك حملنا

ذريتهم وإن كنا ما حملناهم، وأما الخلق فلهم عام وما يركبون فيه وجهان:

أحدهما: هو الفلك الذي مثل فلك نوح ثانيـهما هو الإبل التي هى سفن البر، فإن قيل إذا كان المراد سفينة نوح فما وجه مناسبة الكلام؟

نقول: ذكرهم بحال قـوم نوح وأن المكذبين هلكوا والمؤمنين فازوا فكذلك هم إن آمنوا يفوزوا، وإن كذبوا يهلكوا[1].

(١) التفسير الكبير ٢٦: ٨١

[سورة الصافات]

{١١} ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب﴾

اللغة:

﴿فاستفتهم﴾ فاستخبرهم، واستفتاه: سأله أن يفتيه والفُتوى، والفَتوى والفُتيا اسم من أفتى العالم إذ ا حكم، والجمع الفتاوي والفتاوى

﴿لازب﴾ لاصق، لزب به أي لصق به، وطين لازب يلزق باليد لاشتداده، وتقول: صار الشيء لازبا أي ثابتا، وهو أفصح من لازما.

قال النابغة:

ولا تحسبنّ الخير لا شر بعده ولا تحسبنّ الشر ضربة لازب

مرجع الضمير

(فاستفتهم) الضمير لمشركي مكة، قيل والآية نزلت في أبي الأشد بن كلدة الجمعي ، وكني بذلك لشدة بطشه وقوته واسمه أسيد.

{٣٣} ﴿فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون﴾

الإعراب:

﴿فإنهم﴾ الفاء للفصيحة أي شئت أن تعرف مصائر الأتباع والرؤساء المتبوعين.

﴿يومئذ﴾ ظرف متعلق بمحذوف حال، والظرف أضيف إلى مثله والتنوين عوض عن جملة أي يوم إذ يتساءلون ويتلاومون، ويتخاصمون.

مرجع الضمير:

﴿فإنهم﴾ أي الأتباع والمتبوعين جميعا[1].

[٦٦] ﴿ فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون﴾

مرجع الضمير:

ضمير المؤنث للشجرة ومن ابتدائية، أو تبعيضية وهناك مضاف مقدر أي من طلعها، وقيل من تبعيضية، والضمير للطلع، وأنث لإضافته إلى المؤنث، أو لتأويله بالثمرة، أو للشجرة على التجوز، ولا يخلو كل عن بعد[2].

[١٥٨] ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾

مرجع الضمير:

﴿إنهم لمحضرون﴾ للكفرة، والمراد: المبالغة في التكذيب حيث أضيف إلى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة، وقيل قالوا: إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة، وقيل قالوا: إن الله والشيطان أخوان، وعن الحسن:

أشركوا الجن في طاعة الله، ويجوز إذا فسر الجنة بالشياطين أن يكون الضمير في إنهم لمحضرون لهم، والمعنى: أن الشياطين عالمون بأن الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له، أو شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم[3].

---

(١) الكشاف ٣: ٣٣٩

(٢) روح المعاني ٢٣: ٩٦

(٣) الكشاف ٣: ٣٥٥

[سورة ص]

{٢١} ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب﴾.

اللغة:

﴿تسوروا المحراب﴾ قصدوا سوره، ونزلوا من أعلاه،والسور الحائط المرتفع، والخصم: المخاصم والمنازع ، وقد يقع للاثنين والجمع والمؤنث فيقال هما خصم ، وهم خصم، وهي خصم، لأنه مصدر في أصله، ونظيره ضيف في قوله تعالي ﴿حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾

مرجع الضمير:

﴿تسوروا﴾ جاء بضمير الجمع، لأنه المتسور للمحراب اثنان فقط ونفس الخصومة إنما كانت بين اثنين، وأقل الجمع اثنان، ويحتمل أنه جاءه مع كل واحد من الخصمين جماعة، فيقع على جميعهم، وروي أنهما جبريل وميكائيل بعثهما اللـه ليضرب بهما المثل لداود، وهى نازلة وقع هو في مثلها فأفتى بفتيا هى واقعة عليه في نازلته، ولما فهم المراد أناب واستغفر [١].

{٢٦} ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾.

مرجع الضمير:

﴿فيضلك﴾ فاعل فيضلك ضمير الهوى، أو ضمير المصدر المفهوم من الفعل أي فاتباع الهوى[٢].

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن ٢: ٢٤ .

(٢) البحر ٧: ٣٩٥، المجيد ٢: ٢٣٤ب

{٣١، ٣٢} ﴿إذعرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب﴾

اللغة:

الصافنات: جمع صافنة وهى القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر من رجل أويد.

﴿الجياد﴾ جمع جواد وهو السابق، وقيل جمع جيد.

الإعراب:

إذ: ظرف لأواب، أو ظرف لمحذوف أي اذكر يامحمد وقت وقوع هذه القصة، وجملة عرض في محل جر بإضافة الظرف إليها، (بالعشى) متعلق بمحذوف حال أي كائنا في ذلك الوقت والصافنات: نائب فاعل، والجياد نعت

مرجع الضمير:

قال السيوطي:

﴿توارت بالحجاب﴾ الضمير للشمس، وإن لم يتقدم ذكرها ولكنها تفهم من سياق الكلام وذكر العشي نقيضها، والمعنى: حتى غابت الشمس، وقيل الضمير للخيل، والمعنى: توارت بالحجاب أي دخلت اصطبلاتها، أو توارت بحجاب الليل والأول أظهر وأشهر[١].

{٦٩} ﴿ماكان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون﴾

الإعراب:

(١) معترك الاقران٢: ٢٤، أمالي ابن شجرة ١: ٥٩، شرح الكافية٢: ٥ البحر ٧: ٣٩٦، الكشاف٣: ٣٧٤.

كلام مستأنف مسوق لتأكيد أنه نبأ عظيم وارد من الله تعالى ما: نافية، كان فعل ماض ناقص لي: خبر كان، من علم: من حرف جر زائد، وعلم: اسم كان مجرور لفظا مرفوع محلا.

مرجع الضمير:

﴿يختصمون﴾ الضمير يعود على الملائكة، واختصامهم هو في قضية آدم حين قال الله لهم إني جاعل في الأرض خليفة حسبما تضمنته قصته في مواضع من القرآن، وقيل الضمير يعود على الكفار أي يختصمون في الملأ الأعلى فيقول بعضهم: هم بنات الله، ويقول آخرون هم آلهة تعبد وهذا بعيد[1].

{٨٣ , ٨٤ , ٨٥} ﴿إلا عبادك منهم المخلصين، قال فالحق والحق أقول، لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾.

مرجع الضمير:

الضمير في منهم للناس إذ الكلام فيهم والمراد عنك أي من جنسك ليتناول الشياطين، وقيل للثقلين، وأجمعين تأكيد له، أو للضميرين[2].

{٨٨} ﴿لتعلمن نبأه بعد حين﴾.

مرجع الضمير:

﴿نبأه﴾ نبأ القرآن أنه حق، أو نبأ محمد عليه الصلاة والسلام أنه نبي.

---

(١) معترك الأقران ٢:٤١٨

(٢) تفسير البيضاوي ٦٠٦

[سورة الزمر]

{٣} ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون﴾.

الإعراب:

﴿ألا لله﴾ كلام مستأنف مقرر لما قبله، وألا أداة تنبيه واستفتاح ولله : خبر مقدم، الدين: مبتدأ مؤخر، والخالص نعت وحروف التنبيه (ها) و (ألا) و (أما).

وأما: للحال أو للماضي، و(ألا) للاستقبال تقول أما إن زيدا عاقل، تريد أنه عاقل في الحال، ولا تقول ألا وتقول: ألا إن زيدا لايخاف أي في المستقبل ولا تقول أما ولا يدخلان إلا في أول الكلام على الجملة بخلاف (ها) فتدخل على الضمير، وأسماء الإشارة وإن لم تكن في أول الكلام وتدخل (أما) على القسم، وألا كثيرا على النداء.

مرجع الضمير:

﴿بينهم﴾ الضمير لهم ولأوليائهم، والمعنى: أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة، وعيسى، الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم وإياها حصب جهنم، واختلافهم أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم، وتقريبهم إلى الله زلفى، وقيل كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض أقروا، وقالوا الله فإذا قالوا لهم فمالكم تعبدون الأصنام؟ قالوا: مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فالضمير في بينهم عائد إليهم وإلى المسلمين، والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين.

{٧} ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾

المرجع:

﴿يرضه﴾ أي الشكر لكم، لأنه سبب فوزكم وفلاحكم .

{٤٩} ﴿فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هى فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾

مرجع الضمير:

﴿أوتيته﴾ جاء الضمير مذكرا مع عوده على النعمة والجواب بالنظر للمعنى، لأن قوله: نعمة منا: شيئا من النعم، وقسما منها، ويحتمل أن تكون (ما) من إنما موصولة فيعود عليها على معنى إن الذي أوتيته على علم، وقال أبو حيان[١].

ذكر الضمير، لأن معناها مذكر وهو الإنعام، أو المال على قول من شرح النعمة بالمال، أو المعنى شيئا من النعمة، أو لأنها تشتمل على مذكر ومؤنث فغلب المذكر. . .)

وقال الفخر الرازي: لفظ النعمة مؤنث، ومعناه مذكر فجاز الأمران كقوله تعالى: ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ الضمير في قالها راجع إلى قوله: (إنما أوتيته على علم عندي)، لأنها كلمة، أو جملة من المقول[٢].

(١) البحر ٧: ٤٣٣، إملاء مامن به الرحمن ٢: ١١٢ المجيد ٢٤١:٢؟

(٢) التفسير الكبير ٢٦: ٢٨٨

[سورة غافر]

{٤٧} وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إن كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار﴾

اللغة والإعراب:

﴿وإذ يتحاجون﴾ يتخاصمون يقال: حاجه، حجاجا ومحاجةُ ومحاجَة: خاصمه، والمحجاج الكثير الخصومة والعامل في (إذ) فعل مضمر تقديره: واذكروا.

مرجع الضمير:

﴿وإذ يتحاجون﴾ الظاهر أن الضمير عائد على فرعون، أو عائد على كفار الأمم كما قال ابن عطية، وهذا ابتداء قصص لايختص، بآل فرعون.

{٨٣} ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾.

مرجع الضمير:

﴿جاءتهم﴾ الضمير عائد على الذين من قبلهم، وجاء قوله من العلم على جهة التهكم بهم أي في الحقيقة، لا علم لهم، وإنما لهم خيالات، واستبعادات لما جاءت به الرسل واعتقدوا أن عندهم علما يستغنون به عن علم الأنبياء إلى علمهم، ولما سمع سقراط لعنه الله بموسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه، قيل له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهذبون، فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا فالضمائر على هذا متناسقة عائدة على مدلول واحد، وقيل الضمير في

﴿فرحوا﴾ وفي ﴿بما عندهم﴾ عائد على الرسل أي فرحت الرسل بما أوتوا من العلم، وشكروا الله عليه لما رأوا جهل من أرسلوا إليهم، واستهزاءهم بالحق، وعلموا سوء عاقبتهم، وقيل الضمير في ﴿فرحوا﴾ عائد على الأمم وفي ﴿بما عندهم﴾ عائد على الرسل أي فرح الكفار بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزاء[1].

(١) البحر ٧: ٤٧٨، ٤٧٩

[سورة فصلت]

[٣٥] ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقها إلا ذو حظ عظيم﴾

الإعراب:

الواو: حرف عطف، ما: نافية، ويلقاها: فعل مضارع مبني للمجهول، والهاء: مفعول به ثان، ﴿الذين﴾ نائب فاعل يلقاها، وجملة صبروا لا محل لها من الإعراب صلة الموصول.

مرجع الضمير:

﴿يلقاها﴾ الضمير عائد على الفعلة والسجية التي هى الدفع بالأحسن، وقرأ طلحة بن مصرف، وابن كثير في رواية وما يلاقاها من الملاقاه، وقرأ الجمهور من التلقي، وكأن هذه الخصلة الشريفة غائبة فما يصادفها، ويلقيها الله إلا لمن كان صابرا على الطاعات صارفا عن الشهوات ذا حظ عظيم من خصال الخير قاله ابن عباس، فيكون مدحًا أو ذو حظ عظيم من ثواب الآخرة قاله قتاده فيكون وعدا، وقيل إلا ذو عقل، وقيل ذو خلق حسن، وكرر وما يلقاها تأكيدا لهذه الفعلة الجميلة الجليلة، وقيل الضمير في يلقاها عائد على الجنة، وحكى مكي وما يلقاها أي شهادة ألا إله إلا الله وفيه بعد[1].

[٣٧] ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾

مرجع الضمير:

(١) البحر ٧: ٤٩٨، روح المعاني ١٢٤

﴿خلقهن﴾ الضمير للأربعة المذكورة الليل والنهار والشمس والقمر، وحكى أبو حيان والألوسي ماقاله الزمخشري أن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث يقال: الأقلام بريتها وبريتهن يريد ما لا يعقل من المذكر، وكان ينبغي أن يفرق أي الزمخشري بين جمع القلة من ذلك، والكثرة قال أبو حيان:

فالأفصح في جمع القلة منه أن يكون كضمير جمع المؤنث، وفي جمع الكثرة كضمير الواحدة تقول: الأجذاع انكسرن، والجذوع انكسرت على الأفصح فيهما، والمتقدم لها هو أربعة متعاطفة فنزلها منزلة الجمع المعبر عنه بلفظ واحد وقيل الضمير يعود على آيات المقدرة في المجرور أي الليل والنهار والشمس والقمر آيات من آياته، وقيل يعود على الآيات الملفوظ بها، وقيل على الشمس والقمر والاثنان جمع وجمع مالا يعقل يؤنث، ومن حيث يقال شموس وأقمار لاختلافهما بالأيام والليالي ساغ أن يعود الضمير مجموعا[(١)].

[٥٣] ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾

مرجع الضمير:

﴿أنه﴾ جعل ابن قتيبة الضمير في ﴿أنه﴾ لله تعالى أو القرآن أو النبي عليه الصلاة والسلام، وزاد البيضاوي على ذلك عوده على التوحيد[(٢)].

---

(١) البحر ٧: ٤٩٨، ٤٩٩ المجيد ٢: ٢٤٩ب الكشاف ٣: ٤٥٤

(٢) البيان ٢: ٣٤٣/ البيضاوي ٦٣٧

[سورة الشورى]

{١١} ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه﴾.

مرجع الضمير:

﴿فيه﴾ الضمير للجعل، والفعل دل عليه، ويجوز أن يكون ضميرا للمخلوق الذي دل عليه ﴿يذرؤكم﴾.

قال الصفاقس: والظاهر أن في للظرفيه مجازا وهو الظاهر من كلام الزمخشري، لأنه قال وهلا قيل يذرؤكم به قال جعل التذكير كالمنبع والمعدن والحياة[(١)].

{٢٢} ﴿وتري الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم﴾

مرجع الضمير:

﴿هو﴾ أي جزاء كسبهم، قيل هو ضمير الإشفاق[(٢)].

{٣٤} ﴿أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير﴾

معطوف على يسكن، والضمير عائد على الجواري[(٣)].

{٤٥} ﴿وتراهم يعرضون عليها خاشعين﴾

﴿عليها﴾ الضمير للنار،لدلالة العذاب عليها.

{٤٨} ﴿.... وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بهاوإن تصبهم سيئة بما

(١) المجيد ٢: ٢٥١أ،ب

(٢) العكبري ٢: ١١٧

(٣) المجيد ٢: ٢٥٢ب

قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور﴾.

مرجع الضمير:

إنما ذكر قبلهم الإنسان مفردا، والإنسان يكون واحدا، وفي معنى جمع فرد الهاء والميم على التأويل، ومثله قوله:

وخلق الإنسان ضعيفا(١).يراد به: كل الناس ولذلك جاز فيه الاستثناء وهو موحد في اللفظ كقول الله: ﴿إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا﴾(٢).

ومثله: ﴿وكم من ملك في السماوات﴾(٣).

ثم قال ﴿لا تغني شفاعتهم﴾ وإنماذكر ملكا، لأنه في تأويل جمع(٤).

[٥٢] ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا﴾

مرجع الضمير:

﴿به﴾ يحتمل ان يعود إلى(روحا)، والى الكتاب ،وإلى الإيمان وهو أقرب مذكور، وقيل : يعود إلى الكتاب والإيمان معا، لأن مقصدهما واحد فهو نظير ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾(٥). وزاد الفراء إلى التنزيل(٦).

---

(١) النساء ٢٨

(٢) العصر ٢، ٣

(٣) النجم ٢٦

(٤) معاني القرآن للفراء ٣: ٢٦.

(٥) البحر ٧:٥٢٨

(٦) معاني القرآن للفراء ٣:٢٧

[سورة الزخرف]

{٥٨} ﴿وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون﴾

مرجع الضمير :

الضمير في﴿**أم هو**﴾ لعيسى عليه السلام، وفي(ضربوه) أي المثل(١).

{٦١} ﴿وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ﴾

مرجع الضمير:

﴿**وإنه**﴾ وإن عيسى، لأن حدوثه ونزوله من أشراط الساعة يعلم به دنوها، أو لأن إحياء الموتى يدل على قدرة الله عليه، وقيل الضمير للقرآن فإن فيه الإعلام بالساعة، والدلالة عليها(٢).

{٧٤، ٧٥} ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون ، لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون﴾.

مرجع الضمير:

قرأ عبد الله (وهم فيها) أي في جهنم، والجمهور وهم فيه أي في العذاب

{٦٦} ﴿هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون﴾.

مرجع الضمير:

الضمير لقريش، أو الذين ظلموا(٣).

(١) الكشاف ٣: ٤٩٣، ٤٩٤

(٢) البيضاوي ٦٥٣

(٣) البيضاوي ٦٥٣

[سورة الدخان]

{١ , ٢ , ٣ , ٤} ﴿حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم...﴾

مرجع الضمير:

الظاهر أن الكتاب المبين هو القرآن أقسم به تعالى، ويكون الضمير في أنزلناه عائدا عليه قيل ويجوز أن يراد به الكتب الإلهية المنزلة، وأن يراد به اللوح المحفوظ[١]، (فيها) أي الليلة المباركة وهى ليلة القدر.

{٣٢} ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿اخترناهم﴾ لبني إسرائيل، وعلى علم في موضع الحال أي عالمين بمكان الخيرة، وبأنهم أحقاء بأن يختاروا، ويجوز أن يكون المعنى مع علم منا بأنهم يزيغون، ويفرط منهم الفرطات في بعض الأحوال ﴿على العالمين﴾ على عالمي زمانهم، وقيل على الناس جميعا لكثرة الأنبياء منهم.

{٤٣ , ٤٤ , ٤٥} ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم، كالمهل يغلي في البطون﴾

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿يغلي﴾ للطعام، أو الزقوم لا المهل، إذ الأظهر أن الجملة حال من أحدهما[٢].

(١) البحر المحيط ٣٢:٣

(٢) البيضاوي ٦٥٨

[سورة الجاثية]

{٩} ﴿وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين﴾.

مرجع الضمير:

﴿اتخذها﴾ في الضمير وجهان:

أحدهما: أنه عائد على آياتنا يعنى القرآن.

والثاني: أنه عائد على شيء وإن كان مذكرا، لأنه بمعنى الآية والمعنى: اتخذ ذلك الشيء هزوا إلا أنه تعالى قال اتخذها للإشعار بأن هذا الرجل إذا أحس بشيء من الكلام وعلم أنه آية من جملة الآيات المنزلة على محمد ﷺ خاصة في الاستهزاء بجميع الآيات، ولم تقتصر على الاستهزاء بذلك الواحد، وفي الكرخي اتخذها هزوا الضمير لآياتنا[1].

{٣٥} ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون﴾.

مرجع الضمير :

﴿فيها﴾ أي النار، وقرأ الحسن وابن وثاب وحمزة والكسائي ﴿لا يخرجون﴾ مبنيا للفاعل، والالتفات إلى الغيبة للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم، أو بنقلهم من مقام الخطابة إلى غيابة النار، وجوز أن يكون هذا ابتداء كلام فلا التفات[2].

(١) الفتوحات ٤: ١١٤، البحر ٨:٤٤، الكشاف ٣:٥٠٩، ٥١٠، إرشاد العقل السليم ٨:٦٩

(٢) روح المعاني ٢٥:٣

[سورة الأحقاف]

[٥] ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾

مرجع الضمير:

﴿وهم عن دعائهم﴾ الضمير الأول لمفعول يدعو، والثاني لفاعله، والجمع فيهما باعتبار معنى﴿من﴾ كما أن الإفراد فيما سبق باعتبار لفظها ﴿غافلون﴾ لكونهم جمادات، وضمائر العقلاء لإجرائهم إياها مجري العقلاء[١].

[٨] ﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾.

مرجع الضمير:

﴿فيه﴾ يعود على ﴿ما﴾ أو القرآن[٢].

[١١] ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾

مرجع الضمير:

الضميران في ﴿كان وإليه﴾ عائدان على القرآن، أو على ما جاء به الرسول، أو على الرسول[٣] (به) أي بالقرآن.

[١٩] ﴿ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون﴾.

(١) إرشاد العقل السليم ٨: ٧٨

(٢) البحر ٨: ٥٦

(٣) الفتوحات ٤: ١٢٧

مرجع الضمير:

الجمهـور بالياء، وضميـر فاعله عائد على الله تعـالى، ونافع بخلاف عنه بالنون، والسلمي بتاء من فوق، وضمير فاعله عائد على الدرجات م أبو البقاء: وما يتعلق اللام محذوف أي وليوفيهم جزاء أعمالهم جزاءهم وعاقبتهم[1].

{٢٢، ٢٣، ٢٤} ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون، فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم ....﴾.

مرجع الضمير:

قال الفخر الرازي: ذكر المبرد في الضمير في رأوه قولين:

أحدهما: أنه عائد إلى غير مذكور وبينه قوله: **﴿عارضا﴾** كما قال: **﴿ما ترك على ظهرها من دابة﴾** ولم يذكر الأرض لكونهـا معلومة فكذا ها هنا الضـمير عائد إلى السحاب كأنه قيل: فلما رأوا السـحاب عارضا، وهذا اختيار الزجاج، ويكون من باب الإضـمار لا على شـريطة التفسـير والقول الثـاني: أن يكون الضمير عـائدا إلى ما في قوله **﴿فأتنا بمـا تعدنا﴾** أي فلمـا رأوا ما يوعـدون به عارضا[2].

---

(١) المجيد ٢: ٢٦٤؟

(٢) التفسير الكبير ٢٨: ٢٨

[سورة محمد عليه الصلاة والسلام]

{٣} ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾

مرجع الضمير:

﴿أمثالهم﴾ الضمير فيه وجهان:

أحدهما: إلى الناس كافة قال تعالى: يضرب الله للناس أمثالهم على أنفسهم.

ثانيهما: إلى الفريقين السابقين وقال الجمل خرجه الزمخشري على مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس أمثالهم، والضمير راجع إلى الفريقين، أو إلى الناس على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا[١].

{١٠} ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها﴾

مرجع الضمير:

﴿أمثالها﴾ الضمير للعقوبة أو العاقبة[٢]، وقال الزمخشري[٣]، أو للهلكة، لأن التدمير يدل عليها، أو للسنة لقوله عز وجل ﴿سنة الله في الذين خلوا﴾.

---

(١) التفسير الكبير ٢٨: ٤٣، الفتوحات ٤: ١٤١ الكشاف ٣: ٥٣٠

(٢) العكبري ٢: ١٢٤

(٣) الكشاف ٣: ٥٣٢

[١٣] ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾

الإعراب:

كلام مستأنف مسوق لتسليته ﷺ بمثابة المثل له

وكأين: خبرية وهي كلمة مركبة من الكاف، وأي بمعنى كم الخبرية، ومحلها الرفع على الابتداء، ومن قرية تمييز لها .

مرجع الضمير:

﴿أخرجتك﴾ ضمير الفاعل في أخرجتك عائد على من قريتك والضمير في أهلكناهم، وما بعده عائد على مضاف محذوف في قوله: وكأين من قرية أي من أهل قرية قال ابن عطية[١].

نسب الإخراج إلى القرية حملا على اللفظ، وقال أهلكناهم حملا على المعنى .

[١٧] ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾

مرجع الضمير:

﴿زادهم﴾ الله، وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول أو لاستهزاء المنافقين[٢]، ويحتمل أن يعود إلى قول المنافقين واضطرابهم، لأن ذلك مما يعجب به المؤمن، ويحمد الله على إيمانه، وقيل يعود إلى قول الرسول عليه

(١) البحر ٨:٧، تفسير ابن عطية ٤:١٢٦

(٢) الكشاف ٣: ٥٣٤

الصلاة والسلام[1].

{٢٥} ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الشيطان سول لهم وأملى لهم﴾

مرجع الضمير :

﴿وأملى لهم﴾ الجمهور مبنيا للفاعل، وضمير فاعله عائد على الشيطان، وقيل على الله.

(١) البحر ٨: ٧٩

[سورة الفتح]

{٨, ٩} ﴿إنا أرسلناك شاهدا ومبشـرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾

مرجع الضمير:

﴿لتؤمنوا﴾ الضمـير للناس، ويعزروه ويقـووه بالنصرة ويوقـروه ويعظموه ويسبحوه من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل، والمراد بتعزيز الله تعزيز دينه ورسوله ﷺ ومن فرق الضمائر فقد أبعد، وقرئ لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بالتاء والخطاب لرسول الله ﷺ ولأمته[١].

(١) الكشاف ٣: ٥٤٢، ٥٤٣

[سورة الحجرات]

{٩} ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾.

مرجع الضمير:

قال الزمخشري: فإن قلت ما وجه اقتتلوا، والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن أبي عبلة أو اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين أو النفرين؟

قلت: هو مما حمل على المعنى دون اللفظ، لأن الطائفتين في معنى القوم والناس[١].

{١٢} ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾

مرجع الضمير:

﴿فكرهتموه﴾ العائد إليه الضمير يحتمل وجوها:

الأول وهو الظاهر أن يكون هو الأكل، لأن قوله تعالى (أيحب أحدكم أن يأكل) معناه أيحب أحدكم الأكل، لأن أن مع الفعل تكون للمصدر يعني فكرهتم الأكل .

الثاني: أن يكون هو اللحم أي فكرهتم اللحم

الثالث: أن يكون هو الميت في قوله: ميتا، وتقديره أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا متغيرا فكرهتموه، فكأنه صفة لقوله ﴿ميتا﴾ ويكون فيه

(١) الكشاف ٣: ٥٦٣، معاني القرآن للفراء ٣: ٧١

زيادة مبالغة في التحذير، يعني الميتة إن أكلت في الندرة لسبب كان نادرا، ولكن إذا أنتن، وأروح وتغير لا يؤكل فكذلك ينبغي أن تكون الغيبة[1].

(١) التفسير الكبير ٢٨: ١٣٥

[سورة ق]

{٣٤ ، ٣٥} ﴿ادخلوها بسلام ذلك يوم الخروج لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾.

مدلول الضمير:

﴿ادخلوها بسلام﴾ على سبيل المخاطبة، ثم قال ﴿لهم﴾ ولم يقل لكم، ما الحكمة فيه؟

الجواب عنه وجوه:

الأول: هو أن قوله تعالى ﴿ادخلوها﴾ مقدر فيه قيل لهم أي يقال لهم ادخلوها فلا يكون على هذا التفاتا .

الثاني: هو أنه من باب الالتفات، والحكمة الجمع بين الطرفين كأنه تعالى يقول: أكرمهم به في حضورهم، ففي حضورهم الحبور، وفي غيبتهم الحور والقصور.

والثالث: هو أن يقال قوله تعالى ﴿لهم﴾ جاز أن يكون كلاما مع الملائكة، يقول للملائكة: توكلوا بخدمتهم، واعلموا أن لهم ما يشاءون فيها، حضروا بين أيديهم ما يشاءون، وأما أنا فعندي ما لا يخطر ببالهم ولا تقدرون أنتم عليه[١].

---

(١) التفسير الكبير ٢٨: ١٨١

[سورة الذاريات]

{٨ ,٩} ﴿إنكم لفي قول مختلف، يؤفك عنه من أفك﴾

مرجع الضمير:

﴿عنه﴾ الضمير للقرآن، أو للرسول، و يجوز أن يكون الضمير لما توعدون، أو للدين، أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامةحق، ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك، ومنهم جاحد، أو إلى قول مختلف[١].

{٢٣} ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾

مرجع الضمير:

﴿إنه﴾ عائد على القرآن، أو على الدين الذي في قوله ﴿وإن الدين لواقع﴾، أو إلى اليوم المذكور في قوله: ﴿أيان يوم الدين﴾ أو إلى الرزق، أو إلى الله، أو إلى النبيﷺ ، والذي يظهر أنه عائد على الإخبار السابق من الله تعالى فيما تقدم من هذه السورة من صدق الموعود، ووقوع الجزاء[٢].

(١) الكشاف ٤: ١٤، البحر ٨: ٣٤، ١٣٥، المجيد ٢: ٢٧٧٣.

(٢) البحر ٨: ١٣٦.

[سورة الطور]

{٤٨} ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾

الضمير:

جمع العين هنا لإضافته إلى ضمير الجمع وَوَحَّدَ في(طه) لإضافته إلى ضمير الواحد، ولوح الزمخشري في سورة المؤمنين إلى أن فائدة الجمع الدلالة على المبالغة في الحفظ، كأن معه من الله تعالى حفاظا يكلؤونه بأعينهم، وقال العلامة الطيبي إنه أفرد هنالك لإفراد الفعل، وهو كلاءة موسى عليه السلام، وهاهنا لما كان لتصبير الحبيب على المكابد، ومشاق التكاليف، والطاعات ناسب الجمع، لأنها أفعال كثيرةكل منها يحتاج إلى حراسة منه عز وجل، ومن نظر بعين بصيرته علم من الآيتين الفرق بين الحبيب والكليم عليهما أفضل الصلاة وأكمل التسليم[١].

(١) روح المعاني ٢٧: ٤٠

[سورة النجم]

﴿علمه شديد القوى﴾

مرجع الضمير:

﴿علمه﴾ ضمير عائد على رسول الله عليه السلام، فالمفعول الثاني محذوف أي علمه الوحي، أو على القرآن، فالأول محذوف أي علمه الرسول عليه السلام ، أبو البقاء علمه صفة للوحي[1].

{٢٣} ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾

مرجع الضمير:

﴿هي﴾ ضمير عائد إلى ماذا؟

نقول: الظاهر أنها عائدة إلى معلوم وهو الأسماء كأنه قال: ماهذه الأسماء التي وضعتموها أنتم وهو المشهور، ويحتمل أن يقال هي عائدة إلى الأصنام بأنفسها أي ما هذه الأصنام إلا أسماء، وعلى هذا فهو على سبيل المبالغة والتجوز يقال لتحقير إنسان ما زيد إلا اسم، ويؤيد هذا القول قوله تعالى: **﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء﴾** أي ماهذه الأصنام إلا أسماء[2]

{٢٦} ﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾.

---

(١) البحر ٨: ١٥٧/ المجيد ٢: ٢٧٥ب/ روح المعاني ٢٧: ٤٧

(٢) التفسير الكبير ٢٨: ٢٩٩

مرجع الضمير:

﴿شفاعتهم﴾ الجمهور بإفراد الشفاعة، لأنها مصدر، وجمع الضمير، لأن معنى كم جمع، وزيد بن على شفاعته بإفراد الشفاعة وأفرد الضمير، لأن لفظ كم مفرد وابن مقسم شفاعتهم بجمعها، وكأنه أراد بالمصدر أنواعه، واعتبر معنى كم.

[٤١] ﴿وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾

الإعراب ومرجع الضمير:

﴿يجزاه﴾ مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر تقديره هو، والهاء: مفعول ثان، أو منصوب على نزع الخافض يقال: جزيته سعيه وبسعيه، والجزاء مفعول مطلق، والأوفي: صفة.

الضمير المرفوع عائد على الإنسان، والمنصوب عائد على سعيه، والجزاء مصدر مبين للنوع، ويجوز أن يكون الضمير المنصوب للجزاء ثم فسر بقوله الجزاء الأوفى فهو بدل منه، أو عطف بيان له وجزى يتعدى إلى مفعولين يقال: جزاه الله عمله، وجزاه على عمله، وإلى ثلاثة مفاعيل بحرف يقال: جزاه الله على عمله الخير الجنة، ويحذف الجار ويوصل الفعل فيقال: جزاه الله عمله الخير الجنة، والجزاء الأوفى يليق بالمؤمنين الصالحين، لأنه جزاء الصالح.

[سورة القمر]

{١٥} ﴿ولقد تركناها آية فهل من مدكر﴾

مرجع الضمير:

الضمير: للفعلة وهي إغراقهم على هذا الوجه المذكور، وقيل الضمير للسفينة أي أبقيناها أي السفينة بناء على أنها بقيت على الجودي زمانا مديدا حتى رآها أوائل هذه الأمة، أو أبقينا خبرها، أو أبقينا السفن وجنسها أو تركنا بمعني جعلنا[١]

(١) الفتوحات ٤ : ٢٤٤

[سورة الرحمن]

{٢٦} ﴿كل من عليها فان﴾

مرجع الضمير:

الضمير يعود على الأرض لدلالة السياق عليها[1].

{٥٦} ﴿فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾

مرجع الضمير:

﴿فيهن﴾ الأصح في الضمير أن يعود إلى الجنتين، لأنها في معنى الجنان إذ كل فرد له جنتان فصح أنها جنان كثيرة، وإن كانت الجنتان أريد بهما حقيقة التثنية، وأن لكل جنس من الإنس والجن جنة واحدة، فالضمير يعود على ما اشتملت عليه الجنة من المجالس والقصور والمنازل وجمع الضمير هنا، وثنى في قوله: ﴿فيهما عينان﴾ .و﴿فيهما من كل فاكهة﴾ لأن الجنة لها اعتبارات ثلاثة. أحدها: اتصال أشجارها، وعدم وقوع الفيافي والمهامة فيها والأراضي العامرة، ومن هذا الوجه كأنها جنة واحدة لا يفصلها فاصل.

وثانيها: اشتمالها على النوعين الحاصرين للخيرات فإن فيها، ما في الدنيا، وما ليس في الدنيا، وفيها ما يعرف وما لا يعرف، وفيها ما يقدر على وصفه، وفيها ما لا يقدر وفيها لذات جسمانية، ولذات غير جسمانية فلاشتمالها على النوعين كأنها جنتان.

وثالثها: لسعتها وكثرة أشجارها، وأماكنها وأنهارها ومساكنها كأنها جنات

(١) الكشاف ٤: ٤٦

فهي من وجه جنة واحدة، ومن وجه جنات وقيل يعود الضمير إلى الآلاء والنعم أي قاصرات الطرف وقيل يعود إلى الفراش أي في الفرش قاصرات وهما ضعيفان.

أما الأول فلأن اختصاص القاصرات بكونهن في الآلاء مع أن الجنتين في الآلاء والعينين فيهما، والفواكه كذلك لا يبقى له فائدة.

وأما الثاني: فلأن الفرش جعلها ظرفهم حيث قال ﴿متكئين على فرش﴾ وأعاد الضمير إليها بقوله ﴿بطائنها﴾ ولم يقل بطائنهن، فقوله فيهن يكون تفسيرا للضمير فيحتاج إلى بيان فائدة، لأنه تعالى قال بعد هذا مرة أخرى ﴿فيهن خيرات﴾ ولم يكن هناك ذكر للفرش[1].

(١) البحر ٨: ١٩٧، ١٩٨، الكشاف ٤: ٤٩، التفسير الكبير ١٢٨/٢٩

[سورة الواقعة]

{٣٥} ﴿ إنا أنشأناهن إنشاء﴾

مرجع الضمير:

﴿أنشأناهن﴾ الضمير فيه ثلاثة أوجه:

الأول: أنه يعود على الحور المقدم ذكرهن.

الثاني: أنه لا يعود على ﴿الحور﴾ المقدم ذكرهن، لأن قوله تعالى: ﴿وحور عين﴾ في قصة السابقين و﴿إنا أنشأناهن﴾ في أصحاب اليمين، فلا يعود إلى قصة أخرى، وقيل إنما يعود إلى القصة التي هو فيها وهو أن يعود إلى قوله تعالى ، ﴿وفرش مرفوعة﴾، ويبعد هذا الرأي أن الله سبحانه وتعالى قال في سياق الآية ﴿فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين﴾ فلا يجوز أن يراد به الفرش والصحيح أن يكون الضمير غير عائد إلى مذكور على ماجرت به عادتهم إذا فهم المعنى كقوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾وأراد به الأرض، ولم يجر له ذكر وقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾وأراد به القرآن، وإن لم يجر له ذكر، لأن هذا أول السورة ولم يتقدم للقرآن ذكر فيه، وكقوله تعالى: ﴿حتى توارت بالحجاب﴾أراد به الشمس، وإن لم يجر لها ذكر فكذلك هاهنا، أريد بالضمير ﴿الحور﴾ في هذه القصة وإن لم يجر لهن ذكر لما عرف المعنى[1]. وقد أعاده الفخر الرازي على الحور العين، واستبعده لبعدهن، ووقوعهن في قصة أخرى.

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ٢: ٤١٧

وقال: إن المراد من الفرش النساء والضمير عائد إليهن لقوله تعالى: ﴿هن لباس لكم﴾ وهو أقرب من الأول لكن يبعد ظاهرا لوصفها بالمرفوعة. كما قال إن الضمير يعود إلى معلوم دل عليه فرش فهو تعالى أقام الصفة مقام الموصوف ولم يذكر نساء الآخرة بلفظ حقيقي أصلا، وإنما عرفهن بأوصافهن ولباسهن إشارة إلى صونهن وتخدرهن[1].

[٥٣] ﴿فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم﴾

مرجع الضمير:

﴿منها﴾ الضمير عائد على شجر إذ هو اسم جنس، ويؤنث ويذكر وعلى قراءة عبدالله فهو واضح، فشاربون عليه قال الزمخشري ذكر على لفظ الشجر كما أنث على المعنى في منها قال ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة، وإنما ذكر الثاني على تأويل الزقوم، لأنه يفسرها وهى في معناه، وقال ابن عطية الضمير في ﴿عليه﴾ عائد على المأكول، أو على الأكل، فلم يجعله عائدا على شجر[2].

[٧٤, ٧٥, ٧٦] ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم، إنه لقرآن كريم﴾

مرجع الضمير:

النجوم: هى نجوم القرآن التي أنزلت على رسول الله ﷺ ويؤيد هذا القول قوله: ﴿إنه لقرآن﴾ فعاد الضمير على ما يفهم من قوله ﴿بمواقع

---

(١) التفسير الكبير ٢٩: ١٦٦

(٢) البحر ٨: ٢١٠، إرشاد العقل السليم ٨: ١٩٦ البيضاوي ٧١١.

النجوم﴾ أي نجوم القرآن، ومن تأوَّل النجوم على أنها الكواكب جعل الضمير في ﴿إنه﴾ يفسره سياق الكلام كقوله (حتى توارت بالحجاب)[1].

{٧٩} ﴿لايمسه إلاالمطهرون﴾

مرجع الضمير:

﴿لايمسه﴾ الضمير عائد إلى الكتاب على الصحيح، ويحتمل أن يقال هو عائد إلى مادل عليه المضمر من قوله ﴿إنه﴾ ومعناه: لا يمس القرآن إلا المطهرون، والصيغة إخبار، ولكن الخلاف في أنه هل هو بمعنى النهي، كما أن قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن﴾ إخبار بمعنى الأمر فمن قال المراد من الكتاب اللوح المحفوظ وهو الأصح على ما بينا، قال هو إخبار معنى كما هو إخبار لفظا إذا قلنا إن المضمر في ﴿يمسه﴾ للكتاب، ومن قال المراد المصحف اختلف في قوله، وفيه وجه ضعيف نقله ابن عطية أنه نهى لفظا ومعنى، وجلبت إليه ضمةالهاء لا للإعراب ولا وجه له[2].

{٨٣} ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم ... فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين﴾

مرجع الضمير:

أضمر النفس لدلالة ذكر الحلقوم والتراقي عليها[3]، قال الزمخشري ترتيب الآية فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين، فلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس[4]

(١) البحر ٨: ٢١٤
(٢) التفسير الكبير ٢٩. ١٩٣
(٣) أمالي اقشجري ١: ٥٩
(٤) البحر ٨: ٢١٥، الكشاف ٤: ٥٩

[سورة الحديد]

{٢٢} ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾.

مرجع الضمير:

﴿نبرأها﴾ الهاء فيها ثلاثة أوجه:

الأول: أنها تعود على النفس. الثاني: أنها تعود على الأرض. الثالث: أنها تعود على المصيبة(١). وأعادها الزمخشري على النفس والمصائب(٢).

وقال أبو حيان: الظاهر أن الضمير يعود على المصيبة، لأنها هى المحدث عنها وذكر الأرض والأنفس هو على سبيل محل المصيبة، وقيل يعود على الأرض، وقيل على الأنفس، وقيل على جميع ماذكر(٣).

{٢٧} ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل..﴾

مرجع الضمير:

الضمير لنوح وإبراهيم، ومن أرسلا إليهم، أو من عاصرهما من الرسل لا الذرية فإن الرسل المقفي بهم من الذرية(٤).

---

(١) البيان ٢: ٤٢٤

(٢) الكشاف ٤: ٦٦

(٣) البحر ٨: ٢٢٥ المجيد ٢: ٢٨٦أ

(٤) البيضاوي

[سورة المجادلة]

{١٤} ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾

مرجع الضمير والإعراب:

﴿ماهم منكم﴾ الضمير عائد على المنافقين ﴿منكم﴾ أي من المؤمنين ولامنهم أي من اليهود المتولين فتحتمل الجملة حينئذأن تكون مستأنفة، أو حالا من ضمير تولوا، وقيل الضمير لليهود فيريد بقوله منهم المنافقين، فالجملة صفة لقوم[1].

{٢٢} ﴿... أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ....﴾

مرجع الضمير:

المقصود بالروح هو الهدي والنور واللطف، وقيل الروح القرآن، وقيل جبريل يوم بدر، وقيل الضمير في منه عائد على الإيمان والإنسان في نفسه روح يحيا به المؤمن[2].

---

(١) البحر ٨: ٢٣٨، المجيد ٢: ١٢٨٧

(٢) البحر ٨:٢٣٩

[سورة الحشر]

[٢] ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾

مرجع الضمير:

﴿فآتاهم﴾ الضمير عائد إلى اليهود أي فآتاهم عذاب الله وأخذهم من حيث لم يحتسبوا.

و يمكن أن يكون عائدا إلى المؤمنين أي فآتاهم نصر الله وتقويته من حيث لم يحتسبوا، ومعنى لم يحتسبوا أي لم يظنوا، ولم يخطر ببالهم وذلك بسبب أمرين:

أحدهما: قتل رئيسهم كعب بن الأشرف على يد أخيه غيلة، وذلك مما أضعف قوتهم، وفتت عضدهم، وقل من شوكتهم.

والثاني: بما قذف في قلوبهم من الرعب[١].

[٥] ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين﴾

مرجع الضمير:

﴿أو تركتموها﴾: الضمير (لما) وتأنيثه؛ لأنه مفسر باللينة[٢].

---

(١) التفسير الكبير ٢٩: ٢٨٠، البيضاوي ٧٢٤

(٢) البيضاوي ٧٢٥، إرشاد العقل السليم ٨: ٢٢٦

{٩} ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان ....﴾.

مرجع الضمير:

﴿تبوءوا الدار﴾: لزموها واتخذوها مسكنًا، والدار: المدينة والضمير يعود على الأنصار؛ لأنها كانت بلدهم، فإن قيل: كيف تبوأ الدار والإيمان، وإنما تتبوأ الدار أي تسكن ولا يتبوأ الإيمان. فالجواب من وجهين:

الأول: أن معناه تبوءوا الدار، وأخلصوا الإيمان، فهو كقوله:

علفتها تبنًا وماءً باردًا

تقديره: علفتها تبنًا وسقيتها ماءً باردًا.

الثاني: أن المعنى أنهم جعلوا الإيمان كأنه موطن لهم لتمكنهم منه، كما جعلوا المدينة كذلك، فإن قيل قوله: ﴿من قبلهم﴾ يقتضي أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة فلا شك فيه؛ لأنها كانت بلدهم، وأما سبقهم لهم بالإيمان فمشكل؛ لأن أكثر المهاجرين أسلموا قبل الأنصار.

فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه أراد بقوله: من قبلهم من قبل هجرتهم، والآخر أنه أراد تبوءوا الدار مع الإيمان أي جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين؛ لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بنزول الدار فيكون الإيمان على هذا مفعولاً معه، وهذا الوجه أحسن لأنه جواب عن السؤال، وعن السؤال الأول بأنه إذا كان الإيمان مفعولاً به لم يلزم السؤال الأول إذ لا يلزم إلا إن كان الإيمان معطوفا على الدار[١].

---

(١) معترك الأقران ٢: ٣٤

[سورة الممتحنة]

[١] ﴿تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿يفعله﴾ يعود على الاتخاذ، قاله ابن عطيه.

قال أبو حيان: يعود على أقرب مذكور وهو الإسرار[١].

[سورة الصف]

[٦] ﴿...... فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾

مرجع الضمير:

﴿جاءهم﴾ ضمير الفاعل فيه المستكن يعود على عيسى، وهو الظاهر، لأنه المحدث عنه وقيل يعود على أحمد[٢].

[سورة الجمعة]

[١١] ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها﴾

مرجع الضمير:

فإن قلت: كيف قال: ﴿إليها﴾ وقد ذكر شيئين، قلت تقديره: إذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهوا انفضوا إليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه،

(١) البحر ٨: ٢٥٣

(٢) البحر ٨: ٢٦٢، المجيد ٢: ٢٨٩ب

وكذلك قراءة من قـرأ انفضوا إليه أو إليـها أو إليهما وقـال ابن عطية: لم يقل إليهمـا تهمما بالأهم إذ كانت سـبب اللهو ، ولـم يكن اللهو سببها، وتأمل إن قدمت التـجارة على اللهو في الرؤية، لأنهـا أهم، وأخرت مع التفضـيل لتقع النفس أولا على الأبين[1]، ولو قيل بهما، وانفضوا إليـهما كما قال: ﴿إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما﴾[2].

كان صوابا وأجـود من ذلك في العربية أن تجعل الراجع مـن الذكر للآخر من الاسمين، ومـا بعد ذا فهو جـائز وإنما اختيـر في انفضوا إليهـا في قراءتنا، وقراءة عـبد الله، لأن التـجارة كانت أهم إليـهم، وهم بها أسـر منهم بضرب الطبل، لأن الطبل إنما دل عليها ، فالمعنى كله لها[3].

[سورة التغابن]

[١٤] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾

مرجع الضمير:

﴿فاحذروهم﴾: الضمـير للعـدو فإنه يطلق على الجـمع نحو قولـه تعالى

(١) البحر ٨:٢٦٩

(٢) النساء ١٣٥

(٣) معاني الـقرآن للفراء ٣: ١٥٧ كان النبيﷺ يخطب يوم الجـمعة فقـدم دحية الكلبي بتجـارة من الشام فضرب بالطبل ليـؤذن الناس بقدومه فخرج جـميع الناس إليه إلا ثمانية نفـر فأنزل الله عزوجل وإذا رأوا تجارة فاللهو الضرب بالطبل وقال أبو حيان إلا اثنى عـشر رجلا قيل المشهود لهم بالجنة، والحادي عشر قيل عمار وقيل ابن مسعود وقال جابر :أنا أحدهم.

(فإنهم عدو لي) فالمأمور به إما الحذر عن البعض، لأن منهم من ليس بعدو، وإما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو[1].

[سورة الطلاق]

[11] ﴿رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا﴾

مرجع الضمير:

﴿يخرج﴾ فاعل يخرج ضمير يعود على الرسول عليه الصلاة والسلام، أو على الله تعالى، أو على الذكر في قوله تعالى: **﴿قد أنزل الله إليكم ذكرا﴾**

﴿خالدين﴾ حال من مفعول ﴿يدخله﴾، والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها.

﴿قد أحسن الله له رزقا﴾ حال أخري منه، أو من الضمير في ﴿خالدين﴾ بطريق التداخل، وإفراد ضمير ﴿له﴾ باعتبار اللفظ أيضا واستدل أكثر النحويين بهذه الآية على جواز مراعاة اللفظ أولا ثم مراعاة المعنى ثم مراعاة اللفظ، وزعم بعضهم أن ما فيها ليس كما ذكر، لأن الضمير في ﴿خالدين﴾ ليس عائدا على ﴿من﴾ كالضمائر قبل، وإنما هو عائد على مفعول يدخل ﴿وخالدين﴾ حال منه، والعامل فيها -يدخل - لا فعل الشرط وهو كما ترى[2].

(١) البحر ٨: ٢٨٧

(٢) البحر ٨: ٢٩٩

[سورة الملك]

{٥} ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين﴾

مرجع الضمير:

﴿رجوما﴾ أي جعلنا منها، لأن السماء ذاتها ليست يرجم بها الرجوم، وهذا إن عاد الضمير في قوله: ﴿وجعلناها﴾ على السماء؛ والظاهر عوده على مصابيح ونسب الرجم إليها، لأن الشهاب المتبع للمسترق منفصل من نارها، والكوكب قار في ملكه على حاله، فالشهاب كقبس يؤخذ من النار، والنار باقية لا تنقص[١].

[سورة القلم]

{١} ﴿نون والقلم وما يسطرون﴾

مرجع الضمير:

الضمير لأصحاب القلم المدلول عليهم بذكره، وقيل للقلم على أن المراد به أصحابه كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم على أن ﴿ما﴾ موصولة، أو وسطرهم على أنها مصدرية، وقيل للقلم نفسه بإسناد الفعل إلى الآلة، وإجرائه مجرى العقلاء لإقامته مقامهم، وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة، والجمع للتعظيم[٢].

(١) إرشاد العقل السليم ٩: ١١

(٢) روح المعاني ٢٩: ٥١

[سورة الحاقة]

{٧} ﴿فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾

مرجع الضمير:

﴿فيها﴾ أي في الأيام والليالي، وقيل في مهاب الريح، وقيل في ديارهم والأول أظهر[١].

{١٢} ﴿لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية﴾

مرجع الضمير:

الضمير يعود إلى ما عاد عليه ضمير (لنجعلها) وهذا يقوى أن يكون للفعلة[٢].

{١٧} ﴿والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾

مرجع الضمير:

﴿فوقهم﴾ الضمير فيه وجهان:

الأول: وهو الأقرب أن المراد فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء، والمقصود التمييز بينهم، وبين الملائكة الذين هم حملة العرش.

الثاني: قال مقاتل يعني أن الحملة يحملون العرش فوق رءوسهم، ومجئ الضمير قبل الذكر جائز كقوله في بيته يؤتى الحكم.

(١) معترك الأقران ٢: ٣٤

(٢) التفسير الكبير ٣٠: ١١٤.

{٢٧} ﴿ياليتها كانت القاضية﴾

مرجع الضمير:

﴿ياليتها﴾ الضمير فيه وجهان:

الأول: إلى الموتة الأولى أي يعود إليها، وإن لم تكن مذكورة، إلا أنها لظهورها كانت كالمذكورة .

الثاني: أنه عائد على الحالة التي شاهدها عند مطالعة الكتاب، والمعنى ياليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي، لأنه رأى تلك الحالة أبشع، وأمر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناها عندها[١].

{٤٨} ﴿وإنه لتذكرة للمتقين﴾

مرجع الضمير:

﴿وإنه﴾ يعود على القرآن أو الرسول عليه السلام[٢].

{٥٠} ﴿وإنه لحسرة على الكافرين﴾

مرجع الضمير:

﴿وإنه﴾ أي القرآن، أو يعود على المصدر من قوله مكذبين[٣]، وأعادَهُ الزمخشري على القرآن[٤].

---

(١) البحر ٨: ٣٣٠

(٢) البحر ٨: ٣٣٠، العكبري ٢: ١٤٢، المجيد ٢: ٢٩٨أ

(٣) الكشاف ٤: ١٥٥

(٤) إرشاد العقل السليم ٩: ٣٠، التفسير الكبير ٣٠: ١٢٥ البيضاوي ٧٥٨

[سورة المعارج]

{٤} ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾

مرجع الضمير:

﴿إليه﴾ أي إلى عرشه تعالى، وإلى حيث تهبط منه أوامره تعالى، وقيل إليه أي إلى المكان الذي هو محلهم وهو في السماء، لأنها محل بره وكرامته.

{٦} ﴿إنهم يرونه بعيدا﴾

مرجع الضمير:

﴿يرونه﴾ أي العذاب الواقع، أو يوم القيامة على تقدير تعلق في يوم بواقع[١].

{١٥} ﴿كلا إنها لظى﴾

مرجع الضمير:

﴿إنها﴾ الضمير للنار، أو مبهم يفسره لظى وهو خبر أو بدل أو للشأن أو القصة[٢].

[سورة نوح]

{٢٣، ٢٤} ﴿وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا﴾

(١) البيضاوي ٧٥٩، إرشاد العقل السليم ٩: ٣٢

(٢) البحر ٨: ٣٤٢

مرجع الضمير:

﴿وقد أضلوا﴾ عوده على الرؤساء أظهر إذ هم المحدث عنهم [(١)].

وقال الزمخشري: الضمير للرؤساء ومعناه وقد أضلوا كثيرا قيل هؤلاء الموصين بأن يتمسكوا بعبادة الأصنام ليسوا بأول من اضلوهم، أو قد أضلوا بإضلالهم كثيرا، يعني أن هؤلاء المضلين فيهم كثرة، ويجوز أن يكون للأصنام كقوله تعالى: إنهن أضللن كثيرا من الناس [(٢)].

[سورة الجن]

[٦] ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾

مرجع الضمير:

الضمير المرفوع في ﴿فزادوهم﴾ عائد على رجال من الإنس إذهم المحدث عنهم، وقيل أي الجن زادت الإنس مخافة يتخيلون لهم بمنتهى طاقتهم، ويعوذونهم لما رأوا من خفة أحلامهم فازدروهم واحتقروهم[(٣)].

[٧] ﴿وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا﴾

مرجع الضمير:

الضمير في ﴿وأنهم﴾ للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش[(٤)].

(١) الكشاف ٤: ١٦٤

(٢) البحر ٨: ٣٤٨

(٣) الكشاف ٤: ١٦٨

(٤) التفسر الكبير ٣٠: ١٦١

[١٦] ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾

مرجع الضمير:

﴿استقاموا﴾ الضمير فيه قولان:

قال بعضهم إلى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم أي هؤلاء القاسطون لو أمنوا لفعلنا بهم كذا وكذا.

وقال آخرون: بل المراد الإنس، واحتجوا عليه بوجهين:

الأول: أن الترغيب بالانتفاع بالماء العذب إنما يليق بالإنس لا الجن.

والثاني: أن هذه الآية إنما نزلت بعد ما حبس الله المطر عن أهل مكة سنين، أقصى ما في الباب أنه لم يتقدم ذكر الإنس، ولكنه لما كان ذلك معلوما جرى مجرى قوله ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾، وقال القاضي الأقرب أن الكل يدخلون فيه، وأقول يمكن أن يحتج لصحة قول القاضي بأنه تعالى لما أثبت حكما معللا بعلة وهو الاستقامة، وجب أن يعم الحكم بعموم العلة[1].

[سورة المزمل]

[٣، ٤] ﴿نصفه أو انقص منه قليلا، أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلا﴾

مرجع الضمير:

﴿منه وعليه﴾ للأقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الأقل منه كالربع، والأكثر كالنصف، أو للنصف، والتخيير بين أن يقوم أقل منه على البت، وأن يختار أحد الأمرين من الأقل والأكثر، أو الاستثناء من أعداد الليل

(١) البيضاوي ٧٦٦، إرشاد العقل السليم ٩: ٥٠

فإنه عام، والتخيير بين قيام النصف والناقص منه والزائد عليه[1].

[١٨] ﴿السماء منفطر به كان وعده مفعولا﴾

مرجع الضمير:

التذكير لإجرائه على موصوف مذكر أي شيء منفطر﴿وعده﴾ الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف إلى فاعله أو لليوم وهو مضاف إلى مفعوله[2].

[٢٠] ﴿...علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ...﴾

مرجع الضمير:

﴿تحصوه﴾ الظاهر أنه عائد على المصدر المفهوم من ﴿يقدر﴾ أي لن تحصوا تقدير ساعات الليل والنهار، أي لاتحيطوا بها على الحقيقة، وقيل الضمير يعود على القيام المفهوم من قوله: ﴿فتاب عليكم﴾[3].

وقال الزمخشري: والضمير في ﴿لن تحصوه﴾ لمصدر يقدر أي علم أنه لا يصح منكم ضبط الأوقات، ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية إلا أن تأخذوا بالأوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ ﴿فتاب عليكم﴾ عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله: فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن، والمعنى: أنه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب[4].

(١) إرشاد العقل السليم ٩: ٥٢

(٢) البحر ٨: ٣٦٧

(٣) الكشاف ٤: ١٧٩

(٤) روح المعاني ٢٩: ١٦٤

[سورة المدثر]

{٣٥} ﴿إنها لإحدى الكبر﴾

مرجع الضمير:

﴿إنها﴾ لسقر، وقيل ضميـر يحتمل أن يكون للنذارة، وأمر الآخرة، قال في البحر فهو للحال والقصة، وقيل هو للساعة فيعود على غير مذكور(١).

[سورة القيامة]

{٢٠ , ٢١} ﴿كلا بل تحبون العاجلة، وتذرون الآخرة﴾

تعمـيم للخطاب إشعار بـأن بني آدم مطبوعون على الاسـتعجـال وإن كان الخطاب للإنسان، والمراد به الجـنس فجمع الضـمير للمعنى، ويؤيد قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء منهما(٢).

{٢٦} ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾

مرجع الضمير:

﴿بلغت﴾ الضمير للنفس، وإن لم يدل عليها كما قال حاتم:

أما وي لا يغني الثراء عن الفتى　　إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وتقـول العـرب: أرسلت يريدون جـاء المطر ولا تكاد تسـمعـهم يذكـرون السماء(٣).

---

(١) البيضاوي: ٧٧٣

(٢) الكشاف ٤ : ١٩٢، ١٩٣ المجيد ٢: ٣٠٦ب

(٣) البيضاوي ٧٧٤

[سورة الإنسان]

[٨] ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾

مرجع الضمير:

﴿حبه﴾ حب الله، أو الطعام، أو الإطعام[1].

[سورة النبأ]

[٣٥] ﴿لايسمعون فيها لغوا ولاكذابا﴾

مرجع الضمير:

﴿فيها﴾ يعود إلى مايأتي:

الأول: أنها ترجع إلى الكأس، أي لايجري بينهم لغو في الكأس التي يشربونها، وذلك لأن أهل الشراب في الدنيا يتكلمون بالباطل، وأهل الجنة إذا شربوا لم يتغير عقلهم، ولم يتكلموا بلغو.

والثاني: أن الكناية ترجع إلى الجنة أي لايسمعون في الجنة شيئا يكرهونه .

[٣٧] ﴿رب السموات والأرض ومابينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا﴾

مرجع الضمير:

﴿لايملكون﴾ إلى من يرجع؟ فيه ثلاثة أقوال:

(١) التفسير الكبير ٣١: ٢١

الأول: نقل عطاء عن ابن عباس أنه راجع إلى المشركين يريد لا يخاطب المشركون، أما المؤمنون فيشفعون يقبل الله ذلك منهم، الثاني قال القاضي إنه راجع إلى المؤمنين، والمعنى أن المؤمنين لا يملكون أن يخاطبوا الله في أمر من الأمور، لما ثبت أنه عدل لا يجوز ثبت أن العقاب الذي أوصله إلى الكفار عدل، وأن الثواب الذي أوصله إلى المؤمنين عدل وأنه مايخسر حقهم، فبأي سبب يخاطبونه، وهذا القول أقرب من الأول، لأن الذي جرى قبل هذه الآية ذكر المؤمنين لا ذكر الكفار.

والثالث : أنه ضمير لأهل السموات والأرض وهذا هو الصواب، فإن أحدا من المخلوقين لا يملك مخاطبة الله ومكالمته، وأما الشفاعات الواقعة بإذنه فغير واردة عليَّ هذا الكلام، لأنه نفى الملك، والذي يحصل بفضله وإحسانه فهو غير مملوك، فثبت أن هذا السؤال غير لازم، والذي يدل من جهة الفعل على أن أحدا من المخلوقين لايملك خطاب الله وجوه:

الأول: وهو أن كل ماسواه فهو مملوكه، والمملوك لايستحق على مالكه شيئا.

وثانيها: أن معنى الاستحقاق عليه هو أنه لو لم يفعل لاستحق الذم، ولو فعله لاستحق المدح، وكل من كان كذلك كان ناقصا في ذاته مستكملا بغيره وتعالى الله عنه .

وثالثها: أنه عالم بقبح القبيح، عالم بكونه غنيا عنه، وكل من كان كذلك لم يفعل القبيح، وكل من امتنع كونه فاعلا للقبيح، فليس لأحد أن يطالبه بشيء وأن يقول له لم فعلت، والوجهان الأولان مفرعان على قول أهل السنة، والوجه الثالث يتفرع على قول المعتزلة فثبت أن أحدا من المخلوقات

لايملك أن يخاطب ربه، ويطالب إلهه، أكد هذا المعنى وقرره فقال تعالى: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا﴾[1].

[سورة عبس]

{١١, ١٢} ﴿كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره﴾

مرجع الضمير:

﴿إنها﴾ ضمير المؤنث، وقوله: ﴿فمن شاء ذكره﴾ ضمير المذكر، والضميران عائدان إلى شيء واحد فكيف القول فيه؟

الجواب فيه وجهان:

الأول: أن قوله ﴿إنها﴾ ضمير المؤنث قال مقاتل يعني آيات القرآن، وقال الكلبي: يعني هذه السورة وهو قول الأخفش، والضمير في قوله: فمن شاء ذكره عائد إلى التذكرة أيضا، لأن التذكرة في معنى الذكر والوعظ .

الثاني: قال صاحب النظم إنها تذكرة يعنى به القرآن، والقرآن مذكر إلا أنه لما جعل القرآن تذكرة أخرجه على لفظ التذكرة ولو ذكَّره لجاز والدليل على أن قوله: ﴿إنها تذكرة﴾ المراد به القرآن قوله: ﴿فمن شاء ذكره﴾[2].

[سورة البروج]

{٦} ﴿إذ هم عليها قعود﴾

مرجع الضمير:

(١) التفسير الكبير ٣١: ٥٧

(٢) التفسير الكبير ٣١: ١١٩

في الآية إشكال وهو أن قوله ﴿هم﴾ ضمير عائد إلى أصحاب الأخدود، لأن ذلك أقرب المذكوران، والضمير في قوله: ﴿عليها﴾ عائد إلى النار، فهذا يقتضي أن أصحاب الأخدود كانوا قاعدين على النار، ومعلوم أنه لم يكن الأمر كذلك والجواب من وجوه:

أحدها: أن الضمير في هم عائد إلى أصحاب الأخدود، لكن المراد هاهنا من أصحاب الأخدود المقتولون لا القاتلون فيكون المعنى إذ المؤمنون قعود على النار يحترقون مطروحون على النار.

ثانيها: أن يجعل الضمير في عليها عائد إلى طرف النار وشفيرها، والمواضع التي يمكن الجلوس فيها ولفظ على مشعر بذلك.

تقول: مررت عليها تريد مستعليا بمكان يقرب منه، فالقاتلون كانوا جالسين فيها وكانوا يعرضون المؤمنين على النار فمن كان يترك دينه تركوه، ومن كان يصبر على دينه ألقوه في النار .

وثالثها: هب أنا سلمنا أن الضمير في هم عائد إلى أصحاب الأخدود بمعنى القاتلين، والضمير في ﴿عليها﴾ عائد على النار فلم لايجوز أن يقال: إن أولئك القاتلين كانوا قاعدين على النار، فإنا بينا أنهم لما ألقوا المؤمنين في النار ارتفعت النار إليهم فهلكوا بنفس مافعلوه بأيديهم لأجل إهلاك غيرهم، فكانت الآية دالة على أنهم في تلك الحالة كانوا ملعونين أيضا، ويكون المعنى أنهم خسروا الدنيا والآخرة.

ورابعها: أن تكون على بمعنى عندكما في قوله: ﴿ولهم علي ذنب﴾ أي عندي .

[سورة الطارق]

[٨] ﴿إنه على رجعه لقادر﴾

مرجع الضمير:

﴿إنه﴾ الضمير للخالق مع أنه لم يتقدم ذكره، والسبب فيه وجهان:

الأول: دلالة خلق عليه، والمعنى أن ذلك الذي خلق قادر على رجعه الثاني أنه وإن لم يتقدم ذكره لفظا، ولكن تقدم ذكر ما يدل عليه سبحانه، وقد تقرر في بداءة العقول أن القادر على هذه التصرفات هو الله سبحانه وتعالى، فلما كان ذلك في غاية الظهور كان كالمذكور(١).

﴿رجعه﴾ عائد على الإنسان كما قاله ابن عباس وقتادة أي على رده حيا بعد موته، أي من أنشأه أولا قادر على بعثه يوم القيامة لايعجزه شيء، وقال عكرمة، ومجاهد الضمير عائد على الماء أي على رد الماء في الإحليل، أو في الصلب وقال الضحاك على رده من الكبر إلى الشباب، وعلى قول الضحاك وما قبله يكون العامل في يوم تبلى مضمر تقديره اذكر، وجعل بعض النحاة العامل ناصر وهو لا يجوز، لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها على المشهور، وجعل بعضهم العامل مضمرا يدل عليه المصدر تقديره: يرجعه يوم تبلى السرائر قال ابن عطية وكل هذه الفرق فرت من أن يكون العامل لقادر، لأنه يظهر من ذلك تخصيص القدرة في ذلك اليوم وحده، وإذا تؤمل المعنى، وما يقتضيه فصيح كلام العرب جاز أن يكون المعنى لقادر، وذلك أنه قال إنه على

---

(١) التفسير الكبير ٣١: ١٣٠

رجعه لقادر على الإطلاق أولا وآخرا، وفي كل وقت ثم ذكر تعالى وخصص من الأوقات الوقت الأهم على الكفار، لأنه وقت الجزاء والوصول إلى العذاب ليجتمع الناس على حذره، والخوف منه، وبعد أن ذكر ابن قتيبة الوجهين قال ومن جعل الهاء عائدة على الإنسان نصب يوم ب﴿تبلى﴾ بتقدير اذكر، لأنه لم يرد أن يخبر أنه قادر على رد الماء إلى موضعه من الصلب في الآخرة والله أعلم[1].

{١٣} ﴿إنه لقول فصل﴾

الإعراب:

﴿إنه..﴾ الجملة لامحل لها من الإعراب، لأنها جواب قسم .

لقول: اللام للمزحلقة وهى للتوكيد، فصل صفة.

مرجع الضمير:

﴿إنه﴾ الضمير عائد على القرآن، أو على الكلام الذي أخبر فيه ببعث الإنسان يوم القيامة، وابتلاء سرائره أي أن ذلك القول قول حزم مطابق للواقع لاهزل فيه، ويكون الضمير قد عاد على مذكور وهو الكلام الذي تضمن الإخبار عن البعث[2]، أو يعود الضمير على القرآن كما قال بذلك أبو حيان والزمخشري والفخر الرازي الذي رجح الأول معللاً ذلك بأن عود الضمير إلى المذكور السالف أولى[3].

(١) البحر ٨: ٤٥٥، ٤٥٦، البيان ٢: ٥٠٧

(٢) البحر ٨: ٤٥٦

(٣) التفسير الكبير ٣١: ١٣٣

[سورة الفجر]

{٢٥ ، ٢٦} ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد﴾

مرجع الضمير:

﴿عذابه ووثاقه﴾ عائد على الله تعالى، أي لا يكل عذابه، ولا وثاقه إلى أحد، لأن الأمر لله وحده في ذلك اليوم، أو هو من الشدة في حين لم يعذب قط أحد في الدنيا مثله.

والأول أوضح، لقوله: ﴿لا يعذب ولا يوثق﴾ ولا يطلق على الماضي إلا بمجاز بعيد، بل موضوع (لا) إذا دخلت على المضارع أن يكون مستقبلا، وقرأ ابن سيرين بفتح الذال والثاء مبنيين للمفعول فيجوز أن يكون الضمير فيهما مضاف لمفعول، وهو الأظهر أي لا يعذب أحد مثله(١).

[سورة الشمس]

{٣} ﴿والنهار إذا جلاها﴾

مرجع الضمير:

الظاهر أن مفعول ﴿جلاها﴾ عائد على الشمس، لأنه عند انبساط النهار تنجلي الشمس في ذلك الوقت تمام الانجلاء، وقيل يعود على الظلمة، وقيل على الأرض، وقيل على الدنيا، وفاعل ﴿جلاها﴾ ضمير النهار، قيل: ويحتمل أن يكون عائداً على الله تعالى كأنه قيل: والنهار إذا جلى الله الشمس(٢).

---

(١) البحر ٨: ٤٧١، ٤٧٢

(٢) البحر ٨: ٤٧٨، الكشاف ٤: ٢٥٨

[سورة القدر]

{١} ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾

مرجع الضمير: ﴿أنزلناه﴾ الضمير للقرآن فخمه بإضماره من غير شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بأن أسند إنزاله إليه[١].

{٥} ﴿سلام هى حتي مطلع الفجر﴾

مرجع الضمير:

﴿سلام هى﴾ يجوز أن يكون سلام بمعنى التحية، وهى عائد على الليلة جعلت سلاما لكثرة السلام فيها (م) وظاهر كلام أبي البقاء أن هى عائد على الملائكة أي هى مسلمة، ويجوز أن يكون بمعنى السلامة (م) وهى على الليلة قال أبو البقاء أي ليلة القدر ذات تسليم (م) وأجاز أبو البقاء على المعنيين في سلام أن تكون هى مبتدأ، وسلام خبر مقدم، وأن يرتفع هى سلام على قول الأخفش قلت إنما قال هذا الأخفش في اسم الفاعل واسم المفعول والظرف والمجرور لافي المصدر، وقد تقدم أن سلاما مصدر إلا أن يكون يوهم من تقديره باسم الفاعل أنه يجري مجرى اسم الفاعل في الاعتماد وعدمه وفيه نظر[٢].

[سورة العاديات]

{٤} ﴿فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا﴾

اللغة والإعراب:

---

(١) البحر ٨: ٤٩٨، البيضاوي ٥٠٨

(٢) المجيد ٢: ١٣٢٥

أثرن: هيجن، وثارت الفتنة بينهم، وثار الغبار، أو الدخان: ارتفع، وثار الجراد: ظهر، وثارت نفسه: جشات، وثار إليه وبه: وثب عليه، نقعا: غبارا، وعندما سئل ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿فأثرن به نقعا﴾ قال النقع: مايسطع من حوافر الخيل أما سمعت قول حسان:

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء[1].

والفا: حرف عطف، وأثرن: ماض مبني على السكون، والنون فاعل مبني في محل رفع، وبه متعلقان بأثرن، ونقعا: مفعول به والباء بمعنى ﴿في﴾، وكل ما يتعدى بفي يتعدى بالباء، ولا عكس.

مرجع الضمير:

﴿فأثرن به نقعا﴾ الضميرفيه وجوه:

الأول: أنه عائد إلى المكان الذي انتهى إليه، والموضع الذي تقع فيه الإغارة، لأنه في قوله فالمغيرات صبحا دليلا على الإغارة لابد لها من وضع، وإذا علم المعنى جاز أن يكنى عما لم يجر ذكره بالتصريح كقوله: **﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾** قال بذلك الفراء[2].

الثاني: أنه عائد إلى ذلك الزمان الذي وقعت فيه الإغارة أي فأثرن في ذلك الوقت نقعا أي هيجنا بذلك الوقت غبارا، وبه قال أبو حيان والزمخشري والألوسي.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١: ١٦٨

(٢) معاني القرآن للفراء ٣: ٢٨٥

الثالث: أنه عائد إلى العدو أي فأثرن بالعدو نقعا بدليل قوله تعالى : ﴿والعاديات﴾ قال بذلك الكسائي.

الرابع: أنه عائد على المكان الذي يقتضيه المعنى وإن لم يجر له ذكر لدلالة ﴿والعاديات﴾ وما بعدها عليه أو للإغارة الدال عليها المغيرات، والتذكير لتأويلها بالجري، ونحوه، والياء للسببية، أو للملابسة، وجوز كونها ظرفية أيضا، والأول أظهر والطف.

﴿فوسطن به جمعا﴾: الضمير في ﴿به﴾فيه وجوه:

الأول : فوسطن به أي بالعدو بدلالة والعاديات فجازت الكناية عنه، وقوله جمعا يعني جمع العدو، والمعنى صرن بعد وهن وسط جمع العدو.

الثاني: أن الضمير عائد إلى النفع أي ﴿وسطن﴾ بالنفع الجمع قال بذلك الألوسي[1].

الثالث: المراد أن العاديات وسطن ملبسا بالنقع جمعا من جموع الأعداء، وقرئ (فوسطن) بالتشديد للتعدية، والباء مزيدة للتوكيد.

الرابع: أو المراد فوسطن بذلك الوقت.

الخامس: أن يعود على المكان أو الإغارة قال بذلك أبو حيان[2].

[٧] ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾

مرجع الضمير:

---

(١) روح المعاني ٢٠: ٢٧٧

(٢) البحر المحيط ٨: ٥٠٤

﴿وإنه﴾ جعله الزمخشري عائدا على الإنسان، أو على الله[1]، وقال التبريزي: هو عائد على الله تعالى، وربه شاهد عليه وهو الأصح، لأن الضمير يجب عوده على أقرب المذكورين، ويكون ذلك كالوعيد، والزجر عن المعاصي.

البلاغة:

المخالفة بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله ﴿فأثرن به نقعا﴾ إذ عطف الفعل على الاسم الذي هو العاديات وما بعده، لأنها أسماء فاعلين تعطي معنى الفعل سر بديع وهو تصوير هذه الأفعال في النفس وتجسيدها أمام العين، فإن التصوير يحصل بإيراد الفعل بعد الاسم لما بينهما من التخالف وهو أبلغ من التصوير والتجسيد بالأسماء المتناسقة، وكذلك التصوير بالمضارع بعد الماضي، وفي قوله تعالى: ﴿وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد﴾

جناس لاحق وهو ما أبدل أحد ركنيه حرف واحد بغيره من غير مخرجه سواء أكان الإبدال في الأول أو الوسط أو الأخر وإن كان ما أبدل منه من مخرجه سمي مضارعا فمثال الإبدال من الأول قوله تعالى: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ ،والآية التي نحن بصددها مثال الإبدال من الوسط، ومثال الإبدال من الآخر قوله تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن﴾ ومن الأحاديث على هذا النمط أيضا من الأول قوله عليه السلام: «الحمد لله الذي حسن خلقي وزان مني ماشان من غيري»

ومن الثاني حديث الطبراني:

(١) الكشاف ٤: ٢٧٨

لولا رجال ركع وصبيان رضع وبهائم رتع، ومن الثالث حديث الطبراني أيضا (لن تفني أمتي حتى يظهر فيهم التمايز والتمايل) وحديث الدبلمي أيضا (أحب المؤمنين إلى الله من نصب نفسه في طاعة الله ونصح لأمة محمد)[١].

تم بحمد الله تعالى، وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه محى الدين درويش ١٠: ٥٦١

خاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبد الله ورسوله، ونبيه ومصطفاه المبعوث رحمة للعالمين بلسان عربى مبين.

وبعد،،،

فإن ضمير الغائب فيه ما فيه من المعانى اللطيفةِ التى يتوقفُ العقلُ أمامها وخاصة إذا كان مرتبطاً بالقرآن الكريم، فهو بحثٌ نحوىٌ قرآنيٌ يتجلى فيه بحق إعجاز القرآن الكريم وذلك من خلال معايشتى له زمناً طويلاً، كما بذلتُ فى إخراجه على هذه الصورة جهداً مضنياً، حيث إن عود الضمير على أكثر من مرجع يحتاج إلى جهد فيتسع للمعانى المختلفة فى كتب التفسير المرصعة بأعاريب القرآن الكريم وهذا يقتضى الترجيح. وقد فعلت، إذا أضفنا إلى ذلك تبيان آراء العلماء نحو المرجع كل على قدر ما يسَّر الله له، فالبحث يتميز فى موضوعه بالاستقصاء الشامل الكامل الجامع، والتنقيب عن ذلك وجمع شتاته فى مؤلف كهذا، تلبية لحاجة المكتبة العربية النحوية إلى هذا العمل العلمى،

ولكى يتضح هذا العمل للقارئ الكريم جعلته يتكون من مقدمة تحدثت عن سبب اختيار هذا الموضوع، وفائدته العلمية تحدثت فى الفصل الأول عن ضمير الغائب، وبيان المراد منه، والفرق بينه وبين الضمائر الأخرى وتقسيمها، وذكرت فى الفصل الثانى جميع الآيات القرآنية المشتملة على ضمير الغائب بقدر الاستطاعة وتعرضت لإعراب بعض الآيات الكريمة التى تقتضيها طبيعة البحث والنواحى البلاغية حيث يتجلى فيها إعجاز القرآن الكريم، وكما ذكرت فى المقدمة أن هذا البحث يتحدث عن نفسه، فإن أكن قد أصبت فالحمد لله والمنة، وإن كانت الأخرى فحسبى أنى قد بذلت الجهد. وهو حسبى ونعم الوكيل.

على محمود النابى

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة	الموضـــوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	١	سورة الأنبياء	٤٢٩
		سورة الحج	٤٣٧
مقدمة المؤلف	٣	سورة المؤمنون	٤٤٥
الفصل الأول	٩	سورة النور	٤٤٨
الضمير المنفصل	٢٠	سورة الفرقان	٤٥٨
ضمير الفصل	٢٦	سورة الشعراء	٤٦٣
الفصل الثانى	٣٠	سورة النمل	٤٦٦
سورة البقرة	٣٠	سورة القصص	٤٦٨
سورة آل عمران	١٥١	سورة العنكبوت	٤٧٣
سورة النساء	١٩٢	سورة الروم	٤٧٥
سورة المائدة	٢١٧	سورة لقمـان	٤٨٠
سورة الأنعام	٢٤١	سورة السجدة	٤٨٣
سورة الأعراف	٢٧٩	سورة الأحزاب	٤٨٥
سورة الأنفال	٢٩٥	سورة سبأ	٤٨٧
سورة التوبة	٣٠٣	سورة فاطر	٤٩٠
سورة يونس	٣١٣	سورة يس	٤٩٨
سورة هود	٣٢٦	سورة الصافات	٥٠٣
سورة يوسف	٣٣٥	سورة ص	٥٠٥
سورة الرعد	٣٤٨	سورة الزمر	٥٠٨
سورة إبراهيم	٣٥٣	سورة غافر	٥١٠
سورة الحجر	٣٦١	سورة فصلت	٥١٢
سورة النحل	٣٧٢	سورة الشورى	٥١٤
سورة الإسراء	٣٩٠	سورة الزخرف	٥١٦
سورة الكهف	٤٠١	سورة الدخـان	٥١٧
سورة مريم	٤١١	سورة الجاثيـة	٥١٨
سورة طه	٤١٧	سورة الأحقـاف	٥١٩

الموضوع	الصفحة
سورة محمد ﷺ	٥٢١
سورة الفتح	٥٢٤
سورة الحجرات	٥٢٥
سورة ق	٥٢٧
سورة الذاريات	٥٢٨
سورة الطور	٥٢٩
سورة النجم	٥٣٠
سورة القمر	٥٣٢
سورة الرحمن	٥٣٣
سورة الواقعة	٥٣٥
سورة الحديد	٥٣٨
سورة المجادلة	٥٣٩
سورة الحشر	٥٤٠
سورة الممتحنة	٥٤٢
سورة الصف	٥٤٢
سورة الجمعة	٥٤٢
سورة التغابن	٥٤٣
سورة الطلاق	٥٤٤
سورة الملك	٥٤٥
سورة القلم	٥٤٥
سورة الحاقة	٥٤٦
سورة المعارج	٥٤٨
سورة نوح	٥٤٨
سورة الجن	٥٤٩
سورة المزمل	٥٥٠
سورة المدثر	٥٥٢
سورة القيامة	٥٥٢
سورة الإنسان	٥٥٣
سورة النبأ	٥٥٣
سورة عبس	٥٥٥
سورة البروج	٥٥٥
سورة الطارق	٥٥٧
سورة الفجر	٥٥٩
سورة الشمس	٥٥٩
سورة القدر	٥٦٠
سورة العاديات	٥٦٠

رقم الايداع
١٠٤٣٩ / ١٩٩٧ م